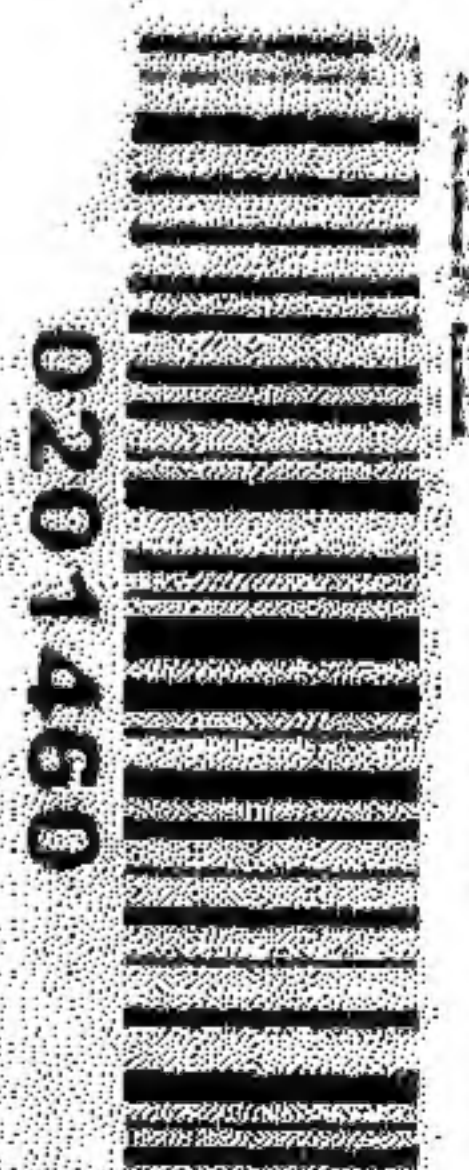




دكتور محمد عبد العظيم أبو النصر

السلاسل الحقة

تاريخهم السياسي والعسكري



0201460

Bibliotheca Alexandrina

السلافة

تاريخهم السياسى والعسكرى

تأليف
دكتور محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر

الطبعة الأولى

٢٠٠١م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام

دكتور قاسم عبده قاسم

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهواري

د . شوقي عبد القوى حبيب

د . على السيد على

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيقى

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون ٣٨٧١٦٩٣

ص . ب ٦٥ خالد بن الوليد بالهرم - رمز بريدى ١٢٥٦٧

Publisher: EYN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

P . B 65 Khalid Ben - Alwalid - Alharam P . C 12567

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
صدق الله العظيم

(سورة البقرة : آية ٣٢)

إهداء

**إلى والدى ووالدتى
عطاء أرض النيل الطيبة**

محمد

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وأصلى وأسلم على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه ودربه إلى يوم الدين .

وبعد . .

فقد شهد التاريخ حركات اندفاع شعوب وجماعات ، خرجت من مواطنها الأصلية ، إلى حيث استقرت في أرض جديدة صنعت فيها أوطانها ، وحملت معها عناصر من مقومات حياتها الأولى ، واقتبست - في الوقت نفسه - مما وجدته صالحا للبقاء والتطور من مقومات الحضارة الأصلية في الأرض الجديدة ، ومن هذه الحركات الكبرى التي غيرت وجه التاريخ ، خروج الشعوب التركية من مواطنها الأصلية وتسربها - أحيانا - واندفاعها - أحيانا أخرى إلى غربى آسيا وشرقى أوروبا ووسطها ، وهي حركة امتدت من القرن العاشر إلى القرن السابع عشر الميلاديين ، وكانت نقطة التحول حين اعتنق الأتراك (الإسلام) منذ وصل إلى ديارهم ، وباعتناقهم الإسلام انهار (الحاجز) الذي كان يقف بينهم وبين المسلمين بل بينهم وبين التاريخ العالمى ، فأصبحت بلادهم (دار إسلام) وبدأ هؤلاء يتسربون إلى ممالك الإسلام يدخلون في خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها ، يمدون هذه الممالك بقوة عسكرية جديدة حتى استطاعوا أن يقيموا لهم دولاء ومن هذه الدول التركية التي رفع الإسلام من شأنها ، وأدخلها نطاق التاريخ العالى دولة الأتراك السلاجقة ، التي التف سلاطينها حول راية الإسلام وأنقذوا قوة الإسلام (السنى) في دار الإسلام ثم مضوا يركزونها على معالم الطريق الذي ساروا فيه في البحر والبر حتى وسط أوروبا .

وهذا البحث يتناول فترة مهمة من أهم فترات التاريخ الإسلامى عامة ، وتاريخ الدولتين العباسية والسلجوقية بصفة خاصة ، ألا وهي (نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة في دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام ٤٢٩هـ - ٤٧٥هـ / ١٠٣٧-١٠٩٢م) وهذه الفترة هي العصر الذهبى للدولة السلجوقية التي أسسها طغرليك في نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وقد كان موضوع رسالتى فى الماجستير هو تأسيس الدولة السلجوقية على يد طغرليك ، ولذا لن أتعرض لفترة التأسيس طويلا ، فالسلاجقة إحدى قبائل الغز الأتراك أقاموا فى شرق الدولة العباسية ثم اعتنقوا الإسلام على المذهب السنى (الحنفى) ، ونظرا لعوامل داخلية تركوا

موطنهم الأصلي ، واستقروا يبسطون فى بلاد ماوراء النهر ، ولما ضاقت بهم مراعيهم تطلعوإ إلى الغرب حيث كان الغزنويون يبسون سلطانهم على تلك المنطقة ، وسمح لهم السلطان محمود الغزنوى بعبور نهر جيحون ، والاستقرار فى إقليم خراسان ، واستطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد المشرق فى عهد السلطان مسعود الغزنوى ، وقيموا لهم دولة بزعامة طغرلبك سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وحارب السلاجقة من تصدى لهم ، وأقروا من أقر لهم بالسيطرة والزعامة ، وكان هدفهم البعيد توحيد هذه الرقعة الكبيرة فى دار الإسلام الممتدة من بلاد ماوراء النهر إلى شرق البحر المتوسط ، ولهذا بسطوا نفوذهم على إيران والعراق ، وعلى أكثر أجزاء الشام وآسيا الصغرى ، وبعد أن ورثوا أملاك الغزنويين ، واعترف بهم الخليفة العباسى ، ثم دخلوا بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م وقضوا على آخر الأمراء البويهيين ، فزاد نفوذهم فى حاضرة الخلافة العباسية خاصة بعد قضائهم على حركة أبى الحارث البساسيرى ، وإعادة الخليفة العباسى إلى مقر خلافته بعد طرده منها ، فأصبح السلاجقة سادة الموقف ، بعد أن حققوا وحدة العالم الإسلامى فى المشرق ، فزاد نفوذهم ، ودخلت منطقة الشرق الإسلامى والعراق دورا جديدا فى الحياة السياسية والحضارية كان للسلاجقة دور كبير فيه . وورث ألب أرسلان مملكة وسلطنة واسعة بعد وفاة عمه طغرلبك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، واستطاع أن يضيف إليها المزيد من الأراضى ، وأن يقيم علاقات حسنة مع الخلافة العباسية ، ومع ولاية أقاليمه ، بل وعلى حساب البيزنطيين فانتصر عليهم فى موقعة ملاذكرد الشهيرة سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م . والتى كان لها صدى واسع فى العالم كله آنذاك ، والتى أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن السلاجقة أصبحوا قوة عظمى يخشى خطرهما ، فتوسعت دولتهم وزاد نفوذهم وعلاقاتهم الدولية ، ولم يكن مقتل ألب أرسلان نهاية لأمجاد هذه الدولة ، فقد خلفه ابنه ملكشاه الذى يعتبر عصره أزهى عصور الدولة السلجوقية على الإطلاق ، حيث بلغت الدولة السلجوقية فى عهده أقصى اتساع لها ، لقد بلغ نفوذه من حدود الصين شرقا وتركستان شمالا إلى بحر مرمرة واليمن غربا وجنوبا ، بمساعدة وزير قدير فذ هو نظام الملك الطوسى الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فيما وصلت إليه دولة ملكشاه من اتساع ونفوذ وقوة ، بفضل سياسته الحكيمة فى إدارتها ووضع الأسس التى قامت عليها الإدارة ونظم الحكم فى العصر السلجوقى ، والذى كان مصرعه على يد ألد أعدائه الشيعة الإسماعيلية سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م من أهم الحوادث فى تاريخ السلاجقة العظام ، وخسارة كبرى للعالم الإسلامى عامة ، والسلاجقة خاصة ، فقد كان وزيرا سياسيا بارعا ، ذا مقدرة عظيمة على إدارة الأمور يمتلك ثقافة واسعة ، كما كان للمدارس النظامية التى أنشأها فى بغداد وغيرها من المدن أثر كبير فى النهضة العلمية آنذاك .

وَمُوتَ مَلِكْشَاه ، سَنَةِ ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م بَعْدَ مَصْرَعِ وَزِيرِهِ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فَقَطْ ، انْفَرَطَ عَقْدُ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ وَتَفَرَّقَتْ وَحْدَتُهَا وَقُوَّتُهَا ، وَانْتَهَى عَصْرُ السَّلَاطِينِ الْعِظَامِ ، أَوْ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِلدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، وَكَثُرَ النِّزَاعُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْبَيْتِ السَّلْجُوقِيِّ ، وَتَنَافَسَ الْإِخْوَةُ أَبْنَاءُ مَلِكْشَاهٍ عَلَى عَرْشِ السَّلَاجِقَةِ ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَفَكُّكِ وَحْدَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّاسِعَةِ الَّتِي تَرَكَهَا مَلِكْشَاهُ لِأَوْلَادِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِلَى ضَعْفِ الْجُهْدِ الَّتِي بَذَلَتْ لِتَأْمِينِ الْوَحْدَةِ الذَّهَبِيَّةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَحَاوَلَةِ السُّلْطَانِ سَنَجَرِ النَّاجِحَةِ الَّتِي أَعَادَتْ إِلَيْهَا بَعْضَ قُوَّتِهَا ، وَعَلَى هَذَا يَعُدُّ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ أَحَدَ السَّلَاطِينِ الْعِظَامِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَمِيلُ لِهَذَا الرَّأْيِ فَقَدْ وَرِثَ سَنَجَرُ مَمْلَكَةَ مَفْكُكَةَ يَتَصَارِعُ فِيهَا الْإِخْوَةُ وَالْوُزَرَاءُ عَلَى الْعَرْشِ وَالْوِزَارَةِ إِلَى جَانِبِ تَقْلُصِ رَقْعَتِهَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهَا أَيَّامَ طُغْرَلْبِكِ وَأَلْبِ أَرْسَلَانَ وَمَلِكْشَاهٍ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّلَاجِقَةَ كَانُوا عُنْصُرًا جَدِيدًا طَرَأَ عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَّا أَنَّ عَصْرَهُمْ كَانَ أَكْثَرَ ازْدِهَارًا وَقُوَّتِهِمْ أَعَزَّ سُلْطَانًا كَمَا كَانَ لَهُمُ الْفُضْلُ فِي تَجْدِيدِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ السُّنِيِّ ، وَإِعَادَةِ تَكْوِينِ وَحْدَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَفِي ظِلِّهِمْ ازْدَهَرَتِ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَهُوَ الْقَرْنُ الرَّابِعُ الْهَجْرِيُّ ، الْعَاشِرُ الْمِيلَادِيُّ .

وَقَدْ أَثَّرَ الْعُنْصُرُ الْقَبْلِيُّ فِي مُخْتَلَفِ مَظَاهِرِ حَيَاةِ السَّلَاجِقَةِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِمْ وَتَكْوِينِ دَوْلَتِهِمْ ، مِمَّا جَعَلَ لِلْسَّلَاجِقَةِ أَثْرًا وَاضِحًا فِي مُخْتَلَفِ مَظَاهِرِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، لَا يَقْتَصِرُ عَلَى السِّيَاسَةِ وَنَظْمِ الْحُكْمِ بَلْ يَمْتَدُّ إِلَى الْآدَابِ وَالْعُلُومِ وَالْفَنُونِ ، وَهَذَا كُلُّهُ ظَهَرَ بِوُضُوحٍ خِلَالَ عَصْرِ السَّلَاطِينِ الْعِظَامِ وَأَعْنَى بِهِمْ (طُغْرَلْبِكُ - أَلْبُ أَرْسَلَانُ - مَلِكْشَاهُ) مِمَّا يَجْعَلُ هَذِهِ الْفَتْرَةَ جَدِيدَةً بِالدرَاسَةِ لِأَنَّهَا تَكْشِفُ لَنَا جُزْءًا مِمَّا مِنْ تَرَاثِنَا الْحَضَارِيِّ ، غَاصَتْ جُذُورُهُ فِي أَعْمَاقِ الزَّمَنِ ، وَضُرُوبِ النِّسْيَانِ .

وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْحَضَارِيَّةِ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، حَيْثُ لَمْ يَعُدِ التَّارِيخُ لَصِيْقًا بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْحُكَّامِ ، مُتَتَبِعًا حُرُوبَهُمْ وَانْتِصَارَاتِهِمْ وَهَزَائِمَهُمْ ، بَلْ امْتَدَّ لِيَشْمَلَ النِّوَاحِيَّ الْاِقْتِصَادِيَّةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ وَالْفَنِيَّةَ ، وَنَظْمِ الْحُكْمِ ، فَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِمَوْضُوعٍ غَايَةِ فِي الْأَهْمِيَّةِ ، وَكَانَ لِلْبَعْضِ السَّبِقِ فِي دِرَاسَةِ تَارِيخِ وَحَضَارَةِ السَّلَاجِقَةِ ، وَلَكِنَّهَا دِرَاسَاتٌ لَمْ تَرْكُزْ بِشَكْلٍ مُفْصَلٍ عَلَى نَظْمِ الْحُكْمِ وَالْإِدَارَةِ وَالْجَوَانِبِ الْحَضَارِيَّةِ الْهَامَةِ خَاصَّةً فَتْرَةَ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِلدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، وَهُوَ عَصْرُ السَّلَاطِينِ الْعِظَامِ ، لِذَا رَكُزْتُ أَهْتِمَامِي عَلَى نَظْمِ الْحُكْمِ وَالْإِدَارَةِ وَنِوَاحِي الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالثَّقَافِيَّةِ ، وَالْعِلْمِيَّةِ ، وَالْفَنِيَّةِ لِأَنَّهَا

الإرهاصات الأولى بل الأسس التي قامت عليها حضارة الدول السلجوقية المستقلة بعد ذلك كسلاجقة العراق ، وسلاجقة كرمان ، وسلاجقة فارس ، وسلاجقة آسيا الصغرى وغيرهم .

فجاء الفصل الأول تمهيدا ومدخلا للبحث ، ويعالج الأحوال السياسية لدولة السلاطين العظام حيث تعرضت فيه لأصل السلاجقة ، وهجرتهم نحو المشرق ، واعتناقهم الإسلام ، وقيام دولتهم بزعامة طغرل بك سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وملحمة الصراع الفزنوى السلجوقى ، واتصال السلاجقة بالخلافة العباسية ، ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، والقضاء على نفوذ البويهيين الشيعة ، والبساسيرى ، وتسيدهم للموقف وضعف الخلافة العباسية ، كما عالجت سلطنة ألب أرسلان والقضاء على المناوئين له وتفرده بالسلطنة واعتراف الخليفة العباسى بسلطنته ، وموقعة ملاذكرد والنتائج التى ترتبت عليها ، ثم مقتل ألب أرسلان ، وتولى ملكشاه السلطنة التى بلغت فى عهده أقصى اتساع لها ، وقضاءه على المشكلات الداخلية والخارجية التى واجهته ، وفتوحاته فى الشام وبلاد ماوراء النهر وآسيا الصغرى ، ودور وزيره القدير نظام الملك الطوسى فى تدعيم السلطنة ، وظهور الشيعة الإسماعيلية ، ومصرع نظام الملك على أيديهم ثم وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، وتفكك وانهيار الدولة السلجوقية بعده .

- وتناولت فى الفصل الثانى (النظام السياسى) ، السلطنة وتعريفها ، ورسوم اختيار السلطان السلجوقى وموافقة الخليفة العباسى ، ونظرية التفويض الإلهى ، وكيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلاطين ، ورسوم تعيين السلطان السلجوقى حيث إقامة الخطبة والتلقب بالألقاب والنقش على العملة ، وعلامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية ، وحواضر السلاجقة ورسوم وملابس السلطان فى قصره ، وشارات السلطنة مثل الخيمة ، والعلم والسيف ، والتاج والميقاتى ، والخاتم ، ومراسم الاستقبال والهدايا المتبادلة ، وعلاقة السلاطين بالخلفاء العباسيين ، ثم ولاية العهد واختيار ولى العهد ورسوم تعيينه ، ثم الوزارة وتطورها وأهم وزراء طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه ، مثل عميد الملك الكندرى ، ونظام الملك الطوسى ، وأبى الفنائم الشيرازى ، والتنافس بينهم على الوزارة ومصرع الكندرى ونظام الملك ، ورسوم تعيين الوزير السلجوقى ومهامه ، وألقابه وشاراته ، والعلاقة بينه وبين السلطان ، وراتبه ، ومحاسبته وعزله ووزراء الأقاليم ، ووزير الخليفة ووزير السلطان حيث سمح السلاجقة للخلفاء العباسيين باتخاذ وزراء بعد أن حرمهم البويهيون من هذا الحق ، كما تناولت الحجابة وتطورها وأهم حجاب السلاطين العظام وكذلك الكتابة وتطورها وأهم كتابهم .

وعالجت فى الفصل الثالث النظم الإدارية والقضائية والحربية ، حيث تعرضت للتقسيمات الإدارية - أقاليم الدولة السلجوقية ، والولاية وأمراء الأقاليم ، ومراسيم تعيين الوالى ، والعلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة الأقاليم ، والدواوين مثل ديوان الصدارة (الوزارة) وديوان الاستيفاء ، وديوان الرسائل ، وديوان عرض الجيش ، وأرباب الوظائف الأخرى كوكيلدار السلطان ، والطفرائى ونائبه ، والمستوفى ونائبه ، والمشرف ونائبه ، وعارض الجيش ، والعميد ، والشحنة ، والمحتسب ، وصاحب الشرطة ، وأمير الحرس ، والمختارين وغيرهم ، كما عالجت النظام القضائى وتطور منصب القضاء ، وأشهر من تقلد هذا المنصب زمن السلاطين العظام ، وثقافة القضاة ونزاهتهم ، ومجالسهم ورواتبهم ، وأعوان القاضى ، والوكلاء ، والمحامين ، ومهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة وملابس القضاة ، ثم قضاء المظالم وجلس السلاطين العظام بأنفسهم لهذا الأمر .

كما عالجت فيه أيضا النظام الحربى والجيش السلجوقى وعناصره ، وتشكيلاته وأسلحته ، وتسجيل الجند فى ديوان العرض ، وأساليب السلاجقة فى القتال ، ومرتبات الجند (النظام الإقطاعى العسكرى السلجوقى) الذى عممه السلاجقة واستفادوا منه كثيرا .

محمد عبد العظيم

الزقازيق أكتوبر ٢٠٠٠م

دراسة فى أهم المصادر

كان لتعدد عناصر السكان ، واتساع رقعة الدولة السلجوقية ومتاخمتها بلادا غير إسلامية كأرمينية ، وبيزنطة ، وأواسط الهند ، وبلاد إسلامية تتكلم بغير العربية كالدولة الغزنوية ، والقراخانية ، وغيرها ، أثره فى تعدد المصادر التى أرخت لحياة هذه الدولة وخاصة عصر السلاطين العظام ، الذين بلغت الدولة السلجوقية فى عهدهم أقصى اتساعها ، فتوزعت أمكنة ولغات المؤرخين لها ، مما زاد الأمر صعوبة أمام الباحث ، إلا أن التنوع المنهجى والفنى العلمى لهذه المصادر تقريبا ، قرب من الحقيقة المرجوة ، فتنوعت المصادر التى اعتمد عليها البحث بين مصادر عربية مخطوطة ، ومطبوعة وأخرى فارسية ، وتركية ، وأجنبية . وسأقتصر على عرض المصادر الأساسية التى كان بعضها معاصراً للأحداث ، مما جعلها ذات أهمية كبيرة فى دراسة نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة عصر ازدهار الدولة السلجوقية .

أولا : المخطوطات :

١- اعتمد البحث على بعض المخطوطات ، وإن كانت قليلة إلا أنها شكلت مادة وفيرة للباحث ، وأهمها مخطوطة الإمتاع فى أحكام الإقطاع ، لابن ابراهيم المراكشى وهو مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط ، بالمغرب تحت رقم ٢١٢ ، وهناك نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧١ فقه ميكروفيلم ٢٤٩٢ ، وقد أمدنى هذا المخطوط بمعلومات وافية عن الإقطاع المدنى منذ بدأ فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم الإقطاع العسكرى الذى طبقه البويهيون وعممه سلاطين السلاجقة العظام .

٢- أما مخطوطة (الفلاحة النبطية) لأحمد بن على بن قيس بن المختار أبى بكر المعروف بابن وحشية فقد أمدتنى بمعلومات وافية عن أنواع كثيرة من الحاصلات الزراعية التى زرعت فى بلاد المشرق الإسلامى عصر السلاطين العظام ، كما أمدتنى بمعلومات غزيرة حول مواسم هذه الزراعات ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٠ زراعة ، ميكروفيلم ٣١٥٩ .

٣- أما مخطوط (شذور العقود فى تاريخ العهود) لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٤ تاريخ ميكروفيلم

٦٧٥١ ، فقد أمدنى بمعلومات وافيه فى الفصل الأول عن قيام الدولة السلجوقية ، ودخول السلاجقة بغداد ، وفتنة البساسيرى .

أما حفيده "سبط بن الجوزى" ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، فى مخطوطته الشهيرة (مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم ٦٤٣٥ ، ونسخة مصورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ١٢٨١ تاريخ ، ميكروفيلم .

وقد أفادنى هذا المخطوط فى الفصل الأول بمعلومات وافية عن الحياة السياسية فى العراق فى أثناء دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وقيام دولة السلاجقة ، وحروب ألب أرسلان ، وملكشاه ، كما أمدنى بمعلومات فى الفصل الثانى (النظام السياسى) بمعلومات وافية عن علاقة السلطان السلجوقى بالخليفة العباسى ومرحلة الشد والجذب فى هذه العلاقات، كما أفادنى معلومات عن كيفية استقبال الخلفاء للسلاطين السلاجقة وتأتى أهمية هذا المخطوط إلى أن صاحبه نقل كثيرا عن جده (أبى الفرج بن الجوزى) كما نقل عن مصادر أخرى ويقع فى أربعين مجلدا ، وذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان . وقد نقل عن سبط بن الجوزى عدد من المؤرخين المتأخرين منهم الذهبى فى سير أعلام النبلاء والعينى فى عقد الجمان، وابن خلكان فى وفيات الأعيان وغيرهم .

أما مخطوط الرتبة فى طلب الحسبة لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م بمعهد المخطوطات العربية رقم ٥٥١٠ ميكروفيلم رقم ٢٤٩٩ ، فقد أمدنى بمعلومات فى الفصل الثالث (النظم الإدارية والقضائية والحربية) حول المحتسب ودوره ومهامه، والشروط الواجب توافرها فيه ، والأسعار .. إلى غير ذلك من مهام المحتسب .

ثانيا : المصادر التاريخية :

يأتى كتاب (تاريخ دولة آل سلجوق) لمؤلفه الوزير السلجوقى أنوشروان بن خالد الكاشانى ٥٣٢هـ/١١٣٧ والذى ألفه بالفارسيه أصلا ، وترجمة بعد ذلك بإضافة كثير من الزيادات (عماد الدين الأصفهانى) سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، ثم اختصر الترجمة العربية ونشرها بعد ذلك (الإمام الفتح بن على البندارى) سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ، ونشره المستشرق هوتسيما (Hautsma) حيث بحث العلاقة بين هذه الكتب فى مقدمته التى قدم بها طبعته لنسخة (البندارى) ، وقرر أن هذه النسخة توجد فى صورتين مختلفتين الأولى منهما مطوبة وتشتمل

عليها مخطوطة أكسفورد ، والأخرى قصيرة ، وتشتمل عليها مجموعة باريس ، ولهذا الكتاب أهمية خاصة لأنه يحتوى على التاريخ السياسى للسلاجقة منذ بدء ظهورهم ، ونسبهم ، ومرحلة تكوين دولتهم مما أفادنى فى الفصل الأول من البحث ، والكتاب يحتوى على تراجم السلاطين السلاجقة الواحد تلو الآخر ، كما أفادنى هذا الكتاب كثيرا فى أغلب فصول الرسالة خاصة فى الفصل الخامس (الحياة الاجتماعية) حيث أمدنى بمعلومات عن زواج طغرل بك ورسوم وعادات السلاجقة فى الزواج ، والحفلات ، والمواكب ، ودور المرأة السلجوقية فى دولتها . وفى الفصل السادس (الحياة الثقافية أمدنى بمعلومات عن المدارس النظامية ، ومدرسيها كما يتضمن الكثير من الأشعار التى دلت على مدى تشجيع سلاطين السلاجقة للشعر والشعراء ولكن يؤخذ على كتاب البندارى ركاكة الأسلوب وغموضه وتعقيد المعانى فى كثير من الأحيان .

ويليه فى الأهمية بالنسبة لتاريخ السلاجقة كتاب (أخبار الدولة السلجوقية) أو (زبدة التواريخ فى أخبار الملوك والأمراء والملوك السلجوقية) ، وحققه الدكتور محمد نور الدين ، وقد اختلف المؤرخون حول مؤلف هذا الكتاب ، ويبدو أنه من كتاب النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، حيث نسب التأليف إلى جمال الدين أبى الحسن القفطى أو أبو على الحسن على بن ظافر الأزدى مؤلف كتاب (أخبار الدول المنقطعة) ، والذي ولد بمصر سنة ٥٦٦هـ/٥٦٧هـ حيث يرى بعض الباحثين أن هناك تشابها بين أحداث أخبار الدول والمنقطعة ، وأخبار الدولة السلجوقية ، ولكن يبدو أن هذا رأى خطأ حيث أن مؤلف أخبار الدول السلجوقية أو زبدة التواريخ قد عاش فى الأنحاء الشرقية من العالم الإسلامى فى أذربيجان أو خوارزم ، بينما عاش الأزدى فى مصر أيام الأيوبيين ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يعرض لتاريخ دولة السلاجقة منذ نشأتها فى نيسابور سنة ٤٣٩هـ/١٠٣٧م حتى سقوطها ، ولهذا أفادنى بمعلومات وافية فى الفصل الأول ، والثانى حول السلطنة السلجوقية ، ورسوم السلطان السلجوقى فى قصره وشاراته ، ومجالسه وعلاقته بالخلافة العباسية . كما تضمن معلومات عن وزراء السلاجقة العظام خاصة عميد الملك الكندرى ونظام الملك الطوسى والصراع بينهما وهو ما أفاد الباحث فى الفصل الثانى .

ومن المصادر المهمة ، التى أسهمت فى دراسة أحوال المشرق الإسلامى السياسية والاقتصادية والحربية والقضائية بل والاجتماعية والعلمية كتاب (المنتظم فى تاريخ الملوك

والأمم) لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م . وهو كتاب لاغنى عنه للباحث فى تاريخ المشرق الإسلامى ، وهذا الكتاب أمدنى بمعلومات وافية ووفيرة فى كل الفصول ، إذ لا يكاد فصل يخلو من معلومات مستمدة من ج ٨ ، ج ٩ ، ج ١٦ ، طبعة بيروت من هذا المعجم الضخم ، فقد استفدت منه فى الفصل الأول بمعلومات عن قيام دولة الأتراك السلاجقة ودخولهم بغداد ، وعلاقتهم بالخلافة العباسية ، وحروب ألب أرسلان ، وملكشاه ، وفى الفصل الثانى أمدنى بمعلومات كثيرة حول نظام الحكم السلجوقى حيث السلطنة وشاراتها ، ورسوم اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى ورسوم تعيينه ، ومراسيم الاستقبال للرسول ، واختيار ول العهد ، والصراع الذى دار حول الوزارة السلجوقية بين الكندرى ، ونظام الملك الطوسى ، وفى الفصل الثالث أمدنى بمعلومات عن النظام الإدارى والعلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة أقاليمه ، وعن العميد والشحنة ودورهما فى بغداد .

ومن المصادر المهمة والقيمة التى اعتمد عليها البحث كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير على بن أحمد بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م ، والذى يشمل التاريخ العام للعالم الإسلامى ، ابتداءه بأول الزمان ، وانتهى عند آخر سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٦م ، وبعد هذا المصدر من أهم المصادر فى التاريخ الإسلامى إذ يتميز عن غيره بكثرة وثائقية ، والتوازن فى تناول الأحداث بالنسبة لأقاليم الدولة الإسلامية مع الموازنة بين الأحداث والربط بينهما ، وقد حرص ابن الأثير على استقاء معلوماته من مصادر تاريخية معاصرة للفترة التى يكتب عنها ، فنراه ينقل عن الهمذانى وابن الجوزى حين يتحدث عن تاريخ العراق ، وينقل عن ابن شداد والصنهاجى حين يتناول تاريخ المغرب وهكذا .

وقد تجلت مواهب ابن الأثير فى طريقة عرضه للحقائق إذ حذف التفاصيل التى لا داعى لها ووثق فى مصادره وأخباره ، وجمع بين شتات الأخبار ليجعل منها وحدة متماسكة ، وقد أمدنى هذا الكتاب القيم بمعلومات وفيرة وغزيرة فى كل فصول الرسالة ، وفى الفصل الأول (الأحوال السياسية) أمدنى بمعلومات وافية عن أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق ، وقيام دولتهم وحروبهم مرتباً بالأحداث بالنظام الحولى ، وفى الفصل الثانى (النظام السياسى) كان للكامل الفضل الكبير فى إمدادى بمعلومات كثيرة حول السلطان السلجوقى وشاراته ، ومراسيم الاستقبال ، وكيفية استقبال الخليفة العباسى للسلطان السلجوقى ، والعلاقة بينهما ،

والوزارة ، وأهم وزراء السلاجقة حيث أنه هو المصدر العربى الوحيد الذى كتب عن وزراء طغرل بك الأوائل قبل عميد الملك الكندرى والصراع الذى دار بين نظام الملك وملكشاه ، وأهم حجاب وكتاب السلاطين العظام ، وفى الفصل الثالث (النظم الإدارية والقضائية والحربية) استقيت معلومات وافية منه حول ولاية الأقاليم السلاجقة ، وعلاقتهم بالسلطنة السلجوقية ، وحروبهم مع السلاطين العظام ، وأهم قضية السلاجقة العظام ودورهم السياسى والدينى ومدى ارتباطهم بالسلطة وتنفيذ أوامرها ونظام الإقطاع السلجوقى ، ودور نظام الملك الطوسى فى تعميمه .

أما كتابى (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) ، (والأنافة فى مآثر الخلافة) للقلقشندي ، فعلى الرغم من تأخره عن فترة البحث ، حيث أنه يعتبر من مؤرخى عصر سلاطين المماليك بمصر الإسلامية ، فإنه قد أمدنى بمعلومات وافية حول السلطنة وتعريفها ورسومها وشاراتها ، وأرباب الوظائف الأخرى المساعدة للسلطان فى قصره .

ويأتى (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للخطيب البغدادي ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م ، على رأس المصادر المهمة والقيمة حيث أمدنى بمعلومات وفيرة عن أحوال الخلافة العباسية وقت دخول السلاجقة ، ووصف وصفاً ممتعاً فتنة البساسيري لأنه كان قد شهد بها بنفسه ، كما وصف كيفية مقابلة الخليفة العباسى للسلطان السلجوقى مما أفاد الفصل الأول والثانى .

أما الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، لمحمد بن على بن طباطبات ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ، فهو من أهم الكتب التى احتوت على معلومات مهمة عن وزراء بنى العباس فى مختلف عصورهم ، ومدى علاقتهم بالخلفاء وسلاطين السلاجقة ، ودورهم السياسى مثل أبى القاسم بن المسلمة رئيس الرؤساء وفخر الدولة بن جهير ، وغيرهم مما أفاد الباحث فى الفصل الثانى .

ثالثا : المصادر الجغرافية :

لكتب الرحالة والجغرافيين أهمية كبيرة للوقوف على كثير من التفاصيل والمعلومات المهمة التى تساعد باحث التاريخ على تحليل وتدوين الحقائق التاريخية والمكانية ، لاسيما عند دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، فضلا عن قيمتها فى معرفة حياة الشعوب والدول والقبائل وعاداتها وتقاليدها ، وتعد هذه الكتب شاهد عيان على عادات وحياة وتقاليدها

الشعوب ونشاطهم الزراعى والصناعى والتجارى . وما اشتهرت به المدن والأقطار من منتجات زراعية وصناعية وحرف وصادات وواردات إلى غير ذلك من المعلومات المهمة .

ومن أهم المصادر الجغرافية التى اعتمد عليها البحث :

١- كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم "لمؤلفه شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن بكر المقدسى ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، حيث بحث فيه الأقاليم التى فتحها العرب من حيث تركيبها ومناخها ، وبحيراتها وأنهارها ، ومسالكها ، وطبيعة مجتمعاتها من حيث اللغة والمذاهب والنقوذ والحياة اليومية والاقتصادية .

٢- كتاب المسالك والممالك لأبى اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصبخري ، الرحالة المتوفى ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م من أهل أصفخر ، ولذا نسب إليها ، كان من أجل العلماء قام بسياحة طاف بها بلاد العرب ، وبعض بلاد الهند ، وجاء كتابه صورة حقيقية ومعبرة عما رواه من عادات وتقاليده وحياة الشعوب والأقاليم التى زارها .

٣- كتاب (معجم البلدان) لمؤلفه شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى الرومى ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م حيث امتاز هذا المعجم بترتيبه على حروف الهجاء ، ودقته واتساعه ، وجمعه بين الجغرافيا والتاريخ والأدب ، وقد فرغ ياقوت من تأليفه سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م ، أى قبل وفاته بحوالى خمسة أعوام ، وقد أفادنى هذا المعجم إفادة كبيرة فى تحقيق أسماء المدن والأماكن ، فى كل الفصول .

٤- كتاب المسالك والممالك لمؤلفه أبى القاسم بن عبد الله بن خرداذبه ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م ، وكان مجوسيا وأسلم على يد البرامكة ، وتولى البريد والخبر بنواحي بلاد الجبل ، وكتابه (المسمى بالمسالك والممالك كتاب جغرافى مهم يبحث فى طبيعة البلاد وحياة المدن والشعوب والمسافات والأسفار والتجارة وطرقها ، وطوائف التجارة ويتطرق الحديث عن وصف البلدان وأوصافها وأحوال شعوبها ، ويتناول الحياة الاقتصادية فى حياة الشعوب ، بما أمدنى بمعلومات وافية .

٥- (صورة الأرض) لمؤلفه أبى القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، وهو رحالة اتخذ التجارة وسيلة للتجوال والدراسة ، ولدراسة أحوال الأقاليم ، وطبائع الشعوب ، حيث جاء وصفه دقيقا .

رابعاً : الكتب الفقهية :

- كتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ، ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، وهذا المصدر المهم يقرر النظم الإدارية والمالية فى الدولة الإسلامية ، وقد التزم الماوردى فى منهج كتبه ومصادر مؤلفاته بما يتفق وتكوينه الدينى ، فقد جعل كتاب الله على قمة مصادره التى يستقى منها مادته العلمية ، ثم يهتدى بالأحاديث الشريفة والسنة العطرة ، وما هو موروث عن الخلفاء الراشدين ، ثم يفكر ويتأمل ويطرح قضايا يجتهد فيها بنفسه ، وقد تولى القضاء فى بلدان كثيرة ، ولقب بلقب (أقضى القضاة) سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م ، لتبحره فى الفقه ، ويعتبر رائد الفكر السياسى فى الإسلام ، فقد نقل عنه ابن خلدون قسماً كبيراً خاصة من كتابه (الأحكام السلطانية) والتى تتعلق بالخلافة ومهامها والملك ورسومه ، وولاية العهد ، والشروط الواجب توافرها فىمن يلى أمر الناس ، ودواوين الدولة ، وخراجها ، والمقطعين وأحكامهم ، وولاية القضاء وولاية المظالم ، وولاية الحسبة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العديد من اللغات الأجنبية ، حيث يعتبر أشهر كتب الماوردى على الإطلاق .

- أما كتابه (قوانين الوزارة وسياسة الملك) ، تحقيق صلاح الدين بسيونى ، والذي نشر بالقاهرة سنة ١٩٢٩ م بعنوان "أدب الوزير" ، فقد أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية فى الفصل الثانى (النظام السياسى) عن الوزارة وأنواعها (وزارة تفويض) (وزارة تنفيذ) والشروط الواجب توافرها فىمن يلى الوزارتين ، وتطور منصب الوزير وخطره ، وحقوق السلطان على الوزير ، وحقوق الوزير على السلطان .

- كتاب (الأحكام السلطانية) لأبى يعلى محمد بن الحسين الفراء ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ، والذي كان أحد المغضوب عليهم من السلاجقة هو وأسرته لاختلافهم فى المذهب ، وقد أمدنى هذا الكتاب القيم بمعلومات وافية فى الفصل الثانى عن السلطنة وتطورها ، وأنواع الوزارة ، وولاية العهد . وفى الفصل الثالث أمدنى بمعلومات مهمة عن القضاء وشروط تولى القضاة ، وولاية المظالم ، والحسبة .

كتاب (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) لمؤلفه عبد الرحمن بن نصر الشرزى ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م وترجع أهمية مؤلفات كتب الحسبة فى الإسلام ، إلى أنها قد الباحث بمعلومات مهمة عن المحتسب وشروط وعن الأسواق وما يباع فيها ، وعن الأسعار وتقلباتها ، والموازن والمكايل والمقاييس ، ومراقبة تنظيم المجتمعات اقتصادياً ، ومنع الغش والتدليس ،

والضرائب الحرفية والشخصية ، وأصحاب الصناعات ، كما أنها تلقى الضوء على المعاملات المالية المختلفة من عملات وسفاتيح وصكوك مما أفاد الباحث في الفصل الثالث حول الحسبة والمحتسب .

- كتاب (الأموال) للأمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ / ٨٣٨هـ ، وهو موسوعة علمية في سياسة أموال الدولة العامة ، ولقد سماه صاحبه "الأموال" نظرا لاحتوائه على المسائل المالية المتعلقة بموارد الدولة العامة ، وقد أمدنى هذا الكتاب الموسوعى بمعلومات غاية في الأهمية عن موارد الدولة المالية مثل الجزية ، والخراج ، والزكاة بأنواعها .

- كتاب (الملل والنحل) لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستاني ت ٥٤٨هـ / ١٣٦٦م تحقيق محمد سيد كيلانى ، والذي يعتبر دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب ، والفرق ، وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات وفيرة في الفصل الأول عند التصريف بالطائفة الإسماعيلية والحسن الصباح ، كما أفدت منه كثيرا .

خامسا : كتب التراجم والطبقات :

- كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ، تحقيق د / إحسان عباس ، وقد أمدنى هذا المعجم الضخم بمعلومات وافية عن سلاطين الدولة السلجوقية العظام ودورهم ، وأهم وزراء العصر السلجوقى ، مما أفاد الفصل الأول والثانى ، كما أمدنى بمعلومات كثيرة عن أهم العلماء والأدباء والشعراء والمصنفين في عصر السلاطين العظام .

- كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب السبكى ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م ، وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات غاية في الأهمية في الفصل الثانى عن الوزارة السلجوقية خاصة الوزير نظام الملك ودوره .

- كتب (طبقات الشافعية) لأبى بكر بن هداية الله الحسينى ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م ، والذي كان من فقهاء الشافعية ومؤرخيهم ، ومن أعيان الأكراد ، وكان يجيد إلى جانب العربية الفارسية والتركية ، وقد أمدنى بمعلومات وفيرة حول علماء الشافعية ودورهم ومدى تعصب نظام الملك الطوسى لهم ، وبناء النظاميات وأشهر مدرسيها وطلابها حيث اقتصر القبول فيها على الشافعية الأشعرية .

- كتاب (طبقات الصوفية) لأبى عبد الرحمن السلمى ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م ، تحقيق نور الدين شريعة وهو يعد موسوعة مهمة لأشهر علماء التصوف فى العصر الإسلامى .

سادسا : المصادر الأدبية :

كان لكتب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) أهمية كبيرة ، فقد كتب فى الموضوعات السياسية والاجتماعية ، والأخلاقية ، والاقتصادية ، وفى كتابه (رسائل الجاحظ فى مناقب الترك) أمدنى بمعلومات وفيرة عن صفات الترك وعاداتهم وتقاليدهم والمرأة التركية والأبناء والفروسية مما أفاد الفصل الأول والأخير من الرسالة ، أما كتاب (التبصر بالتجار) فيورد نصوصا فريدة تبين أنواع السلع الواردة على الأسواق ومن أى الأقاليم أو الدول .

سابعا : المصادر الفارسية والتركية :

حافظ الأتراك السلاجقة على لغتهم الأصلية (التركية) على الرغم من دخولهم فى الإسلام ، والتى كانت لغة قصورهم ، وقوام لسانهم ، واتخذوا الفارسية لغة للدواوين والرسائل ، إلى جانب العربية التى لم يكن أول سلاطينهم (طغرل بك) يتكلمها ، ولذا حفلت المصادر الفارسية والتركية بمعلومات وفيرة عن السلاجقة ونظام حكمهم وأهم مظاهر الحضارة فى دولتهم ، بل كانت هذه المصادر هى قوام العمل داخل هذه البحث ، ولمن يتصدى بالكتابة عنهم . ومن أهم المؤلفات الفارسية :

- كتاب (سياسة نامة) أو - سير الملوك - للوزير القدير (نظام الملك الطوسى) أشهر وزراء السلاجقة والذي ترجمه إلى العربية محمود العزاوى سنة ١٩٧٥م ، ود / يوسف حسين بكار ، ونشر فى الدوحة سنة ١٩٨٧م ، والذي يضم عصارة أفكار نظام الملك وتجاربه فى أخريات حياته ، إنه مذكرات سياسى ووزير عظيم ، والذي قدمه للسلطان ملكشاه سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م الذى قال عنه (لقد اتخذت هذا الكتاب إماما لى وعليه سأسير" ، ويقع الكتاب فى خمسين فصلا فى موضوعات شتى ، وكل فصل من فصوله الخمسين وموضوعاته المختلفة تكشف بوضوح تام عن ناحية من أوضاع الحكم ، وأجهزة الإدارة والطبقات الاجتماعية ، ورسوم ذلك العصر ، وتقاليده ، وآدابه ، عن مسألة الإقطاع ، وأهمية عمل القضاة وحدود اختيارهم ومن المحتسب وأعماله ، والمشرفين وواجباتهم ، وأهمية عمل صاحب الأخبار والعيون ، وإرسال الجواسيس ، والندماء ، والمختارين والأسلحة وأحوال الرسل ، والرهائن ، وتنظيم المقابلات الخاصة والعامة ، وأمير الحرس ، وعرض أحوال المذاهب الخبيثة

(أعداء الإسلام كالباطنية والقرامطة ، وتدوين حساب الولايات إلى غير ذلك من الموضوعات التى لاغنى عنها للباحث فى حضارة السلاجقة العظام ، ويجب ألا ينظر إليه على أنه كتاب تاريخ محض ، فقد جاءت فيه بعض الأخطاء التاريخية ، ولكنه يمكن أن تستنبط منه فوائد تاريخية جمة ذات أهمية أكثر مثل وصاياه ودستور الوزارة ، وقانون الملك ، وجلوس الملك للمظالم إلى غيرها من الموضوعات التى احتواها الكتاب .

وأكد أجزم أن جميع فصول البحث قد استفادت كاملة من هذا الكتاب القيم الذى لاغنى عنه للباحث فى تاريخ السلاجقة . وفى الفصل الأول أفادنى بمعلومات عن الباطنية الإسماعيلية الذين كانوا هم الأول والأخير ، وقضى عمره كله سعياً فى محاربتهم ، وعدّهم ضالّين غواة ، حتى كانت نهايته على أيديهم سنة ٥٨٥هـ / ١٠٩٢م .

- وفى الفصل الثانى (النظام السياسى) فقد أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية عن السلطنة ، وكيفية جلوس الملك للمظالم ، وتحليه بالخصال الحميدة ، وتنظيم المقابلات الخاصة والعامّة ، ورسوم السلطان فى قصره وشارات السلطنة السلجوقية ، مثل التاج ، وجنود الخدمة ، والخزانة السلطانية والدركاء وحقوق السلطان السلجوقى ، واستقبال الرسل ، والعلاقة بين الوزير والسلطان .

- وفى الفصل الثالث (النظم الإدارية والقضائية والحربية) فقد أمدنى بمعلومات وافية عن الشحنة والعميد والقاضى والخطباء والمحتسبين ، وعمال الخراج ، وأصحاب البريد ، وإرسال الغلمان ، والجواسيس والرسل والسعاة والمختارين ، ووكليدار السلطان ، وأحوال الرسل ، والندماء ، والقضاة وتشكيلات القضاء وثقافة القضاة ونزاهتهم ، وديوان المظالم ، وكيفية إعداد الخوان والخزينة السلطانية ، وعناصر الجيش ، وتعددتها واحتياجات الجيش ومطالبه ، ومعدات الحرب والسفر ، وأرزاق الجند (النظام الإقطاعى) والمستقطعين والتحقق من معاملتهم للرعية .

- كتاب (راحة الصدور ورواية السرور) لمحمد بن على بن سليمان الراوندى ت ٥٩٩هـ / ١١١٩م ، الذى نقله إلى العربية د/ إبراهيم الشواربى ، د/ عبد النعيم حسانين ، د/ فواد الصياد ، وهو مصدر هام لتاريخ السلاجقة من بداية ظهورهم إلى سقوط دولتهم ، حيث أمدنى بمعلومات وافية عن أصل السلاجقة وموطنهم الأول وسبب هجرتهم واعتناقهم الإسلام ، واتصالهم بالخلافة العباسية ، وحروبهم مع الغزنويين والبيزنطيين مما أفاد الفصل

الأول من الرسالة ، وأمدنى بمعلومات عن السلطنة وكيفية جلوس السلطان السلجوقى على عرشه ومهابته بين رعيته ، وكيفية اختيار السلطان السلجوقى ، ورسوم اختياره وموافقة الخليفة العباس وولاية العهد وشروطها ، والوزارة السلجوقية وأهم وزراء السلاجقة خاصة عميد الملك الكندرى ونظام الملك الطوسى والشيرازى والتنافس بينهم ، وحجاب وكتاب السلاطين العظام مما أفاد الفصل الثانى من الرسالة ، وفى الفصل الثالث أمدنى بمعلومات حول التقسيم الإدارى للدولة السلجوقية ، وولاة الأقاليم ، والعلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة أقاليمه ، وبعض دواوين الدولة السلجوقية ، وكثير من أرباب الوظائف الأخرى كالطفرائى ووكيلدار السلطان ، والمشرف ، والعميد والشحنة ، والطشت دار ، والساقى ، والأطباء ، والسعاة ، والندماء ، وكلها معلومات غاية فى الأهمية إلى جانب أشهر قضاة السلاجقة ، وملابس القضاة ، والنظام الإقطاعى السلجوقى .

- كتاب (تاريخ البيهقى أو صحائف مسعودى) لمؤلفه أبى الفصل محمد بن حسين البيهقى ت ١٠٧٧/هـ الذى نقله إلى العربية د/ يحيى الخشاب ، د/ صادق نشأت ، والذى كان شاهد عيان على ملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى ، حيث ترجع أهمية هذا المصدر ، لأن البيهقى كان نائبا لرئيس ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود الغزنوى ، وشاهد بنفسه موقعة داندانقان ١٠٣٩/هـ ١٠٣٩م الفاصلة ، حيث ألحق السلاجقة بالغزنويين هزيمة ساحقة ، وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات غاية فى الأهمية عن الصراع الغزنوى السلجوقى ، وحروب السلطان مسعود الغزنوى معهم مع عرض أمين للأحداث ، مما أفاد الفصل الأول ، كما أمدنى بمعلومات عن بعض النظم الاجتماعية ومجالس الشراب والطرب وإشارات الحكم .

- كتاب (جهاز مقاله) أى المقالات الأربع الذى ألفه نظامى عروض سمرقندى ، ووضع حواشيه محمد بن عبد الوهاب القزوينى أمدنى بمعلومات مهمة عن الصراع الغزنوى السلجوقى ، وترجع أهميته إلى أن مؤلفه كان يذيل الحوادث يقصها ويرويها كما شاهدها وسمعها وهى مقالات فى الكتابة والشعر والنجوم والطب وغيرها من العلوم الأدبية والعلمية مما أفاد الفصل السادس كثيرا ، وقد قام بترجمته من الفارسية عبد الوهاب عزام ، ويحى الخشاب .

- كتاب (دستور الوزراء) لغيث الدين خواندمير الحسينى ت ٩٤٢/هـ ١٥٣٥م . بتصحيح سعيد نفيسى ، وترجمة حبيب أمين سليمان ، أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية عن وزراء العصر السلجوقى خاصة عميد الملك الكندرى ، ونظام الملك الطوسى ، وتاج الملك

الشيرازى ، والصراع بينهم ، وراتب الوزير السلجوقى ومهامه ورسوم تعيينه مما أفاد الفصل الثانى .

- أما ذبيح الله صفا فى كتابة (تاريخ أدبيات درايران) فقد أمدنى بمعلومات وفيرة عن أشهر أدباء ومتصوفى العصر السلجوقى عصر السلاطين العظام ، ولا يقل عنه كتاب (تاريخ تصوف در إسلام) لقاسم غنى ، الذى أمدنى بمعلومات وافية عن أشهر متصوفى عصر السلاطين العظام .

- ومن أهم المصادر الفارسية التى اعتمدت عليها كتاب (سفرنامه) الذى ألفه الرحالة ناصر خسرو (أبو معين الدين ناصر خسرو القباديانى) ت ١٠٨٨/٥٤٨١ م ، وترجمة الخشاب سنة ١٩٤٥ م ، وضمنه رحلته إلى مصر والحجاز والعراق وبلاد المشرق ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن مؤلفه عاصر فترة البحث وعمل لفترة فى بلاد الملك جغرى بيك فى مرو فوصف مارأى ، ، وقد أفادنى بمعلومات عن العادات والتقاليد .

- أما أحمد بن المستوفى القزوينى ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩ م ، فى كتابه (تاريخ كزیده) الذى ألفه بالفارسية وتناول فيه الحالة السياسية التى سادت المنطقة ، وترجع أهمية هذا المؤلف إلى أن مؤلفه كتبه بعد سقوط دولة السلاجقة ، وضمنه كل ما سمعه ، وما اعتمد عليه من مصادر فارسية غير متوافرة أو موجودة الآن ، وقد أفادنى فى الفصل الأول حول أصل السلاجقة وهجرتهم وأهم معاركهم مع جيرانهم وعن علاقات السلاطين العظام بالدول المجاورة كالبيزنطية والغزنوية .

- ومن أهم المصادر الفارسية التى اعتمدت عليها فى دراسة المظاهر الحضارية ونظم الحكم عصر السلاطين العظام كتاب (اصطلاحات ديوانى دورة غزنوى وسلجوقى) لمؤلفه حسن أنورى ، وقد أفادنى إفادة كبيرة فى الفصل الثانى حيث السلطنة والدركاه ، كما أفادنى كثير فى الفصل الثالث حيث النظم الإدارية والقضائية والحربية ، فأمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية حول الإقطاع السلجوقى ، وديوان الاستيفاء ، وديوان عرض الجيش ، وديوان الطغرا ، وتنظيم الجيش السلجوقى وأسلحته ، وديوان الأشراف ، وديوان البريد ، وديوان القضاء ، وأمناء القاضى وديوان المظالم ، وأرباب الوظائف الأخرى مثل وكيدار السلطان ، وأخو سلا ، والاستدار والشراب دار ، والحرس ، والشحنة ، والعميد والمحتسب ، وديوان الجند ، والخطباء ، والمقطعين والسعاة والرسل .

- ومن أهم المصادر الفارسية التي اعتمدت عليها في دراسة المظاهر الحضارية ، خاصة الحياة الاقتصادية ونظم الزراعة والرى وطرقها ، كتاب (نوروز نامه) الذى ألفه عمر الخيام (غياث الدين أبو الفتح بن ابراهيم الخيام ، ت ٥١٧هـ / ١١٢٣م ، ويذكر عمر الخيام في مقدمة مؤلفه هذا أن صديقا له سأله عن سبب وضع النوروز ، وأى ملك وضعه ، فدون هذه الرسالة إجابة عن طلبه وقد حوت عادة الملوك وكبار رجال الدولة في أعيادهم ، وحياتهم وشئونهم اليومية .

- أما كتاب (وزارات در عهد سلاطين برزك سلجوق) للأديب والمؤرخ الفارسي عباس إقبال ، والذي قام بترجمته الدكتور (أحمد حلمي) والمنشور في الكويت سنة ١٩٨٤م ، تحت عنوان (الوزارة في عهد السلاجقة) فهو كتاب مهم وقيم لدراسة الوزارة السلجوقية ، فقد ضمنه مؤلفه مقدمة عن السلاجقة ونسبهم وتكوين دولتهم مما أفاد الفصل الأول ، ثم شرح أهم الدواوين في عهد السلاجقة كديوان الاستيفاء ، وديوان الإشراف ، وديوان عرض الجيش ، وديوان الطغرا وأهم مشرفي هذه الدواوين مما أفاد الفصل الثالث . أما الفصل الثانى فكانت إفادته كبيرة من هذا الكتاب حيث ذكر وزارة الدولة السلجوقية عصر السلاطين العظام وزراء طغرليك ، وألب أرسلان وملكشاه ، مع وصف ممتع لأحوالهم وسنى وزارتهم ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه مؤرخ وأديب فارسي معروف اعتمد في كتابته على كتب معظمها نادر مخطوط ، وعلى أكثر من ألف ومائتى بيت من الشعر الفارسي ، وعلى مئات من الشعر العربى لإثبات ما جاء به من معلومات تتعلق بموضوع لم يسبقه إليه أحد ، ولم يتطرق إليه من بعده من يناظره دقة وأصالة .

أما كتاب (تاريخ الأدب الفارسي) لرضا زاده شفق ، ترجمة موسى هنداوى سنة ١٩٤٧م ، فقد أمدنى بمعلومات غاية في الأهمية .

أما أفضل الدين أبو حامد كرمانى في كتابه (تاريخ أفضل بدائع الأزمان في وقائع كرمان) والذي نشر بطهران سنة ١٣٣٦هـ ، فقد أمدنى بمعلومات غاية في الأهمية عن سلاجقة كرمان، وحروب ولاية كرمان ، من السلاجقة للسلطان ألب أرسلان وملكشاه مما أفاد الفصل الأول .

أما مقالة حسين على ممتحن (نظامية بغداد) فهي كما يتضح من عنوانها أمدتنى بمعلومات كثيرة حول نظامية بغداد وأشهر مدرسيها وطلابها ، ونظام التعليم بها ، ومكتبتها .

المصادر التركية :

يأتى كتاب «Tugur Bey Vevamani» أى عصر طغرلبك بالتركية لمؤلفه محمد الطائى Pr-Dr. Mehmemt Altay والذي نشر فى استانبول سنة ١٩٧٦م ، وقد تفضل د/ مجدى بكر أستاذ اللغة التركية المساعد بكلية الألسن بترجمة بعض فقرات الكتاب ، ساعدت الباحث كثيرا ، حيث أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية فى الفصل الأول عن السلاجقة وأصلهم وهجرتهم وتكوين دولتهم وعلاقاتهم بالدول المجاورة ، وحروبهم مع البيزنطيين والغزنويين ، وفى الفصل الثانى أمدنى بمعلومات عن السلطنة السلجوقية وشاراتها مثل البيروق ، والبوق ، والخيمة وغيرها ، والهدايا المتبادلة بين السلاجقة وغيرهم .

أما كتاب Seleuklu - Arastirmatari - Dergisi أى مجلة البحوث السلجوقية عدد خاص بمناسبة ذكرى موقعة ملاذكرد ، بقلم مجموعة من المؤرخين الأتراك ، والذي نشر فى أنقره سنة ١٩٧١م ، فقد أمد الباحث بمعلومات وفيرة عن العملات التى ضربها السلاطين العظام فى كل المدن التى دخلوها ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن به ملاحق عن هذه العملات مرتبة حسب سنوات ضربها ونوعها وقيمتها ، وفى الفصل الثانى حول الألقاب التى لقب بها السلاطين العظام والتى وجدت على عملاتهم .

- أما (قاموس العلماء) تأليف ش . سامى المنشور فى استانبول سنة ١٣٠٦هـ فقد أمدنى بمعلومات وفيرة عن علماء ومتصوفى وأدباء وشعراء العصر السلجوقى ، عصر السلاطين العظام .

الفصل الأول

الأحوال السياسية

دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام

أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق الإسلامى - قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور من ١٠٣٧/هـ ١٠٤٢٩ - الصراع مع الغزنويين وهزيمتهم - ضم إيران ، وبلاد ما وراء النهر - دخول طغرل بك العراق ، ١٠٥٥/هـ ١٠٥٥ م - فتنة البساسيرى ومقتله - انفراد طغرل بك بالسلطة فى العراق وبغداد - زواج طغرل بك بابنة الخليفة العباسى ووفاته من ١٠٦٣/هـ ١٠٦٣ م - تولية ألب أرسلان السلطنة - اتساع الدولة على عهد ألب أرسلان ، والقضاء على المشكلات الداخلية والخارجية - موقعة ملاذكرد ١٠٦٣/هـ ١٠٧١ م . وانتصار ألب أرسلان على الهزنطيين ونتائجها - وفاة السلطان ألب أرسلان ١٠٧٤/هـ ١٠٧٤ م - سلطنة ابنه ملكشاه ، والمشكلات الداخلية حول سلطنته - سياسة ملكشاه الخارجية وفتوحاته فى الشام والعراق وبلاد وماراء النهر وآسيا الصغرى - نظام الملك الطوسى وزير ملكشاه ودوره فى تدعيم السلطة السلجوقية - النزاع بين السلطان ملكشاه ، ووزيره نظام الملك وأسبابه - ظهور الشيعة الإسماعيلية ، ومصرع نظام الملك - وفاة السلطان ملكشاه (١٠٨٥/هـ ١٠٩٢ م) وتفكك الدولة السلجوقية .

تشعبت آراء المؤرخين وتباينت حول أصل السلاجقة الذى يحيط به الغموض ، فالسلاجقة أنفسهم صدقوا أسطورة تنسبهم إلى آل أفراسياب^(١) على اعتبار أنهم بقية منهم ،

(١) آل أفراسياب : أفراسياب ملك توران (الترك) ، وطبقا للأساطير الإيرانية بنسب التوران إلى "تور" الأهن الأوسط لأفريدون ملك إيران ، وقد جعل له والده أراضى الترك والصين نصيبا ، إلا أن تور لم يرض بقسمه ، وتعاون مع أخيه الأكبر سام أو سلم ، وزحف بمسكوه نحو إيران وقتل أخاه الأصغر "ايرج" ومن هنا بدأ التنافس بين آل تورك (الترك) ، وآل ايرج (الإيرانيين والعرب) وكانت عاصمة أفراسياب مدينة كاشغر وكان ينسب إليه تأسيس مدينة "بارجوق" وهى مدينة (مارال سباشى) الحالية فيما وراء النهر ، والذى سجن بها بيشرن البطل الإيرانى الذى عشق ميثرة ابنة أفراسياب ، وحبس فى قاع جب فترة طالت ، حتى عشر =

ومن هؤلاء المؤرخين حمد الله المستوفى القزويني^(١) المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٥٠م ، حيث يقول "إن سلجوق مؤسس هذه السلالة التركية ينتسب إلى أفراسياب فى أربعة وأربعين ظهرا". بينما يرى البعض الآخر^(٢) أن السلاجقة من أولاد طوقشور ميش وأحفاده - وطوقشور ميش بمعنى ذلك الذى يهاجم الغير ويحمل عليهم - هو ابن كوكجو خواجه (ويشير هذا الاسم إلى اللون الأخضر الذى كان يميل إليه السلاجقة)^(٣) .

= عليه رستم بن دستان بمعاونة منبشة ، فأخرجاه من الجب ، وأعاداه إلى إيران وفقا للأساطير الإيرانية ، لمزيد من التفاصيل انظر : الفردوسى : أهر القاسم ، الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق وترجمة عبد الوهاب عزام ، ط ٢ ، ج ١ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٣م) ص ٨٢-٩١ ، خواندمير : (غياث الدين بن همام الدين) ، حبيب السيرفى معرفة أخبار أفراد البشر (طبع بمبائى ، ١٢٧٣هـ/١٨٥٨م) ص ٧٤٩ ، نظام الملك الطوسى : سياسة نامة ، ترجمة يوسف بكار (قطر سنة ١٩٨٧م) ص ٤٦ ، الشعابى : أهر منصور ، تاريخ غرر الفرس المعروف غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، (مكتبة الأسدى ، طهران ، ١٩٣٠م) ، ص ٢١٥-٢٢٠ ، محمد عوفى : لباب الألباب ، (طهران سنة ١٩٠٦م) ، ص ٣٠١ ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، (ط. الأنجلو المصرية ١٩٥٨م) ص ١٠٦ ، أحمد معوض : أضواء على تاريخ المشرق الإسلامى وحضارته ذروة عصر السلاجقة العظام (طغرلبك) ، الدار العربية للنشر القاهرة سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ، ص ٢٣ ، ويفصل الفردوسى فى الشاهنامه الصراع بين الترك والإيرانيين ، ج ١ ، ص ٨٧ - ٩٨ .

(١) صاحب كتاب (تاريخ كزیده) ط ١ ، نشره إدوارد براون ، (ليدن سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م) ، ص ٤٣٤ ، وما بعدها .

(٢) ظهير الدين النيشابورى : سلجوقنامه ، (طهران ، ط ١ سنة ١٣٣٢هـ/١٩٥٤م) ، ص ٩٠ ، ويعتبر ظهير الدين النيشابورى من أقرب المؤرخين لحكام السلاجقة فى العراق ، فقد كان أستاذا للسلطانيين مسعود بن محمد ابن ملكشاه (٥٢٧-٥٤٧هـ/١١٣٣-١١٥٢م) ، وارسلان شاه (٥٥٦-٥٧٣هـ/١١٦١-١١٧٧م) ووضع مصنفه فى عهد السلطان طفول الثانى (٥٧٣-٥٩٠هـ/١١٧٧-١١٩٤م) آخر سلاجقة العراق ، وقد نشره بازورث Bosworth " سجلوقنامه" بطهران سنة ١٣٢٢هـ/١٩٥٤م ، لمزيد من التفاصيل راجع : حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ج ٣ ، ص ٦٠٦ بارتولد : التركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح عثمان هاشم (الكويت ، ١٩٨١م) ص ٩٧-٩٩ ، خواندمير : حبيب السير ص ٧٥٠ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٢٣ . وكان هو المصدر الوحيد للراوندى فى عرضه للأحداث السابقة لعصره ، والمصنف أغلبه مقتود .

(٣) أحمد معوض : أضواء ، ص ٢٣ .

ويجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز^(١) الذين ظهروا في التاريخ كمجموعة تركية تابعة للأمبراطورية التركية في القرن السادس الميلادي^(٢). والسلاجقة أحد فروع هذه القبائل التركمانية^(٣) الغزية^(٤). وتعرف قبيلتهم باسم

(١) الغزو (الأوغوز) : أمة عظيمة من الترك ، والأغز أو طوقوز (أى تسعة بالتركية) وهو مأخوذ من عدد قبائلهم ، أو أسرهم المتفرقة ، وظل الحكم في أيديهم في بلاد الترك حتى انتقل إلى الاويغور (إحدى قبائل الترك) سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م ، وظل الحكم في أيديهم إلى عام ٢٥٦هـ/٨٤٠م ، وكانت بلاد الأوغوز هذه تحف بالبلاد الإسلامية في آسيا الوسطى ، وتتأخم بلاد جرجان وطبرستان من أملاك المسلمين ، وهناك قبائل عديدة من الغز منهم (السلاجقة) ، وقد أطلق عليهم اسم التركمان ، أو أشباه الترك (ترك ماند) ، ولم يكن هناك تفريق بين الأوغوز والتركمان فيما بعد فكان يطلق الاسم على هذا الشعب أو ذاك ، وكان الغز هم أول الشعوب الجنوبية التي هاجرت من أراضيها وكونت فريق الترك الجنوبيين ، وكون القفجاق فريق الترك الغربيين ، وكانت أراضيهم منتشرة ما بين بحر الخزر إلى آواسط مجرى سيردار (جبحون) . لمزيد من التفاصيل أنظر : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ٥ ، ص ٣٨ - ٤٥ .

ويرجع الدكتور / أحمد السعيد سليمان في كتابه (تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل) نشر دار المعارف ص ١٤٦ ، أصل كلمة (أوغوز) أى الغزالي (أوكوز) في التركية وتعنى (الثور) ويذكر أن الثور كان مقدسا عند الصينيين والأتراك ، وأن عشائر الأتراك تسمت باسمه ، ويضيف أن التركمان كانوا يعلقون عمودا في ذيل الثور علامة عندهم ، فقد كان الثور مقدسا وهو طوطم الأتراك الغز ، ويسمى هذا العمود بالطوخ ، أو الطوخ أو (توغ) بالتركية وقد أطلقت على الراية وعلى الطبله وكانت من نوع خاص من القماش ، ولما استقر الأتراك الغز في بلاد المشرق الإسلامي استبدلوا بذيل الثور ذيل الحصان ، ويؤكد ذلك ما ورد في مراسيم الوفاة عند السلاجقة من أنهم كانوا يعتقدون ذيل خيولهم عند وفاة سلطانهم .

(٢) حمد الله المستوفى : تاريخ كزیده ، ص ٤٣٢ ، عبد النعيم حساين : سلاجقة إيران والعراق (النهضة المصرية سنة ١٩٥٩) ص ١٦ .

(٣) القبائل التركمانية : من الأتراك الذى ينتمى إليهم الغز ، وكلمة تركمان كلمة مجهولة الأصل والمنشأ ، ويقال إنها ذات أصل فارسي (ترك مانده) أى "أسباه الترك" أو "ترك كردن أى الترك والابتعاد ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ ، عبد النعيم حساين : قاموس الفارسية (دار الكتاب المصرى واللبنانى) القاهرة ، بيروت سنة ١٩٨٢) ص ١٥٩ .

(٤) الحسينى : (صدر الدين أبو الحسن بن على) ، أخبار الدولة السلجوقية (دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة ١٩٨٤م) ص ٢ ، ٣ ، ابن الأثير : (على بن أحمد) ، الكامل فى التاريخ (١٢ جزء ط . بولاق سنة ١٢٧٤هـ ، دار صادر بيروت ١٩٦٥م) ج (٩) ، ص ١٦٢ ، بارتولد : تاريخ الترك ص ١٠٦ .

(قنق) ويرسمها محمود الكشغرى^(١) فى ديوانه عن الترك (قينيقي)^(٢) وهى إحدى قبائل الغز الأربعة والعشرين .

والغز هم أهم المجموعات التركية التى عرفها العرب فهم عرب الترك وهم رماة الخندق^(٣) وينكر الدوادارى^(٤) عليهم هذا النسب ، ويقول (إنهم من السامانية) ويرجع أصولهم إلى الفرس ملوك العجم ، ولكن أصلهم التركى هو الأصح^(٥) .

(١) الكشغرى : هو (محمود بن الحسين بن محمد) مؤلف كتاب "ديوان لغات الترك" ، ومن أكثر المصنفين المسلمين الذين أفاضوا فى ذكر وكتابة تاريخ القبائل التركية ، ومواطنها ، وعاداتها ، ولهجاتها ، وألف ديوانا عن الترك ، ذكر فيه أنه كان هناك عشرون شعباً تركياً منذ الأزل انقسموا إلى فريقين شماليين ، وجنوبيين ، ولقد أنهى الكشغرى ديوانه هذا سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، وهذا يعنى أنه أتم كتابته على عهد السلطان السلجوقى ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ / ١٠٦٣-١٠٧٢م) ، وكان أول معجم تركى عربى يتحدث عن الترك باستفاضة ، فلقد تجول الكشغرى فى كل الأقاليم والمقاطعات التركية وجمع فى كتابته لغات الأقوام التركية وتواريخهم ، وخرافاتهم وأساطيرهم وأمثالهم ، وربما عاداتهم ، وعلى هذا اعتبر كتابه موسوعة زاخرة بالمعرفة ، ويرجع نسبه إلى الأتراك القراخانية ، وكانت الغاية من هذا الكتاب هو تعليم اللغة التركية لأبناء العربية ، ويحمل هذا الكتاب صفة الموسوعة لأنه يحتوى إلى جانب لغات الترك الأدب التركى والتاريخ والجغرافيا والأدب والأساطير ، ولقد أعلى فيه من شأن الترك ، ولقد قدم هذا الكتاب إلى الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله ٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٥-١٠٩٤م فى بغداد ، وجمع فيه سبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية ، كما توجد به كلمات عربية وآخري فارسية ، والكشغرى أول من كتب التركية بالخط العربى حيث طوع التركية للخط العربى . لمزيد من التفاصيل أنظر : سنية مصطفى حسن ، محمود الكشغرى وكتابه (ديوان لغات الترك) مقال نشر بمجلة أبحاث المؤتمر الدولى المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز (جامعة الأزهر ، ١٩٩٣م) ج٦ ، ص ٩٩-١١٣ . وقد أطلع الباحث على أصل الكتاب بأجزائه الثلاثة فى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، سنة ١٩٨٩م .

(٢) الكشغرى : (محمود بن الحسين بن محمد) ، ديوان لغات الترك ، مجلد أول ط ١ (استانبول ، سنة ١٣٣٣هـ) ج ١ ، ص ٢٣٨ - ٢٨٢ ، هارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٦ .

(٣) ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبد الله) ، المسالك والممالك ، (نشر دى غويه سنة ١٨٨٩م) ، ص ١١٦ ، ابن رسته : (شهاب الدين أحمد بن عمر) ، الأعلاق النفيسة ، (ط . ليدن ، سنة ١٨٩٢) ، ص ٢٩٥ .

(٤) الدوادارى : (أبو بكر عبد الله) ، كنز الدرر وجامع الغرر أو الدر المطلوب فى أخبار ملوك بنى أيوب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم ٦٤٨٣ ، ورقة ٢٠ ، ٢١ .

(٥) أحمد الشامى : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، (دار النهضة العربية ، ط ١ ، سنة ١٩٩٣) ص ٣٢ .

ومما يؤكد أن السلاجقة بطن من بطون قبائل (الغز - التركمان) ما ذكره ابن فضلان^(١) في رحلته إلى ملك البلغار ، حينما التقى بجماعة من الغز سنة ٣٠٩ - ٣١٠هـ / ٩٢١ - ٩٢٣م) في أثناء مهمة قام بها من قبل خليفة بغداد (المقتدر بالله العباسي ٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢م) إلى ملك البلغار في حوض نهر الفولجا^(٢) ، فوصف أخبار لقائه ببعض قادة الغز ، ووصف حالة الفقر والتعاسة التي كان يعاني منها هؤلاء الغزو وقاداتهم ، وذكر أن رئيسهم كان يلقب باسم (بيغو)^(٣) ، بينما كان قائدهم العسكري يقال له (سوباشي)^(٤) - أى صاحب الجيش - وكان لقب معاونه ، وهو الأقل منه مرتبه يسمى (ينال)^(٥) ، ولقد ترددت هذه الألقاب بذاتها وعينها ، ولفظها في العصر السلجوقي ، وخاصة في الفترة المبكرة منه مما يعطى إشارة قوية ومؤكدة أن السلاجقة فرع من بطون الغز ، الذين هاجروا إلى العالم الإسلامي ، واعتنقوا الإسلام بعد ذلك .

(١) ابن فضلان : (أحمد بن فضلان العباسي) ، رحلة ابن فضلان ، حققها سامي الدهان (دمشق ١٩٦٠م) ص ٩١-١٠٦ .

(٢) حوض نهر الفولجا : المنطقة التي تشمل بلاد التركستان ، والتي زارها ابن فضلان في رحلته ، راجع : ابن فضلان : الرحلة ، ص ٧٧-١٠٨ .

(٣) بيغو : لقب السلطان الأعلى عند الترك طبقا للأساطير الاويفورية ، ومعناها الغزال وهو لقب من بعد الخاقان بدرجتين ، وهو متضمن في اللقب التركي بيغو ، وهو يعنى الشيخ الكبير لدى الغز كما أشار ابن فضلان ، الرحلة ، ص ٩١-٩٣ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٢١٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٥ .

(٤) سوباشي : قائد عسكري - صاحب الجيش - كان دائم التدخل في شئون الدولة وهو يلى البيغو في المرتبة ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٣ ، سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، (دار الفكر ، ط ٢ ، دمشق ، ١٩٧٣) ص ٢٢ .

ينال : لقب عسكري ، حيث كان الغز خاصة السلاجقة عادة يطلقون أسماء الحيوانات الجميلة أو القوية على أشخاص قوادهم ، يعرف رئيسهم باسم بيغو ، وقائد جيشهم باسم سوباشي ، ومعاونيه باسم "ينال" ، وأن الأسماء التي اشتهر بها السلاجقة مثل طغرى وجغرى ألقاب وليست أعلاما ، أنظر : قامبرى : (أرمينوس) تاريخ بخارى ، ترجمة وتعليق د/ أحمد الساداتى (ط . مصر سنة ١٩٦٠م) ، ص ١٢٧ .

(٥) ابن بى بى : علامة يحيى بن محمد ، ترجمة محمد زكريا مائل ، طبع أول ، (جولائى ، ١٩٢٥ع) ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، سهيل زكار : المدخل ، ١٢ .

وكان الموطن الأصلي للشعوب التركية ومنها (الغز) هي سهول أوراسيا ، التي هي الآن مناطق تابعة للجمهوريات الإسلامية الحالية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي سابقا أو الصين الشعبية^(١) ، ولقد عرف الجغرافيون العرب هذا الموطن باسم تركستان^(٢) أو آسيا الوسطى وعاشت قبائل الغز في الصحراء الواسعة السهوب التي تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخزر^(٣) .

وكانت هذه الشعوب ، شعوب رعوية ، ورجال حرب ، في حوزتهم الكثير من السلاح يرحلون في الشتاء ، والصيف من مكان لآخر طلبا للمرعى وحسب الطقس الملائم^(٤) . وحتى القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي كانت قبائل الغز تابعة لإمبراطورية الخزر^(٥) .

(١) سهيل زكار : المدخل ، ص ٢٢ .

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٣٣٦ ، ابن رسته : الأعلام النفسية ، ص ٢٩٥ ، ابن حوقل : (أبر القاسم محمد النصيبى) ، صورة الأرض (ط. ليدن سنة ١٩٦٧م) ص ٣٨١ ، المقدس : (شمس الدين ابر عبد الله البشارى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ط. بيروت ، سنة ١٩٨٧) ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

وآسيا الوسطى : شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ، وهضبة البامير ومن الغرب جبال تيان شان ، وتبلغ مساحتها حوالى ٦ ملايين كم ٢ ، وتركستان سميت بذلك لأنها حسب المصادر أقدم موطن للترك أو التركمان ، ومعنى تركستان مركبة من كلمتين (ترك) ، وستان لاحقة بها فى اللغة الفارسية ، وتفيد المكان الذى يكثر فيه الشئ ، وتنقسم إلى قسمين التركستان الغربية أو الروسية والتي كانت تعرف ببلاد التتر ، وعرفت بعد ذلك ببلاد ما وراء النهر وأهم مدنها بخارى وسمرقند وتركستان الشرقية أو الصينية ، وهى ولاية مستقلة عن الصين ، وتشكل بلاد التركستان الآن جمهوريات آسيا الوسطى الروسية ، وكانت هذه البلاد هى منبت الأتراك الذين شهدهم التاريخ . لمزيد من التفاصيل : راجع ، هارتولد : تاريخ التركستان ، ص ١٤٥ وما بعدها ، السيد العرينى : المغول ، (دار النهضة العربية بيروت ، سنة ١٩٧١م) ، ص ٥ ، ٦ ، شيرين عبد النعيم حسائين : مسلمو تركستان والغز السوفيتى من خلال التاريخ والآداب ، (آداب القاهرة ، ١٩٨٥) ، ص ١١ ، ١٢ . يسرى الجوهري : آسيا الإسلامية (القاهرة ، ١٩٨٠م) ص ١٩١-٢١٥ .

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٧ ، أى فى منطقة مصب نهر سيحون فى جنوب بحيرة خوارزم ، عباس أقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة محمد علاء الدين ، (القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١٩٣ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٧ .

(٥) سهيل زكار : المدخل ، ص ٣٣ ، الخزر شعب تركى قامت أراضيها فيما بين مجرى الفولجا الأدنى وجبال القوقاز وامتدت حتى نهر جيحون ، وخزر تعنى بالتركية (البداءة) وفى الروسية (ذيل الخنزير) وفى السلافية (الماعز أو رعاة الماعز) وفى العربية بمعنى أخزر أى (ضيق العينين) أو ذى العين المائلة (الحولاء) والتفسير التركى أقرب ، وكانت لهم حروب طويلة مع المسلمين ، انظر دنلوب : تاريخ يهود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، ط. (دار الفكر ، لبنان ، سنة ١٩٨٧) ، ص ٥ - ٤٥ .

وفى نهاية القرن نفسه قام هؤلاء الغز ، بعد أن أصبحت لهم زعامتهم الخاصة ، بالتحرك غربا عبر سهوب سيبيريا نحو بحر الآرال^(١) ، وإلى الفولجا ، وجنوبى روسيا ، وأغاروا فى عهد الخليفة المأمون العباسى ١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٣٣ م ، على اشروسنة^(٢) وهكذا وصلت أخبارهم إلى أسماع الكتاب والعلماء المسلمين فاهتموا بأخبارهم ، وبدأ الغز يتحركون نحو الأراضى الإسلامية^(٣) وكانوا مؤلفين من تسع قبائل^(٤) ، وكان لكل قبيلة أميراً ومقدم- بك دعاه المسلمون باسم (دهقان) ^(٥) .

ومنذ أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى كان لفظ تركمان يستعمل بكثرة فى كتابات المؤرخين العرب بدلا من الغز كمرداف أو بديل لها^(٦) ، ويذكر الكشغرى^(٧) فى ديوانه عن الترك "أغز قبيلة من الترك وهم التركمانية ، ويقول أيضا (تركمان هم الغزية)

(١) بحر الآرال : هو الذى سماه العرب ببخيرة خوازرم ، وكانت تجاوره بلاد التركمان / الغز ، وكان ضحلا لا يصلح لحركة السفن ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٨٦ ، ٥٨٧ ، عباس إقبال : إيران ، ص ٢٢٧ .

(٢) اشروسنه : بلدة كبيرة بما وراء النهر بين سيحون وسمرقند ، ياقوت : (شهاب الدين بن عبد الله الحمري) ، معجم البلدان ، ط (دار صادر بيروت سنة ١٩٧٥) ص ١٩٧ ، الطبرى : (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك (دار المعارف بمصر ط ٣) ج ٨ ، ص ٦٤٥ ، وما بعدها ، وكتب اشروسنه وسروشنه وستروشنه ، يقع شرق سمرقند بين الرساتيق الممتدة فى محازاة يمين نهر الصفد ، والرساتيق التى فى يسار نهر سيحون ، وأراضه سهول وجبال ولا تتخللها أنهار كبيرة ، ويقال المدينة اشروسنه أو هو نسجكت ، وبذجكت ، وهى من أقاليم نهر سيحون ومن قواعد ماوراء النهر ، والغالب عليها الجبال ، راجع : لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، بارتولد : التركستان : ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٢٣ ، سهيل ركار ، ص ٣٣ .

(٤) The Cambridgs History of Fran, p. 6 .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٧ ، ودهقان : لقب فارسى قديم ، وسلطته تشبه سلطة رئيس القبيلة ، على أن يكون مسئولاً أمام الدولة ، ويحمل الخراج إليها بعد ضمانها وأصله فى الفارسية بمعنى رئيس القبيلة أو القرية أنظر ، البيهقى : أبو الفضل محمد بن حسين ، تاريخ البيهقى ، أو صحائف مسعودى ترجمة يحيى الخشاب ، صادق نشأت ، (الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦م) ص ٦٢٨ ، ٨٠١ عبد النعيم حسنين : قاموس الفارسية ، (دار الكتاب المصرى واللبنانى ، سنة ١٩٨٢م) ص ٢٧١ .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٧٤ .

(٧) الكشغرى : ديوان ، ج ١ ص ٥٦ ، ٣٩٣ .

ويتقسم الكشغرى التركمانية إلى اثنين وعشرين بطنا لكل بطن منها علامة وسمة على دوابهم يعرف بعضهم بعضها بها ، وعندما عدد أسماء هذه البطون بين أن "قنق" هى القبيلة المتقدمة بين كل القبائل التركية ، ومنها السلاطين السلاجقة الذين يبدو أن أسرته لم تكن فى الأصل أكبر أسر القنق أو أكثرها شهرة ، وقوة ، وعددا ، ولكنها أصبحت كذلك بفضل الشخصيات التى ظهرت فيها (١) عندما هاجرت هذه القبائل عن موطنها وفى شكل موجات عديدة ، وخلال القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة ، الثامن والتاسع والعاشر للميلاد ، أخذت قبائل الغز التركمان ترحل من موطنها الأصيل أقصى سهول التركستان (٢) وفى سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م استقرت هذه القبائل فى بلاد ماوراء النهر فى موضع قرب بخارى (٣) وكانوا كثيرى العدد ، يعتمدون على الخيول فى رحليهم من جهة إلى أخرى (٤) .

(١) الكشغرى : نفسه ، ص ٥٦ - ٥٨ ، عباس إقبال : إيران ، ص ٢٢٧ ، الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، رسائل الجاحظ فى مناقب الترك (الخالجى ، القاهرة ١٩٦٤م) وعن مفهوم الترك ومواطنهم وأجناسهم ، راجع : بارتولد : تاريخ الترك ، وسعد زغلول عبد الحميد ، الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، مقال بمجلة (كلية الآداب ، الإسكندرية ، مجلد ١٠ ، سنة ١٩٥٦م) .

(٢) الراوندى : (محمد بن على بن سليمان) ، راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إلى العربية د/ إبراهيم الشواربى ، د/ عبد النعيم حسنين ، د/ فؤاد الصياد (القاهرة ، سنة ١٩٦٠) ص ١٤٥ .

(٣) بخارى : مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثلاثون فرسخا أى حوالى ١٨٠ كم* وهى من قواعد ما وراء النهر وهى العاصمة الدينية ، وقصبة إقليم الصفد ، أهر الغداء : تقويم البلدان ، ص ٤٨٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٠٤ . أما عن تحديد المسافات "بمراحل" أو "مسيرة يوم" أو "مسافة" يوم أو "فرسخ" فقد أطلق الجغرافيون المسلمون على المسافات بين مدينة وأخرى أو بلد وآخر ، أسماء مثل (مرحلة) و(مسيرة) و(سكة) و(فرسخ) وغيرها ، وكما ذكر الأستاذ حسن الكومى فى قاموسه الهادى إلى لغة العرب ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، أن المرحلة هى المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم واحد ، وتقدر بنحو ٣٠ كم ، على وجه التقريب ، أما "مسير اليوم" فقد جاء فى القاموس المذكور ج ٢ ص ٤١٤ هى المسافة التى يقطعها المسافر فى يوم واحد ، وفى نفس الوقت هى تساوى المسافة التى يقطعها المسافر فى المرحلة الواحدة ، أما بالنسبة للسكة ، فهى تساوى المسافة بين معطتين من محطات البريد فى العصور الوسطى ، وقدرها ٤ فراسخ والفرسخ يساوى ٣ أميال عربية ، وهى حوالى ٦ كم ، وعلى ذلك فالسكة تساوى على وجه التقريب ٢٤ كم ٢ ، انظر : عبد الرحمن محمد العبد الغنى : موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور السلاجقة ، حوليات كلية الآداب - الكويت سنة ١٩٩٤ ، حولية رقم ٩٧ ، ص ١٥ ، ١٦ ، هامش (١٠) ، وعلى هذا تكون المسافة بين سمرقند وبخارى حوالى ١٨٠ كم ٢ تقريبا .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

وقد هاجرت هذه القبائل إلى بلاد ما وراء النهر لدوافع عديدة منها ضيق رقعة ديارهم وقلة مراعيهم^(١) ، والتنازع والتنافس واستمرار الحروب فيما بينهم ، أو غلبة قبائل أكثر قوة عليهم ، وسيطرتهم على أراضيهم خصوصاً إذا ما كثر عدد أفراد القبائل ، فعجزت موارد الرزق عن كفايتهم ، أو حدث قحط جعل هذه الأماكن لاتصلح لاستمرار الحياة فيها ، وقد يمت هذه القبائل وجهها شطر الغرب ، واستقرت في بلاد ما وراء النهر وخراسان^(٢) .

والمصدر الأساسى بالنسبة لأخبار وأصل الأسرة السلجوقية ، هو كتاب "ملك نامه" وهو كتاب مجهول وردت حواشيه في كتاب أخبار الدولة السلجوقية للحسيني ، واعتمد عليه المؤرخون العرب في التعريف بأصل السلاجقة ، مثل ابن الأثير في الكامل ، والحسيني في زبدة التواريخ ، وابن العديم في كتابه (بغية الطلب في تاريخ حلب)^(٣) . وهذا الكتاب ألفه صاحبه كما قال ابن العديم^(٤) أنه استفاد أنسابهم وأحسابهم عن الأمير اينانج بك إذ كان أسن القسوم ، وأعرفهم بأنسابهم وأحسابهم قال . كان الأمير سلجوق^(٥)

(١) الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٤٦ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ترجمة الشواربى (ط. القاهرة ، سنة ١٩٨٤) ص ٢٠٩-٢١٠ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦ .

(٢) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٠ ، عبد النعيم حسانين : نفسه ص ١٦ ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٧ .

(٣) سهيل زكار : المدخل ، ص ٢٠ ، بارتولد : تاريخ التركستان ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم عمر) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان (ط ١ ، دمشق ، سنة ١٩٥٤) ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٥) ساجوق : إن قواعد اللغة التركية قد امتهنت كلها في رسم كلمة "سلجوق" على هذا الوجه فهي إما سيلجيق أو سالجوق ، ذلك أن مقطعى جيق ، وجوق يفيدان التصغير ، ويستعمل الأول مع الكلمات التى تقع الياء في مقطعها الأخير ، ويستعمل الثانى مع التى تقع الألف أو الواو في مقطعها الأخير ، وقد نطق العلماء الغربيون اسم هذا القائد هكذا (سلجوق ، Seldiuk) وهو نطق يطابق الإملاء الغربى ، ولكنه يثنائى قواعد الصوتيات في اللغة التركية ، والآن يحاول علماء الصوتيات في اللغة التركية العثمانية تصحيح هذا الاسم فهم يكتبونه أحياناً (سالجوق) أو (سالجيق) ولكن النطق الصحيح لهذه الكلمة كما يتضح من النصوص التركية هو (سالجوك - Salskuuk) وهذا اللفظ موجود في ديوان الكشغرى ، وفي اللغة التركية الحديثة تكتب هكذا Salquki = Selquklu بمعنى سلجوق ، راجع : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٢ ، مادة سلجوق ، فامبرى : تاريخ بخارى ، حاشية رقم ١ ، ص ١٢٧ ، الصفصافى المرسى : معجم صفصافى ، "تركى - عربى" (ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٥م) ص ٤٤٥ .

بن دقاق^(١) من أعيان ترك خزر ، وكان دقاق يلقب (بتمر بالغ - أى شديد القوس) وعلى هذا ينسب السلاجقة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق - أى القوس من الحديد^(٢) ويلقب دقاق فى بعض المصادر بلقب "تيمور - بليغ" أو (تيمور مبلغ) أى السهم الحديدى الشديد^(٣) .

وكان دقاق هذا فى خدمة ملك الترك (بيغو أو بوغو)^(٤) الذى ألقى فى يده زمام أمره ، وكان ملك الترك لا يحزم أمرا دون مشورته^(٥) ، ولكن الأمير "دقاق" اختلف مع ملك الترك حينما عزم (البيغو) على محاربة بلاد الإسلام المجاورة لمملكته ، فحاول الأمير (دقاق) منعه^(٦) وطال النقاش بينهما ، فأغلظ له ملك الترك الكلام^(٧) وقلق الأمير (دقاق) الغضب فأخرج سيفه ، ولطم الملك به فشج رأسه ، فسقط من على فرسه^(٨) ، ونشبت معركة بين جنود ملك الترك ، وجنود الأمير "دقاق" فقاومهم ، وعارضه أصحابه ، ثم صلح الأمر

(١) دقاق : أوثاق ، اسم مقدم السلاجقة وصلت إلينا بصيغ مختلفة ، فقد ذكر ابن الأثير : بالكامل ، ج٩ ص ١٦٢ ، على أنه يقاق وسأيره الحسينى فى زبدة التاريخ ص ٥ ، ومعناه القوس الحديدى ، أما ابن العبرى ، ج١ ، ص ٢٩٢ فيذكره أنه تقاق الذى من أجل قوته لقب (تيمور باليق) أى السهم الحديدى ، وذكره ابن العديم ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، ج٣ والرواندى فى راحة الصدور على أنه دقاق ، أما صاحب حبيب السير ، والنظام العروضى فى العراضة فى الحكاية السلجوقية فيذكره على أنه لقمان .

(٢) الحسينى : زبدة التاريخ ، ص ٢٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٢ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ٥ ، ابن بى بى : سلجوق نامه ، ص ١٠ ، ١١ .

(٣) ميراخوند : ذكر طبقة السلجوقية وذيل من أحوال سلجوق ووالده تقاق ، استانبول سنة ١٣٣٣هـ) ص ٢ ، ٣ .

(٤) الحسينى : أخبار ، ص ١ ، ٢ ، أحمد معروض : أضواء ، ص ٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٢ ، أبو الفداء : (الملك المؤيد عماد الدين) ، المختصر فى أخبار البشر ، (القاهرة ١٣٢٥هـ) ، ج١ ص ٢٦٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٣ ، ميراخوند : ذكر طبقة السلجوقية ، ص ٤ .

(٧) ميراخوند : المرجع السابق ص ٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٧٦ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢ ، ابن طباطبا : (فخر الدين الطقطقى) ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (ط. دار صادر بيروت ، سنة ١٩٧٥) ص ٢١٣ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٤ ، مادة سلجوق .

بينهما وأقام عنده^(١). وفى صحراء الخزر ولد الأمير "سلجوق"، ورياه والده تربية عسكرية، فلما كبر ظهرت عليه إمارات النجابة ومخايل التقدم، واشتهر بالفروسية والشجاعة، فقربه ملك الترك (بيغو) إليه ولقبه سوباشى - قائد الجيش^(٢) وأجاز له ملك الترك حضور مجالسه، وأن يحضر إلى حرمه، ولكن زوجة ملك الترك أوغرت صدر زوجها على الأمير سلجوق، لجرأته وجلوسه فى مجالس أولاد الملك^(٣) واستمالته لقلوب طوائف كثيرة من الجند والأكابر والعامة، وبالغت فى طلب قتله^(٤) خاصة وكان زوجها عقيما^(٥)، وخاف الأمير سلجوق من بطش (البيغو) فهاجر بقومه إلى بلاد ماوراء النهر، حيث أقاموا بالقرب من سمرقند^(٦) فى مدينة جند^(٧) التى اعتنق فيها (سلجوق) الدين الإسلامى على المذهب الحنفى، ومنذ العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، بدأ تحول السلاجقة إلى الإسلام، وسعد سلجوق وأتباعه بالدين الجديد^(٨)، وجاوروا السامانيين والخانيين^(٩).

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٣ .

(٢) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٤ ، ابن النظام البزدي الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق د/ عبد النعيم حسنين ، وآخرون ، (بغداد ، سنة ١٩٧٩م) ، ص ٢٠ .

(٣) خواندمير : حبيب السير ، ص ٤٧٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٣ ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٤ ، فاضل الحالدى : النظم فى العراق خلال القرن الخامس (بغداد سنة ١٩٦٩) ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٥) ابن العبرى : غريغوريوس أبر الفرج) مختصر تاريخ الدول المعروف بتاريخ ابن العبرى ، (بيروت ، ١٩٨٣) ص ٢٩٢ ، البزدي : العراضة ، ص ٢١ .

(٦) سمرقند : يقال لها بالعربية سمران أو مدينة السررات ، بلد معروف بما وراء النهر ، قيل أنها من أبنية ذى القرنين ، فتحها قتيبة بن مسلم الباهلى سنة ٨٧هـ / ٦٩٧م ، وموقعها خلف نهر جيحون شرق بخارى فى أعلى النهر ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٤٦ ، اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) البلدان (ط١ ، القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٩٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٧ .

(٧) جند : مدينة من بلاد ماوراء النهر ، قريبة من خوارزم ، ونهر سيحون وأهلها مسلمون على المذهب الحنفى ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٤٣ .

(٨) الحسينى : أخبار ، ص ٢٤ .

(٩) السامانية والخانية : الدول السامانية تنسب إلى "نوح بن سامان" الذى أسس لأسرته دولة فيما وراء النهر (٢٦١-٣٨٩هـ / ٨٧٤-٩٩٨م) ، واتخذ من مدينة بخارى عاصمة له ، وأخلصوا للخلافة العباسية التى اتخذتهم حائط صد ضد الطاهرين والصفاريين ، ويرجع لها الفضل فى نشر الإسلام واللغة والثقافة =

ويذهب البعض إلى أن السلاجقة دخلوا في الإسلام ، بعد أن اعتنقوا المسيحية ، ويستندون في تأييد قولهم بأسماء ميكائيل وموسى وإسرائيل التي تسمى بها ملوكهم ، وأولادهم ، وهى من الأسماء التي وردت في الكتاب المقدس (١) .

كان لدخول السلاجقة في الإسلام أثر كبير في التقريب بينهم وبين السامانيين ، الذين عهدوا إليهم بالدفاع عن أراضيهم من غارات الأتراك غير المسلمين لقاء المراعى التي أعطيت لهم (٢) ، كما أعان السلاجقة السامانيين في صد غارات القراخانيين (٣) مما جعل السامانيين

= الإسلامية في التركستان وأواسط آسيا ، وتعاقب على حكمها أمراء أقرباء مثل الأمير نصر الساماني المتوفى ٢٧٩هـ / ٨٩٢-٨٩٣م ثم أخيه اسماعيل الساماني المتوفى سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م وبعد انقسام البيت الساماني وضعف لتستط في النهاية سنة ٣٨٩هـ / ٨٧٤م .

لمزيد من التفاصيل : الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ص ٥١٤ ، الترغنى : (أبر بكر محمد بن جعفر) ، تاريخ بخارى ، ترجمة أمين بدرى ، ونصر الطرازى (القاهرة ١٩٦٥م) ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، فامبرى : تاريخ بخارى ص ٩٤-٩٥ ، وما بعدها ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله للعربية نبيه فارس ، منير البعلبكي بيروت ، ط ٧ ، لبنان سنة ١٩٤٨) ج ٢ ، ص ١١٣ .

الخانيين : الدولة القراخانية - خانات التركستان ، أولى الدويلات التركية التي ظهرت في بلاد التركستان بعدما نشر السامانيون الإسلام ، وتنتمى الدولة إلى قبيلة القرلق التركية من الأتراك الشرقيين ، وكانوا أول الأتراك الشرقيين اعتناقاً للإسلام ، وكان أول ملوكها هو ستون بفراخان عبد الكريم المتوفى سنة ٣٤٤هـ / ٩٩٥م وبعد فترة اضطدام ملوكها مع السامانيين ، ومن أشهرهم ايلك خان ، وأرسلان خان سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م الذى أغرى السلاجقة بالسلطان مسعود الغزنوى فيما بعد ، وكان للخانيين فضل في نشر الإسلام في شرق التركستان ، ولكن لكثرة الحروب بينها وبين السامانيين والغزنويين الأثر في سقوطها سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م .

لمزيد من التفاصيل : ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٨٨ ، زامباور : معجم الدول والأسرات الحاكمة (القاهرة ، سنة ١٩٥١-١٩٥٢) ص ٣١٨ ، حسن محمود : الإسلام في آسيا الوسطى ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢م) ، ص ١٨٠ ، عصام الدين الفتى : الدول الإسلامية المستقلة في المشرق ، (دار الفكر العربى ، ١٩٨٧) ص ٤٤ .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ١٢ ، ص ٢٤ ، مادة سلجوق .

(٢) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، محمد محمود ادريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول (نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) ماركار : دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، مادة سلجوق .

يسمحون لهم بالعبور عبر أراضيهم للإقامة على مقربة من شاطئ نهر سيحون ، حيث اتخذوا من مدينة "جند" مقرا لهم^(١) .

وبذكاء استغل السلاجقة كثرة عددهم فقد عبر مع الأمير سلجوق ألف فارس وألف بعير وخمسون ألف رأس من الماشية^(٢) ، كما استغلوا النزاع القائم فى منطقة ماوراء النهر بين السامانيين والقراخانيين ، أحسن استغلال ، حيث عملوا على تحسين أحوالهم ورعاية شئونهم^(٣) ومحاربة الكفار من الأتراك ، فأخذت قوتهم تزداد^(٤) .

وقد أكسبهم ذلك احترام الحكام المسلمين المجاورين لهم^(٥) ، ونال الأمير سلجوق مكانة كبرى وتسابق ملوك المنطقة يطلبون إليه المساعدة لمناهضة أعدائهم ، وأصبح بلاطه ملاذاً لأمرء السامانية ، فعندما هزم المنتصر السامانى^(٦) ، من أيليك خان طلب إلى سلجوق مساعدته فلبى الأمير سلجوق طلبه ، وهزم أيليك خان بعد انتصاره^(٧) .

وهكذا كان السلاجقة قد ورطوا أنفسهم فى حروب طويلة ، وكانوا جاهزين لتقديم خدماتهم لمن يطلبها ويدفع أكثر ، أو يسمح لهم بالإقامة ، وتأمين المراعى للماشية^(٨) ، وهذا كل ما كان يرمى إليه الأمير سلجوق ، الذى لم يدر فى خلقه تكوين دولة أو إمارة له ولأولاده من بعده .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٧٦ ، الحسينى : تاريخ ، ص ٢ ، ٣ ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٨ .

(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٨ .

(٣) الخالدى : النظم ، ص ١٤٧ ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٨ .

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٨ ، رقبال : إيران ، ص ٢٢٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٧٦ .

(٦) المنتصر السامانى : هو المنتصر بن نوح الثانى السامانى الذى جاهد كثيراً ليعاظم على عرش اجداد ، لكن الإسماعيلية الشيعة قتلوه سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م ، ستانلى لين بول : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزءان ترجمة أحمد السعيد سليمان (دار المعارف بمصر ١٩٦٥) ج١ ص ٣٧٧ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٨ .

(٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٨ ، أحمد معروض : أضواء ، ص ٣٥ .

(٨) سهيل زكار : المدخل ، ص ٣٧ .

وفى مدينة "جند" ، توفى الأمير سلجوق بن دقاق^(١) بعد أن عاش مائة سنة أو يزيد ، ولقد رأى فى منامه ذات ليلة أنه سيبول نارا يتلظى شرارها فى مشارق الأرض ، ومغاربها فسأل المعبر ، فقال سيولد من نسلك ملوك يملكون أقاصى الأرض^(٢) .

وعلى الرغم من أن حقائق التاريخ لا تبني على الروى والأحلام ، فلقد تحققت هذه الرؤية فعلا حيث كان لسلجوق أربعة أولاد من الذكور ، هم : أرسلان (إسرائيل) ، وميكائيل ، وموسى ، وبيغو^(٣) وابن خامس هو يونس حسب ما أورده الرواندى^(٤) .

وقاد إسرائيل أكبر أبناء سلجوق ، هجرة السلاجقة بعد أبيه ، حيث اتجه جنوبا نحو خراسان^(٥) ، ولما زالت الدولة السامانية سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م ، ووزعت أراضيها بين القراخانيين ، والغزنويين^(٦) عمل السلاجقة على الاستفادة من هذا الوضع الجديد ، فأخذوا يوسعون رقعة أراضيهم التى ضاقت بهم^(٧) .

ونتيجة للنزاع بين "إيليك خان"^(٨) ، وعلى تكين^(٩) الذى تحالف مع إسرائيل بن سلجوق ضد الخانية ، بدأ صدام السلاجقة مع الغزنويين ، لتبدأ ملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى ، حيث أن على تكين حليف السلاجقة كان عدوا ومعارضاً للسلطان

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٤ ، اليزدى : العراضة ص ٢٠ .

(٢) الحسينى : أخبار ، ص ٢ .

(٣) الحسينى : أخبار ، ص ٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ١٦٤ ، ابن العبرى : تاريخ ، ص ٩٣ ، اليزدى : العراضة ص ٢٠ .

(٤) راحة الصدور ، ص ١٤٦ .

(٥) الحسينى : أخبار ، ص ٢ ، سهيل زكار ، ص ١٢ ، إقبال ، إيران ص ٢٢٨ .

(٦) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ ، براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى (د) . القاهرة سنة ١٩٥٤م) ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٩) على تكين : كان فى حبس (أرسلان خان) آخر ملك الخانيين (إيليك خان) وقد تمكن من الهرب من حبسه ، وذهب إلى بخارى ، وهو أمير خارج عن طاعة الأسرة القراخانية ، وكان يطمع فى الانفراد ببلاد ما وراء النهر ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٧٦ .

محمود بن سيكتكين الغزنوي^(١) الذي عبر نهر جيحون لملاقاة المتحالفان على تكين ، وإسرائيل سلجوق ، فهرب على تكين من بخارى ، والتجأ إسرائيل وجماعته إلى الصحراء خوفاً من محمود الغزنوي^(٢) .

وفى سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م ، عقد صلح بين السلطان محمود الغزنوي ، والملك القراخاني (قدرخان) وتم تصفية مشاكل الحدود بينهما ، وكان هذا نذير شؤم على السلاجقة ، حيث أوغر الملك (قدرخان) صدر السلطان محمود الغزنوي عليهم^(٣) عندما هاله قوة وكثرة جند السلاجقة وقوة شوكتهم ، وانصياعهم لرئيسهم ، وشجاعتهم فى المعارك^(٤) ، واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعض الولايات فى حالة مسير السلطان إلى بلاد الهند ، وأشار عليه بأن يستعين بهم^(٥) .

وهكذا ازدادت مخاوف السلطان محمود الغزنوي ، فعول بعد عبوره لنهر جيحون على القضاء على السلاجقة والقبض على إسرائيل بن سلجوق ، وتشتيت شمل أتباعه وإبعادهم ، فلجأ إلى أسلوب الحيلة والمكر والخديعة ، فكتب إلى إسرائيل يستميله ، ويرغبه فى لقائه قائلاً له "إننى لفى عجب من تدبيركم ، وعقلكم ، ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار ، فلم تطلبوا منا طلباً ، أو تلتمسوا منا معونة ، وأنى لشديد الرغبة فى مصادقتكم ، واستمداد المعونة منكم ، فإذا لم يستطع الإخوة الحضور إلى ، فليختاروا واحداً منهم ، يفد إلى مقرى ، ولقد اتخذت مقامى على شاطئ النهر ، حتى تقصر المسافة بينى وبينكم ، فإذا جاءنى واحد منكم ، عقدت معه العهد ، ووثقت معه الميثاق^(٦) .

(١) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٠ .

(٢) كان السلاجقة حين يدهمهم خطر يبعثون زوجاتهم ، وأولادهم ، ومتاعهم إلى مخابئ آمنة فى الصحراء ، ثم يخرجون للحرب معتمدين على خيولهم الصغيرة ، فامبرى ، تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، اليزدى : العراضة ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٤) الراوندى : نفسه ، ص ١٤٨ .

(٥) اليزدى : العراضة ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٩ ، إقبال إيران ،

واستجاب السلاجقة لرسالة السلطان محمود ، ووثقوا بما جاء فيها ، اعتمادا منهم على الوفاء بالعهد الإسلامى^(١) واختاروا أن يرسلوا (إسرائيل) لأنه المقدم المحترم بينهم ، بعد أن اقترعوا على ذلك^(٢) فسار إسرائيل ومعه عشرة آلاف فارس ، فلما علم السلطان محمود بمقدمهم ، أرسل إلى إسرائيل رسولا يقول له "لسنا الآن فى حاجة إلى الاستعداد بجيشك ، وإنما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك ، والاستظهار بك ، فاترك الجيش فى مكانه وآت مع خواصك وأعيان رجالك"^(٣) .

وامتثل إسرائيل لطلب السلطان محمود ، وسار إليه ، ومعه ولده (قتلمش) فى جماعة من خيرة فرسان السلاجقة ، قدرها الراوندى^(٤) بثلاثمائة فارس ، فلما وصل إسرائيل بالغ السلطان محمود فى إكرامه وأجلسه على طرف سريره^(٥) .

وأراد "محمود الغزنوى" أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها ، فأوهم (إسرائيل) أنه يود الاستعانة بهم للقضاء على الخارجين عليه ، حينما يذهب لغزو بلاد الهند . أو يشركهم فى حملاته الإسلامية فى بلاد الهند حبا فى الجهاد^(٦) .

وسأل السلطان محمود - إسرائيل - حول مقدار ما يستطيع السلاجقة أن يمدوه من الجيوش إذا احتاج ؟ وما هى الأمارة التى يصلنا بها هذا المدد ؟ وكان إسرائيل يحمل قوسا وسهمين فأخذ سهمهما وأعطاه لمحمود وقال له : "أرسل هذا السهم إلى جندنا إذا عرضت لك حاجة يأتك منا مائة ألف فارس" فأجابه السلطان : وإذا لم يكف هذا العدد ؟ فتناول إسرائيل السهم الآخر وأعطاه للسلطان محمود ، وقال له : أرسل هذا السهم إلى جبل بلخان^(٧) فسوف يأتيك

(١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٩ .

(٢) اليزدى : العراضة ، ص ٢١ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٨ .

(٥) الراوندى : نفسه ، ص ١٤٨ ، اليزدى : العراضة ، ص ٢٢ ، الخالدى : النظم ، ص ١٥١ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٨ .

(٧) جبل بلخان : جبل إلى الشمال الشرقى من خراسان والساحل الشرقى لبحر الخزر ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٩ .

خمسون ألف غيرهم ، وإذا لم يكف هذا العدد ، فأرسل إلينا هذا القوس ، وكان إسرائيل قد ناوله قوسه ، فسوف يأتيك إذا شئت مائتا ألف فارس" (١) .

وهكذا جرد السلطان محمود الغزنوي ، إسرائيل من أسلحته ، بعدما زادت مخاوفه من كثرة عدد جنده (٢) ، ثم هياً له مجلساً فطعم فيه وشرب ، هو ومن معه ، حتى لعبت الخمر برؤوسهم (٣) ، فأمر السلطان الغزنوي بالقبض على إسرائيل وولده قلتمش ، وبقيّة فرسانهم ، ثم أرسلهم إلى بلاد ما وراء النهر ، وسجن إسرائيل في قلعة كالنجر (٤) التي مكث بها مدة سبع سنوات ، وجرت محاولة لتهربه ، إلا أنها فشلت ، وأعيد ثانية إلى القلعة ، وشدّدوا عليه قيوده وبقي فيها حتى أدركته الوفاة (٥) .

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله إسرائيل ومن معه من القواد والفرسان أسوأ الأثر في نفوسهم ، ولذلك ستبدأ ملحمة الثأر من الغزنويين (٦) ، وازداد السلاجقة حذراً وحيطّة، وتولى قيادتهم "ميكائيل بن سلجوق" الذي نجح في نقلهم إلى إقليم خراسان (٧) بعد أن أرسلوا إلى السلطان محمود الغزنوي رسالة جاء فيها "إن مقامنا أصبح يضيق بنا ،

(١) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٤٩ .

(٢) Osborn : Islam Under the Khalifa of Bagheded, London, 1978, p. 313 - 318 .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٤٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، مادة سلجوق .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥١ ، اليزدي : العراضة ، ص ٢٩ ، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي (بغداد سنة ١٩٦٥م) ، ص ٤٨ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٤٩ ، اليزدي : العراضة ، ص ٢٩ ، البنداري : (الفتح بن علي محمد) ، تاريخ دولة آل سلجوق (دار الآفاق ، بيروت ، سنة ١٩٨٠م) ص ٥ ، ماركار : دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، مادة سلجوق ، ابن بي بي : سلجوق نامه ، ص ١٠ .

(٦) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٤٨ ، الخالدي : النظم ، ص ١٥٣ .

وقد تفرق أتباع أرسلان بن سلجوق في العراق وبلاد غرب إيران وشمالها الغربي ، وعرفوا باسم الغز العراقيين وعجزوا عن تكوين دولة لهم عكس أخوانهم من أبناء ميكائيل بن سلجوق وهم السلاجقة الأصليون ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٩ .

(٧) البنداري : آل سلجوق ، ص ٥ ، ابن بي بي : سلجوق نامه ص ١٠ ، ١١ .

وأن مراعيينا أصبحت لاتقى بحاجة مواشيننا ، فأذن لنا أن نعبّر النهر وأن نجعل مقامنا بين نسا ، وباورد (١) .

ولكن "أرسلان الجاذب" حاكم طوس (٢) ، حذر السلطان محمود من عبور السلاجقة قائلا له "ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور إلى خراسان ، فإنهم كثيرون يملكون العدة والعتاد ، وأنى أخشى أن يكونوا سببا فى متاعب لا يمكن تلافيها وتداركها" (٣) بل أشار عليه بأن يقطع إبهام كل رجل منهم ، ليأمن شرهم ، أو أن يفرقهم جميعا فى نهر جيحون ، فاستفزع السلطان محمود هذا العقاب ، وسمح لهم بعبور النهر (٤) .

وفى سنة ١٦٤١هـ / ١٠٢٥م ، عبر السلاجقة بقيادة ميكائيل بن سجلوق نهر جيحون إلى خراسان لتبدأ قصة أخرى فى تاريخ الأتراك السلاجقة ، حيث تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام قومه فى إقليم خراسان ووجد صفوفهم (٥) وتحين فرصة الأخذ بالثأر من الغزنويين ، والقضاء على نفوذهم فى خراسان ، وبلاد ماوراء النهر (٦) .

ولكن أهل بعض المدن فى خراسان ، فى نسا وباورد ، اشتكوا إلى السلطان محمود وطلبوا إليه إبعاد السلاجقة من جوارهم ، فأمر السلطان محمود ، واليه على طوس بإبعادهم ،

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ ، اليزدى : العراضه ، ص ٢٩ ، كرديزى : أبو سعيد عبد الحى ابن الضحاك) ، زين الأخبار ، ترجمة ، عفاف زيدان ، (القاهرة ، ١٩٨٢م) ، ص ٦٧ .

ونسا = مدينة بخراسان قرب سرخس ، بناها فيروز بن يزدجرد ، أحد الأكاسرة ، وكان يقال لها شهر فيروز ، أى مدينة فيروز ويقال لها اليوم (درهكز) أى وادى المن ، القزوينى ، آثار البلاد ص ٤٦٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٣٥ .

باورد : تلفظ أيضا أبيورد ، تقع شرق مدينة نسا فيما وراء الجبال ، وتعدد من أقاليم خراسان الشرقية ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ياقوت : ج ١ ص ١١١ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، الشرقية ، ص ٤٣٦ .

(٢) طوس : من أعمال نيسابور ، بها قبر هارون الرشيد ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ ، اليزدى : العراضه ، ص ٢٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٩٦ ، البندارى : تاريخ ، ص ٥ ، اليزدى : العراضه ، ص ٢٩ .

(٥) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٧٠-٧١ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٤٩ .

(٦) عبد النعيم حسائين : سلاجقة إيران ، ص ٢٦ .

فهم عليهم ، ودافع السلاجقة دفاعا مجيدا ، ودارت معارك عنيفة ، انتصر السلاجقة فيها ، إلا أن حضور السلطان محمود بنفسه أحال النصر إلى هزيمة نكراء للسلاجقة^(١) قرب رباط فراوة^(٢) حيث قتل ميكائيل ، ومعه أربعة آلاف فارس من خيرة فرسان السلاجقة^(٣) .

طغرليك يتولى قيادة السلاجقة :

وفى رباط فراوة ، تجمع السلاجقة بعد هزيمتهم ، تحت قيادة ابنى ميكائيل بن سلجوق وهما جغرى بيك^(٤) داود ، وطغرليك أبو طالب محمد^(٥) ، وتم اختيار طغرليك ليكون هو القائد

(١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٧٠-٧١ ، البندارى : ال سلجوق ، ص ٧ ، على أن ابن الأثير يذكر أن ميكائيل قتل فى أثناء قتاله مع الكفار ، وهو ينشر الاسلام بينهم ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٣ ، على أن مقتله على يد الغزنويين أرجح .

(٢) فراوة : مدينة صغيرة بين نسا ودهستان وخوارزم ، الأدريسى : (أبو عبد الله محمد بن محمد) ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) ج ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ ، ابن بى بى : يلجوق نامه ، ص ١٠ ، ١١ .

(٤) جغرى بيك داود : لفظ تركى معناه اللامع أو المتألق ، وهو مشتق من مصدر (جقمق) ، أى يلمع ، ويخطئ المستشرقون حين يظنون أن لفظ (جغرى) هو لفظ (جعفر) محرف ، وهو من الأسماء التى وردت فى الكتاب المقدس ، ولفظ ولقب بك ، لقب تركى وهى (بى) فى لغة العثمانيين ، و(بى أرى) ، فى لغة القرغيز ، ويمكن أن نرد معانى هذا اللفظ المختلفة ، كما وردت فى المعاجم إلى ثلاثة أوجه أساسية وهى : الوجه الأول : بك لقب يلقب به أى نبيل للترفة بينه وبين العامة ، وكذلك بينه وبين أفراد البيت المالك ، وإن كان هؤلاء يلقبون به فى بعض الأحيان ، والوجه الثانى : أن لقب "بك" يطلق على شيخ قبيلة أو أمير جماعة ما للترفة بينه وبين الخاقان أو الخان ، وهو سيد بلاد كثيرة ، والوجه الثالث : أن هذا اللقب يطلق على كل ذى نفوذ ، بالمعنى الواسع لهذه الكلمة سواء أكان نفوذه مستمدا من حاكم أو طريق الانتخاب ، أو كان مفتصبا ، مثال ذلك قواد وحدات الجيش على اختلاف رتبهم ، راجع : فامبرى : تاريخ بخارى ، حاشية رقم (١) ، ص ١٢٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٧ ، ص ٤٣ ، مجلد ١٥ ، ص ٦٧ .

(٥) طغرليك : اسم تركى مركب من طفول / وبك ، وطغرل علم على طائر ويسمى الرجل به ، وبك ، معناه الأمير ، أى - الأمير الطائر - وهو مصغر (دوغراول) أى القصاب باللغة التركية ، وهو مشتق من فعل (دوغرامق) ، أى (يذبح) وقد أخطأ المستشرقون الأوربيون خطأ شنيعا حين ربطوا كلمة طغرل مع كلمة دوغرو ، أى المستقيم أما عن نطق الاسم باللغة التركية صحيحا ، أو غير صحيح فكثير من الأسماء التى نطقتها الأقوام التركية على أنها صحيحة مازالت تكتب خطأ ، والحصول على أشكال صحيحة لأسماء تركية قديمة ، أو صعب جدا ، ولاشك أن نطق طغرل فى اللغة فى شكل (طوغرول - Tugurl خطأ ، أما النطق الصحيح لهذا الاسم فهو الشكل (طوغول) Tog وكان هذا الاسم يكتب بهذا الشكل فى العهدين السلجوقى =

على الرغم من صغر سنه عن أخيه داود ، ولكنه كان يتمتع بحب قومه وجنده ، ولما يتحلى به من صفات الفروسية والشجاعة (١) ، فصمم على تحقيق أهداف السلاجقة التى ترمى إلى إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلامى كله لو استطاعت إلى ذلك سبيلا (٢) ويعتبر طغرل بك هو المؤسس الحقيقى لدولة الأتراك السلاجقة فى إيران والعراق (٣) .

وفى سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م ، توفى السلطان محمود الغزنوى ، فانتهاز الأخوان جفرى بيك وطغرل بك الفرصة ، فجمعوا السلاجقة ، ووحدا صفوفهم ، وأعدا جيشا قويا ، وحاولا الثأر من الغزنويين ، وتوسيع رقعة أراضيهم ، كما عملا على بسط نفوذ السلاجقة على المناطق المجاورة ، حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعا لنفوذهم (٤) لتبدأ ملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى ، التى انتهت بالنصر الحاسم للسلطان طغرل بك ، وبنى جلده من السلاجقة (٥) .

وقد بدأت هذه الملحمة فى خراسان ، فبمجرد أن بسط السلاجقة أقدامهم فى خراسان لم يكتف طغرل بك ، وأخوه داود ، بما حققاه من نصر ، بل أرسلوا إلى حاكم مدينة نيسابور (٦) ،

= والعثمانى ، وكان دائما يبدأ بالهجاء Tug وليس الهجاء Tog وكانت أغلب الكتب ، ومنها رشيد الدين الهمدانى فى جامع التواريخ قد كتبه (طوغول) ، وكان هذا الشكل (طوغول) هو الأقدم والأكثر صوابا ، وأصالة لهذا الاسم ، وكان بروكلمان فى كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) قد كتبه وقرأه بهذا الشكل ، وكذلك كتبه محمود الكشغرى فى ديوانه عن الترك ، والطوغول طبقا لمحمود الكشغرى كان نوعا من طيور الصيد ، لمزيد من التفاصيل ، راجع : ش. سامى : قاموس العلماء ، المجلد الرابع (استانبول ، ١٣٠٦هـ) ص ٣٠١٣ ، محمد فريد : دائرة معارف القرن العشرين المجلد الخامس ، (بيروت ١٩٧١م) ، ص ٧٥ ، أحمد معروض : أضواء ، ص ٧٢ ،

Mehmet Altay : Tugrulbeyve Zamant. (Istanbul 1976)p. 2-5 .

(١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٣٠ ، اليزدى : العراضة ، ص ٣٢ ، Mehmet Altay. p. 7 .

(٢) حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .

(٣) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٦٧ ، فاضل الخالدى : المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ ، ١٠ ، اليزدى : العراضة ، ص ١٠-٣٢ .

(٦) نيسابور : مدينة عظيمة ، ذات فضائل جسيمة ، وأعظم مدن إيران وسميت إيران شهر ، فتحت فى عهد عثمان ابن عفان (رضى الله عنه) ، وقيل فى عهد عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣٣١ تعرف نيسابور فى الفارسية القديمة باسم : نيشابور ، وهى فى العربية =

سورى بن المعتز^(١) ، يطلبان إليه أن يأذن للسلاجقة بالإقامة فى أطراف هذه المدينة ، فرض إجابة طلبهم ، وكتب إلى السلطان مسعود الغزنوى ٤٢٢-٤٣٢ / ١٠٣٠-٤٠-١١م^(٢) يخوفه منهم ، ومما قاله له "إذا والعياذ بالله لم يسارع السلطان بالذهاب إلى خراسان فإنه يخشى أن تخرج من حوزتنا ، فإن للسلاجقة مددا خفيا"^(٣) .

وجمع السلطان مسعود مجلس الشورى ، فيما هو قاعل مع السلاجقة ، خاصة بعد أن وصلت الأخبار بتطويق السلاجقة على كثير من نفوذه ، فمدوا سيطرتهم على مرو و سرخس وبادغيس^(٤) سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م ، ثم عملوا على بسط نفوذهم على خوارزم حينما تحالفوا مع أميرها (التونشاش) من قبل الغزنويين^(٥) ، وكان قد انحاز إلى السلاجقة كما تواطأ معهم على تكين^(٦) ، مما هيا لهم فرصة الانتصار على الغزنويين .

= نيسابور وهو مشتق من نيوشاه بور فى الفارسية القديمة ، ومعناه شئ أو عمل أو موضع ساهور الطيب ، وإنما سميت بذلك نسبة إلى الملك ساهور الثانى الساسانى الذى جدد بناها فى المائة الرابعة للميلاد ، وفى صدر العهد الإسلامى كان يقال لها أبر شهر أى مدينة الغيم بالفارسية ، وسميت إيران شهر أى مدينة إيران ، وهى عاصمة إقليم خراسان ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٩٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، لترنج ، بلدان الخلافة ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(١) البيهقى : (أبو الفضل محمد بن الحسين) ، تاريخ البيهقى أو صحائف مسعودى ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، وكان البيهقى يشغل وظيفة نائب ديوان الرسائل فى بلاط السلطان مسعود الغزنوى ، وكتب كتابا سماه (صحائف مسعودى) وكان شاهد عيان على كل حروب الغزنويين مع السلاجقة .

(٢) فزاد جبر : جدول العصور التاريخية للدولة الإسلامية ، (الرياض ، ١٩٨٦) ص ٣٢ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٠٣ .

(٤) مرو سرخس وبادغيس : سرخس ، مدينة قديمة من نواحي خراسان ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ .

بادغيس : بليدة من نواحي خراسان ، أبر الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، مرو : أشهر مدن خراسان وهى مدينتان مرو الروز ، ومرو الشاهجان ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١١٢ ، سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان تقع بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق بينهما ، وبين كل واحدة منها ست مراحل ، أى تقع على مسافة ١٨٠ كم من خراسان على وجه التقريب ويقال لها اليوم تجند ، أنظر : ياقوت ، ج ٢ ص ٢٥٨ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ليدن ١٩٧٩ ص ٣٢٣-٣٢٤ ، القزوينى : آثار البلاد ، ج ٢ ص ٢٦١ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٣٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٦ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٠٤ .

تمخض اجتماع السلطان مسعود مع مستشاريه عن إرسال جيش لمحاربة السلاجقة ، وأعد السلطان جيشا كبيرا ، عهد بقيادته إلى عشرة من قواد ، وذهب هو إلى نيسابور^(١) ، وعند "نسا" لم يكن السلاجقة متأهبين للقاء الغزنويين فهجموا عليهم فجأة ، وهزموهم هزيمة نكراء ، وأسروا وغنموا منهم الكثير^(٢) وانشغل الجيش الغزنوي بجمع الغنائم مما أتاح الفرصة لقواد الجيش السلجوقي لترتيب صفوفهم ، ودارت معركة رهيبة بين الجيشين عند "نسا" انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين^(٣) ، واستولى السلاجقة على ما قيمته عشرة ملايين من الدنانير ، ومن الملابس والأمتعة والدواب الكثير^(٤) .

كانت هزيمة الغزنويين في "نسا" أول هزيمة جديدة تلحق بهم^(٥) ، وتعتبر هذه الواقعة هي بداية الطريق لفتح وامتلاك خراسان كلها أمام السلاجقة^(٦) .

وفي محاولة من السلاجقة لالتقاط الأنفاس ، وبعد شعورهم بالأمن والطمأنينة ، وأن النصر أصبح حليفهم ، استقر رأيهم على إيفاد رسول إلى السلطان مسعود الغزنوي يحمل رسالة منهم إليه ، يلتمسون فيها العفو عنهم ، وعقد صلح يقرهم على ما ييدهم من بلاد ، وقد جاء في هذه الرسالة "وقد أخطانا في اختيار" سوري بن المعتز ، للوساطة والشفاعة عند السلطان ، فإنه متهور ، ولايرعى المصلحة في وجه الجيش المنصور ، لولا أنهم انقضوا على دورنا كما تنقض الذئاب على الحملان ، واعتدوا على نساءنا وأطفالنا ، مع أننا كنا حاصلين على الأمان ، فلم نجد بدا من أن ندافع عن أنفسنا والنفس عزيزة .. وليتأكد السلطان من عبوديتنا وإخلاصنا ، وبأننا لا نبغي غير السلم^(٧) .

(١) البيهقي : تاريخ ، ص ٦١٥ ، الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) البيهقي : تاريخ ، ص ٥٢٠ ، ٥٢١ .

(٣) البيهقي : تاريخ ، ص ٥٢١ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٩ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٥) البيهقي : تاريخ ، ص ٥٢٣ .

(٦) لمزيد من التفاصيل : راجع ، الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٤٨ -

(٧) البيهقي : تاريخ ، ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

ووافق السلطان مسعود عي الصلح مع السلاجقة^(١) ، وجرت المفاوضات بين رسل السلاجقة والسلطان مسعود^(٢) واستقر الرأي فى النهاية على إعطاء (بيغو وطغرلبك وداود) ولايات (نسا ، وفراوة ، ودهستان)^(٣) ، ومنح كل منهم منشورا ولواء^(٤) مقابل منع أعمال السلب والنهب^(٥) وخوفهم من قوتهم ، وأرسل السلطان مسعود إليهم كتباً تضمنت الولايات التى وزعت عليهم ، فأصبحت "دهستان" من نصيب داود و"نسا" باسم طغرلبك ، وفراوة باسم "بيغو" ، وخوطبوا بلقب دهقان^(٦) ، ثم خلع على كل واحد منهم خلع غزنوية^(٧) .

واقترح السلطان مسعود أن يرتبط برباط المصاهرة السياسية مع السلاجقة ، فعرض أن يزوج أمراء السلاجقة الثلاثة ، من ثلاث أميرات غزنويات ، لكن السلاجقة رفضوا طلبه^(٨) .

وكان لانتصار السلاجقة على جيش مسعود الغزنوى فى "نسا" ، واعترافه بنفوذهم بخراسان اعترافاً رسمياً ، حسبما ورد فى اتفاقية الصلح بينه وبينهم ، أثر كبير فى توطيد نفوذهم بخراسان ، وتوسيع رقعة أراضيهم^(٩) فقد ذكر الراوندى^(١٠) "أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود اشتد بأسهم ، وازدادت قوتهم ، ولاحت عليهم إمارات الملك ، وعلامات الحكم ، ومخايل السلطان" .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢٨ .

(٣) فراوة ، دهستان : دهستان ، مدينة مشهورة ، معناها بالفارسية موضع القرى ، وهى بين جرجان ، وخوارزم وآخر حدود طبرستان ، أهر الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٣٩ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢٨ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ ، دائرة المعارف الإسلامية : مادة جفرى بيك .

(٦) دهقان : انظر ص .

(٧) تشمل الخلع الغزنوية قلنسوة ذات ركنين ولواء ، وحلية مطرزة ، وجوادا ، وسرجاً ، وكمر من ذهب برسم التركمان (السلاجقة) وثلاثين ثوباً غير مخيطة ، البيهقى : تاريخ ص ٥٨٢ .

(٨) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٢ .

(٩) الخالدى : النظم ، ص ١٥٩ .

(١٠) راحة الصدور ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

وفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، عاد السلطان مسعود الغزنوى من بلاد الهند إلى غزنة^(١) ، ولما علم بعلو شأن السلاجقة ، وازدياد نفوذهم ، وأحس بالخطر الذى بات يهدد دولته على أيديهم^(٢) كتب إلى أمير خراسان سوباشى الذى أجاب السلطان مسعود بقوله "إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم"^(٣) .

وبعد إلحاح من السلطان مسعود ، اضطر أمير خراسان (سوباشى) إلى الخروج لملاقاة السلاجقة وإجلاتهم عن منازلهم^(٤) ، خاصة بعد أن استولى داود على مدينة مرو سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م^(٥) وانضم بقواته إلى قوات أخيه طغرل بك ، وفى آخر شعبان سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م التقى جيش (سوباشى) أمير خراسان بجيوش السلاجقة على باب مدينة سرخس^(٦) ، ودارت بين الفريقين معركة كبيرة انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة^(٧) .

إعلان قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور شوال سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م :

كانت معركة سرخس هى النقطة الفاصلة فى تاريخ السلاجقة ، حيث ملكوا بعدها خراسان ، وكان هذا إيذاناً بقيام دولتهم ، حيث سار طغرل بك إلى نيسابور ودخلها ، بعد أن منح أهلها الأمان ، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوى فى ذى القعدة من العام نفسه ، باسم السلطان طغرل بك ، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر المدينة ، ولقب طغرل بك نفسه بلقب

(١) غزنة : ولاية واسعة فى طرف زابلستان ، والأفصح فى اسمها (غزنین) ، وهو الاسم المعترف به عند العلماء وتعرب فيقال (جزنة) ، وإليها ينسب الغزنوى ، وتقع غزنة حالياً إلى الجنوب الشرقى من مدينة كابول عاصمة أفغانستان الحالية على مسافة ١٢٠ كم تقريباً ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٢٨٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ١٦٨ . ١٦٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ ، اليزدى : العراضة ، ص ٣٤ .

(٤) البيهقى : تاريخ ص ٦٠٠ ، ٦٠٤ .

(٥) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٩ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

(٧) الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٠ - ٦٠٥ ، بارتولد : تاريخ

الترك ، ص ٤٤٨ .

(سلطان) باسم (السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد^(١)) ، واستقر بدار السلطنة ، ونادى بألا يتعرض أحد من السلاجقة بسوء ، أو أذى للناس^(٢) كما أمر بأن تضرب النقود باسمه في البلاد التي كانت تحت أيديهم^(٣) .

وهكذا أصبح للسلاجقة كيان سياسى ، ورقعة كبيرة من الأرض ، وحاكم له الزعامة التي منحها إياه رعاياه^(٤) حيث تعتبر سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م هي بدء قيام دولة السلاجقة من الناحية العملية^(٥) ، أما من الناحية النظرية فقد كان السلطان السلجوقى في هذا الوقت بحاجة إلى تفويض شرعى من الخليفة العباسى لحكم البلاد ليكسب حكمة صفة الشرعية أمام المسلمين على الرغم من كونها موافقة شكلية^(٦) .

ولما بلغ السلطان مسعود خبر قيام الدولة السلجوقية على جزء غال من أرضه ، وتلقب طغرل بك بلقب السلطان الأعظم ، عزم على محاربة السلاجقة ، والقضاء على دولتهم الوليدة^(٧) ، فأعد جيشا قوامه خمسين ألف فارس وراجل وثلاثمائة فيل^(٨) ، وقاده بنفسه ، وأراد أن يخوض معركة انتحارية للخلاص من السلاجقة^(٩) .

وفى الثامن من رمضان سنة ٤٣١هـ / ١٠٤٠م ، خرج السلطان مسعود بجيشه الجرار ، متجها إلى مرو ، ومنها إلى نيسابور ، ولكن جيش الغزنويين كان كما وصفه البيهقى^(١٠)

(١) الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ١٦٦ ، الشامى : العلاقات ، ص ٣١ .

(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ص ١٣٣ .

(٣) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٦ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٣ .

Holt : The Combriadge of Islam (London, 1961) p. 232 .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٢ ، الخالدى : النظم ، ص ١٦١ .

(٦) حسين أمين : نفسه ، ص ٥٢ ، حسن محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى (دار الفكر العربى ، بدون) ص ٥٥١ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٢ .

(٨) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٧ ، بارتولد : تاريخ التركستان ، ص ٤٤٨ .

(٩) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٢ ، بارتولد : نفسه ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(١٠) تاريخ البيهقى ، ص ٦٤٧ .

"وركب السلطان مسعود ، وسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقا يقدمون رجلا ، ويؤخرون أخرى ، وكان اليوم شديد القيظ ، والمؤن قليلة ، والعلف لاوجود له ، والدواب هزيلة والناس صيام" فى الوقت الذى استعد فيه السلاجقة كل الاستعداد ووقفوا فى الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو ، فى مكان يعرف بداندنقان (١) حيث طمس السلاجقة آبار الصحراء (٢) .

ودارت معركة رهيبة بين السلاجقة والغزنويين ، انتصر فيها السلاجقة انتصارا حاسما (٣) ، حيث أنها أنهت الصراع بين هاتين القوتين ، وكانت الضربة القاصمة للحكم الغزنوى فى الغرب (٤) .

وعلى الجانب السلجوقى كانت موقعة داندنقان هى بدء التاريخ الحقيقى للسلاجقة ، حيث أنهم لم يواجهوا قوة كبيرة فى خراسان ، مثل الدولة الغزنوية ، ولم يجرؤ الغزنويين على التصدى للسلاجقة أو محاولة استعادة ما فقدوه (٥) .

لقد كانت داندنقان من كبريات المعارك الفاصلة فى تاريخ السلاجقة ، فبعدها أقيمت سلطنة سلجوقية واسعة ، والتي كان لطفربك شرف تأسيسها (٦) والذي رأى أن تحقيق أهداف السلاجقة يقتضى جمع الكلمة وتوحيد الصف السلجوقى (٧) ، فاجتمع مع أخيه جفرى بيك وعمهما موسى بن سلجوق الذى كان يطلق عليه (بيغوكلان) ، ومع أبناء أعمامهم ، وكبار قوادهم ، وقواد جندهم وفرسانهم ، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم (٨) ،

(١) داندنقان : بلدة من نواحي مرو ، الشاهجان على بعد عشرة فراسخ منها فى الصحراء تقع بين سرخس ومرو أى على بعد ٦٠ كم من مرو تقريبا ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ص ٦١٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٧٩ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٣ ، البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٧ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور : ص ١٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٧ ، حسين أمين : تاريخ ص ٥٣ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، بارتولد : التركستان ص ٤٤٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ١٦٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، وما قاله طغرلبك فى هذا الاجتماع "فإذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم ، وتغلب علينا الأعداء وذهب الملك من أيدينا" .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٥ ، عبد النعيم حساني : سلاجقة إيران ، ص ٣١ ، ٣٢ .

وجددوا العهد على تعيين طغرلبك قائد أعلى لجيوشهم ، وسلطانا على دولتهم ، على الرغم من أن أخيه جفري بيك كان يكبره سنا ، إلا أن طغرلبك كان يتميز بشجاعة نادرة مع تدين ملحوظ وذكاء حاد (١) ، وضربت باسمه السكة في مدن خراسان ، وخطب باسمه في نيسابور منذ سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م (٢) .

ولتوطيد النفوذ السلجوقي في تلك البلاد ، رأى طغرلبك الاستعانة بأفراد البيت السلجوقي لحكم البلاد التي تحت أيديهم ، وضمان الوحدة بين أفراد الأسرة ، ولكي يتجنب في المستقبل ما ينشأ من نزاع حول السلطة ، قسم هذه البلاد فيما بينهم ، وعين كل واحد منهم حاكما على الولاية التي صارت من نصيبه (٣) ، فاتخذ جفري بيك وكان أكبر أخوته مدينة مرو دارا للملكه ، واختص بأكثر خراسان ، وتنصب موسى على ولاية بست وهرات وسجستان (٤) ، وما يجاور ذلك من النواحي التي يستطيع فتحها ، وتنصيب قاورد وهو أكبر أبناء جفري بيك على ولاية الطبسين (٥) ونواحي كرمان ، وإبراهيم ينال أخو طغرلبك من الأم ،

(١) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٧ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، إقبال : إيران ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٤) بست وهرات وسجستان : بست : مدينة بين سجستان وغزنة وهرات من أعمال خراسان : أهر الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٤٥ .

هرات : مدينة تبعد عن نيسابور ، من أعمال خراسان ، فتحها الأحنف بن قيس ، أهر الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، وتقع ضمن أفغانستان الآن ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٤٩ ،

سجستان أو زابلستان : إقليم عظيم وبلد حليل ، مدينتها العظمى ست متصلة ببلاد الهند ، أول من فتحها الربيع بن زياد في خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، ثم أتم المسلمون فتحها في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وهر إقليم يجاور فارس وكرمان ، أهر الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٤٠ ، القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٠١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٧٢ .

(٥) الطبسين وكرمان : الطبسين : مدينة من أعمال خراسان : اليعقوبى ، البلدان ، ص ٢٩٥ .

كرمان : ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان ، وقصبتها السرجان ، ومن مدنها القفص والبلوص كثيرة الزرع والمواشى والتمور ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

قهستان وجرجان^(١) ، ولأبى على الحسن بن موسى بن سلجوق بوشنج وبلاد الغور^(٢) ، وهى ولاية متداخلة فى ولاية أبيه موسى ، وتم هذا سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م^(٣) .

وأخذ طفرلبك مدينة الرى دارا للكه^(٤) ، وسمح لكل واحد منهم أن يفتح ما يشاء من البلاد المجاورة ويضمها إلى ولايته ، على ألا يعتدى الواحد منهم على حقوق الآخر^(٥) .

وهكذا استقر رأى السلاجقة ، وقويت شوكتهم ، وتوحدت كلمتهم ، وصفوفهم ، فبدأوا يتجهون إلى التوسع الخارجى ، وكتبوا بنصرهم إلى خانات التركستان ، وأبناء على تكين ، وغيرهم لإجبارهم على الاعتراف بهم^(٦) .

ولم يبق أمام السلاجقة ، إلا أن يحصلوا على الاعتراف الشرعى بقيام دولتهم ، وهو اعتراف الخليفة العباسى ، لأن هذا الاعتراف وحده بحكم نظم هذا العصر هو الذى يكسب الدولة شرعيتها بحكم المناطق التى يسيطرون عليها^(٧) .

وبدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسى ، لكسب عطفة والتعريف بحالهم ، والحصول على شرعية لدولتهم^(٨) فكتبوا سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٢م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسى

(١) قهستان وجرجان : جرجان : مدينة مشهورة قرب طبرستان تقع بينهما وبين خراسان بناها يزيد بن المهلب أبى صفرة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١١٩ ، القزوينى : آثار ، ص ٣٤٨ ، لترنج : بلدان الخلافة ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

قهستان : مدينة مشهورة بخراسان ، افتتحها الأخنف بن قيس ، القزوينى : آثار ص ٤٠٢ .

(٢) بلاد الغور أو غورستان : ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية والمناخ البارد ، تقع بين هراة وغزنة ، الأضرخى : (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) المسالك والممالك (ط. القاهرة ، ص ١٩٦٠م) ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، لترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ .

(٤) إقبال : الوزارة فى العهد السلجوقى ، ترجمة أحمد حلمى (الكويت ، سنة ١٩٨٤) ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٨ ، ١٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٩٤ ، بارتولد : الترك ، ص ٤٤٨ .

(٧) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٥ .

(٨) حسين أمين : نفس ، ص ٥٥ .

٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) رسالة حملها رسولهم (المعتمد أبو اسحاق الفقاعي) (١) يقولون فيها :

"إننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة ، وأحبيناها من صميم قلوبنا ، ولقد اجتهدنا دائما فى غزو الكفار ، وإعلان الجهاد ، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة ، وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق قبض عليه "يمين الدولة محمود بن سبكتكين" بغير جرم أو خيانة ، وأرسله إلى قلعة (كالنجر) فى بلاد الهند ، فبقى فى أسره سبع سنوات حتى مات واحتجز كذلك فى القلاع الأخرى كثيرا من أهلنا وأقاربنا ، فلما مات محمود ، وجلس فى مكانه ابنه مسعود الذى لم يقم على مصالح الرعية ، واشتغل باللهو والطرب ، فلا جرم إذا طلب بيننا وبينه معارك تناولنا فيها كر وفر وهزيمة وظفر ، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن ، وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل ، وبفضل إقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة ، وانكسر مسعود وأصبح ذليلا ، وانكفأ علمه وولى الأدبار ، تاركا لنا الدولة والإقبال ، وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد ، واستبعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو أن نكون فى هذا الأمر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين (٢) .

وفى الوقت الذى كانت فيه الدولة السلجوقية تنعم بهذا التقدم والتوسع الكبير ، والنشاط والحيوية ، كانت بغداد وقت وصول رسالة السلاجقة تعج بالاضطرابات ، وكان ملك البويهيين فى بغداد قد بدأ يتداعى ، ولم يكن للخليفة العباسى ، ولا للملك الرحيم البويهى آخر البويهيين ٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٠م ، أية سلطة تذكر ، وكان الجند الأتراك فى ثورات متصلة ، والفرق المذهبية يضرب بعضها بعضا (٣) وكان الخليفة يحس بهذا التفكك والانحلال ، يدرك ما للقوة الجديدة (السلجوقية) من أثر وخطر على مستقبل العالم الإسلامى (٤) . فلما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافه ، سربها الخليفة ، وبادر بإرسال

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٨ - ٩ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (ط. الهند ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٥٨هـ) ، ج ٨ ، ص ١٤ حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٧ .

(٤) حسين أمين : نفسه ، ص ٥٧ .

رسول إلى السلاجقة هو (أبو الحسن الماوردي) ^(١) إلى مدينة الري ، وطلب إليه أن يتقرب إلى طغرل بك ، حتى يحضر إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره ^(٢) ، وكان الماوردي يحمل معه إلى طغرل بك الخلع السلطانية التي منحها الخليفة له ، مع كتاب التفويض بحكم البلاد ^(٣) .

وقد مكث الماوردي ثلاث سنوات في الري ينتظر طغرل بك من حروبه ^(٤) ، فقد كان طغرل بك وقت قدوم الماوردي برسالة الخليفة منشغلا بفتح النواحي والولايات ، فقد سار على رأس جيش كبير نحو جرجان وطبرستان ^(٥) واستولى عليها ، وكان يتولى حكمها أنوشيروان الزباري ^(٦) وقضى على الدولة الزيارية التي حكمت من (٣١٦-٤٣٣هـ/٩٢٨-١٠٤١م) ^(٧) .

(١) أبو الحسن الماوردي : هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري المعروف بالماوردي ، الفقيه الشافعي ، كان من وجوه الشافعية ومن كبارهم ، ولقب بقاضي القضاة عنه بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب ، وفوضى إليه القضاء في بلدان كثيرة ، وله مؤلفات كثيرة منها ، أدب الدنيا والدين ، والأحكام السلطانية ، وسياسة الملك ، وتوفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباسي أحمد) ، وفيات الأعيان (تحقيق إحسان عباس (ط. دار النهضة العربية) بيروت سنة ١٩٤٨ ، ١٩٧٧) ج ٣ ص ٢٨٣ . فتحي أبو سيف : الماوردي عصره وفكره السياسي ، (القاهرة ١٩٩٠م) ، ص ٤ - ٥ . وإن كان الراوندي والبنداري يذكران ، أن رسول الخليفة إلى السلاجقة هو "هبة الله بن محمد المأمون القاضي الهاشمي" لأنه كان يختص هبة الله بوده وإخلاصه ، الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ١٠ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٦ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٥) طبرستان أي مازندران : ناحية بين العراق وخراسان بقرب بحر الخزر ، ذات مدن كثيرة وقرى ، ومن مدنها جرجان ودهستان ، ومعنى طبرستان موطن الطيار (أي الفؤوس بالفارسية) فتحت على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه) ابن دسته : (أبو علي أحمد بن محمد) ، الأعلام النفسية ، (ليدن ١٨٩٢) ص ١٣٩ ، الهمداني : (أبو بكر بن الفقيه) ، محضر كتاب البلدان ، (ليدن ١٩٦٧) ، ص ٣٠١ ويتألف معظم طبرستان أو منطقة الجبال العالية اليوم مما يعرف بجبال ألبرز بفتح الهمزة وضم الباء وهو الاسم الحالي لسلسلة الجبال العظيمة الفاصلة بين هضبة بلاد والأراضي المنخفضة على ساحل بحر قزوين ، ومعناها (الجبل العالي) ، وطبر في لغة أهل بلادها تعني الجبل فطبرستان تعني بلاد الجبل ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٣٢ ، لترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٠٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٧) فؤاد جبر : جدولة العصور ، ص ٧٩ .

وفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢ م ، توجه طغرل بك إلى خوارزم (١) فأخضعها للسلاجقة (٢) فى الرقت الذى كان أخوه غير الشقيق إبراهيم ينال قد استولى على همذان (٣) وما جاورها (٤) ، التى التقى طغرل بك مع إبراهيم ينال ، وسارا معا إلى كرمان طمعا فى الاستيلاء عليها ، غير أن الملك البويهى أبا كاليبجار ، كان قد سير عدة جيوش تمكنت من صد السلاجقة عنها (٥) ، وفى نفس العام واصل طغرل بك فتوحاته فى الغرب ، فسار إلى قزوين (٦) واحتلها ، وتمكن من بسط سيطرته على أبهر وزنجان (٧) .

وعلى الرغم من أن السلاجقة تمكنوا من إخضاع هذه الأقاليم بحد السيف ، إلا أن سلطانهم على بعض هذه الأقاليم لم يكن مستقرا تماما بسبب تغير حكامها ، ففى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥ م ، أمر طغرل بك أخاه إبراهيم ينال بالمسير إلى بلاد الجبل (٨) وهمذان التى خرجت عن

(١) خوارزم : إقليم يجاور خراسان ، وماوراء النهر ، ويجاور بلاد الترك من الشمال ، ناحية مشهورة قرب بلخ بها نهر جيحون ، افتتحها مسلم بن زياد ابن أبيه ، فى أيام يزيد بن معاوية ، وتعمل بها السمور والفراء وغيره أبو الفداء تقويم البلدان ، ص ٤٧٧ ، ابن الوردي : (السراج أبى حفص عمرو) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، (القاهرة سنة ١٣٩٦هـ) ، ص ١٢٥٠ ، ابن الأثير : الكامل وج ٩ ، ص ٢١٢ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزبه ص ٣٥٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٢) ابن الخوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١١٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١١ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣١ .

(٣) همذان : أكبر مدن أصفهان ، فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤هـ/٦٤٤ م ، وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة وهى من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤١٢-٤١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١١ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٣ .

(٦) قزوين : مدينة مشهورة شمال غربى طهران وفتحت فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٥٣ .

(٧) أبهر وزنجان : مدينتان كثيرتا المياه يقترب ذكرهما معا ، وزنجان أكبر من أبهر ، بينها وبين الدنيور تسعون ميلا وتقع أبهر على الطريق غرب قزوين ، الإدريس : نزهة المشتاق ، ص ٦٧٨ ، لسترنج : بلاد الخلافة ص ٢٠٧ ، وتقع الآن فى شمال غرب إيران .

(٨) بلاد الجبل : أرض واسعة ، وإقليم عظيم ، من مدنه همذان والسوس وششتر وسرخس الطالقان ، رقم وقاشان ، وأردبيل وجرجان : ابن الوردي : الخريدة ، ص ٣٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٤٩ .

طاعة السلطان السلجوقي (١) ، فسار إليها ينال وتمكن من دخولها ، وقضى على حكم أسرة علاء الدولة بن كاكويه المواليه للبرهيين (٢) ، ثم توجه إلى قرميسين (٣) فاستولى عليها ، كما استولى على حلوان (٤) ودخلت جيوشه مدينة خانتين (٥) ، فامتد بذلك النفوذ السلجوقي إلى الأقسام الغربية ، والوسطى ، والشرقية من إيران ، بل أن ينال اختار سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م أن يقوم بمهمة الغازي فأرسل جماعات وفيرة العدد إلى حدود بيزنطة (٦) ، حيث صبغ السلاجقة حربهم بصبغة الجهاد الديني (٧) .

وعلى الرغم من انتصارات طغرل بك في جبهات إيران الجنوبية ، والشمالية ، والوسطى ، لم ينس أن هناك جهة شرعية ، لا بد من كسبها إلى جانبه دائما ، ففي رمضان سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ، أرسل طغرل بك رسالة إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ردا على رسالته له ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣٢ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص ١٧٦ ، ودولة الأكراد الكاكويه : أسستها أسرة ديلية على أنقاض الحكم البويهى في إقليم الجبل ، ومؤسسها علاء الدولة محمد بن كاكويه ، وكلمة كاكويه تعنى "الخال" بالفارسية وكان ذلك سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م ، وهو أن خال والده مجد الدولة ابن فخر الدولة بهيد ، ودخل في حروب مع البرهيين ، ومع الغزنويين ، ومع الغز الأتراك وخلفه في الحكم ابنه ظهير الدين أبو منصور فراموز سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م ، واستطاع إبراهيم ينال أن يقرر الخطبة لأخيه طغرل بك فيها سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ٢١١ ، ٢١٣ ، الحسينى : أخبار ، ص ١١ ، Camb : Mistory of Iran, Vol. 5, p. 44 ، عبد النعيم حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٥٢٨ ، عصام الفتى : الدول المستقلة ص ٤٦ - ٥٧ .

(٣) قرميسين : بلد معروف قرب همذان ، والدينور ، وحلسوان ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ص ٣٣٠ .

(٤) حلوان : بلدة في آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد ، وقيل إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف من قضاة ، حيث كان بعض الملوك قد أقطعة إياها ، وهى تقع بين همذان وبغداد ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٩٠ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥٧ .

(٥) خانتين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٦) ابن الخوزنى : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٨٢ .

(٧) ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء) ، البداية ، والنهاية ج١٢ ، (ط. القاهرة ١٩٤٨) ص ٥٨ .

والمليئة بالخلع والألقاب ، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار للحاشية ، وألفى دينار لرئيس الرؤساء (١) .

ولما فرغ طغرل بك من فتح الأجزاء الجنوبية من إيران ، اتجه نحو أذربيجان (٢) وآران سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م ، وأتم فتحها (٣) ثم قصد تبريز (٤) وجنزه (٥) حيث قدم أميراهما الولاء للسلطان السلجوقي (٦) .

وبذلك استقر الوضع لطغرل بك في إيران ، وبعض أجزاء من العراق ، وما وراء النهر ، ففي سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م ، تلقى ولأء الحكام فيما وراء النهر (٧) ، ثم قصد أرمينية (٨) وحاصر ملاذكرد (٩) التي كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي ولما عجز عن فتحها عاد

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٧ .

(٢) أذربيجان آران : أذربيجان بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء وكسر الباء إقليم واسع يقع في حدود الإقليم الخامس ، النسبة إليه أذرى ، ومن أشهر مدنها تبريز وهي قصبتها وأكبر مدنها . ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ص ١٢٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٩٣ ، وما بعدها ، ومعناها القصد والاستطراد .

آران : اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة وبرذعة بينها وبين أذربيجان . نهر يقال نهر "الدرس" ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ص ١٣٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢١٩ .

(٤) تبريز : أشهر بلدة أذربيجان ، والعامية تسميها توريز ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٥) جنزه : مدينة بين خوزستان وأصبهان ، ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٨٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢١٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٧ ، ابن الوردي : (سراج الدين أبي حفص عمر) المعروف بتاريخ بن الوردي أو تنمة المختصر في تاريخ البشر (دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٨م) ص ٣٥١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ٢٢٤ ، أحمد معروض : أضواء ، ص ٦٢ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ص ٤٤٠ ، كانت أرمينية مملكة عاصمتها آنى ، انظر : عبد الرحمن العبد الفنى : موقف البيزنطيين ص ٣٣ هامش (٨١) .

(٩) ملاذكرد : تقع إلى الشمال من بحيرة فان Van (أوان في تركيا الحالية) قرب خلاط وأرزن الروم ، واختلفت المصادر الإسلامية في تسميتها فسبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٢ ورقتي ٣٣٦ ، ٣٦٧ كتبها (منارخرد) ومعه ياقوت ج٥ ص ٢٠٢ وكتبها ابن الأثير (ملاذكرد) الكامل ج١٠ ، ص ١٣ ، وذكرها القلقشندي (ملاذكرد) صبح الأعشى ج٤ ، ص ٤٧٦ ، لمزيد من التفاصيل راجع : فايز اسكندر البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد) ص ٦٢ ، ٦٣ .

إلى الرى^(١) . وبعدها بدأ طغرل بك يستعد للخطوة الفاصلة فى تاريخ دولته ، وهى دخول السلاجقة بغداد والعراق .

ولكن فى سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩ - ١٠٥٠ م ، وقع أول انشقاق فى الأسرة السلجوقية ، حينما أعلن إبراهيم ينال ، ثمره على طغرل بك ، وخرج عن طاعته ، ولاندرى ما أسباب خروج إبراهيم ينال على أخيه^(٢) ، وأرسل طغرل بك إلى أخيه يطلب إليه تسليم القلاع التى بيده ، فامتنع ينال عن ذلك ، فاضطر طغرل بك إلى الخروج لقتاله ، ودارت بين الأخوين معارك شديدة انتهت باستسلام إبراهيم ينال ، لأخيه السلطان ، الذى عفا عنه^(٣) . وفى نفس العام كتب طغرل بك إلى (نصر الدولة بن مروان) حاكم ديار بكر^(٤) أن يخطب له فى بلاده ، فأجابه إلى طلبه^(٥).

وفى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥١ م حاصر طغرل بك أصفهان ، وكان يحكمها وقتذاك أحد أمراء آل كاكويه (الأمير منصور بن علاء الدولة من كاكويه) ، وكان غير ثابت فى موالاته للسلاجقة فتارة يخطب للملك الرحيم البريهى ، وتارة لطغرل بك السلجوقى^(٦) ، ولكن بعد حصار دام عاما كاملا ، تمكن طغرل بك من ضم أصفهان إلى حوزته فى المحرم سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥٢ م ، واتخذها مقرا لحكمه بدلا من الرى^(٧) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٦٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول ثمره إبراهيم ينال - الأول - على أخيه السلطان طغرل بك ، راجع : ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٨ خواندمير : حبيب السير ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣١ ، خواندمير : حبيب السير ، ج ٢ ، ص ٤ .

(٤) ديار بكر : بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بالقرب من دجلة ، وكيفا ، وميا فارقين ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٤٩٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣١ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٦١ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٤ ، السيوطى : (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين) تاريخ الخلفاء (القاهرة دار الفكر العربى سنة ١٩٦٨م) ص ١٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٤٤٠ .

وفى جمادى الأولى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥١م ، وبينما كان طغرلبيك مشغولاً بفتح أصفهان ، قاد ابن أخيه ألب أرسلان ، حملات بنفسه على مناطق أخرى ، حيث وصل إلى مدينة فسا^(١) فاستولى عليها وبعدها عاد إلى خراسان^(٢) .

دخول السلاجقة العراق ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م :

تعتبر سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م هى السنة الفاصلة فى تاريخ السلاجقة ، ففى هذا العام دخل طغرلبيك العراق ، عن طريق حلوان^(٣) فى وقت كانت الخلافة العباسية ، وخليفتها القائم بأمر الله العباسى ، فى حال يرثى لها من الضعف والوهن ، فقد كانت أهواء البويهيين الشيعة تتلاعب بعاصمة الخلافة ، ولذا أعد طغرلبيك عدته من أجل القضاء عليهم^(٤) .

لقد كانت الخلافة العباسية جسدا لاروح فيه^(٥) يعكر صفوها ثورات جند الأتراك التى عمت بغداد^(٦) ووقوع الخلاف بين أصحاب المذاهب المختلفة واستغلال العيارون^(٧)

(١) فسا : بالفتح ويقال لها بسا بالباء ، وهى مدينة بفارس ، والمنسوب إليها يقال له بساسيرى ولم يقولوا فسانى ، وقولهم بساسيرى مثل قولهم كرم سير ، وسرد سير ، وخرج منها البساسيرى الذى خرج على القائم بأمر الله العباسى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٩٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣٥ .

(٣) هو الطريق الذى يطرقة التجار من العراق إلى بلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور حتى الآن وهو أقرب إلى الطرق لغزو قلب العراق ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٨ ، ولمزيد من التفاصيل راجع : ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، أبو الفداء : المختصر ، ج١ ضص ١٧٣ .

(٤) حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٥٨ ، محمود عرفه محمود : الأحوال السياسية والدينية فى بلاد العراق والمشرق الإسلامى فى عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسى (حوليات آداب الكويت ، رقم ١٠ ، ١٩٨٩-٨٨) ص ٤٨ وما بعدها .

(٥) حسنين : سلاجقة إيران ، ص ٣٨ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ١٦٣ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢١٤ ، محمد عبد العظيم : طغرلبيك ، ص ٢٤٥-٢٥٥ .

(٧) العيارون : لفظة العيار لغة : تعنى الكثير المجئ والذهاب فى الأرض ، وقيل هو الذكى الكثير التطواف يقال غلام عيار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيار نشيط فى طاعة الله عز وجل حيث أن العرب قدح بالعيار ، وتذم به ، وظهرت حركة العيارين بكثرة فى العصر العباسى الثانى فى أثناء العصر البويهى =

الفرصة فتسلطوا وثاروا^(١) وتصارعت القوى السياسية على السلطة في بغداد ، وانقسمت هذه السلطة إلى قوتين رئيسيتين :

الأولى : عسكرية يمثلها أبو الحارث أرسلان البساسيري^(٢) .

= نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة ، ويصفهم بعض المؤرخين بأنهم لصوص ، وأن حركتهم لم تقم إلا لإكثار الفوضى والفساد ، ولكن نجد في بعض أعمالهم صفات الإنسانية والرجولة ، ولهم صلة بحركة الفتوة قسموا طريقتهم بالفتوة ، ولقبوا باللصوص الشرفاء ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة لا يأكل ولا يشرب ، وركز العيارون هجماتهم على بيوت الأغنياء ، وكبار التجار ، وأصحاب الشرطة وكانت لهم نظمهم الخاصة ، ومن درجاتهم المتقدم ، والقائد والرئيسي وظلت هذه الحركة تحمل مبادئ سامية ، حتى انهار الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، مما جعل الكثير من العاطلين ينتظمون في صفوفها ومن أشهرهم العيار (البرجمي) الذي استبد ببغداد سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م ، وسكنوا الكرخ ، ولم يتذهبوا بأي مذهب فقد كان منهم شبعة وسنة وعلويون . لمزيد من التفاصيل راجع : ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ٧ ، ٨ . ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين) ، لسان العرب (ط. بولاق القاهرة سنة ١٣٠٠هـ) ، ج ٥ ، ص ٣٠١ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٤٧ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٣١ ، ٣٢ محمد أحمد عبد المولى : العيارون والشطار البغدادية في التاريخ العباسي ، (مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٨٧م) ص ١٥ - ٣٠ .

(١) اليافعي : (الإمام أبو محمد عبد الله) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد الدكن ط ١٩٣٨م)

ج ٢ ص ٢١ .

(٢) البساسيري : هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي ، وقيل أبو منصور البساسيري

مقدم الأتراك الأتراك ببغداد ، والبساسيري بفتح الباء والسين المهملة ، نسبة إلى بلدة بفارس اسمها (بسا) والعرب تسميها (فسا) ، والنسبة إليها بالعربية "فسو" ويقال لها بالفارسية (بساسيري) ، وكان مولاه رجلا من أهل "بسا" فنسب الغلام إليه ، فاشتهر بالبساسيري ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ١٩٢ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ٢ ، ص ١٧٩ . كان البساسيري في بداية حياته مولى لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملكه الأمير البويهى بهاء الدولة فيروز (٣٨٨-٤٠٣هـ / ٩٩٨-١٠١٢م) حيث بدأ حياته العسكرية كعبد ترك في خدمته ، وتدرجت به المناصب حتى أصبح من كبار قواد الجند الأصفهانية الذين يمثلون كبار قواد الجند بمدينة بغداد ، فعظم شأنه واستفحل أمره وقويت شوكته وانتشر ذكره ، وتهيبه أمراء العرب والعجم فجبى الأموال وخرب الضياع ، الخطيب البغدادي : (الحافظ أبو بكر أحمد) ، تاريخ بغداد ، ١٤ جزء (القاهرة سنة ١٩٣١م) ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ابن الجوزي المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٣ ، ابن خلدون العبر ، ج ٤ ، ص ٤٩٣ .

والثانية : مدنية يمثلها رئيس الرؤساء ابن المسلمة^(١) ، وزير الخليفة القادم بأمر الله ، وكان البساسيري شيعيا وكان ابن المسلمة سينا حنبلياً ، وهكذا تصادم الاثنان في المذهب^(٢).

ونظرا لضعف السلطة في بغداد ، وظهور التفكك والانحلال بسبب تنافس أمراء بني بويه على السلطة ، وتدخل الجند الأتراك في توليتهم وعزلهم ، فقد علا شأن هؤلاء الأتراك وقوادهم ، ففي سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م ، استطاع البساسيري قائد جيش الأتراك ، أن يساعد الأمير البويهى (جلال الدولة أبا طاهر ٤١٦-٤٣٥هـ / ١٠٢٥-١٠٤٣م) على توطيد سلطته في الأنبار^(٣) ، وغيرها من البلاد ، وذلك حينما حارب البساسيري (قرواش بن المقلد) أمير الأنبار بسبب خروجه عن طاعة البويهيين^(٤) .

وفي سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م عاون البساسيري ، الملك الرحيم البويهى فى الاستيلاء على البصرة عندما تغلب على الأمير "على بن أبى كاليجار البويهى" ، وضم البصرة إلى أملاك الملك الرحيم^(٥). وفي سنة ٤٦٦هـ / ١٠٥٤م ، نكل البساسيري بجماعات من الأعراب ، والأكراد عاثوا فى العراق فسادا^(٦) .

وهكذا ازداد نفوذ القائد التركى أبى الحارث البساسيري فى بغداد ، وأصبح يتمتع بمكانة رفيعة لدى الخليفة ، فكافأه بتعيينه مقدما للأتراك فى بغداد ، فما لبث أن استبد بالسلطة فى حاضرة الخلافة ، وأصبح الخليفة العباسى (لايقطع أمرا دونه ، ولايحل ولايعقد إلا عن رأيه)^(٧) .

(١) ابن المسلمة : هو على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر أبو القاسم بن المسلمة كان أحد الشهود المعتدلين ثم استكتبه الخليفة القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، وشرف الوزراء وجمال الورى وكان ذا علم وافر نكب به وقتل فى فتنة البساسيري سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، ونصبت جثته على نهر دجلة ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، نظام الملك : (الحسن بن اسحاق الطوسى) ، سياسة نامه ، ترجمة السيد العزاوى ، (القاهرة ، ١٩٧٥م) ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) سهيل ركار : المدخل ، ص ٩٧ .

(٣) الأنبار : مدينة على الفرات على بعد عشرة فراسخ من بغداد فى الجهة الغربية ، ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٢٥٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٠٤ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٤٩٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٠٧ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، ج٩ ص ٤٠١ .

وفى الوقت الذى كانت مكانة البساسيرى تعلو وترتفع عند الخليفة العباسى ، ولدى أمراء بنى بويه ، قام الخليفة بتعيين رئيس الوزراء أبى القاسم (ابن المسلمة) كاتباً له ، ثم استوزره^(١) ، وبدأ صراع قوى فى بغداد بين رئيس الرؤساء والبساسيرى الشيعى ، وفتش كل منهما عن حليف ، فتحالف ابن المسلمة مع قريش بن بدران^(٢) ، صاحب الموصل ، وحائط الصد للقضاء على الأطماع الفاطمية فى العراق ، وتحالف البساسيرى مع "بنى أسد" وزعيمهم (دبيس بن مزيد) وأخذ كل منهما يعد العدة للانتقام من الآخر^(٣) .

وزاد الصراع بين البساسيرى ، ورئيس الرؤساء ، حينما اتهم كل منهما الآخر بالاتصال بدولة خارجية ، حيث اتهم البساسيرى ابن المسلمة ، بالاتصال بالأتراك الغز ، والعمل على جلب طغرل بك إلى بغداد ، واتهم ابن المسلمة البساسيرى ، بالاتصال بالقاهرة سرا ، والتمهيد للإطاحة بالخلافة العباسية ، وإعلان الخلافة الفاطمية الشيعية^(٤) .

وأيقن الخليفة العباسى عن نية البساسيرى وهى التقرب إلى الفاطميين ، ولذا ساءت العلاقة بينهما ، خاصة بعدما أسقط مشاهرات الخليفة ورئيس الرؤساء من دار الضرب ، مما ترتب عليه توتر علاقات البساسيرى ، مع كل من الخليفة ووزيره^(٥) .

ولذلك أرسل الخليفة العباسى إلى الملك الرحيم البويهى ، يقول له (إن البساسيرى خلع الطاعة ، وكاتب الأعداء (يعنى الفاطميين) وأن الخليفة له على الملك عهد ، وله على الخليفة

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٤ .

(٢) قريش بن بدران : هو الأمير علم الدين أبو المعالى قريش بن بدران العقيلي ، صاحب الموصل ، أمر عليها بعد وفاة زعيم الدولة بركة بن المقلد ، ولما علم بقرب وصول طغرل بك إلى بغداد أسرع بالخطبة له فى الأنبار ونهب ما كان للبساسيرى فيها ، ولما دخل طغرل بك ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ثار الناس وقبض على الملك الرحيم واعتدوا على مخيم قريش بن بدران ، ولكن طغرل بك أرسل إليه يعتذر ويخلع عليه الخلع وأمره بالعودة إلى حله وأصحابه ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٩٩ ، محمد عبد العظيم : طغرل بك ص ٢٤٨ - ٢٥١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٢ ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

مثلها ، فإن أثره فقد قطع ما بينها ، وإن أبعد ، وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره^(١) . فقال الملك ومن معه (نحن لأوامر الديوان متبعون ، وعنه منفصلون) أى عن البساسيرى^(٢) .

ومن الصعاب التى أرقت الخلافة العباسية ، ازدياد النفوذ الفاطمى فى بلاد العراق ، على يد هبة الله الشيرازى^(٣) ، الذى قام بدور مهم فى نشر الدعوة الفاطمية للخليفة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م ، فى بلاد العراق ، وفارس ، واستطاع جذب الملك الرحيم البويهى إلى دعوته^(٤) .

وإزاء هذه الأخطار التى هددت الخلافة العباسية داخليا وخارجيا ، فكر الخليفة العباسى القائم بأمر الله فى استدعاء الأتراك السلاجقة لحمايته ، وضبط الأمور فى العراق وحماية المذهب السنى ، مذهب الخلافة العباسية والسلاجقة^(٥) . وكان السلطان طغرل بك ذكيا لماحا ، فلم تكن تلك الأخطار التى كانت تعانى منها الخلافة العباسية خافية عليه^(٦) فانتهاز الفرصة لمواصلة جهود السلاجقة لبسط نفوذهم على العراق .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٣ ، وهكذا جرد الخليفة ، الملك البويهى من قائد جيشه .

(٣) الشيرازى : هو هبة الله بن أبى عمران موسى بن داود الشيرازى السليماني ، ولد فى شيراز سنة ٣٩٠هـ / ٩٤١م من أبوين إسماعيليين ، وكان والده من دعاة الخلفاء الفاطميين ، وبعد وفاة والده عهد إليه برتبة (داعى إقليم) فكانت باكورة أعماله اتصاله بالملك أبى كالبجار البويهى الذى أعجب به ، وحضر مجالسه ، واعتنق مذهبه ، واستعان به البساسيرى فى حركته الانفصالية ضد الخلافة العباسية ، وله العديد من المؤلفات منها ، مذكرات داعى الدعاة والمجالس المؤيدية ، والمجالس المستنصرية ، وكان حجة فى الإقناع ، قد حاجج أهر العلاء المعرى الذى قال فيه "والله لو ناظر أرسططاليس لتغلب عليه" ، راجع : المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ، سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ترجمة حياته بقلمه ، تحقيق محمد كامل حسين ، (دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٤٩) ، ص ٩ ، ١٠ مصطفى غالب : تاريخ الدولة الإسماعيلية (بيروت ١٩٦٥) ، ص ٢٣٦ ، مذكرات داعى الدعاة المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ، حققه وقدم له د/ عارف تامر (لبنان ١٩٨٣) ص ٢٠٥ .

(٤) الشيرازى : السيرة المؤيدية ص ٤٩ .

(٥) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٣٩٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٤ - ٢٦ .

ففى المحرم سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م أظهر السلطان طغرلبك أنه يريد التوجه إلى مكة لآداء فريضة الحج ، وإصلاح طريق مكة ، والسير إلى الشام ، ومنها إلى مصر لإزالة المستنصر العلوى صاحبها^(١) . ومن يدري فمن الجائز أن يكون الرسول الذى أوفده الخليفة إلى طغرلبك من قبل ، كان يحمل معه من معانى الترحيب لو دخل طغرلبك بغداد ، أو أن الرسول الموفد طلب رسميا نيابة عن الخليفة التوجه نحو بغداد ، إنقاذ العراق من حالته البائسة^(٢) .

وفى أواخر شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، دخل طغرلبك بغداد عن طريق حلوان ، بحجة القضاء على الخلافة الفاطمية ، ومساندة الخليفة العباسى على عدوه البساسيرى ، والفواطم الشيعة ، وكان قصد السلطان السجلوقى بهذا الادعاء ، عدم إثارة شكوك الملك الرحيم البويهى ، حتى لا يستعد لحربه^(٣) .

وعندما علم الخليفة العباسى بدخول طغرلبك بغداد ، أمر أن يذكر اسمه فى الخطبة ، وأن يكون لقبه (السلطان ركن الدولة أبو طالب محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين) على أن يذكره بعده اسم الملك الرحيم البويهى^(٤) ، وهكذا رضيت الدولة البويهية أن تكون تابعة للسلاجقة آملة بذلك أن يتاح لها نوع من البقاء^(٥) .

(١) الحسينى : أخبار ، ص ١٨ ، ١٩ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ٢١٠ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٨ ، ومهد طغرلبك لنفسه بهذه الطريقة دخول بغداد ، راجع : محمود عرفة ، المرجع السابق ، ص ٤٨ ، هامش ١٨٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، أبو الفداء : المختصر ، ج٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف) تاريخ مصر ، (القاهرة سنة ١٩١٩م) ص ٣٧ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٣٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢١٢ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٧١ ، البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ٥٧ البندارى : آل سلجوق ، ص ١٠ ، ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، ص ٤٥٩ ، المقرئى : اتعاظ الخنفا ج١ ص ٢٣٣ ، ابن الوردى : تنمية المختصر ج١ ص ٣٥٥ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ص ٥٩ .

وأرسل السلطان طغرلبيك رسالة إلى الخليفة العباسي ، عن طريق رئيس الرؤساء ابن المسلمة يدين فيها بالطاعة للخليفة ، ويستأذنه في دخول بغداد^(١) ورحب الخليفة العباسي بطغرلبيك ، ويتجلى ذلك في الاستقبال الرائع الذي حظى به السلطان السلجوقي في حاضرة الخلافة ، فعندما وصل طغرلبيك إلى النهروان ، أرسل إلى الخليفة يستأذنه ، فأذن له بالدخول إلى بغداد ، وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه في مركب عظيم من القضاة والنقباء ، والأشراف ، والشهود وأعيان الدولة ، وصحبة أعيان الأمراء من عسكر الملك الرحيم ، فلما علم طغرلبيك بمسيرهم لاستقباله ، أرسل إلى طريقهم وزيره أبا نصر الكندري^(٢) فلما وفد رئيس الرؤساء على السلطان أبلغه رسالة الخليفة ، واستحلفه للخليفة ، والملك الرحيم وأمراء الأجناد ، وسار طغرلبيك قاصدا بغداد فوصلها يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٣) .

وبدخول طغرلبيك بغداد ، فقد تحقق للسلاجقة ما كانوا يطمحون إليه ، فقد جاؤوا الخلافة العباسية ، رمزهم الديني في عقر دارها ، بل جعلوا من الدولة البويهية دولة تابعة لهم ، ودخل طغرلبيك بغداد دخول الفاتحين .

وعندما علم البساسيري بدخول السلاجقة بغداد ، فر إلى حليفه (دبيس بن مزيد) في الحلة^(٤) ثم غادروها إلى الرحبة^(٥) ، وبعث إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يطلب إليه السماح له بدخول مصر ، ولكنه لم يجبه إلى طلبه^(٦) .

أما عن مصير الملك الرحيم البريهي ، فمع أن الملك الرحيم قبل أن يكون تابعا للسلطان السلجوقي وعلى الرغم من العهود التي أعطاه طغرلبيك بعدم التعرض له ، ومسانده الخليفة

(١) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٣ .

(٢) انظر ترجمته ص من الرسالة .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٤) الحلة : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، وكانت تسمى الجامعيين ، سكنها "بنو مزيد" وكان أشهرهم دبيس بن مزيد ، الذي كان من حماة الشيعة من العرب ، وكان أكبر الأمراء العرب في عصره ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣-٢٦٥ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٥) الرحبة : مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

(٦) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ١١ ، المقرئ : اتعاظ الخلفاء ، ج ٢ ص ٢٣٢ .

له لكن طغرل بك على ما يبدو وأراد أن يستأصل شأفة البويهيين ، ولا يدع منافسا له فى الخطبة ، أو الألقاب^(١) ، فقبض على الملك الرحيم البويهى ، وعلى كبار أمراء الجند وأرسله مقيدا إلى قلعة طبرك بالرى ، وظل هناك حتى توفى سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م^(٢) ، وبموته يسدل الستار على الدولة البويهية ، لتحل محلها دولة تركية جديدة تتحكم فى مصائر الخلافة العباسية .

وقد غضب الخليفة العباسى ، من تصرف السلطان طغرل بك مع الملك البويهى^(٣) ، وعلى الرغم من ترحيب السلطة الرسمية - الخليفة ومعاونيه - بالسلاجقة ، إلا أن العامة فى بغداد قد تدمرت ، نتيجة لبعض الحوادث التى أثارها الجند السلجوقي ، وهى نتيجة طبيعية لمثل تلك الحالة التى تدخل فيها جيوش أجنبية أى بلد كان^(٤) .

وبهذه الطريقة يكون السلطان طغرل بك قد رسم طريقة معاملته مع خليفة بغداد ، التى لم تختلف كثيرا عن سابقه من البويهيين ، بل زاد طغرل بك وصادر جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم البويهى ، وأموال الأتراك البغدادية^(٥) بل طلب الخليفة ، وهو فى غمرة أحزانة بوفاة ولده محمد بن القائم بالله بأمواله ، فغضب الخليفة^(٦) .

ويبدو أن العلاقات بين طغرل بك ، والخليفة القائم بأمر الله لم تتحسن كثيرا ، على الرغم من زواج الخليفة العباسى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ، من أرسلان خاتون خديجة ابنة داود ، أخى السلطان طغرل بك^(٧) ، فقد بقى السلطان السلجوقي أكثر من ثلاثة عشر شهرا دون أن يلقى الخليفة العباسى^(٨) .

(١) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٩ ص ٢١٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢٥٥ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٦٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ١٧ ، ١٨ ، أبو الفداء : المختصر ج ٢ ص ١٧٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ١٦٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦١ .

فتنة البساسيري :

وفى غمرة هذه الانتصارات التى حققها طغرل بك ، ونجاحه فى توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسى أخذت الأنباء تترى عن حركات حربية واسعة ، يقوم بها القائد التركى (أبو الحارث أرسلان البساسيرى) (١) حيث دخل البساسيرى الموصل وخطب فيها للمستنصر بالله الفاطمى (٢) ، بعد انتصاره فى موقعة سنجار (٣) ، سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م ، على قریش بن بدران ، وقتلمش بن إسرائيل ابن عم طغرل بك (٤) .

وطلب الخليفة العباسى إلى السلطان طغرل بك - الخروج لمحاربة البساسيرى ، وإعادة ملكه ، ونفوذ الخلافة العباسية على الموصل ، فسار طغرل بك إليها ، ودخلها ، وأعاد الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى (٥) ، وسر الخليفة كثيرا عندما علم بإعادة الخطبة له بالموصل ، وتأهب للاحتفاء بقدوم السلطان السلجوقى بعد انتصاره (٦) ، ولما وردت الأخبار بوصول طغرل بك إلى أطراف بغداد ، خرج لاستقباله ، الوزير (رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، نائبا عن الخليفة ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٣ ، حسين أمين : تاريخ العراق .

(٢) الشيرازى : السيرة المؤيدية ، ص ١٠٩ - ١١٦ ، سرور : سياسة الفاطميين الخارجية (دار الفكر العربى ، ١٩٦٦م ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية (النهضة المصرية سنة ١٩٤٨) ص ١٩٠ .

(٣) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، فى لطف جبل عال ، ويقولون إن سفينة نوح (عليه السلام) لما مرت به نطحتة فقال نوح : هذا سن جبل جار علينا ، فسميت "سنجار" وهى تعريب سنكار ، وهى مدينة عامرة ، بها بساتين ذات أشجار ونخل ، بينها وبين الموصل ٩٠ كم ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ .

(٤) المقرئى : اتعاظ الخنفاء ، ج ٢ ص ٢٣٤ ، اليافعى : مرآة الجنان ، ص ٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢٣٤ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ١٠٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٢٣٥ ، البندارى : آل سلجوق ص ١٥ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان حوادث سنة ٤٤٩هـ ، سهيل زكار : المدخل ص ١١٤ ، محمد عبد العظيم : طغرل بك ، ص ٢٩٧-٢٩٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢٣٥ ، البندارى : آل سلجوق ص ١٧ ، ١٨ .

وأبلغه سلام الخليفة ، وقدم له هدايا وخلع الخليفة ، وكانت جاما (١) من ذهب فيه جواهر (٢) وفرجية (٣) .

وفى أواخر ذى القعدة سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م ، ولأول مرة ، يقابل السلطان طغرل بك الخليفة العباسي بناء على طلبه (٤) ، حيث جلس الخليفة جلوسا عاما ، حضره وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد (٥) ، وكان الخليفة عند قدوم السلطان السلجوقي عليه يرتدى بردة (النبي صلى الله عليه وسلم) - ويده القضيبي والخيزران ، فقبل طغرل بك الأرض بين يديه وقبل يديه ، وأجلس على كرسي ، فقال الخليفة لرئيس الوزراء : "قل له أن أمير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفضلك ، مستأنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عبادته ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك في ذلك ، واجتهد في نشر العدل ، وكف الظلم وإصلاح الرعية" (٦) ، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب (٧) وحب الرعية (٨) ، وخصه الخليفة بملك المشرق والمغرب (٩) .

(١) الجام : إناء من الفضة ، ومعناه أيضا القدح أو الكأس ويستعمل بمعنى الطبق ، النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٨١ - ١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢٠ .

(٣) الفرجية : نوع من العباء المسترسل ، ويصنع اليوم غالبا من الجوخ وله أكماس واسعة طويلة تتعدى أطراف الأصابع وهي غير مفتوحة أو متقوية ، ويسمونها البعض فراجية ، وهي جبة العظماء وملائة الناس انظر : حسين أمين : تاريخ العراق ، حاشية (٤) ص ٦٥ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، البنداري : آل سلجوق ص ١٦ ، ١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢١ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ١٦ ، ١٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٨١ ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٢٦٦ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦٥ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٨١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢١ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٨١ - ١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٣٧ ، أبو الفداء : المختصر ، ج٢ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٨ ، ميراثواند : حبيب السير : ج٤ ص ١٠٦ ، محمد عبد العظيم : طغرل بك ، ٣٠٠ - ٣٠٣ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢١ .

ونقل عميد الملك للسلطان السلجوقي (الذي كان لا يتكلم العربية) كلام الخليفة ، فقام وقبل الأرض دفعات ، وقال "أنا خادم أمير المؤمنين ، وعبد ، ومتصرف على أمره ودينه ونهيه ، ومتشرف بما أهلنى له واستخدمنى فيه ، ومن الله استمد العون والتوفيق^(١) ، ثم أمر الخليفة بمنحه الخلع ، كما أعطاه سيفاً ، وثلاثة ألوية ، اثنين بكتائب صفر^(٢) ، والثالث بكتائب مذهبة ، سميت لواء الحمد ، وأمر الخليفة بأن يسلم إليه العهد^(٣).

انشقاق إبراهيم ينال :

لم ينعم طغرل بك طويلاً بهذه الانتصارات التى حققها ، ومقابلة الخليفة العباسى ، ففى مطلع سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، خرج عليه أخوه غير الشقيق إبراهيم ينال^(٤) ، وكان ينال قد راسل البساسيرى ، والمؤيد فى الدين^(٥) داعى الدعاة ، للدخول فى طاعة القاطمين ، والدعاء لهم فى مناطق نفوذه ، فى همذان وبلاد الجبل ، وسنجار والموصل التى كان طغرل بك قد نصبه أميراً عليها سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م^(٦).

كانت ثورة إبراهيم ينال على أخيه طغرل بك ، قد مهدت السبيل أمام البساسيرى لتحقيق أغراضه ، فلما علم البساسيرى بخلو بغداد من الجند السلجوقي الذى خرج لمقاتلة إبراهيم ينال زحف إليها ولكن طغرل بك استأصل شأفة أخيه وقتله بالموصل سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م^(٧).

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، المن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، سهيل زكار : المدخل ص ١١٠ ، ويدل نقل الكلام إلى طغرل بك عن طريق وزيره ، أنه كان لا يتكلم ولا يعرف العربية حيث ترجمت له الكلمات من العربية إلى الفارسية .

(٢) صفر : كلمة فارسية تعنى النحاس "حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٤٣٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٨١-١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٧ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ ، الشيرازى : السيرة ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، محمد عبد العظيم : طغرل بك ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٥) لقب المؤيد فى الدين : من الألقاب التى تشير إلى تقوى الملقب ، إذ أنه مؤيد من السماء يأتیه النصر من الله تعالى ، ولقب الداعى كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وكان رئيس الدعاة يسمى (داعى الدعاة) وكان لقب داعى ينقش على النقود ، راجع : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية (دار النهضة العربية ص ١٩٧٨م) ، ص ٢٨٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

(٦) الشرازى : السيرة المؤيدية ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٠٥ ،

المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

زحف البساسيري إلى بغداد ، على رأس أربعمئة فارس ، حاملا الرايات المستنصرية والتي كتب عليها (الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين) (١) ، وكان لونها أبيض - شعار الفاطميين الشيعة في مصر ، وكان رفع هذه الرايات تحديا سافرا للخلافة العباسية ، ولأهل السنة في بغداد (٢) .

دخول البساسيري بغداد :

صحب البساسيري إلى بغداد - قريش بن بدران - الذي كان قد شق عصا الطاعة على طغرل بك ، وتمكن من دخول بغداد سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، دون مقاومة تذكر (٣) ، واستقبله أهل الكرخ (٤) الشيعة ، ورحبوا بقدومه (٥) .

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، أمر البساسيري أن يخطب للمستنصر بالله الفاطمي ، بجامع المنصور (٦) ثم أقامها على جميع منابر بغداد ، وأمر بأن يؤذن - بحى على خير العمل - شعار الفاطميين الشيعة ، وضرب دنانير سماها المستنصرية ، وكان عليها من جانب "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله على ولي الله" ، ومن الجانب الآخر "عبد الله وليه الإمام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين" (٧) ، وبذلك انقطعت ولأول مرة الخطبة للخلافة العباسية من مساجد بغداد .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٩١ ، ابر الفداء ، المختصر ، ج ١ ص ١٧٧ .

(٢) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٤ .

(٣) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٤) الكرخ : حى من أحياء بغداد يقع في الجانب الغربى ، وسميت بذلك نسبة إلى نهر "كرخايا" واسمها (آرامى) بمعنى القلعة - صالح العلى : بغداد مدينة السلام ، جزآن (ط. العراق ، سنة ١٩٨٥) ، ج ١ ، ص ٤٢-٤٦ .

(٥) المقرئى : اتعاظ الخنفا ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، وقد يكون السبب هو عدم توافر قوات كافية لانضمام معظم قوات طغرل بك إلى جيشه المحارب لأخيه ، حسن محمود : العالم الإسلامى ، ص ٥٦٦ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، الشيرازي : السيرة المؤيدية ، ص ٢٢١ .

ابن منجب الصيرفى : تاج الرئاسة أمين الدين أبى القاسم على ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، حققه أمين فؤاد سيد (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٠ م) ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ .

(٧) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠١ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٢٢٣ ، البندارى ، آل سلجوق ، ص ١٨ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٨ ، ١٩ .

ونهب البساسيري بغداد^(١) ، ورأى الخليفة المسكين النهب بنفسه ، فأمر رئيس الرؤساء ، أن يطلب له الأمان من قريش بن بدران ، فقبل قريش^(٢) ، فاستاء البساسيري من ذلك ، وأرسل إلى قريش بن بدران يعاتبه على ذلك ، واتفقا على أن يأخذ قريش بن بدران الخليفة العباسي ، ويأخذ البساسيري رئيس الرؤساء ابن المسلمة وزير الخليفة^(٣) .

ولم يكتف البساسيري بإسقاط الدعوة للخليفة العباسي ، وإقامتها للمستنصر بالله الفاطمي فقط ، بل أرغم القائم بأمر الله العباسي ، على كتابة عهد اعترف فيه بأنه لاحق لبنى العباس ، ولآله في الخلافة ، مع وجود بنى فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظا بقصر الخلافة الفاطمية حتى استولى صلاح الدين الأيوبي على محتوياته سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م^(٤) . وأرسل البساسيري إلى الخليفة الفاطمي ثوب الخليفة العباسي ، وعمامته ، وشباكه^(٥) ، وبعد ما استقر له الأمر في بغداد ، وبعد أن طرد الخليفة إلى منفاه الاختياري في "حديثة عانة"^(٦) ، عمل على التخلص من غريمه ابن المسلمة ، فأمر بقتله^(٧) .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٩٢ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ص ٤٤٣ ، ميرخواند : حبيب السير ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(٢) البغدادي : تاريخ بغداد ، ص ٤٠١ ، ابن الجوزي ، ج ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٤ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٩٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٩ .

(٤) المقرئ : الخطوط ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .

(٥) الشباك يجلس فيها الخليفة يعتمد بيديه على حافتيها ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ١٠٨ ، هامش (٤٩) .

(٦) حديثة عانة : العانة الجماعة من حمر الوحش ، وتجمع عانات ، بليدة بين الرقة والفرات ، وهي مشهورة ومشرفة على الفرات ، ويضرب بما حدث فيها المثل فيقال (كأنه قد جاء برأس البساسيري ، وإذا كرهها أهلها ظلما قالوا (الخليفة إذا في عانة) ، راجع ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٢ ، القزويني : آثار البلاد ص ٤١٨ ، وهي ناتو القديمة ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٣٨ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ابن ميسر : تاريخ مصر ج ٢ ص ١٠ ، ١١ ، الحسيني : أخبار ص ٢٠ .

ومن حديثه عانة ، كاتب الخليفة السلطان السلجوقي طغرل بك الذى كان قد فرغ من القضاء على ثورة أخيه المتمرد إبراهيم ينال ، وجاء فى كتاب الخليفة "بحق الله أدرك الإسلام فقد ساد العدو اللعين" (١) .

وعلى الفور لى طغرل بك نجدة الخليفة ، فكاتب كلا من البساسيرى ، وقريش بن بدران ، يطلب إليهما إعادة الخليفة إلى بغداد ، وطلب إلى قريش بن بدران أن يكون الخليفة فى حمايته (٢) ، وكان الخليفة عند الأمير (مهارش ابن المجلى) أمير حديثه عانه" والذى عزم على المسير بالخليفة إلى بغداد فى الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م (٣) .

ولما علم طغرل بك بخروج الخليفة من الحديثه ، أرسل وزيره "الكندرى" لاستقباله ، وصحبه الأمراء والحجاب ، وفى الرابع والعشرين من شهرى القعدة سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، وصل الخليفة العباسى إلى النهروان بالقرب من بغداد ، فخرج طغرل بك لاستقباله ، وقبل الأرض بين يديه ، واعتذر له بسبب تأخره عنه بسبب تمرد أخيه عليه ، فشكره الخليفة وقلده سيفاً (٤) ، ثم استأذن طغرل بك الخليفة لملاحقة البساسيرى ومحاربتهم ، فأذن له بعد أن أوصله طغرل بك إلى حدود بغداد (٥) .

وجهاز طغرل بك جيشاً كبيراً لقتال البساسيرى سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، وخرج معه أعوانه ، وفى معركة رهيبة قتل البساسيرى ، وحملت رأسه إلى السلطان طغرل بك ، حيث حذاها عن رأسه بسيفه (٦) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٥-٢٢٦ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) البغدادي : تاريخ بغداد ، ص ٤٠٤ ، سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٠٣-٢٠٥ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، لمزيد من التفاصيل حول مصير الخليفة العباسى فى حديثه عانة راجع ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٩ .

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٨ ، ص ٤٠٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٠٣-٢٠٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٨٢ ، ابن دحية : (أبو الخطاب عمر بن الحسن) ، النبراس فى تاريخ بنى العباس ، تحقيق عباس العزاوى ، (ط. بغداد ، ١٩٤٦م) ص ١١٩ .

والخمس بقين من ذى القعدة سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، وفى يوم الاثنين دخل الخليفة^(١) بغداد ، دخول الفاتحين المنتصرين ، وسار معه السلطان طغرل بك ، بعد عام كامل من خروج الخليفة منها^(٢) .

وهكذا أصبح طغرل بك هو سيد الموقف بلا منازع ، مما زاد نفوذ السلاجقة فى العراق خاصة أنهم قضوا على أخطر ثورة فكرية وعسكرية هددت الخلافة العباسية ، والتي لو قدر لها النجاح لتغير وجه التاريخ الإسلامى كله ، ولا زالت الخلافة العباسية من الوجود سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م قبل زوالها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^(٣) .

وبدأ طغرل بك يبسط سلطانه على العراق ، فاستقر جنده فى بغداد ، واستأثر بالسلطة دون الخليفة العباسى حيث أقام نظاما جديدا للحكم فى دار السلام - بغداد - اتبعه معظم سلاطين من بعده ، وهو الفصل بين سياسة الخليفة وسلطانه الروحى ، وبين السلطات فى المدينة ، ومنذ هذا العهد استقر الأمر فى بغداد ، على أن الخلفاء هم القادة الروحيون بينما سلاطين السلاجقة هم الحكام الفعليون المدنيون ، وصارت هذه الثنائية ، أمرا مقرا معترفا به فى الوضع الدستورى الإسلامى^(٤) .

وانزوى الخليفة العباسى فى قصره ، وفوض الأمر كله إلى السلطان طغرل بك^(٥) ، وأصبح لا يستطيع التصرف حتى فى أملاكه الخاصة ، بل صار يعيش من إقطاعات مقررة يستولى على دخلها لسد نفقاته الخاصة^(٦) .

(١) البغدادى : تاريخ بغداد ، ص ٤٠٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٩ ص ٢٢٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢١ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٢٥٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٧ ، سهيل زكار ، المدخل ص ١١٩ ، إقبال : إيران ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤) أحمد معوض : أضواء ، ص ٦٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨١-١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ١٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٢٦٥ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٤٣٨ .

واستغل طغرل بك ضعف الخليفة ، فأمر أن تحمل موارد العراق المالية إلى خزانته بدلا من خزينة الخليفة ففي سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، ضمن مدينة واسط بمائتي ألف دينار^(١) ، كما ضمن البصرة والأهواز على مبلغ مقداره ثلاثمائة وستون ألف دينار^(٢) ، وفي السنة التالية ضمن بغداد سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، لأبى الفتح المظفر ابن الحسين ثلاث سنوات بأربعمائة ألف دينار^(٣) .

وقبل أن يرحل إلى الري ، أناب عنه في حكم العراق موظفًا سلجوقيًا يعرف (بالعميد)^(٤) كما عين موظفًا آخر لحفظ الأمن في بغداد يعرف باسم (الشحنة)^(٥) ، ووضع تحت تصرفهما حامية من الجند السلجوقي^(٦) .

زواج طغرل بك من ابنة الخليفة العباسي ، ووفاته سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م :

ولقد بلغت الجراة بطغرل بك ، أن أقدم سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ، على طلب الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله^(٧) ، وهكذا يكون السلطان السلجوقي قد تخطى بعمله هذا ، كل التقاليد العباسية ، إذ لم يسبق لأmir أعجمي أن تقدم لمصاهرة البيت العباسي من قبل^(٨) ، وكانت العلاقات بين السلطان السلجوقي ، والخليفة العباسي قد ساءت قبل مشروع

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢١٦ .

(٤) انظر ص ١٧١-١٧٤ من الرسالة .

(٥) انظر ص ١٧٤ من الرسالة .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٢١٦ ، ابن دحية النبراس ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ابن كثير : البداية ج ١٢ ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٧) الراوندي : راحة الصدر ، ص ١٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٩ ، الحسيني : أخبار ص ٢١ ، ٢٢ اليزدى : العراضة ، ص ٤٤ ، البنداري : السلجوق ، ص ٢٧ ، وفاء على : الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية (دار الفكر العربي سنة ١٩٨٥) ص ٨٧ وما بعدها ، فتحي أبو سيف : المصاهرات السياسية في العصرين الفزنوي والسلجوقي . (الأنجلو المصرية ، بدون) ص ٧٥-٨٢ ، ويختلف الراوندي عن أغلب المؤرخين فيرى أن المصاهرة لم تكن مع ابنة الخليفة وإنما أخته ، وهذا غير صحيح .

(٨) لمزيد من التفاصيل حول زواج طغرل بك ابنة الخليفة راجع : ابن الأثير ، ج ١ ، ص ٧ - ١٢ .

الزواج ، واستاء الخليفة أكثر من طلب الزواج ، ولكن عوامل الضعف والخوف جعلت الخليفة يوافق مضطرا على هذه المصاهرة (١) .

ولقد قصد طغرلبيك من وراء هذه الزيجة تحقيق أهداف سياسية بحتة ، تبعد بها عن أن تكون خالصة لوجه الزواج ، ولكن هذه الزيجة لم ينجم عنها شيء ، فقد كان طغرلبيك عقيما ، بالإضافة إلى تقدمه في السن ، كما أنه كان وقت الزواج عليلاً لم ينعم بعروسه الهاشمية ، فمات طغرلبيك دون أن يترك ولدا يخلفه في السلطنة (٢) ، وكان ذلك يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، عن عمر يناهز السبعين عاما (٣) .

ولكن طغرلبيك ترك دولة قوية ، راسخة الأركان ، ثابتة البنيان ، أخذت في النماء والازدهار ، وبلغت أقصى اتساعها في غضون عقدين من الزمان بعده ، فصار يرهبها الأعداء ، ويخطب ودها الكبير والصغير وأوسعت قبضتها على المشرق والمغرب (٤) ، ولكن كيف تحقق ذلك ؟

النزاع على العرش بعد وفاة طغرلبيك وتولية ألب أرسلان السلطنة :

كانت وفاة طغرلبيك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م دون عقب بحكم من بعده ، أو ولي عهد يرثه ، سببا في إثارة النزاع حول عرش السلاجقة ، حيث برزت مشكلة ولاية العهد (٥) ، فمن يخلف طغرلبيك على عرش هذه السلطنة الشاسعة ؟ وجاءت وفاة جفري بيك داود ، الأخ الأكبر لطغرلبيك سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م (٦) المبكرة ، سببا آخر من أسباب النزاع حول العرش

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٧ ، البنداري : آل سلجوق ص ٢١ .

(٢) وفاة على : الزواج السياسي ، ص ٩١ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٧-٩ ، الحسيني : أخبار ، ص ٢٣ ، البيهقي : مرآة الجنان ، ص ٧٧ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٢٨ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٠ .

(٤) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، ابن غري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، ويروي البنداري أن وفاة داود كانت ببلخ سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م وراجع : البنداري : آل سلجوق ص ٣٠ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، الحسيني : أخبار ص ٢٩ .

السلجوقي ، حيث أن داود قد مات تاركاً عدداً من الأنبياء ، أكبرهم ألب أرسلان الذى خلفه فى حكم خراسان ومرو وماوراء النهر^(١) .

وتطلع ألب أرسلان أن يلى حكم السلاجقة بعد وفاة عمه ، وأبيه^(٢) . وكان السلطان طغرلبك قد تزوج بأرملة أخته جفري بيك ، وكان لها ابن من جفري بيك هو سليمان^(٣) ، واستطاعت بحسن دهائها ، أن تؤثر فى طغرلبك ، وتجعله يختار ابنها سليمان ولياً لعهد على الرغم من صغر سنة الذى لم يتجاوز الرابعة ببضعة أشهر^(٤) .

وبعد وفاة طغرلبك ، نفذ وزيره - أبو نصر الكندرى - وصيته ، بأن يكون سليمان سلطاناً على السلاجقة ، وأجلس سليمان على العرش السلجوقى فى مدينة " الرى " (طهران الحالية) ، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه^(٥) ، متجاهلاً أخاه الأكبر ألب أرسلان الذى أبلى بلاءاً حسناً مع عمه طغرلبك^(٦) .

وهكذا برزت إلى الوجود مشكلة التنازع على العرش السلجوقى ، بصورة هددت كيان الدولة ، وهددت بحدوث اشتباك بين الطرفين ، خاصة أنه كان يساند ألب أرسلان رجل زكى ،

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ١ ص ١٨٠ ، لقب ألب : كلمة تركية معناها البطل قلب الأسد ، وهى شخصية كان لها شأن كبير فى المجتمع التركى ، وهى مرادفة لكلمة "باتور" ، وقد استعملت بين الشعوب التركية المختلفة منذ الأزمنة القديمة ، إما فى تركيب أسماء أعلام وإما ألقابها ، وهى ترد كثيراً فى أسماء الأعلام فى العهد الإسلامى أيضاً ، مثل (ألب أرسلان السلجوقى) وألب من حيث هى لقب - كان يستعملها الأمراء السلاجقة كلقب ، كما اتخذها أمراء الدول الإسلامية التى خلفت الدولة السلجوقية كلقب أيضاً ، أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ كتاب الشعب سنة ١٩٦٤ ، المجلد الرابع ، ص ١٦٣ ، ول ديورانت : قصة الحضارة ، (ج ٢) ، من المجلد الرابع ط ٣ القاهرة ، ١٩٧٤) ص ٣١٤ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، عبد النعيم حسنين : إيران والعراق ، ص ٥٤ .

(٣) ويتضح أن سليمان هذا لم يكن أخاً شقيقاً لألب أرسلان .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٦ ، ٢٩ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ .

فطن ، لبيب ، هو نظام الملك الطوسي^(١) وزيره^(٢) ، ولكن انتهت مشكلة العرش السلجوقي بحسم ألب أرسلان لها بسيفه ، فأصبح ألب أرسلان سلطانا على السلاجقة ، وأصبح سليمان أخوه وليا لعهد^(٣) .

وبعد جلوس ألب أرسلان على عرش السلطنة السلجوقية فى ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، برزت مشكلة جديدة وهى التنافس على عرش الوزارة السلجوقية ، بين وزيرين عظيمين هما عميد الملك الكندرى ، وزير طغرل بك ونظام الملك الطوسي وزير ألب أرسلان ، وقد انتهى هذا التنافس بقتل الكندرى بتحريض من نظام الملك الطوسي^(٥) .

وهكذا خلص عرش السلاجقة لألب أرسلان ، وخلصت الوزارة لنظام الملك الطوسي ، الذى سيلعب دورا رائعا فى تاريخ الدولة السلجوقية ، وأخذ السلطان ألب أرسلان بمساعدة وزيره الشهير ذائع الصيت ، أن يرتفع ببناء الدولة ، ويوسع حدودها ، وقد بلغ السلاجقة فى عهده وابنه ملكشاه من بعده ، أوج قوتهم وازدهارهم^(٦) .

ولكن ما أعلنت الخطبة باسم ألب أرسلان فى الرى فى ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، وما كاد هذا العام ينصرم ، حتى تجددت مشكلة سلطنة السلاجقة ، والمطالبة بعرشها ، ففى المحرم سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، أعلن " شهاب الدولة قتلش بن إسرائيل " ابن عم جفرى بيك ، أنه أحق بالسلطنة من ألب أرسلان فتوجه إلى الرى ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة^(٧) ، ولكن ألب أرسلان جهز جيشا قريبا ، ومعه وزيره نظام

(١) انظر : ترجمته فى الفصل الأول .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠-٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠ ، أهر الفداء : المختصر ج ١ ص ١٨٣ .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول الصراع على كرسى الوزارة السلجوقية أنظر : البندارى ، آل سلجوق ، ص ٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٧٦ محمد إقبال : الوزارة ص ٢٣-٥٢ .

(٦) حسنين : إيران والعراق ، ص ٥٧ ، إقبال : إيران ص ٢٤١ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٥ ص ٧٦ .

الملك الطوسي ، ونشبت معارك أنتهت بمقتل القائد المتمرد قتلمش ودخل ألب أرسلان الري ، وبذلك أصبح سلطانا على السلاجقة دون منازع ولا شريك^(١) .

ولكن لم يهنأ ألب أرسلان بفتح الري ودخولها ، وإعلان نفسه سلطانا على السلاجقة ، حتى قاد أخوه "قاورد بن جفري بيك داود" تمرد آخر عليه في كرمان ، وبسط سلطانه على شيراز^(٢) ، واعتصم بقلعة أصطخر^(٣) ، فسار إليه ألب أرسلان بجيش وهزمه ، وأمنه وأخذ منه القلعة^(٤) .

ولم يكد الأمر يستتب لألب أرسلان ، حتى فوجئ بفتنة أخرى ، قادها هذه المرة ، عمه (بيغو) أكبر السلاجقة سنًا^(٥) ، والى هراة الذي عز عليه أن يكون تابعا لابن أخيه ، فرفع عليه العصيان ، ولكن ألب أرسلان سار إليه بجيش ، وقاتله قرب هراة سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م^(٦) ، وانتصر عليه انتصارا حاسما ، تعهد بيغو بعده بطاعة ألب أرسلان^(٧) .

وهكذا استطاع ألب أرسلان القضاء على كل الحركات المناوئة له ، وبسط سلطانه على أرجاء الدولة السلجوقية ، واستتب له الأمر ، وتوطد سلطانه ، وذكر اسمه في الخطبة في جميع البلاد التي خضعت لسلطانه ، وأقطع البلاد للأمراء^(٨) ، وبدأ يعمل على التمكين لدولته الشاسعة ، وزيادة رقعتها^(٩) .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٢ ، ١٣ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) شيراز : بلد عظيم مشهور ، قصبة بلاد فارس في وسطها ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٣) أصطخر : قلعة حصينة عظيمة في مدينة بروشير ، ومن أعظم مدن كرمان ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٧ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ، ص ٣٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٢ ، ١٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٧٧ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٥) الرواندي : راحة الصدور ، ص ١٥٤ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٧) البنداري : آل سلجوق ، ص ٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٩) سهيل زكار : المدخل ص ٦٣ .

وكان عليه أن يحصل على تفويض من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، بالسلطنة ، ولتحقيق ذلك ، عمل ألب أرسلان كل ما في وسعه ، فقد كان يدرك أن زواج عمه طغرل بك ، من ابنة الخليفة العباسي قد تم دون رضا الخليفة ، فبادر في سبيل كسب رضا الخليفة إلى إرجاع ابنته إلى بغداد بعد أن منحها خمسة آلاف دينار ، لتستعين بها في العودة (١) .

ولقد فرح الخليفة العباسي فرحا شديدا بعودة ابنته ، ورحب برسل السلطان السلجوقي الجديد ومنحهم التقليد بالسلطنة ، وأمر أن تقام الخطبة للسلطان السلجوقي في مساجد بغداد ، وأن يكون لقبه (السلطان المعظم عضد الدولة ، وتاج الملة ، أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود) (٢) . ولم يحدث خلال الفترة التي حكم فيها ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥ هـ / ١٠٦٣-١٠٧٢ م ، ما يكدر صفو العلاقات بينه وبين الخليفة العباسي بل كان السلطان السلجوقي يؤثر أن تكون علاقته بالخليفة طيبة (٣) .

وهكذا حقق ألب أرسلان ما كان يرنو إليه ، وهو إضفاء الصفة الشرعية على دولته ، واكتساب الخليفة العباسي إلى جانبه ، ليتمكن بعد ذلك من تحقيق أهدافه ، وإكمال مسيرة عمه طغرل بك في تكوين سلطنة السلاجقة العظمى .

وحدد ألب أرسلان مع وزيره نظام الملك الطوسي ، سياسة الدولة السلجوقية ، التي كانت تنلخص في بسط نفوذ السلاجقة على مساحات أوسع ، وتأمين ما بأيديهم من أراض ، ونشر الإسلام في الممالك النصرانية المجاورة ، كبلاد الأرمن والروم ، الأمر الذي أكسب السلاجقة وحروبهم صبغة وطابع الجهاد الديني (٤) .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨ ، عبد الهادي محبوبة : مقال بعنوان "وثائق تاريخية من العهد الأول من حكم الدولة السلجوقية ، (مجلة معهد المخطوطات العربي ، المجلد العاشر ، ط ١ ، سنة ١٩٦٤) ص ١٠٠-١٠٣ ، وقد أقامت دار الخلافة العباسية حفلا رسميا لذلك حضره أعيان الدولة ، وكبار العلماء وفيه أنفذت الخلع والهدايا مع وفد السلطان إليه .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٨ .

(٣) الخالدي : النظم في العراق ، ص ١٨٧ .

(٤) عبد النعيم حسنين : إيران والعراق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

وبدأ السلطان السلجوقي ألب أرسلان في تحقيق أهدافه ، فبسط سلطانه على أذربيجان سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، ولم ينفذ ذلك العام حتى استولى على ختلان وهراة وصفغانيان (١) ، في الشمال الشرقي لدولته (٢) ، ثم سار إلى بلاد الكرج (٣) ، وتبعه ابنه ملكشاه ، ووزيره نظام الملك الطوسي ، واستطاع بسط سلطانه عليها (٤) .

وبذلك أمن ألب أرسلان حدود دولته ، وأطمأن من ناحية إخوته وأعمامه ، وهدأت الأمور الداخلية في دولته الشاسعة ، فصمم على تحقيق حلمه ، وهو محاربة الروم البيزنطيين ، فاتجه نحو بلاد الروم ، وفتح مدينة آنى (٥) البيزنطية بعد حصار طويل ، واستطاع دخولها ، وأدخل أهلها في الإسلام ، وقرئ كتاب الفتح ببغداد ، في دار الخلافة ، وعين عليها واليا من قبله (٦) وعاد إلى أصفهان ، ثم سار إلى كرمان ، ومنها إلى مرو (٧) .

وفي سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م سار ألب أرسلان إلى مدينة "جند" معقل الأسرة السلجوقية ، واستقبله أميرها ، وهاداه ، وفرض إليه حكمها (٨) ، وكانت هذه المدينة ذات أهمية خاصة

(١) ختلان ، وصفغانيان : ختلان ، كورة بما وراء النهر وهي بلاد وراء بلخ ، أهر الفداء : تقويم البلدان ، ج٢ ، ص ٥٠٠ ، الصفغانيان : كورة من بلاد ماوراء النهر ، تقع وراء نهر جيحون ، ويقال لها بالعجمية جفانيان ، أهر الفداء : تقويم البلدان ، ج٢ ، ص ٥٠٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، إقبال : إيران ص ٢٤٣ .

(٣) بلاد الكرج : مدينة تقع إلى الجنوب الشرقي من همدان ، ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ٢٣٠ .

(٤) ابن الجوزي المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٢٩ .

(٥) مدينة آنى : تقع آنى جنوب همدان بجوار بلاد الكرج بين خلاط وكنجه ، تقع على الشاطئ الأيمن من نهر أخوريان ، على بعد عشرين ميلا عند ملتقى هذا النهر بنهر الرس ، وهي ذات قلعة حصينة ، ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٦٥ .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول استيلاء السلاجقة على آنى : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان حوادث سنة ٤٥٦هـ ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ١٤ ، الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٣٤-٣٦ ، اليزدي : العراضة ، ص ٤٦ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٣٥ ، فايز اسكندر ، استيلاء السلاجقة على عاصمة البيزنطيين " آنى ، (دار الفكر الجامعي) اسكندرية ١٩٨٧م) ص ٧ - ٢٧ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٤ ، ١٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٤ ، ١٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٥ .

عند السلاجقة قبيل قيام دولتهم ، حيث أن جدهم الأعلى "سلجوق بن دقاق" مدفون بها ولهذا السبب يعود اهتمام ألب أرسلان بها (١) .

وفى سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م ، أحمد ثورة والى كرمان (قرا أرسلان) (٢) ، وخطب له والى حلب ، (محمود بن صالح المرداسى) على منابرها (٣) ، ثم سير وزيره نظام الملك الطوسى إلى بلاد فارس ، فاستولى على قلعة فضلون الحصينة (٤) وأخذ فضلون أسيرا إلى ألب أرسلان الذى عفا عنه (٥) ، وخطب له والى مكة والمدينة باسمه ، واسم الخليفة القائم بأمر الله العباسى (٦) . ثم وثق علاقته بالخلافة العباسية ، حينما تزوج ولى العهد (المقتدى) ابنة ألب أرسلان سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م (٧) ، كما وثق بالدولتين الغزنوية والخانية ، حتى يؤمن ظهره ، فلا يطعن من الخلف ، فربط دولة السلاجقة برباط المصاهرة مع هاتين الدولتين بأن تزوج أحد أبنائه ابنة السلطان إبراهيم الغزنوى ، وتزوج ابنه الأكبر ملكشاه ابنة (طمغاخ خان) ملك الخانيين ، وهيات هذه المصاهرة للسلطان ألب أرسلان أن يتفرغ لغزو بلاد الروم ببال هادى (٨) ، بعد أن أضفى على فتوحاته صبغة الجهاد فى سبيل الله ، ورفع راية الإسلام . وتمكن ألب أرسلان فى مدن السنوات الخمس (٤٦٠-٤٦٥هـ / ١٠٦٧-١٠٧٢م) من السيطرة على المناطق الواقعة بين بحيرتى وان وأورميا (٩) ، واخضاع بعض القلاع الحصينة المنيعة ، وأمن ظهره فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، وهراة ، وضم الكثير من بلاد الأرمن ، والكرج (جورجيا الحالية) وشد من أزره الخليفة العباسى وناصره ، وهنا عزم على تحقيق هدف أبعد ،

(١) براون : تاريخ الأدب : ص ٢٢١ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١ ، إقبال : إيران ص ٢٤٦ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٤٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٤٣ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٥ ، حسنين : إيران والعراق ، ص ٦٠ .

(٩) وان وأورميا : وان قلعة بين خلاط ونواحي تفليس من أعمال قاليقلا ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣٥٥ ، البندارى : آل سبلجوق ، ص ٤٠ ، أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة (الكويت ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٣ .

وهو فتح بلاد غير إسلامية أخرى ، ومنازلة الروم البيزنطيين فى جنوب بلاده وشرقها ، حتى يأمن خطرهم (١) .

(١) لم تكن حملات ألب أرسلان هى أولى المحاولات السلجوقية على العالم البيزنطى أو الإمارات الكرجية (جمهورية جورجيا الحالية) والأرمينية ، حيث تعرض إقليم فاسيور اكان (تاج البلاد الكرج) وملاذ كرد وآنى ، وإقليم طابيك لعمليات حربية قام بها إبراهيم ينال وغيره من قادة السلاجقة بتوجيه من طغرل بك أحيانا ، ومن تلقاء أنفسهم أحيانا أخرى ، فقد وصل إبراهيم ينال سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م إلى إقليم باسيان .

إحدى أقاليم أرمينية ، كما أغار على أرضروم (أرض روم) وعلى الأرمن كاريين ، وثيود بسيبوليس ، عند البيزنطى وهى أكبر مدن من بلاد قاليبلا ، بينها وبين ميفارقين ٤٢ كم (الأصطخرى : المسالك ، ص ١٩٤ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٤٩ ، ١٥٠) ، كما شن ينال حملة أخرى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م على أرمينية اكتسح فيها وادى باسيان مرة أخرى وكاريين ، وتمكن فى حملته هذه من إلحاق الهزيمة بالجيش البيزنطى فى معركة كاهوترو وكان يساند الجيش البيزنطى فى هذه المعركة مقام أرمينية أمثال ليباريت الذى يسميه ابن الأثير ملك الأنجواز ، ولم يجد الأمبراطور البيزنطى قسطنطين موناماخوس (١٠٤٢-١٠٥٥م / ٤٣٤-١٠٤٧م) لم حلا لأطلاق سراحه سوى الدخول فى مفاوضات مع طغرل بك أسفرت عن هدنة مدتها أربع سنوات بين الجانبين بالإضافة إلى إطلاق سراح الأكبر الكرجى ليبارات ، ولكن لم تستمر هذه الهدنة طويلا حتى قام ينال سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م بهجوم على قارص وهى مدينة كبيرة فى جورجيا تقع على مسافة ١٠ من تفليس عاصمة كرجستان (أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٠٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢١٦) ، وكان حملته بدون توجيه من طغرل بك بسبب الخلاف بينهما ، كما قاد طغرل بك فى نفس العام حملة ضد أرمينية البيزنطية حشد لها جيشا كبيرا زوده بالأفيال والعربات وآلات الحصار ، واستعمل طغرل بك أسلوب الحرب الدعائية فى حملته هذه عندما دعا إلى الجهاد المقدس ضد البيزنطيين ، ووصل إلى بحيرة فان وسهل أرضروم وسار نحو أرجيش (من أكبر مدن أرمينية تقع على الساحل الشمالى لبحيرة فان) ، وحاصر ملاذكرد ولكنه رفع عنها الحصار وعاد إلى أذربيجان ، وعلى الرغم من عدم نجاح طغرل بك فى الاستيلاء على ملاذكرد إلا أن البيزنطيين أخذوا يحسبون له ألف حساب نظرا للأثر التدميرى الذى خلفته حملات السلاجقة على الأقاليم التى هاجموها ، لمزيد من التفاصيل راجع ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٢ ومابعدها لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٦ ، ومابعدها ، عبد الرحمن العبد الفنى ، موقف البيزنطيين ص ٣٤-٣٦ بلاد الكرج : (كرجستان) (جورجيا الحالية) وتسمى أيضا إبخازيا وعاصمتها تفليس وتقع فى أعالي نهر الكر ، وقد أكثر من وصفها الجغرافيون المسلمون ، إنظر : الأصطخرى : المسالك ، ص ١٨٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٨٢ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢١٦ .

موقعة ملاذكرد وانتصار السلاجقة :

وبدأ ألب أرسلان تنفيذ الخطة ، فتوجه إلى أصفهان ومنها إلى كرمان ، حيث استقبله أخوه قاورد بالحفاوة والترحاب ، وجدد له الولاء بالبيعة والطاعة وحماية حدود الدولة من جهة الجنوب^(١) .

كل هذا آثار حفيظة الإمبراطور البيزنطى أرومانوس ديوجنس الرابع (٤٦٠-٤٦٣هـ / ١٠٦٨-١٠٧١م) ، الذى صمم على أن يقود حملة مضادة لمناهضة أعمال السلطان السلجوقى^(٢) ، ولوقف الفتح السلجوقى عند حد ، فأقبل الإمبراطور البيزنطى فى جيش كثيف إلى الشام وهاجم (منبج)^(٣) ، ونهبها وقتل أهلها^(٤) ، ثم أغار على حلب^(٥) .

وفطن السلطان ألب أرسلان إلى هدف الإمبراطور البيزنطى ، فأرسل بعضا من جيشه بقيادة ابنه ملكشاه لغزو الأجزاء الشمالية من الشام ، وفتح حلب ، وينقذ جيش السلاجقة من خطر التطويق^(٦) ، وتمكن الجيش السلجوقى من إخضاع حلب للدولة العباسية ، وحاصر دمشق ، وهكذا مهد الطريق أمام سقوط الشام من يد الفاطميين^(٧) .

واهتدى "رومانس الرابع" إلى فكرة تضمن له الانتصار والقضاء على دولة ألب أرسلان ، خاصة بعد فشله فى حلب ومنبج ، وبلاد الشام ، فجمع جيشا جرارا من أجناس مختلفة

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٥ .

(٢) ابن القلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٨ ، إقبال : إيران ص ٢٤٦ .

(٣) منبج : تقع بين حلب ونهر الفرات شمالى بلاد الشام ، ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (بيروت ١٩٧٩) ط ٢ ، ١٩٨٦م ، رحلة ابن جبير ص ٢٢٣ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، وعن سقوط منبج أنظر :

Charanic ; p., The Armeniana in the Byzantine Empire Lisbc, 1936, p. 191 .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٠ .

(٥) ابن القلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٨ .

(٦) عبد النعيم حسانين : إيران والعراق ص ٦١ .

(٧) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٤١ ، ٤٢ .

من الروم ، واليونان والفرنجة ، والغز ، والروس ، والكرج والبلغار ، وغيرهم^(١) وكان هدف الإمبراطور واضحا وهو أن تأخذ حربه في آسيا الصغرى صيغة الحرب الصليبية ، وأن تكون نتيجتها القضاء على السلاجقة ، والعالم الإسلامى معا^(٢) .

وعسكر الجيش البيزنطى بقيادة إمبراطوره فى ملاذكرد وحشد السلطان السلجوقى ألب أرسلان جيشا كبيرا ، انقض به على مقدمة الجيش البيزنطى الكثيف العدد فهزمه ، وطلب السلطان السلجوقى الصلح على الرغم من نصره فى البداية ولكن الإمبراطور البيزنطى رفض الصلح فى صلف وكبرياء ، مما أثار حفيظة ألب أرسلان وجنوده ، وغيرتهم على الإسلام^(٣) .

وأيقن السلطان ألب أرسلان أن الروم يريدون القضاء على دولته ، فأعلن بين جنوده أن الإسلام فى خطر ودعاهم إلى الاستماتة فى القتال ، وصبغ حروبه بصبغة الجهاد الدينى وألهب حماس جنوده^(٤) .

والتحم الجيشان فى معركة فاصلة ، انتهت بهزيمة ساحقة للجيش البيزنطى وأسر الإمبراطور البيزنطى نفسه^(٥) بعد قتل وأسر العديد من جنوده^(٦) ، وعامل السلطان السلجوقى ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية (القاهرة سنة ١٩٦٣م) ج ١ ، ص ٨٢-٨٨ ، أحمد عبد الكريم سليمان : المسلمون والبيزنطيون (القاهرة سنة ١٩٨٢) ج ١ ص ٣٢٥ ، ستيفن نسيان : تاريخ الحروب الصليبية (بيروت ، ١٩٨١م) ج ١ ص ١٠٧-١٠٩ .

(٢) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٣٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧ ، البندارى : آل سلجوق : ص ٤٠ ، ٤٢ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ ، اليزدى : العراضة ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

Vesilliev : A history of the Byzantine Empire Madison, 1961, Vol. I. p. 32-33 .

(٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان حوادث سنة ٤٦٣هـ / ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٢٣ ، أحمد الشامى : العلاقات ص ٣٤ ، ٣٥ ، فايز نجيب اسكندر : البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى موقعة ملاذكرد (الإسكندرية سنة ١٩٨٣) ص ١٣ وما بعدها .

أسيره الإمبراطور أحسن معاملة كما أجمعت المصادر الإسلامية والبيزنطية والأرمينية^(١) .
وكان أول إمبراطور بيزنطى يأسره المسلمون .

وتعتبر موقعة ملاذكرد ، من المواقع الفاصلة فى التاريخ الإسلامى بأسره ، فقد كانت ذات أهمية كبيرة ، ونقطة تحول هامة فى التاريخ الإسلامى بصفة عامة ، وتاريخ السلاجقة بصفة خاصة ، وفى تاريخ المشرق ، ومنطقة غرب آسيا أيضا^(٢) ، حيث أنها فتحت الطريق أمام السلاجقة لفتح آسيا الصغرى ، وكانت فاتحة للصراع بين الشرق والغرب ، فى شكل حروب مستعرة باسم الحروب الصليبية على المشرق الإسلامى منذ سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م^(٣) .

ويسرت ملاذكرد الطريق للقضاء على النفوذ الرومانى فى أكثر أجزاء آسيا الصغرى ، وبقية الأجزاء الشرقية من بيزنطة التى لم تعد تستطيع الصمود فى وجه التوسع السلجوقى فى آسيا الصغرى ، مما أتاح تكوين دولة سلجوقية فيما بعد ، عرفت باسم سلاجقة الروم ٤٧٠-٦٩٦هـ / ١٠٧٧-١٢٩٦م . والتى أسسها خلفاء قتلش بن إسرائيل بن سلجوق^(٤) .

ولقد غيرت هذه الموقعة الخريطة السياسية لآسيا الصغرى ، وحولتها إلى الحضارة الإسلامية الخالصة ، وأخذ سكانها يدخلون فى الإسلام ، ويتعلمون مبادئه ، ويلزمون بأحكامه فى سلوكهم ومظاهر حياتهم ، وتحولت لغتهم إلى اللغة الفارسية لغة الجنود الفاتحين ، واللغة التركية لغة السلاطين الحاكمين ، واللغة العربية لغة الإسلام دين رب العالمين^(٥) .

ومن نتائج ملاذكرد تقلص ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية فى جنوب إيطاليا على يد النورمان^(٦) ، وبعدها نشبت حرب أهلية فى القسطنطينية بين مناصرى الإمبراطور المهزوم

(١) فايز اسكندر : نفسه ص ١١٤-١١٥ ، ستيفن رنسيمن : الحروب الصليبية ، ج ١ ص ١٠٩-١٢٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٩ ورقتى ٣٧٤-٣٧٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ .

(٢) أحمد الشامى : العلاقات ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) حسن محمود : العالم الإسلامى ، ص ٥٨٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٨٢-٨٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٤٨ ، إقبال : إيران ص ٢٤٨ يلمازاووتوتا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة ترجمة عدنان سليمان ، ج ١ ، (استنابوب ١٩٨٨م) ص ٦٧ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٧٤ ، حسنين : إيران والعراق ص ٦٥ .

(٦) حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٨٣م) ص ١٩٠ وما بعدها .

الذى خلع من منصبه فور هزيمته وبين أنصار المتريع على العرش (ميخائيل السابع فوقاس)^(١) ٤٦٤-٤٧١هـ/١٠٧١-١٠٧٨م . واستمرت عشر سنوات حتى تولى الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) عرش الإمبراطورية^(٢) . ولقد كانت ملاذكرد بالنسبة للسلاجقة هي التاج الذى توج سلاطين تلك الدولة ، وأحس العالم بعدها بقوتهم ، وحسب لهم ألف حساب^(٣) .

ولقد كانت فرحة الخليفة العباسى القائم بأمر الله بانتصار ملاذكرد لاتوصف ، حيث استقبل هذا الانتصار بحفاوة بالغة وغامرة ، وأرسل يهنئ السلطان السلجوقى ، ويخلع عليه الألقاب فأرسل إليه كتابا يهنئه بالفتح ويلقبه بقوله (الولد السيد الأجل ، المؤيد المنصور المظفر السلطان المعظم ، مالك العرب والعجم ، وسيد ملوك الأمم ضياء الدين ، غياث المسلمين ظهير الإمام ، كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين ، حرس الله تمهيده ، وجعل من الخيرات مزيده)^(٤) .

نهاية ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م :

وبعد عامين فقط من موقعة ملاذكرد ، وفى العاشر من ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ/ نوفمبر سنة ١٠٧٢م ، كانت نهاية هذا البطل المغوار ، والسلطان القوى ، والقائد البطل ، وهو فى الرابعة والأربعين من عمره^(٥) ، حيث لم يعيش طويلا ليبنى ثمرة هذا النصر العظيم ، وليواصل فتوحاته فى بلاد الروم ، حيث قتل السلطان ألب أرسلان شر قتله على يد أحد الثائرين^(٦) .

(١) ميخائيل دوقاس : هو الأبن الأكبر للإمبراطور البيزنطى قسطنطين العاشر وايدوكيا ، شغل عرش بيزنطة من كانت امبراطوريته فى أمس الحاجة إلى قائد عسكري يضع حدا لهجمات السلاجقة ، انظر : فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية (الإسكندرية سنة ١٩٨٧م) ص ٤ حاسية رقم (٦) .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ٨٢-٨٨ ، السيد الباز العرنى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية (القاهرة ، ١٩٦٣) ص ٧-١٠ .

(٣) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٧٤ ، أحمد سليمان : المسلمون والبيزنطيون ص ٣٢٥ .

(٤) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٥٣ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٥ .

ففى أوائل عام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م سار ألب أرسلان إلى بلاد ماوراء النهر ، فوصل جيحون على رأس جيش تعداده مائتا ألف فارس ، حيث عبر نهر جيحون ، يريد محاربة الخارجين عليه أثر فتنة ظهرت فى بلاد ما وراء النهر حيث أصهاره الخاينون ، حيث ساءت العلاقات بينه وبينهم بعد وفاة (طمغاج خان) والد زوجة ابنه ملكشاه سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، فقد حاول ابنه (شمس الدين نصر) أن يستقل عن السلاجقة ، بما اضطر السلطان إلى التوجه إليه واستطاع فعلا حصار الكثير من القلاع وفتحها (١) .

وهاجم ألب أرسلان إحدى القلاع المتمردة ، وهى قلعة خوارزم ، واستولى عليها ، وقبض على قائدها المسمى "يومي الخوارزمي" أو يوسف البرزمي كما كانت تسمى القلعة (٢) ، وجلبوا هذا الأسير إليه ، وأوثقه بالحبال ، وشتم هذا الأسير السلطان ألب أرسلان (٣) بأقبح الكلمات ، فصمم السلطان على قتله بنفسه ، ولكن سهمه أخطأ لأول مرة فهجم عليه الأسير فضربه فى خاصرته (٤) بسكين كان يخفيها فى ملابسه ، ولم يستطع أحد من الحراس التدخل بسرعة لضرب الأسير (٥) وبعدها بأربعة أيام مات السلطان ألب أرسلان (٦) ودفن فى مدينة مرو بجوار أبيه ، وعمه طغرل بك بعد أن حكم تسعة أعوام ونصف تقريبا (٧) .

وليس من شك أن ألب أرسلان قد استطاع أن يوطد دعائم دولة السلاجقة ، ويوسع رقعتها حتى امتدت إلى أقاصى بلاد ماوراء النهر ، وأقاصى بلاد الشام ، وآسيا الصغرى بعد نصره على البيزنطيين ، ولقنهم درساً فى فن الحرب أجبرهم على دفع جزية سنوية للسلاجقة (٨) .

(١) الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٣ ، ٥٤ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٥ ، وفى راحة الصدور للراوندى ص ١٨٨ (ترزمي) .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٧ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٢٣ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٥ .

(٥) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٢٤ ، وتمكن فراش أرمنى من قتل يوسف الخوارزمي بمزیده كان يحملها فضربه على رأسه فقتله ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٥ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ص ٤٩ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٧٠ ، حسنين : إيران والعراق ، ص ٧٣ .

هكذا انتهى عصر السلطان ألب أرسلان ، بعد أن أقام لخلفائه دولة قوية ، ثابتة البنيان ساعده في تشييدها وزيره نظام الملك الطوسي ، الذي اشترك بحسن سياسته ، ودقة تدبيره في إنجاح أهداف السلاجقة ، فلم تضع مجهودات ألب أرسلان سدى بعد وفاته^(١) .

وكان السلطان ألب أرسلان ، قد أوصى وزيره نظام الملك الطوسي ، بأن يكون ابنه "ملكشاه" ولي لعهد^(٢) ولقبه به (معز الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين) ودره وهياه لهذا الغرض ، واشركه معه في حروبه ، فقد كان مع والده في حملته التي قتل فيها لتأديب الخانيين^(٣) ، ورجع على رأس جيش السلاجقة إلى نيسابور^(٤) ، وكان والده قد سيره مع وزيره نظام الملك إلى بعض القلاع البيزنطية (قلعة سرمارى)^(٥) ، وأتما فتحها^(٦) .

سلطنة ملكشاه :

وآلت السلطنة السلجوقية إلى ملكشاه بناء على تلك الوصية ، وكان ملكشاه في السابعة عشرة من عمره فاتخذ نظام الملك الطوسي وزيرا له ، يعاونه في إدارة شئون الدولة^(٧) ، وكتب إلى حكام الأقاليم والأطراف بذلك حتى يطيعوا أمره ويخضعوا له^(٨) واختار السلطان ملكشاه مدينة مرو حاضرة للملكه ولكن شرف الملك أبو سعد المستوفى أشار على نظام الملك بالانتقال إلى نيسابور فنقل إليها السلطان^(٩) . ولما اطمأن ملكشاه إلى خضوع أمراء السلاجقة له ، رأى أنه في حاجة ماسة إلى اعتراف الخليفة العباسى بدولته وسلطنته ، فأرسل إلى دار الخلافة يبلغها بوفاة والده ، ويطلب من الخليفة القائم بأمر الله العباسى تفويضاً

(١) حسنين : إيران ، ص ٦٢ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ١٦-٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١١٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ص ٦٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٧٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ ، الحسينى : أخبار ، ص ٥٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١١٩ ، حسنين : إيران والعراق ، ص ٦٣ .

(٥) قلعة سرمارى : قلعة عظيمة وولاية واسعة تقع بالقرب من بخارى ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٧٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٤ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٨) حسنين : إيران والعراق ، ص ٦٣ .

(٩) أبو الفداء : المختصر ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٢٤ .

بحكم البلاد ، وذكر اسمه فى الخطبه^(١) ، فوافق الخليفة العباسى وأعطاه اللواء بعد أن عقده بيده^(٢). وهكذا استقام الأمر لملكشاه ، فتوجه من نيسابور إلى الرى ليكمل مابدأه أبوه^(٣) .

ولكن مشكلة الأحقية بعرش السلاجقة بدأت تطل برأسها من جديد ، حيث قوبل ملكشاه بمؤامرة قادها عمه قاورد ابن داود^(٤) وإلى كرمان ، الذى أيقن أن حلمه القديم قد أصبح ممكنا بعد وفاة أخيه ألب أرسلان فأعد جيشا كبيرا سار به من كرمان عابرا نهر جيحون ، وأرسل إلى ملكشاه يحذره منه بقوله (أنا الأخ الكبير وأنت الولد الصغير وأنا أحق منك بميراث أخى السلطان ، فأجابه السلطان ملكشاه "الأخ لا يرث مع وجود الابن"^(٥) .

وصمم نظام الملك الطوسى والسلطان ملكشاه على محاربة قاورد ، والتقت قوات الفريقين على مقربة من همذان فى السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، ودارت معركة كبيرة ، تمكن فيها ملكشاه ومعه وزيره نظام الملك ، وبمساعدة أمراء العرب والأكراد من هزيمة عمه "قاورد" وتشيت شمل جنده ، ثم أسر قاورد الذى أمر السلطان بقتله^(٦) ولكنه أبقى كرمان بيد سليمان شاه بن قاورد^(٧) وتوارثها أبناؤه إلى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٢٧ . الراوندى : راحة الصدور ص ١٩١ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٤ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٩١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ط ١ (دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٢م) ج١٦ ، ص ١٤٥ ، حسنين إيران ، ص ٦٣ .

(٤) قاورد بن داود : هو عماد الدين قرا أرسلان قاورد كان يلى كرمان بعد استيلائه عليها سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م وكان خاضعا للسلطان ألب أرسلان ، وسبق لقاورد العصيان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، وسنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م على أخيه ألب أرسلان ، وخلع عليه الطاعة ، وقطع له الخطبة مطالباً بأحقية بالسلطنة ، ولكن ألب أرسلان أخضعه ثم صالحه ، وفوض إليه حكم هذا الأقليم ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٨ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٢٠ ، أدریس : تاريخ العراق ، ص ١٤٥ هامش (٨٠) .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٨ ، عباس إقبال : أخبار الدولة السلجوقية طهران ١٤٥٣هـ) ص ٥٦ .

(٦) أفضل الدين أهر حامد كرماني : تاريخ أفضل بدائع الأزمان فى وقائع كرمان (إيران - طهران ١٣٢٦هـ) ص ١٠ .

(٧) حمد الله المستوفى القزوينى : تاريخ كزیده ، ص ٩٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٦ ، وسميت دولتهم باسم سلاجقة كرمان .

وبعد تخلصه من فتنة عمه قاورد ، نظم دولته ، وفوض الولايات على الأمراء فأسند ولاية فارس إلى الأمير ركن الدولة قتلج تكين وخلع على أخيه شهاب الدولة تتش ، وولاه بلخ وطخارستان^(١) ، كما عين بوري برس بن داود والياً على هراة ونواحيها^(٢) ، وأتخذ من أصفهان حاضرة للملك ، لما امتازت به من عذوبة الماء ، وطيب الهواء والحصون المحكمة^(٣) .

وبعد نظر رسم نظام الملك سياسة السلاجقة الخارجية ، فقد جعل أهم أهدافهم فتح الولايات غير الإسلامية الواقعة في شمال غربى إيران ، وفى آسية الصغرى^(٤) ، والشام ، ومصر ، وبلاد ماوراء النهر ، ولقد نفذ السلطان ملكشاه هذه السياسة الخارجية التى رسمها وزيره ، بعد أن أحمده الفتن الداخلية فى دولته ، وأعطى سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م لوزيره نظام الملك حق إخماد فتنة الجند ، فنجح نظام الملك لنجاحا عظيماً فى إخمادها ، استحق عليه لقب (أتابك)^(٥) ، ومعناه الأمير الوالد^(٦) - إلى جانب تفويض الأمور كلها إليه من قبل

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٧ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٩ ، عباس إقبال : أخبار الدولة ، ص ٥٧ .

(٣) ناصر خسرو : ناصر القباديائى "سفر نامه ، نقله للعربية يحيى الخشاب (القاهرة سنة ١٩٤٥م) ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م ، ترجمة د/ أحمد خالد البدلى (جامعة الملك سعود ، الرياض سنة ١٤٠٣) ط . القاهرة ، ص ١٥٤ وما بعدها ، ط . الهيئة ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤) عبد النعيم حسنين : إيران والعراق ، ص ٨٠ .

(٥) أتابك : كلمة "أتابك" تركية الأصل ومن بقايا عادات التركمان القديمة ، وهى مركبة من لفظين (أتا) أو "أطاً" بمعنى مرب ، وبك ، بمعنى أمير ومعناها معا مربى الأميرة أو الأمير الوالد ، وكانت لقباً يطلق على الأمراء والقواد العسكريين الذين يعهد إليهم بتربية أبناء سلاطين السلاجقة ، وتعليمهم وتدريبهم على شؤون الحكم ، وفنون الحرب ، ويعتبر الوزير نظام الملك أول من تلقب بهذا اللقب من وزراء وقواد السلاجقة ، راجع : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة "أتابك" ج ١ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، براون : تاريخ الأدب فى إيران ص ٢٢٦ ، أحمد الشامى : العلاقات ص ٤٥ ، وكان هذا اللقب من أرفع الألقاب فى بداية التلقب به ، ثم أصبح بعد ذلك كثير الشيوع والذيع حتى عرفت به دول الأتابكة فيما بعد التى استقلت بالحكم عن السلاجقة ، وكان هذا اللقب إذا منح لأمير ما يكتسب صفة الدوام ولو انقطع صاحب اللقب عن القيام بوظيفته ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية (القاهرة ١٩٧٨م) ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٨ .

السلطان ملكشاه حينما قال له "قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت الوالد وحلف له (١) ، وأقطعه إقطاعاً زائداً على طوس مدينة نظام الملك مسقط رأسه (٢) .

سياسة ملكشاه الخارجية :

استغل حكام ما وراء النهر فترة عدم الاستقرار التي أعقبت وفاة السلطان ألب أرسلان ، وتولى ملكشاه السلطنة ، فتمردوا عليه ، وخلعوا طاعته ، فعزم على تأديبهم (٣) ، فتوجه في المحرم سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م ، إلى بلخ بعد شكوى أهلها إليه من والى "ترمذ" (٤) (الخاقان (٥) شمس الملك) ، واستطاع ملكشاه ، بمسانده وزيره نظام الملك استرداد قلعة (ترمذ) ، وبلغ إلى ملكه (٦) .

وفي سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، استقل والى خوارزم بها ، ولكن ملكشاه أجبره على الدخول في طاعته (٧) ، كما أتم فتح سمرقند وبخارى سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م معه وزيره نظام الملك ، بعد شكاه له علماؤها من ظلم واليها (٨) ، وعين على سمرقند الأمير العميد أبا طاهر

(١) ابن الأثير : الكامل ، ط . بيروت ، ج ٨ ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٩٧ ، إدريس : العراق ، ص ١٤٦ .

(٣) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٢٨ .

(٤) ترمذ : مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون ، الذي كان حداً حصينا لها ، وكانت مجاورة لبلخ ومتصلة بها وكذلك متصلة بالصفغانين ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٥) لقب الخاقان : لقب تركي يطلق على شيوخ الأمراء في قبائل الترك منذ القرن الأول أو الثاني الهجري ، ومعناه الرئيس ، وربما قيل أيضاً (قان) أو "خان" ، وأطلق أيضاً على الولاة والحكام من المغول ، ودخل هذا اللقب في العالم الإسلامي عن طريق خانات التركستان ، حكام بخارى وهو تعريب للقب (قاعمان) التركي الذي كان يطلق على ملوك من تسموا بالأتراك في القرنين السادس والسابع من الميلاد ، وأصل اللقب (قان قان) ، أي (قان القان) أو "قان القانات" ، وأطلق هذا اللقب في الإسلام على رؤساء الترك من المسلمين ، راجع حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ص ٢٧١ ، إنستاس الكرملى : النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، ط ٢ (القاهرة ١٩٨٧م) ص ١٥١ .

(٦) الحسيني : أخبار الدولة ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٩٥ .

(٧) البنداري : آل سلجوق ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، زامبور : معجم الأنساب ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٨) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ، ص ٦٨ ، أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٤٠ .

عميد خوارزم ، ثم سار إلى كاشغر^(١) ، وأجبر حاكمها على إقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ، فأقره ملكشاه على ملكه^(٢) .

وحتى يشعر نظام الملك العالم كله آنذاك ، وخاصة العالم المسيحي (البيزنطى) بقوة واتساع نفوذ السلاجقة أمر أن يرسل إمبراطور الروم الجزية المفروضة على بلاده منذ "ملاذكرد" إلى كاشغر بدلا من أصفهان عاصمة ملكشاه وأن يرسل الملاحون الذين يعملون فى نهر جيحون الرسوم المقررة عليهم إلى أنطاكية ، حتى يظهر مدى اتساع ملك السلاجقة^(٣) .

ومرة أخرى تمردت قبائل الأتراك بالقرب من سمرقند ، بحجة أن مرتباتهم لم تصل إليهم^(٤) ، وانضم إليهم أمير فرغانة^(٥) ، فعول ملكشاه ووزيره نظام الملك إليهم ، وأخمدت الثورة وعاد الجميع إلى طاعته ، وبذلك استقرت له أحوال بلاد ماوراء النهر^(٦) .

وفى بلاد الشام واصل ملكشاه فتوحاته التى كان قد بدأها فى عهد أبيه أرسلان سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م إبان انشغال والده بإخضاع الروم والأرمن والكرج فى ملاذكرد ، وكان ملكشاه قد حقق بعض النصر ووصل به الحد لدخول بيت المقدس سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ، كما خضع له والى حلب^(٧) ، مما شجعه على التوجه نحو القاهرة وحاصرها سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م بعد توليه السلطنة ، غير أنه لم يستطع فتحها ، لاستماتة الفاطميين

(١) كاشغر : مدينة فى وسط بلاد الترك ، قريبة من سمرقند ، ياقوت ، معجم البلدان ج٤ ، ص ٤٣٠ . وكاشغر مدينة فى نقطة التقاء عدة طرق بين الجبال المرتفعة بين أفغانستان وتركستان والصين ، كانت لها أهمية كبيرة منذ القدم فى التجارة ، وكانت تتكون من قسمين يسمى الأول (كهنة شهر) والثانى (يكى شهر) ويتصلا عن طريق جسر كانت المدينة محاطة بخندق وسور ، ولقد ضربت كاشغر القديمة فى أثناء الحرب مع السلطان سعيد سنة ١٩١٩ ، وتأسس بدلا منها القسمسمى الآن "كهنة شهر" وأهلها يعرف كل واحد منهم باسم الكشغرى وهم يعملون بالزراعة والتجارة والمدينة مشهورة بمزارعها الكثيرة وصناعة السجاد .

انظر : شمس الدين سامى : قاموس الأعلام ، جلد ٥ و استانبول ١٣١٤هـ ، ص ٣٨٠٩ - ٣٨١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٤٢١ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٤٦٣ ، عبد المنعم حسانين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٦٣ ، ٦٤ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٣ .

(٥) فرغانة : ناحية عظيمة وراء أرض الشاش بما وراء النهر ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٦٤ .

(٧) ابن ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٣٨٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

فى الدفاع عنها ، فارتد جيش السلاجقة إلى الشام ، ولم يفكر فى غزو مصر ثانية ، ولكنه حرص على انتزاع بلاد الشام من أيدي الفاطميين (١) .

ففى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م وبمجرد اعتلائه السلطنة ، عهد ملكشاه إلى آتسز التركى (٢) بالاستيلاء على دمشق ، فتوجه إليها ولكنه هزم على يد الفاطميين ، ولكنه استطاع فتحها سنة ٤٦٧هـ / ١٠٨٣م (٣) ، كما أعد آتسز التركى هذا جيشا آخر من التركمان والعرب قاصدا مصر سنة ٤٦٩هـ / ١٠٨٥م ، فتوغل فى البلاد المصرية دون أن يصادفه مقاومة تذكر ، مستغلا فرصة انشغال بدر الجمالى (٤) فى إخماد ثورات فى صعيد مصر ، وهزمه بدر الجمالى ، ولم تتكرر المحاولة ثانية (٥) .

(١) ابن القلاسى : ذيل ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، أهر الفداء : المختصر ج٢ ص ١٤٩ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ص ٦٥ .

(٢) آتسز : كلمة تركية معناها من لا اسم له ، آت بمعنى اسم ، وسيز أداة تجريد ، وهو لقب يطلقه الأتراك على أحد أبناء الشخص المتوفى ، حتى تكتب له الحياة حسب اعتقادهم ، راجع : النظام العروض السمرقندى : جهاز مقالة ، ص ٤٩ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤٩ . ويعرف باسم اتسز من أوق وهو مقدم الأتراك الغز بالشام ، وكان أحد قادة السلطان ألب أرسلان ، وقصد فى عهده فلسطين فافتتح الرملة وبيت المقدس ، وطرده الفاطميين منها للمزيد من التفاصيل راجع ، صلاح الدين المنجد : ولاية دمشق فى العصر السلجوقى ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر ، ج٣ ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨١م) ص ٤ ، ٥ ، ١٧ .

(٣) أهر الفداء : المختصر ج١ ص ٢٠٠ ، المقرئى : انعاظ الحنفا ج٢ ص ٣١٥ .

(٤) كان بدر الجمالى مملوكا أرمينيا للأمير جمال الدين بن عماره ثم أخذ يترقى فى المناصب حتى أظهر كفاءة فى الحرب التى قامت فى بلاد الشام حتى ولى إمارة دمشق من قبل الخليفة المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ، وأخذ يحارب الأتراك فى تلك البلاد ولم يلبث أن أصبح من أقوى قوادها ثم تولى نيابة عكا سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م ، وعندما حدثت الشدة المستنصرية فى مصر سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م ، والتى استمرت سبع سنوات استدعى المستنصر بالله "بدر الجمالى" وولاه الوزارة الفاطمية فى مصر ، وأعاد الأمر إلى طبيعته ، ولعب دور كبير فى تثبيت الفاطميين فى مصر ، وقاد جيوشهم خارج القاهرة ، وكان لولده الأفضل بن بدر الجمالى دورا كبيرا فى الدولة الفاطمية حتى عرف عهدهم بعهد نفوذ الوزراء الفاطميين ، راجع : جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر (القاهرة ، دار الفكر العربى سنة ١٩٧٤م) ص ١٠٧ وما بعدها ، المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى (دار المعارف بمصر بدون) ، ص ٢٧٠-٢٧٢ .

(٥) ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف) ، تاريخ مصر ، (القاهرة سنة ١٩١٩م) ص ٢٢ ، ٢٥ ابن القلاتى : تاريخ دمشق ص ١٠٩ ، البندارى ، آل سلجوق ص ٧١ .

وأقر ملكشاه أخاه "تاج الدولة تتش" على بلاد الشام سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، وسمح له بفتح ما يستطيع فتحه من الأقاليم المجاورة له ، وضمه إلى حوزة السلاجقة^(١) ، فتوجه تتش إلى حلب سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م ليردها إلى منطقة نفوذه^(٢) ، وكاد تتش يفلح في ضم حلب ، لولا أن الفاطميين هاجموا دمشق ، وأرسل حاكمها يستنجد بتتش ، فأسرع تتش لنجده ، مما اضطر الجيش الفاطمي إلى الانسحاب دون قتال ، ودخل تتش دمشق دخول الظافرين سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م ، واتخذها مقر لحكمه ، وأسس فيها دوله "سلاجقة الشام" ، وحاول أن يحسن سيرته ، ويعدل في حكمه^(٣) .

وفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م تمكن تتش من دخول حلب ، بعد أن أصبحت بلاد الشام مركز للصراع بين حكامها^(٤) ، وواصل نواب ملكشاه تنفيذ سياسته في بلاد الشام ، وفتحوا البلاد باسمه ، وأقيمت له وللخليفة العباسي المقتدى بأمر الله العباسي^(٥) ٤٦٧هـ—٤٨٧هـ/١٠٧٥—١٠٩٤م على منابر طرابلس^(٦) ، وطرسوس^(٧) ، وديار بكر^(٨) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٦ ، حسانين : سلاجقة إيران ص ٦٥ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٠ وما بعدها .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤١٨ ، حسانين : سلاجقة إيران ص ٦٥ ، ٦٦ ، حلمي : السلاجقة ص ٢٨ .

(٤) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوط حوادث ، سنة ٤٧٤هـ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢٦ ، كما استولى تتش على حران ، والرها ونقش السكة باسمه فيها ، وانطرطوس وبعضا من الحصون .

(٥) كان الخليفة القائم بأمر الله العباسي ، قد توفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م ، وخلفه في الخلافة العباسية حفيده المقتدى بأمر الله عبد الله محمد بن القائم (بايعه القضاة والأمراء والوزير ابن جهير ، وكان الذخيرة أبو العباسي محمد بن القائم قد توفي أيام أبيه ولم يكن له غيره ، وسير فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة ، وأرسل السلطان البيعة ومعها الهدايا العظيمة للخليفة ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٦) طرابلس : يقال لها أطرابلس ، وتسمى أيضا مدينة إياس ، وقيل معناها الثلاث مدن ، تقع على شاطئ البحر المتوسط ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٧) طرسوس : قيل أنها كلمة عجمية رومية ، بناها سليمان خادم هارون الرشيد العباسي سنة ١٩٤م/٨١٩م ، وهي مدينة بشفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٨) ديار بكر : ديار واسعة كبيرة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن نزار ، تقع غرب نهر دجلة ، قريبة من حصن كيفا وأمد رميا فارقين ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩٤ .

وفى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م سلم والى قلعة بعلبك القلعة إلى "تاج الدول نقش" (١)، وعهد السلطان إلى قسيم الدولة أقسنقر (أحد أقرانه) (٢)، بالاستيلاء على ديار بكر وما يجاورها، وأن يجلى بنو مروان عنها، فأتم الاستيلاء عليها، وطلب السلطان إلى الوزير فخر الدولة بن جهير (٣) الذهاب إلى الموصل فأتم الاستيلاء عليها (٤).

وفى آسيا الصغرى كانت تطلعات ملكشاه هى نفسها تطلعات والده السلطان ألب أرسلان، لأنه كان يرى - شأنه شأن والده - أن فتح بلاد الروم له أهميته البالغة، إذ عن طريق فتحها يمكنه السيطرة على الشام ومصر. والقضاء على النفوذ الفاطمى، وأن يجعل العالم الإسلامى بأسره خاضعا لقيادة واحدة، وأن يجعله قادرا على التكتل على المسيحية وهزيمتها وكف يدها عن بيت المقدس (٥).

ففى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م عين ملكشاه أحد أقاربه وهو "سليمان بن قتلمش" واليا على منطقة آسيا الصغرى، فبسط نفوذه على قونية (٦)، واتخذها مقرا لعرشه (٧)،

(١) بعلبك : مدينة قديمة قرب دمشق واسمها مركب من يعل اسم ضم وبك أصله من بك عنقه أى دقة ، فهى بمعنى ببك الأعناق ، بها قبر ألباس (عليه السلام) ، ياقوت : معجم البلدان ج١ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٢) قسيم الدولة أقسنقر أحد أقران السلطان السلجوقى ملكشاه فى صباه ، وكان له لدى السلطان مكانة عظيمة ، ولذا أقطع حلبا وأعمالها ، وما يستولى عليه من البلاد الشامية ، ابن الأثير : الباهر فى الدولة الأتابكية القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٤٠ ، وهو الذى أسس البيت الزنكى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ١٠٤ .

(٣) فخر الدولة بن جهير : هو أبو خضر محمد بن محمد بن جهير ، ولد بالموصل سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م ، وعمل مشرفا على أملاك زوجة الأمير (قراوش بن المقلد العقيلى) وسار إلى حلب وتولى وزارة الأمير ثمال بن صالح بن مرداس ثم تولى للأمير قصر الدولة بن مروان حاكم ديار بكر فأرتفعت مكانته ، وتنع بنفوذ كبير لدى الأمراء ، ورسل الخليفة القائم بأمر الله فولاه الوزارة ، وعزل عنها سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ثم أعيد ثانية سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م وأقره المقتدى بالله على الوزارة سنة ٤٦٧هـ/١٠٨٣م ، راجع ابن الأثير : الكامل ج١ ص ١١٠ ، ١١١ ، الزهرانى : نظام الوزارة فى الدول العباسية فى العهدين البرهوى والسلجوقى (الرياض سنة ١٩٨٦م) ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٤٨ .

(٥) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٦) قونية : من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم وكانت دار ملك سلاجقة الروم ، ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤١٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨ .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وكان سليمان هو ابن عم جفرى ببك جد السلطان ملكشاه .

كما فتح أنطاكية^(١) والتي كانت بيد الروم منذ سنة ٣٥٨هـ/١٩٦٨م ، وتم له ذلك سنة ٤٧٧هـ/١٣٠٠م^(٢) .

وكان فتح أنطاكية بالغ الأهمية لأنه جعل نفوذ الدولة السلجوقية يمتد إلى سواحل البحر المتوسط^(٣) وأرسل سليمان بن قتلمش إلى السلطان ملكشاه يبشره بالفتح ، وأعلن عدم خروجه عن طاعة السلطان السلجوقي^(٤) ، وقد زارها السلطان ملكشاه فصلى على الشاطئ وحمد الله على ما أنعم عليه مما تملكه من بحر المشرق إلى بحر المغرب^(٥) .

وهكذا بلغت الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاه درجة كبيرة من النفوذ والازدهار والتوسع ، فوصل نفوذ السلاجقة إلى حدود الصين والهند ، وامتد من كاشغر شرقا إلى أنطاكية على سواحل البحر المتوسط غربا ، ومن بحيرة خوارزم شمالا إلى حدود اليمن جنوبا ، كما شمل إيران بأسرها ، وبلاد ماوراء النهر ، وآسيا الصغرى ، والعراق ، والشام ، وذكر اسمه في الخطبة ، ونقش على السكة في هذه الديار الشاسعة^(٦) ، ووصف الراوندى^(٧) ، عهده بأنه "صار شبابا للدولة وريعا لأيام الملك وطرزا لأبهى حلة ، وأصبحت الدولة السلجوقية مصدر رعب يهدد العالم المسيحي ويخيفه^(٨) .

(١) أنطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية على ساحل البحر المتوسط ، وبعد أن استولى عليها سليمان ابن قتلمش سار إليه شرف الدولة مسلم بن قريش من حلب ليدفعه عنها فقتله سليمان سنة ٤٧٨هـ/١٣٠١م ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢٦٦-٢٧٠ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ص ٢٦٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ١٠٤ ، ويذكر البنداري ، ص ٧١ أن الأمير برسق ضيق على الروم في القسطنطينية وقرر على الإمبراطور فيها ثلثمائة ألف دينار سنوياً ، تحصل للسلطان ملكشاه ، وثلاثين ألف جزية يود بها للأمير برسق نفسه ، البنداري : آل سلجوق ص ٧١ .

(٣) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ص ٦٦ ، أحمد حلمي : السلاجقة ص ٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ابن واصل : مفروج الكروب في أخبار بني أيوب ، (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م) ج١ ص ١٨ ، ١٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ص ٢٦٩ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص ٩٩-١٠١ .

(٦) الذهبي : دول الإسلام ج١ ص ١٠ ، فامبري : تاريخ بخارى ، ص ١٢ ، أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٤٠ ، إدريس : تاريخ العراق ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٧) راحة الصدور وآية السرور ص ١٩٨ .

(٨) أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٤٠ .

ولكن ومع هذه الانتصارات الرائعة التي حققها السلطان ملكشاه ، إلا أن بعض المواقف العصبية أرقّت دولته الشاسعة ، وكان أولها حينما دب النزاع بين سليمان بن قتلмыш ، وتتش أخ السلطان حول الممتلكات الخاصة بكل منهما في شمال الشام^(١) ، حيث سار سليمان بن قتلмыш إلى حلب مطالباً بها بعد استيلائه على أنطاكية ، مما اضطر تتش إلى قتله في حرب ضروس قرب حلب في صفر من سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(٢) ، وذهب السلطان ملكشاه بنفسه إلى حلب ، ولما أطمأن إلى ولاء أخيه تتش أقر حكمه على بلاد الشام ، وأقر حكم أبناء سليمان على بلاد الروم^(٣) .

وكان مقتل سليمان بن قتلмыш خطراً على دولته الناشئة على آسيا الصغرى ، حيث أنه لم يترك سوى طفل صغير هو قلج أرسلان الذي تسميه المصادر الأوربية "بسليمان"^(٤) ، مما عرض آسيا الصغرى للغزو الصليبي فيما بعد ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م ، ولم يجد الصليبيون أمامهم اتحاداً من السلاجقة بسبب أن سلاجقة الروم لم يغفروا لأقربائهم سلاجقة فارس والشام ذلك الجرم وهو مقتل والدهم سليمان^(٥) .

وفي سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م أعلن صاحب حصن سيزر^(٦) الدخول في طاعة السلطان ملكشاه ، وسلم له اللاذقية^(٧) وكفر طاب^(٨) ، فأقره السلطان على شيزر^(٩) ، وظلت بيت

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٤٠ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، العريني : الشرق الأوسط ، ص ٩ .

(٣) البنداري : آل سلجوق ص ٧١ ، حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٦٧ .

(٤) Ostagarsky : History of the Byzantianstate. p. 316 .

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ص ١٠٣-١٠٥ .

(٦) حصن شيزر : قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرة في وسطها نهر الأردن قرب حماة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٣٨٣ .

(٧) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال حمص ، وهي غربي جبلة ، وتعد أيضاً من أعمال حلب : ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ص ٦ .

(٨) كفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ . ص ٤٧٠ .

(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٣ .

المقدس بيد الأمير أرتق ، الذى خلفه بعد وفاته ابنه سكمان الأول سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١ م ، أما الرها (١) فقد منحها للأمير بوزان (بزان) (٢) .

وثانى هذه المواقف هو موقف أخيه "تتش" الذى أصبح بعد انتصاره على "سليمان قتلмыш" سيد الموقف فى بلاد الشام بأكملها ، وخاف السلطان ملكشاه من اتساع نفوذه ، ولذا لم يتركة ينعم بالشام منفردا واستغل ملكشاه إصرار أهل حلب على ألا يسلموا مدينتهم إلا للسلطان ملكشاه نفسه ، واتجه من عاصمته أصفهان إلى حلب عن طريق الموصل ، وأخضع ما صادفه فى طريقه من قلاع كانت لاتزال تحت سيطرة الروم ، فلما اقترب من حلب أخلاها تتش ورحل إلى الشام ودخل السلطان حلب ومنحها لقسيم الدولة أقسنقر "فغمرها وأحسن السيرة فيها" (٣) .

وانحصر نفوذ تتش فى بلاد الشام حيث لم يبق معه سوى دمشق وفلسطين ، ولكن ذلك لم يرضه فتوجه إلى أخيه السلطان ملكشاه فى بغداد سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١ م ، واستأذنه فى التوسع فى بلاد الشام على حساب الفاطميين ، فأذن له السلطان ، وأمر مملوكيه أقسنقر صاحب حلب ، وبوزان أمير الرها بالمسير فى خدمته ، وتمكن تتش من الاستيلاء على حمص ومعرة النعمان (٤) .

وفى سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧ م زوج ملكشاه ابنته ترکان خاتون الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله (٥) فازداد نفوذ السلاجقة استقراراً فى جميع المناطق التى تحت أيديهم (٦) ، وأرسل إلى

(١) الرها : بضم أوله ، والمد ، والقصر ، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ (٣٦ كم) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٣ ، ابن القلاسى : ذيل ، ص ١١٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٤) حمص ومعرة النعمان : حمص : بلد مشهور بين دمشق وحلب فى منتصف الطريق ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٠٢ ، معرة النعمان : النعمان هو النعمان بن بشير صحابى اجتاز بها فمات بها فدفن وسميت باسمه وهى مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحما ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ ، براون : تاريخ الأدب ج ٢ ص ٣٧٤ ، فتحى أبو سيف : المصاهرات ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ .

(٦) حسنين : سلاجقة إيران ، ص ٦٨ .

الإمبراطور البيزنطى الكسئوس كومنين يطلب إليه تأييده لمناهضة الأمراء الخارجين عليه فى آسيا الصغرى ، ولكن الإمبراطور البيزنطى فضل معاونة الأمراء المحليين على معاونة السلطان نفسه (١) .

وبعد أن استقرت الحالة فى دولة الأتراك السلاجقة أو دولة السلطان ملكشاه الشاسعة بعد أن أدب الخانيين والروم ، عاد إلى أصفهان ، غير أن الأحداث كانت تخبئ له قوة رهيبة وخطرا كبيرا ، أطلقت برأسها سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م ، وباتت تشكل مصدر خطر يهدد السلاجقة بصورة مباشرة فى إيران ، ونقصد بها فرقة الشيعة الإسماعيلية (٢) .

الاسماعيلية ومصرع نظام الملك الطوسى :

لقد كان للشيعة الإسماعيلية وجود فى إيران قبل ملكشاه ، فقد استطاع دعائهم نشر دعوتهم فى بقاع متفرقة من إيران وبلاد ماوراء النهر وخاصة فى عهد السامانيين والديلمة ، إلا أن نفوذهم تلاشى فى عهد الغزنويين والسلاجقة السابقين على ملكشاه لارتباطهم الكبير بالخليفة العباسى ، وحماسهم الشديد للمذهب السنى (٣) .

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) الشيعة الإسماعيلية : تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على كرم الله وجهه ، وزعمت أن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل التى أنكرت موته فى حياة أبيه ، وقالوا كان ذلك من جهة التلبس من أبيه على الناس لأنه خاف مغيبهم عنهم ، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض وهو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده ، واعتقدوا أنه أحق بالإمامة من أخيه موسى الكاظم ، واعتقدوا فى سبعة أئمة آخرهم إسماعيل وأولهم على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، ولذلك سمو بالسبعية ، وأهم مبادئهم الإيمان بالإمامة ، ومذهبهم قائم على أن العقيدة لها ظاهر وباطن ، وأن الشخص الذى يدرك كنه الباطن ويتبعه لا يستحق العقاب ، وقد أدى هذا إلى تأويل أحكام الشريعة فجعلوا لكل نوع من أنواع العبادة باطنا ، وكان هذا سببا فى تسميتهم "بالباطنية" ، وجعلوا لكل أية من كتاب الله تفسيرا ، ولكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا ، انظر : النوبختى (أبو محمد الحسن بن موسى) كتاب فرق الشيعة ، (استانبول سنة ١٩٣١م) ص ٥٧ ، ٥٨ ، الحمادى اليمانى (محمد بن مالك) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٣٥٧هـ) ص ١٧ ، برنارد لويس : أصول الإسماعيلية (مصر سنة ١٩٤٧) ص ٩٦ ، محمد السعيد جمال الدين دولة الإسماعيلية فى إيران (القاهرة ١٩٧٥) ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) المؤيد فى الدين الشيرازى : السيرة المؤيدية ص ٤٣ . مذكرات داعى الدعاة ص ٣٢ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤١ .

ولكن الشيعة الإسماعيلية عادت بصورة مخيفة على يد الحسن بن الصباح^(١) ، الذى

(١) الحسن بن الصباح : هو الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد الصباح الحميرى ، ولد فى مدينة "قم" التى كانت معقلا قويا للشيعة الإثنى عشرية التى ينتمى إليها أبوه ، وقيل أنه من أصل يمنى ، وذكر بعض الباحثين أنه ينحدر من ملوك حمير القدامى فلقب بالحميرى ، ولا يعرف بالتحديد التاريخ الذى ولد فيه الحسن ومن المحتمل أنه فى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى ، وعندما كان طفلا انتقل مع والده إلى مدينة الرى ، وهناك تلقى تعليمه الدينى ، وكانت الرى مركزا للتعليم الشيعى الإسماعيلى منذ القرن التاسع الميلادى وأثرت فيه شخصيات شيعية قوية ، وأخذ يقرأ فى كتب الإسماعيلية ، حتى التقى بكبير دعاة الفاطميين آنذاك عبد الملك بن عطاش داعى العراق الذى أقسم أمامه يمين الولاء للإمام الفاطمى وهو نزار بن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) وفى أواخر عهد المستنصر بالله حدث نزاع حول ولاية العهد بين أبنيه نزار والمستعلى ، فانقسم الإسماعيلية بينهما غير أن نزار لم يستطع الوصول إلى الخلافة بعد موت أبيه ، حيث هزم ووقع أسيرا فى يد أخيه المستعلى ، ثم توفى فى الأسر ، وانتشر أتباعه يدعون له فى كل مكان وسموا مذهبه "بالمذهب النزارى" ، وتحمس له حسن الصباح تحمسا شديدا ، خاصة بعد أن استقبله الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بحفاوة ، وسأله الصباح من إمامى بعدك ، فقال ابنى نزار ، فتعصب له الحسن الصباح ، وقد رحل الصباح سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م من الرى إلى أصفهان ، ومنها سافر شمالا إلى أذربيجان ثم إلى ميارفارقين ، وواصل سيره عبر العراق وسوريا حتى وصل إلى دمشق ، ثم سافر جنوبا إلى بيروت ، ثم أبحر من فلسطين إلى مصر ، فوصل إلى القاهرة فى ٣٠ أغسطس سنة ١٠٣٨م/٤٧١هـ واستقبل بحفاوة فى البلاط الفاطمى ، ومكث فى القاهرة حوالى ثلاث سنوات قضى الشطر الأكبر منها فى القاهرة ، ثم فى الإسكندرية ، وأختلف مع أمير الجيوش بدر الجمالى بسبب تأييد حسن الصباح لنزار بن المستنصر ، وكان الجمالى يؤيد المستعلى ، فأدخل السجن ، ثم طرد من مصر إلى بلاد المغرب ، ولكن هبت ربح عاصفة على السفينة التى كانت تحمله مع بعض الأفرنج ، فتحطمت ، وأنقذ وحمل إلى حلب ثم بغداد ، ووصل إلى أصفهان فى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، ومنها إلى خوزستان ثم أقام دامغان ثلاث سنوات ، ثم سافر إلى كرمان ويزد ثم باشر دعوته فى أندجروود أو "أندج رود" مازالت باقية باسمها حتى الآن ، وهى إحدى ضواحي الموت الأربعة ، والموت أو عش العقاب ومعناه بلغة الديلم تعليم العقاب لأن الموت هى نفس كلمة (آموخت) ومعناها تعليم لغة أهل الديلم كما ذكر ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٣١ وكانت قلعة الموت التى استولى عليها الحسن الصباح ، واتخذها مقرا لحكمة من أملاك وإقطاع رجل من قبل ملكشاه هو "علوى بن مهدى" ومن الموت الحصينة وقلاعها المجاورة بدأ الحسن الصباح دعوته وحركته التى عرفت أيضا بالفداوية ، وفيها كون دولته الفتية القوية وكثر مريدوه ، وكون جيشا قويا ، وأتباعا مطيعين ومنها أرسل الدعاة إلى الأطراف مما سبب خطرا كبيرا على دولة السلاجقة ، لمزيد من التفاصيل حول حياة الحسن الصباح راجع : عطا ملك الجوينى : "تاريخ جهانكشاي" بالفارسية ، ترجمة د/ محمد السعيد جمال الدين سنة ١٩٧٥م ضمن كتابه (دولة الإسماعيلية فى إيران ص ١٨٤) ويذكر أن عطا ملك الجوينى المؤرخ =

كون فرقة إسماعيلية عرفت بالحشاشين^(١) ، واستفحل أمرها فى إيران ، وأصبحت مصدر تهديد للدولة السلجوقية السنية^(٢) والخلافة العباسية .

= الفارس المشهور قد وافق هولاءكو فى حملته على قلعة الموت معقل الحسن الصباح بعد القضاء على الشيعة الحشاشين ، واستاذن هولاءكو فى الإبقاء على المكتبة التى توجد فى القلعة ليطلع على أفضل ما فيها من كتب ، فأذن له هولاءكو فوجد كتاباً بعنوان (سر كذشت سيدنا) أو "سيرة سيدنا" يتضمن حياة الحسن صباح ، فنقل منه ما هو ملائم ومناسب لسياق التاريخ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٣١ ، البغدادى : (عبد القاهر بن طاهر الاسفرائينى) ، الفرق بين الفرق ، حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، بدون) ص ١٦٢ ، برنارد لويس : الحشاشون ، تعريب محمد العزب موسى ط ٢ (القاهرة سنة ١٩٨٦) ص ٧٧-٨٢ ، محمد جمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران ، ص ٩٦ - ٩٩ .

(١) الحشاشون : أخذت من الأصل العربى (حشيش) - Hashish أو "حشاش" ، وعنى بها المؤرخون لأن رؤسائهم كانوا يعطون الحشيش أو القنب الهندى للفدائيين المأمورين بتنفيذ الجرائم و حتى يضمنوا مباحج الفردوس كما رغبوهم ، والتى تنتظرهم لدى نجاحهم فى إتمام مهامهم ، وقد حرف الأوربيون هذه الكلمة وسموها Assassin بمعنى القتل ، وقد أخذت كلمة Assassins الفرنسية من كلمة الحشاشين العربية ، وينكر سيلفستروى ساسى علاقة الدراسات الخاصة بالحشاشين والذى استخدم المصادر الشرقيين والعربية يرد بقوله أن الكلمة جاءت من الأصل العربى "حشيش" وقال إن الأشكال المختلفة للكلمة مثل Heysissini, Assassin, Assassini التى وردت فى المصادر الصليبية إنما هى مؤسسة على الأشكال المختلفة للكلمة العربية مثل حشيش وحشاش وجمعها حشاشون ، وأثبت أنه لم يذكر كلمة حشاش فى المصادر العربية ، وقال أن كلمة "حشاش" التى تطلق على آكل المخدر المعروف بالحشيش أو القنب الهندى ، كانت معروفة فى العصور الوسطى لأن استخدام الحشيش كان معروفاً فى ذلك الوقت ، ولم يكن بالسر المجهول أو وقف على زعماء تلك الفرقة ، ولم يذكر أحد من الكتاب الاسماعيليين أو كتاب السنة الجادين أن الإسماعيلية كانوا يستخدمون هذا المخدر ، ويبدو أنه أطلق عليهم تعبيراً على احتقار عقائدهم وسلوكهم المعيب ، وفتحت دراسة سلفستر الباب أمام الدارسين حول كلمة الحشاشين وإلى الآن عقائدهم فى المصادر الصليبية المعاصرة لهم بأنهم قتل مأجورون ، فالحشاش يعنى عندهم الذى يقتل الآخرين مقابل أجر ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة حشاش شائعة فى اللغات الأوربية وتعنى القاتل أو بالتحديد الذى يقتل خلصة أو غدر أو تكون ضحيته شخصية مهمة ، لمزيد من التفاصيل راجع : برنارد لويس : الحشاشون ص ١١-٤٢ .

(٢) بروان : تاريخ الأدب فى إيران ص ٢٠٩ ، طه شرف : دولة النزارية (النهضة المصرية ١٩٦٠م) ص

واتخذ الحسن بن الصباح من قلعة الموت^(١) حصناً وملاذا لدولته الفتية منذ سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٧م ، ومنها اندلعت شرارة نيران الدعوة الإسماعيلية في كل مكان^(٢) ، وشكلت الموت بموقعها خطراً على دولة ملكشاه السلجوقية ، فهي حصن مقام فوق قمة صخرة عالية في قلب جبال "البورج" Albarg ، وترتفع أكثر من ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، كما تعلو عدة مئات من الأقدام فوق قاعدة الصخرة ، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق ضيق شديد الانحدار كثير المنعطفات^(٣) ، مما جعل من المتعذر على السلاجقة الوصول إليها^(٤) ، وكانت هذه القلعة إحدى إقطاعات أمير علوى هو (علوى بن مهدي) كان ملكشاه قد قد أقطعه أياها^(٥) .

ويعمل بعض الباحثين لنجاح الدعوة الإسماعيلية واستفحال أمرها ، وتهديدها لملك ملكشاه ونفوذه إلى عدة أخطاء في سياسة السلاجقة ، ومنها نظام الإقطاع السلجوقي الذي أوجد فوارق طبقية ، وهذا ما استغله الحشاشون^(٦) ، ويعزو العماد الأصفهاني^(٧) سببا آخر وهو

(١) قلعة الموت : Alamnat معناها بالفارسية (ألوه أموت) ومعناها "عش العقاب" وبلغة أهل الديلم "تعليم النسر" أو العقاب لأن الموت هي نفس كلمة (آموخت) ومعناها تعليم بلغة الديلم وقيل أن الذي بناها أحد ملوك الديلم القدامى ، فبينما كان خارجاً للصيد ذات يوم أطلق نسراً مدرجاً فاعتلى صخرة وأدرك الملك القيمة الاستراتيجية للموقع وبنى عليه من فررة قلعة أسماها (ألوه أموت) بمعنى عش العقاب أو النسر . وهي تقع شمال مدينة قزوین ببلاد الديلم ، وتمتد هذه الأرض التي تحيط بها فتشمل الطالقان وهي بلدة في طخارستان بين بلخ ومرو الروز ، كما تمتد غرباً حتى نهر "بهرام أباد وروديار" على الحدود المتاخمة لشرقي أذربيجان ، ويقال إن الحسن الصباح بعد أن أصبح سيدياً لها لم يغادرها مرة واحدة منذ دخوله سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٧م حتى وفاته ٥١٨هـ/١١٢٤م بعد ذلك بخمسة وثلاثين عاماً ، راجع : ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٣١ ، عطا ملك الجويني : تاريخ جهانكشاي ص ١٨٩ وما بعدها في الترجمة العربية ، برنارد لويس : الحشاشون ص ٨٥ - ٨٧ ، محمد السعيد جمال الدين دولة الإسماعيلية ص ١٠٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

(٢) طه شرف : دولة النزاريه ، ص ٦٤ ،

(٣) برنارد لويس : الحشاشون ص ٨٥-٨٨ .

(٤) إدريس : تاريخ العراق ص ١٥٢ .

(٥) عطا ملك الجويني : تاريخ جهانكشاي ص ١٨٩ .

(٦) محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية ص ٩٩ .

(٧) آل سلجوق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

"لم تكن للدولة - يقصد السلاجقة - أصحاب أخبار" أو ديوان بريد يأتى لهم بأخبار الإسماعيلية^(١) .

ومن الموت أرسل الحسن الصباح دعائه إلى القلاع المجاورة ، ففى سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١ م ، سقطت فى يده قلعة (سنمكوه) أو قهستان ، وعين نائبا له بها هو (الحسين القاينى) أحد دعائه^(٢) ، فأرسل أهلها يشكون للسلطان ملكشاه^(٣) ، مما أدى إلى يطلب الوزير الملك من السلطان إعادة ديوان البريد ، أملا أن تصله أخبار هذه الطائفة ، كما أكد لملكشاه أنه ليس عليه من فريضة أوجب من استئصال شأفة هؤلاء الملاحين لتأمرهم على الدولة^(٤) .

وجزع السلطان ملكشاه وعمل على استئصال تلك الطائفة^(٥) ، وبدأت الحرب بين الحسن الصباح والسلطان السلجوقى بمعاونة وزيره نظام الملك ، فأرسل السلطان أحد قاداته وهو (التونتاش)^(٦) لمحاصرة الموت ، وكان صاحب إقطاعها ، ولكن الحسن الصباح شجع أتباعه على الصمود مدعيا وصول رسالة من المستنصر الفاطمى تحثه على ذلك^(٧) ، فلم يفلح التونتاش من دخولها^(٨) .

(١) ولمزيد من التفاصيل حول الإسماعيلية ، راجع ص من الرسالة .

(٢) عطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاي ، ص ١٩٣ ، من الترجمة العربية .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١١٠ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٣-٢٥٦ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) الجوينى : تاريخ جهانكشاه ص ١٩٥ .

(٦) التونتاش : هذه الكلمة تكتب خطأ لأن اصلها (يورتناش) وهى فى اللغة التركية تعنى الحجر الأبيض من (يورن) (يورون ، يورونك ، أوروون ، أورنك) بمعنى أبيض ، و"ناش" بمعنى حجر ، والغزية تسميه آق أى أبيض ، ولها رسم آخر هو أورنكناش ، بمعنى الصقر الأبيض ، وتأتى أيضا بمعنى الطائر الأبيض ويرنقش رسم آخر لنفس الكلمة وهو من الأعلام التركية المعروفة ويأتى ذكره كثيرا عند السلاجقة ، وورد ذكره باسم (التون تاش) أيضا ، راجع ، محمود الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ٢٧٨ ، محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية ، ص ١٩٣ هامش "٢" .

(٧) الجوينى : تاريخ جهانكشاي ، ص ١٩٤ ، طه شرف : دولة النزارية ص ١٢٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٣٠ .

ولقد اعتمد الحسن الصباح على "الفدائية" أو "التضحية" ، والذي كانوا دائما على استعداد لتنفيذ أوامره ، فكان يستخدمهم لتنفيذ ما يطلب من قتل لأعدائه ومنافسيه غدرا ، وكانوا يضجون بأنفسهم فداء لرئيسهم (١) .

ولما تفشت أفعال الإسماعيلية في المشرق الإسلامي ، وامتدت أضرارهم إلى كل مكان ، أرسل ملكشاه رسولا من قبله إلى الحسن بن الصباح رجاء فيه الكف عن قتل العلماء والأمراء ، وحذره ، فرد عليه الحسن برسالة مدعيا فيها أنه ليس لبنى العباس حقا في الخلافة ، وشرح له تطور مذهبه لكي يدخل فيه (٢) .

واستفحل أمر الحسن الصباح ، فعجز الأمرء المحليين ومنهم سلطانهم عن قتاله وجموعه ، فأنفذ إليه السلطان ملكشاه في أوائل سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م الأمير (أرسلان تاش) الذي تمكن من حصار القلعة ، ولكنه هزم ، وغنم الإسماعيلية جيشه (٣) ، وظلت هذه الطائفة مصدر قلق للسلاجقة على الرغم من حملات ملكشاه المتكررة عليهم ، ولكنها لم تؤد إلى إخمادها أو ضعف شأنهم بل ظلوا محتفظين بكيانهم حتى قضى عليهم المغول سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م (٤) .

ومن أبرز أعمال هذه المنظمة القوية في عهد ملكشاه ، تمكن الفدائيين أتباعها من اغتيال نظام الملك في العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، فكان أول ضحاياهم ، وكان هو العقل المدبر والمفكر لضربهم وشل حركتهم (٥) .

(١) برنارد لويس : الحشاشون ص ١٨١-٢٣٠ ، ٢٣١-٢٣٦ ، هارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٦ .

(٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ورقة ١١ حوادث سنة ٤٨٤هـ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٢٥٧ .

(٤) عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران (دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٨١ ، ص ١١١-١١٤) .

(٥) يقال إن الذي قتل نظام الملك رجل ديلمى تخفى في زي الصوفية ، حيث كان نظام الملك على مقربة من نهاوند قرب همذان ومعناها الخير المضاعف ، وكان صائما وتناول طعام إفطاره ثم خرج في محفة لزيارة حريمه وأهله فاعترضه رجل ديلمى يقال له أبو طاهر الآراني في مكان يقال له سحنه ، هي قرية من توابع كرمانشاه مازالت باقية باسمها حتى الآن ، وكان يحمل في يده خنجرا ، ومظلمة ، وسأل نظام الملك أن =

وكانت مكانة نظام الملك قد تزعزعت فى أواخر أيامه ، وساءت العلاقات بينه وبين السلطان ملكشاه للأسباب الآتية :

أ- اعتماد نظام الملك على أبنائه وأقاربه وأتباعه وأنصاره ، فى إدارة شئون الدولة^(١) ، فاستبدوا وتحكموا^(٢) ، وخاصة عندما منحهم نظام الملك صلاحيات واسعة تطلق يدهم فى مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، مما أغضب ملكشاه وآثار حفيظته^(٣) .

ب- الخلاف بين ترکان خاتون زوجة السلطان ، وبين نظام الملك حول ولاية العهد ، فقد كان نظام الملك يرى أن بركياروق الابن الأكبر لملكشاه هو أحق بولاية العهد ، بينما كانت ترکان خاتون تريد تولية ابنها محمود ، الطفل الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره^(٤) ، فانضمت إلى

= يأخذها ، فمد يده لأخذها فطعنه الديلمى بالخنجر فى قلبه ، فسقط الوزير مغشياً عليه ، وحمل إلى خيمته فمات وهرب القاتل فأدركه رجال الوزير وقتلوه ، وقيل أيضاً أن ترکان خاتون زوجة السلطان ملكشاه سبب مقتله لتفضيله بركيا ورق الابن الأكبر للسلطان على ابنها محمود فى ولاية العهد ، ولكن مقتله على يد الفداوية أقرب إلى الصحة راجع : الجوينى : تاريخ جهانكشاي ، ص ١٩٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٧٨-٤٧٩ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٦٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٩٨ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٧ ، إدريس : تاريخ العراق ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٢٨ .

(٣) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٢ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٨ .

كانت ترکان خاتون ابنة طمغاج خان وعمة أحمد خان خاقان سمرقند ، وهو تاج الملك أبو الفنائم مرزبان بن خسرو فيروزالشيرازى ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

وترکان : لفظة تركية بمعنى السيدة والملكة (تركن) بكسر التاء والكاف ، أما خاتون فعند أغلب أصحاب المعاجم أنها فارسية بمعنى السيدة ، ودخلت العربية وجمعت خواتين إلا أن أرمنيوس قامبرى رأى رأيا آخر فى كتابه تاريخ بخارى ، ص ٣٩ ، وهو أن الكلمة تركية مستمدة من الأصل (خت) بمعنى الخلط والإدغام ، عباس إقبال : إيران ، ص ٢٥٣ ، هامش (١) ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٢٦٤ .

أعدائه ، وأوغرت صدر زوجها السلطان عليه ، ومال السلطان إلى تصديق مفترياتها^(١) ، خاصة وأنها كانت لها سيطرة على كثير من القرارات السياسية فى الدولة لسيطرتها على السلطان نفسه^(٢) .

ج- كثرة الطامعين فى منصب نظام الملك والحناقين عليه ، وكان أكثر هؤلاء طمعا وأعظمهم حنقا تاج الملك الشيرازى صاحب ديوان الإنشاء ، ومجد الملك القمى صاحب ديوان الاستيفاء ، وسديد الملك الشيرازى صاحب ديوان عرض الجيش ، وقد استطاع أحدهم وهو تاج الملك أن يكسب ود زوجة السلطان وتأييدها لمناهضة نظام الملك^(٣) .

د- شكوى والى مرو من قبل السلطان ملكشاه من عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك حفيد نظام الملك الذى كان جده قد ولاه رئاسة وشحنة مرو ، فثار نزاع بينه وبين قودن والى مرو من قبل السلطان ، واستغل عثمان نفوذ جده فقبض على - قودن - وأودعه السجن ، ثم أطلق سراحه مستغيثا شاكيا^(٤) .

ولم يكن السلطان السلجوقى ملكشاه فى حاجة إلى أسباب أخرى لكى توغر صدره على وزيره ، الذى كان ساعده الأمين فى أيام كثيرة^(٥) ، ودفعت هذه الأسباب السلطان إلى التفكير فى عزل وزيره ، غير أنه تردد لمعرفته مدى حب الشعب ، وقسم كبير من الجيش لنظام الملك وأبنائه^(٦) ، وتوقعه أن تشور الفتن وتعم الاضطرابات وتسود القلاقل وتختل الأوضاع فى دولته^(٧) .

(١) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٢ .

(٢) حسنين : سلاجقة إيران ، ص ٧٦ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، الحسينى : أخبار ص ٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٩ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الحسينى : أخبار

الدولة ، ص ٥٦ .

(٦) حسنين : سلاجقة إيران ، ص ٧٧ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٣ .

(٧) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٣ ، والدليل على ذلك بقاء أبناء نظام الملك فى الوزارة مدة طويلة .

وفضل السلطان أن يتخذ أسلوب التهديد بدلا من العزل ، فلعل التهديد يرهب نظام الملك ويقلل عدد أتباعه من حوله^(١) ، فاستغل شكوى شحنة مرو (قودن) ضد حفيد نظام الملك وأرسل خطاب شديد اللهجة إلى وزيره وأراد أن يعن في إغاضة ومضايقة نظام الملك ، فأرسل الخطاب مع عدوين من ألد أعداء نظام الملك ، وهما تاج الملك الشيرازي ، ومجد الملك القمي^(٢) ، وقد جاء في خطاب السلطان إلى وزيره :

إن كنت شريكى فى الملك ، ويدك مع يدي فى السلطة فلذلك حكم ، وإن كنت نائبى وبحكمى فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة ، وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة ، وولى ولاية كبيرة ، ولم يقنعهم هذا حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا وفعلوا ، فكأنك لى فى الملك شريك ، أتريد أن أمر برفع دولة الوزارة من بين يديك ، وأخلص الناس من استطالتك^(٣) .

وكان رد نظام الملك لما وصلت الرسالة أن استشاط غضبا وغيظا ، ورد عليها ردا قال فيه: قولوا للسلطان : كأنك اليوم عرفت أنى فى الملك مساهمك ، وفى الدولة مقاسمك ، وأن دواتى مقترنة بتاجك ، فمتى رفعتها رفع ، ومتى سلبتها سلب ، ألا تدري أننى الذى جمعت الجيش - بعد موت السلطان الشهيد ألب أرسلان ، وفتحت الأقاليم وهيأت لك أسباب الملك ، فلر أن وزارتى سقطت لسقطت القلنسوة من فوق رأسك^(٤) .

ولما وصلت رسالة نظام الملك إلى السلطان ازداد حذرا منه ، وأخذ يدبر مؤامرة للإيقاع به ، ولكنه لم يجرؤ على عزله ، لذا لم يكن غريبا أن يرى الكثيرون أنه هو الذى حرّض تاج الملك الشيرازي على قتله فى نفس العام الذى ثار فيه النزاع ، على يد أحد الفداوية^(٥) .

كان مصرع نظام الملك أمرا جللاً ، ومن أهم الحوادث فى تاريخ السلاجقة ، وخسارة كبرى للعالم الإسلامى عامة ، والسلاجقة خاصة ، فقد كان يجمع بين قوة الشخصية ورجاحة العقل

(١) حسانين : سلاجقة إيران ص ٧٧ .

(٢) عباس اقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة .

(٣) الحسينى : أخبار ، ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٧٨ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٦٣ ، الحسينى : أخبار ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٧٩ .

(٥) الحسينى : أخبار ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٧٩ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

وصواب التدبير وكان عاملاً مهماً من عوامل تدعيم بنيان الدولة السلجوقية^(١) ، وكان وزيراً سياسياً بارعاً ذو مقدرة عظيمة على إدارة الأمور وممارسة العلم ، نظراً لشقافته الواسعة ، ويكفى ما خلفه من كتب وأعظمها كتابه (سياسة نامه) الذى يتضمن كثير من النواحي الأدبية والاجتماعية والسياسية والأسس التى يبنى عليها الملك وتساس الرعية ، كما كان للمدارس النظامية التى أنشأها فى بغداد وغيرها من المدن أثر كبير فى النهضة العلمية آنذاك^(٢) .

وبعد مصرع نظام الملك ، عاد السلطان ملكشاه إلى بغداد ، وعين "تاج الملك الشيرازى"^(٣) فى الوزارة ولكنه مات بعد مصرع وزيره بحوالى خمسة وثلاثين يوماً فقط . فى ليلة الجمعة فى النصف من شوال سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م^(٤) .

(١) عباس اقبال : الوزارة ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، زحيد حلمى : السلاجقة ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب سياسة نامه ، ص ٥٣١ من الرسالة .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٢ ، عباس إقبال ، تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ .

(٤) كانت وفاة ملكشاه فى ظروف غامضة قد أدت إلى نشر الشائعات حول موته ، ومثل ابن الأثير الطائفة التى تقول بقتله ، أثناء رحلة صيد له فأكل لحم صيد فحم واقتصد ولكن لم يخرج الدم منه ، لكن المؤرخين قريبي العهد منه يرجعون موته إلى سم دس له فى الشراب ، فيقال إنهم أعطوه سما بيد أحد الخدم وكان السم من شحم أرنب بحرى ، كما جاء فى كتاب مجمل التواريخ المؤلف سنة ٥٢٠هـ ، فى عهد السلطان سنجر السلجوقى ٥١١-٥٥٢هـ / ١١١٧-١١٥٧م ، يقول المؤلف رشيد الدين إنهم أعطوه دواء ومثل البندارى الطائفة التى تقول وترجع بأنه مات مبيته طبيعياً ، آل سلجوق ص ٦٥ ، ويسانده الحسينى فى أخبار الدولة السلجوقية ص ٧١ ، ويرجع أحمد حلمى أنه مات مقتولاً مستنداً البيت ورد فى ديوان الأنورى شاعر السلطان سنجر ، يمتدح فيه ملكشاه ابن سنجر بن ملكشاه أحد عظماء عصره : حيث أن ماتم سنجر قد جدد ذكرى قتل ملكشاه .

فإنك عيد ذلك المأتم وفرحه . . أياها المعظم ملكشاه .

ويعزز رأيه بقوله أن ولادة الأنورى كانت عقب مصرع ملكشاه بسنوات قليلة سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م ، راجع: ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٨٢ ، عباس إقبال : الوزارة ص ٧٦ ، ٧٧ ، هامش ١ ، ٤ ، حرمى أمين سليمان : المؤرخ الإيرانى غياث الدين خواندمير (الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠) ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

وموت السلطان ملكشاه ، انفرط عقد الدولة السلجوقية ، وتمزقت وحدتها وقوتها (١) ، وانتهى العصر السلجوقي الأول الذي سمي بعصر "السلجقة العظام" ، أو العصر الذهبي للدولة السلجوقية (٢) ، ويقول ابن الأثير (٣) "وانحلت الدولة ووقع السيف" ، وكثرة النزاع بين أفراد البيت السلجوقي ، وأخذت ترکان خاتون البيعة لابنها محمود الذي ناصبه أخوه برکیاروق العداء مما أدى تفكك هذه الدولة الشاسعة التي تركها ملكشاه لأولاد من بعده (٤) .

وانقسم السلجقة ولم تعد دولتهم تخضع لسلطان واحد ، فكان هناك سلطان في أصفهان وآخر في الري وفقد البيت السلجوقي سطوته وهيبته ، فواجهته أخطارا خارجية مثل الحروب الصليبية مما أدى إلى انحلالها وزوالها في النهاية ، ووثها الأتابكة (٥) .

(١) حسانين : سلجقة إيران ص ٧٩ .

(٢) إدريس : تاريخ العراق ص ١٥٨ .

(٣) ابن الأثير ك الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٣ ، وما بعدها ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٨ .

(٥) انقسم السلجقة بعد وفاة ملكشاه ، وبرزت مشاكل عدة وأهمها من يخلفه على العرش وتجددت الفتن بين برکیاروق الأبن الأكبر ومحمود بن ترکان خاتون وتاج الدولة تتش ، وحدث تنازع أيضا علي الوزارة ، وازداد نفوذ الإسماعيلية ، ولم تفلح جهود السلطان سنجر في المحافظة على وحدة السلجقة إلا وقتا قليلا ، وانقسم السلجقة إلى عدة دويلات متنازعة وهي :

- سلجقة کرمان ٤٣٣هـ - ٥٨٣هـ / ١٠٤١ - ١١٨٧م .

- سلجقة سوريا أو الشام ٤٨٧ - ٥٠٨هـ / ١٠٩٤ - ١١١٤م .

- سلجقة العراق وکردستان ٥١١ - ٥٧٣هـ / ١١١٧ - ١١٧٧م .

- سلجقة الروم ٤٧٠ - ٦٩٦هـ / ١٠٧٧ - ١٢٩٦م .

- السلجقة الدانשמندية ٤٩٩ - ٥٦٠هـ / ١١٠٥ - ١١٦٥م .

لمزيد من التفاصيل حول هذه الدول راجع : ابن بي بي : سجلوق نامه ، ص ٥ - ٢١٤ ، أفضل الدين أهر حامد کرمانی : تاريخ أفضل بدائع الأزمان في وقائع کرمان ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، زامبار : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، سهيل زكار : مدخل إلى الحروب الصليبية : ص ٢٧ ، وما بعدها .

وهكذا شيد سلاطين السلاجقة العظام صرحاً قوياً راسخاً ، حافظوا على وحدته وقوته واتساعه فكانت دولتهم الواسعة ، ولكن كيف أدار هؤلاء السلاطين هذه السلطنة الشاسعة المترامية الأطراف ؟ المتعددة الأجناس واللغات والأديان ؟ وكيف نظموها سياسياً ، وإدارياً واقتصادياً ، وحربياً ؟ .. هذا ما سوف تجيب عنه السطور التالية !!

الفصل الثانى

النظام السياسى

أولا : السلطنة : تعريفها - رسوم اختيار السلطان السلجوقى -
انتخاب السلطان - موافقة الخليفة العباسى - كيفية تفويض الخلفاء
السلطنة للسلطين - نظرية التفويض الإلهى .

رسوم تعيين السلطان السلجوقى : قوة الزعيم السلجوقى
وشخصيته - إقامة الخطبة - التلقب بالألقاب - النقش على العملة .
علامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية : حواضر السلاجقة -
القصر أو السرايا (دار الحكم) الدركاه - رسوم السلطان فى قصره -
ملايس السلطان فى قصره .

شارات السلطنة السلجوقية : الخيمة - التخت - التاج - القوس -
القباء - البوق - الخاتم أو التوقيع - دور الحرم - الخزانة السلطانية -
حقوق السلطان السلجوقى - العلم أو البهيق - المبقاتى - السيف -
السيف - السهم - الهودج - الخوان - الدركاه - رئيس الفراشين .

مراسم الاستقبال وتبادل الهدايا وإرسال الرسل : استقبال رسول
الغزنويين والهدايا المتبادلة - استقبال رسول الخلافة العباسية والهدايا
المتبادلة وعلاقة السلطان بالخليفة - استقبال رسول البيزنطيين والهدايا
المتبادلة .

ثانيا : ولاية العهد : اختيار ولى العهد - رسوم تعيين ولى العهد -
موافقة الخليفة العباسى - موافقة الجند السلجوقى - موافقة الوزير
السلجوقى - إقامة الخطبة .

ثالثا : الوزارة : تطورها - وزراء السلطان طغرلبيك - وزراء ألب
أرسلان وملكشاه - التنافس على الوزارة بين نظام الملك وعميد الملك
الكندى ومقتل الكندى - النزاع بين نظام الملك ، وتاج الملك
الشيرازى، ونهاية النظام - رسوم تعيين الوزير السلجوقى - مهام
وأعمال الوزير السلجوقى - ألقاب الوزراء - شارات الوزير - العلاقة

بين الوزير والسلطان - راتب الوزير - وزير الخليفة ، ووزير السلطان -
محاسبة الوزير وعزله - وزير زوجة السلطان - وزراء أمراء الأقاليم .
وايضا : الكتابة : تطورها - كتاب طغرل بك - كتاب ألب أرسلان
وملكشاه .

خامسا : الحجابة : تطورها - السلاطين العظام .

أولا : السلطنة :

تعريفها : السلطان اسم خاص فى العرف العام بالملوك ، ويطلق على الحاكم فى أى شكل
من أشكاله خليفة أو إماما أو ملكا أو قاضيا ، وأصله فى اللغة الحجة قال تعالى (وما كان
له عليهم من سلطان)^(١) يعنى حجة وبرهانا وسمى السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب
عليهم الانقياد إليه^(٢) .

وقيل إنه مشتق من السلاطة ، وهى القهر والغلبة ، لقهره الرعية وانقيادهم له ، وقيل من
قولهم لسان سليط أى حاد ماض لمعنى أمره ونفوذه^(٣) ، وقيل أنه مشتق من اللغة الآرامية
والسريانية Sultaha ويوجد هذا فى أوراق البردى العربية منذ القرن الأول الهجرى ، مثل
خراج السلطان ، ويبت مال السلطان ، ويقصد به سلطة الحكومة أو الوالى أو الحاكم^(٤) .

وكان التلقب بهذا اللقب فخريا فى بدايته ، فأول من لقب به هو "خالد بن برمك"^(٥)
وزيرها هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ / ٨٧٦-٨٠٩م تعظيما له ، ثم انقطع التلقب به إلى أيام

(١) سورة سبأ : آية رقم ٢١ .

(٢) القلقشندي : أبو العباس أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج٥ ، القاهرة ، ١٩٦م ،
ص ٤٤٧-٤٤٨ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٤٧ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٨ .

(٤) جروهمان : أدولف جروهمان ، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ٦ اجزاء ، ج١ ، ج٢ ،
ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد الحميد حسن (القاهرة ، ١٩٣٤م) ، ج١ ، ص ١٣٥ .

(٥) خالد بن برمك : مؤسس الأسرة البرمكية ، وأحد دعاة العباسيين ، واستوزره الخليفة أبو العباس
السفاح بعد مقتل أبو سلمة الخلال ، ثم استوزره أبو جعفر المنصور ، ثم استعمله الخليفة المهدي فى قصره إلى
أن توفى سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م ، وورثه أولاده الذين نكب بهم الرشيد فيما بعد ، انظر : ابن تفرى بردى :
النجوم ، ج٢ ، ص ٥٠ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، ط٢ (القاهرة ١٩٨٦)
ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ .

البويهيين فتلقب به ملوكهم^(١) ، فضلا عما كان يضيفه عليهم الخليفة من ألقاب فخرية خاصة^(٢) ، ثم لقب به ملوك الغزنويين^(٣) ثم اتخذ السلاجقة لقباً عاماً على ملوكهم^(٤) وورثت الأسر الحاكمة بعد السلاجقة هذا اللقب منهم^(٥) .

والسلطنة أعم من الملك لأن الملك يختص بالزعيم الأعظم ، والسلطان يطلق على الملك وغيره ويقدم عليه فيقال السلطان الملك الفلاني^(٦) .

والسلطنة من الناحية الفقهية تتمتع بعموم الولاية ، وهى نظرياً مستمدة من تفويض صادر من الخليفة ، أما من الناحية الفعلية فهى زعامة بأمر بلد من البلاد ، وصارت ولاية استيلاء

(١) لقب الأمير البويهى أبو شجاع ٤٠٣-٤١٥هـ/١٠١٢-١٠٢٤م بلقب سلطان الدولة ، ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ص ٣١٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٤٧ .

(٢) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٢٣ .

(٣) أول من اتخذ لقب سلطان كدليل على أنه الحاكم أو الملك هو محمود بن سبكتكين الغزنوى وشاع ذكره بذلك اللقب وعرف به حكام دولته من بعده ، كالسلطان مسعود الغزنوى ٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م ، والسلطان مودود ٤٣٢-٤٤١هـ/١٠٤٠-١٠٤٩م وغيرهم ، مما سوغ للملك السلجوقى طغرلبيك إعلان ذلك اللقب على نفسه حينما أعلن قيام دولة الأتراك السلاجقة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م وجلس على عرش مسعود الغزنوى ، انظر : العتبي : أبو النصر محمد بن عبد الجبار ، تاريخ اليمنى ، ج١ ، (القاهرة ، ١٢٨٦هـ) ، ص ٦١ ، الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص ٣٩٠ ، السبكي : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق الحلوى ، الطناحى (القاهرة ١٩٦٦م) ، ج٤ ، ص ١٦ ، ويذكر منهاج الدين عثمان صاحب (طبقات ناصرى) ج١ ص ٢٢٨ ، أن محمود الغزنوى أول من لقب بالسلطان ، سعد الحميدى : حضارة الدولة الغزنوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض سنة ١٩٨١م ص ٦٢ ، هامش (١) ، بدر عبد الرحمن ، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية ، (ط. الأنجلو المصرية ، ١٩٨٧م) ، ص ٣٩ - ٤٥ .

(٤) المقرئى : السلوك ، ج١ ، ص ٣٠ - ٣٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، ١٩٧ .

(٥) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٤٨ .

وتغلب (١) ، فيكون السلطان أو الأمير باستيلائه مستبدا بالخليفة مستقلا فى تدبير السياسة وتنفيذ الأحكام (٢) .

رسوم اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى :

اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى : كان لبداوة السلاجقة ، وغلبة النظام القبلى عليهم أثر واضح فى نظم الحكم التى طبقوها فلم يكن هناك نظام معين متفق عليه لاعتلاء العرش السلجوقى ، حيث كانت السلطنة يتولاها أقوى أفراد الأسرة ، وأكثرهم نفوذا (٣) ، فلم تكن قبائل الأتراك الغز التى ينتمى إليها السلاجقة قد وضعت نظاما مكتوبا لتولى السلطة والعرش ، فقد كانت القيادة تسند فى بداية الأمر إلى أكبر أفراد القبيلة سنا (٤) ، فلما توفى "سلجوق بن دقاق" خلفه ابنه الأكبر إسرائيل الملقب بأرسلان بيغو (٥) ، ولما سجن إسرائيل فى قلعة كالتجر بالهند ثم قتل (٦) ، تولى أخوه الأكبر ميكائيل ابن سجلوق القيادة من بعده ، وحينما توفى ميكائيل تولى أبناؤه القيادة ، فكان جفرى بيك أكبر أولاد يحارب فى بلغ ومرو، وطغرليك يحارب فى نيسابور حتى فتحها وجلس على عرش سلطانها مسعود الغزنوى سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م (٧) ، وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة ، وبذلك كان أول سلطان سلجوقى فى المشرق الإسلامى (٨) .

(١) الماوردى : أبو الحسن على بن حبيب الأحكام السلطانية والولايات الدينية ط ٣ ، (القاهرة ، ١٩٧٣م) ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، حسين أمين : نظام الحكم فى العصر السلجوقى ، مقال بمجلة سومر (المجلد العشرون ، ج ١ ، ٢ ، بغداد سنة ١٩٦٤م) ص ٢١١ .

(٢) ابن الفراء : أبى يعلى بن الحسين ، الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد الفتى ، (بيروت ، ١٩٨٣) ص ٣٧ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، عبد النعيم حسانين : إيران العراق ، ص ١٨٠ .

(٤) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٥ .

(٥) بارتولد : تاريخ الترك ص ٨٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥١ ، اليزدى : العراضة ، ص ٢٩ .

(٧) الراوندى راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٦٥ ، اليزدى : العراضة ص ٣٤ .

(٨) الحسينى : زبدة التواريخ ص ٤٠ ، ٤١ ، إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية (القاهرة ، ١٩٨٣م) ، ص ٢٣ .

وباعتلاء طغرلبيك عرش مسعود الغزنوي بدأت السلطنة السلجوقية ، ولقب "بالسلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبي طالب" (١) ، ولم يعترض أحد من السلاجقة على ذلك ، بل ولى طغرلبيك السلطنة بإجماع قومه وموافقتهم لأن طغرلبيك كان قائد لجيوش السلاجقة ومقدمهم ، وأقوى أفراد الأسرة السلجوقية كلمة ، وتم على يده الانتصارات الباهرة التى حققها السلاجقة فى إيران ، فكان لابد أن يلى السلطنة دون منازع (٢) .

ولم يكن الأخ الأكبر فى "رسوم تعيين السلطان السلجوقى" هو الفيصل ، بل جعل السلاجقة الشجاعة والقوة تسبق السن ، وجعلوا الشهامة والبطولة هى الأساس الذى يقوم عليه تعيين القائد (٣) ، فعلى الرغم من صغر سن طغرلبيك عن أخيه جفرى بيك داود ، إلا أن السلاجقة قد وافقوا على أن يكون طغرلبيك سلطانا لأنه يتميز بشجاعة نادرة عن بقية أفراد البيت السلجوقى (٤) ، وبذلك دانت لطرلبيك قبيلته وأتمروا بأمره (٥) .

وهكذا اختير طغرلبيك لهذا المنصب ، أو انتخب على نحو ما ينتخب الزعماء ، لما يتحلى به من قوة الشخصية والبطولة النادرة (٦) ، فالتف حوله أمراء دولته وإخوته ، وتعاهدوا على أن يحفظوا هذه الدولة التى شيدها ، وأن يدينوا بالطاعة لزعيمهم طغرلبيك (٧) .

واتفق الزعماء والأمراء الكبار على أن يكون لهذه الدولة رئيس واحد منتخب يحمل اسم السلطان ولقبه ، وأن يخضع له الحكام الذين يعينهم خضوعاً تاماً ، ويحمل كل واحد منهم لقب "شاه ملك" فأصبح جفرى بيك داود حاكماً على مرو ، واختص بأكثر خراسان وحمل لقب ملك ، وأصبح موسى حاكماً على بست وهرات وسجستان ، وحمل لقب ملك أيضاً ، كما أصبح

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ .

(٢) الحسينى : زبدة التواريخ ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٦٥ ، اليزدى : العراضة ص ٣٤ .

(٣) بارتولد : تاريخ الترك ص ١٠٧ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، الحسينى : زبدة التواريخ ص ٢٢ .

(٥) إدريس : رسوم السلاجقة ، ص ٢٤ .

(٦) حسين أمين : نظام الحكم ، ص ٢١٠ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٧٩ .

قاورد أكبر أبناء جفري بيك حاكما على ولاية الطبسيين وكرمان ، ولقب بلقب ملك ، وكان إبراهيم ينال الأخ غير الشقيق لطغربك يحكم قهستان وجرحان (١) ، ولكنه لم يلقب بهذا اللقب ، وربما كان هذا أحد أسباب عصيانه فيما بعد .

وهكذا كانت الفكرة الإيرانية عن الملك أو الحاكم بوصفه صاحب السلطة المطلقة في الدولة غريبة على هؤلاء الرجلين كانوا يرون في الدولة ملكا لجميع الأسرة الحاكمة ، ومما يقف دليلا على أن فكرة الحاكم صاحب السلطة المطلقة ، كانت غريبة عن السلاجقة الأوائل أن الخطبة كانت تلقى في آن واحد باسم طغربك في بعض مدن خراسان ، وباسم أخيه داود في بعضها الآخر (٢) ، كما كانت الخطبة تقام باسم طغربك في نيسابور ، وتسك باسم العملة ، وفي الوقت نفسه كان يدعى لداود على مساجد مرو ، وتسك العملة باسمه أيضا (٣) . ثم بدأ السلاجقة يأخذون عن الإيرانيين قواعد المركزية ، وتوحيد أداة الحكم ، ولكنهم لم يأخذوا ذلك دفعة واحدة ، بل شيئا فشيئا (٤) .

ولقد استخدم السلاجقة الأوائل ، ولأول مرة في خراسان لقب (شاهنشاه) (٥) ، وذلك على العملة التي سكوها باسمهم (٦) ، ويتقدمهم نحو الغرب تركوا هذا اللقب ، واتخذوا بدلا منه

(١) الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٥ ، الحسيني : أخبار الدولة ص ١٠٧ ، وهذا يوضح أن لقب السلطان أعم من لقب الملك .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، بارتولد : تركستان ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٣) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ .

(٤) بارتولد : نفسه ص ١٠٥ .

(٥) شاهنشاه : لقب فارسي ، كان يلقب به ملوك إيران قبل الإسلام ، ومعناه ملك الملوك " عندهم ، وذلك تمييزا له عن لقب "شاه" وهو الملك الصغير ، وقد دخل هذا اللقب في الإسلام كلقب فخري منذ الدولة العباسية التي شجعت الفرس ولقبتههم بألقابهم الأولى ، وقد لقب به ملوك وسلاطين بنو بويه إذ وجد على مسكوكاتهم إحياء منهم للدولة الساسانية القديمة ، وقد منع علماء الدين في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي التلقب به لأنه لقب مختص بالله سبحانه وتعالى لأنه يعني - ملك الملوك - وقد منعه القائم بأمر الله عن جلال الدولة البويهية حينما سأله التلقب به ، ولكن ملكشاه السلجوقي لقب به ووجد مكتوبا في نص إنشاء جامع في مدينة آنى باسم (شاهنشاه الأعظم) ، لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن الأثير ، الكامل ج ٩ ص ١٧١ ، حسن الباشا ، ألقاب ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقله حمزه طاهر ، (مطبعة المعارف بمصر ، بدون) ، ص ٦٣ ، ٦٧ ، عبد النعيم حسنين : قاموس الفارسية ، ص ٤٠٧ . الشامي : الدولة الإسلامية ص ١٧١ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٩ .

لقب "سلطان" (١) الذى صار له معنى معين فى عهدهم لم يكن له من قبل إذ أطلق على الحاكم المسيطر المستقل ، كما كان يتفق ورسوم دولتهم الجديدة ويتناسب مع تصورهم لفكرة السيطرة التى ساروا عليها فى حياتهم القبلية ، وبالتالي يتناسب مع فكرة السلطنة السياسية التى كانوا يطمعون فى تحقيقها عندما خرجوا من مواطنهم ليكونوا لأنفسهم دولة ، ولذلك تركوا لقب "شاه - ملك - لأنه كان يطلق على الحكام التابعين وحكام الأقاليم (٢) وهذا يدعم الرأى القائل بعموم السلطنة عن الملك .

ولكن طريقة اختيار السلطان طغرل بك أول سلاطين السلاجقة ، قد اختلفت عن طريقة اختيار لاحقيه السلطان ألب أرسلان ، وملكشاه ، فإذا كان اختيار طغرل بك قد جاء على رغبة قادة السلاجقة الأوائل لشجاعته وقدرته الفذة ، فإن اختيار ألب أرسلان قد جاء بناء على رغبته هو ورغبة وزيره نظام الملك الطوسى ، وبتدبير وكيد وحرب .

فقد مات طغرل بك ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م دون أن ينبج (٣) ، ولم يكن قد وضع نظاما لتولى عرش السلاجقة من بعده بل ترك الأمر لأقواهم وأشجعهم ، وأنسبهم ، كما تولى هو ولكنه قبل موته تزوج بأرملة أخيه "جفرى بيك" التى أوعزت إليه أن يجعل ابنها سليمان وليا لعهد على الرغم من صغر سنه الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره (٤) .

ولما علم ألب أرسلان بجلوس أخيه غير الشقيق على عرش السلاجقة ، سار بمساعدة وزيره نظام الملك إلى الرى ، حيث يجلس سليمان الطفل ، وكان يتمتع بتأييد أمراء السلاجقة إلى جانب شجاعته النادرة فاستطاع بسيفه أن يتولى السلطنة بدلا من سليمان (٥) وأجبر الكندرى وزير طغرل بك على إقامة الخطبة له فى الرى ، وأن يكون سليمان وليا لعهد (٦) .

(١) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ .

(٢) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣١ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ص ٦٤ .

أما اختيار ملكشاه فقد تم بسهولة عن والده ، حيث تم اختياره بناء على وصية والده ألب أرسلان بولاية العهد من بعده لابنه ملكشاه^(١) ، فلما قتل ألب أرسلان ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م^(٢) أجلس نظام الملك ، "ملكشاه على عرش السلاجقة بناء على وصية والده^(٣) ، وكتب إلى حكام الأقاليم والأطراف بذلك حتى يطيعوه ، ويخضعوا له على الرغم من معارضة عمه قاوورت بك^(٤) .

وهكذا ورث السلاجقة سلطانهم وعرشهم لأول مرة ، وسوف تصبح هذه عادة وسنة وهى توريث العرش ، مما سيؤدى فيما بعد إلى التنافس والتنازع حول العرش السلجوقى .

موافقة الخليفة العباسى :

وبتعيين السلاجقة لسلطانهم يجب أن ينصاعوا له ويطيعوه ، وببايعه الجند ، وقوادهم ، وحكام الأقاليم ، والأطراف والوزراء^(٥) ، ولكن بهذا التعيين وهذا الاعتراف وهذه المبايعة لم تكتمل الحقوق الشرعية للسلطان السلجوقى ، فلا بد من موافقة الخليفة العباسى - خليفة المسلمين - والسلطة الشرعية على هذا التعيين ، فعندما تولى طغرل بك السلطنة سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م شرع فى مراسلة الخليفة العباسى القائم بأمر الله سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٧م فى بغداد للحصول على اعتراف منه بسلطانه على السلاجقة^(٦) ، فهو فى حاجة إلى تفويض شرعى من الخليفة العباسى لحكم البلاد التى تحت يده ، وهو الذى سيكسب الدولة الوليدة شرعيتها^(٧) .

وفى سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤١م حمل أبو إسحاق الفقاعى^(٨) رسالة من السلطان طغرل بك إلى الخليفة العباسى يطلب اليه فيها الاعتراف به سلطانا على دولة السلاجقة الناشئة ، ووصف

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٦٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ١١٩ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٢٥ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص ٦٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٧ ، أفضل الدين كرماني : تاريخ كرمان ، ص ١٠ ، أحمد الله التزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ٩٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٧ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٨٨ .

(٧) إدريس : رسوم السلاجقة ، ص ٢٦ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ .

نفسه فيها بأنهم عبيد أمير المؤمنين^(١) ولما وصلت الرسالة إلى دار الخلافة سريها الخليفة^(٢) ، وأرسل رسولا إلى طغرل بك فى مدينة الرى هو قاضى القضاة "أبو الحسن الماوردى" يدعو طغرل بك للحضور إلى دار الخلافة العباسية فى بغداد^(٣) ، ومع الماوردى أرسل الخليفة الخلع السلطانية إلى طغرل بك مع كتاب التفويض بحكم البلاد التى فى حوزته^(٤) وبذلك تحقق للسلطان طغرل بك ما أراد واكتملت بذلك حقوقه الشرعية كسلطان للسلاجقة ، وتلقب بلقب "السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبى طالب محمد"^(٥) .

ولم يكن اختيار السلاجقة لزعيمهم واعتراف الخليفة العباسى به كفيلا بإسناد السلطنة إلى ذلك الزعيم ، فكثيرا ما اختار السلاجقة زعيما لهم ، لكن قوة وشخصية زعيم آخر هى التى كانت تحسم ذلك الاختيار ، وعلى الخلافة العباسية الانتظار حتى يتضح من هو الزعيم المسيطر حتى تعترف به سلطانا على السلاجقة^(٦) .

فلما توفى طغرل بك فى شهر ومضان سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م^(٧) ولم يترك وريثا للعرش ، بدأت تظهر هذه الحقيقة حينما أجلس سليمان الطفل على العرش السلجوقى ، فحسمه ألب أرسلان لصالحه^(٨) ، وجلس على عرش السلاجقة^(٩) ، ثم أرسل إلى الخليفة العباسى يطلب إليه الاعتراف به سلطانا على السلاجقة فوافق الخليفة ، ولقب بلقب "السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع ألب أرسلان محمد بن داود"^(١٠) وبذلك أضفى على حكمة الشرعية .

(١) انظر النص فى الرسالة .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ١٨٨ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البدارى : آل سلجوق ، ص ٩ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٦٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٩ .

(٥) Osbar : Islam of Under the Khalifa. Baghddid, p. 319, 320 .

ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٣٣ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ، ج٢ ص ٤٠٠ .

(٦) إدريس : رسوم ، ص ٢٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٠ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ .

(١٠) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٧ .

ولم يكن ذلك إلا بالقوة ، واستعمال السيف والحيلة والكيد ، ووافق الخليفة المغلوب على أمره ، ولما قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م طمع أخوه قاورد فى الحكم ، على الرغم من أن ألب أرسلان كان قد أوصى لابنه ملكشاه بالعرض من بعده ، وبدأ التنازع على عرش السلاجقة بين ملكشاه وعمه قاورد (١) ، ولكن ملكشاه بمساعدة وزيره الكفاء نظام الملك ، فضلا عن قوات السلاجقة تمكن من السيطرة والجلوس على العرش ، بعد هزيمة عمه قاورد (٢) .

وبعث ملكشاه سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسى يطلب إليه تفويضا شرعيا لحكم البلاد ، فجلس الخليفة جلوسا عاما لهذه المناسبة ، وحضر الاحتفال رسول السلطان حيث سلمه الخليفة عهد السلطان وموافقة الخليفة ، وأمر وزيره "ابن جهير" أن يقرأ أوله وسلم إليه أيضا اللواء بعد أن عقده الخليفة بيده (٣) ، ثم توفى القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م ، ويومع من بعده حفيده وولى عهده أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد ابن القائم الملقب بالمقتدى بالله (٤) ، الذى بايعه ملكشاه بالخلافة (٥) مع تفويض منه لملكشاه بالسلطنة (٦) .

وهكذا فوض ألب أرسلان وملكشاه نفسيهما على السلطنة بالسيف ومساندة الوزير والجند وما كان على الخليفة العباسى إلا الموافقة ، وإصدار التفويض بالسلطنة .

كيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلطين :

أما عن كيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلطين ، فقد كانت السلطنة تفوض وتولى بحضرة الخلافة ، حيث جرت العادة أن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسى عال (٧) ،

(١) أفضل الدين كرماني : تاريخ كرمان ، ص ١٠ ، ١٧ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٧ .

(٤) القلقشندي : مآثر الأئمة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج ج ١ ط ٢ (الكويت ، ١٩٨٥م) ص ٣٣٥ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ، ص ٢٩٤ .

(٧) هلال بن الصاهي : أبى الحسن ، رسوم دار الخلافة ميخائيل عواد (بغداد ١٩٨٣هـ ، ١٩٦٤) ص ٩٠ .

ويحضر السلطان الذي تولى ، فيجلس على كرسى لطيف أمام سرير أو كرسى الخليفة ، ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها ، ويخاطب الخليفة السلطان بالولاية على لسان الوزير ثم يخلع على السلطان خلع الخلافة ، ويحمل على مراكب من اصطبلات الخليفة ، ويذهب السلطان إلى داره ، فيرسل الهدايا إلى الخليفة^(١) .

فعندما دخل طغرلبيك بغداد للمرة الثانية سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م^(٢) ، جرت مراسيم مقابلته بالخليفة العباسي القائم بأمر الله لأول مرة ، ويقدم لنا ابن الأثير والبندارى ، وهلال بن الصابي ، الذي عاصر الأحداث وعاش تفصيلها ، وابن كثير ، وابن خلدون ، وابن الجوزي والقلقشندي ، والرواندي^(٣) ، وصفا ممتعا وحيا لهذه المقابلة التي جرت بين السلطان والخليفة ، والتي حصل فيها طغرلبيك على تفويض عام من الخليفة العباسي بحكم البلاد ، حيث جلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوسا عاما مشهورا ، وجلس وزيره رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، واستدعى النقباء ، والقضاة والشهود والأعيان ، واستدعى نقيب العباسيين والعلويين ، وقاضى القضاة والحجاب ، وحضر السلطان طغرلبيك ومعه وزيره عميد الملك الكندري ، وقدمت له من خيل الخليفة فرس أشهب فركبه وعليه قباء أسود ، وعمامة مثلثة مذهبية ، ودخل السلطان دار الخلافة ، وبين يديه أولاد الملوك والأمراء - يقصد أمراء السلاجقة - وقتلمش بن عمه ، وأشرف القواد والديلم والجميع بغير سلاح ، وخرج لاستقباله رئيس الرؤساء ، فرفعت ستارة البهو ، وظهر الخليفة بمجلسه^(٤) فدخل عليه طغرلبيك ،

(١) أول من جلس على سرير للخلافة معاوية بن أبي سفيان ٤٠-٦٠هـ / ٦٦٠-٦٧٩م حينما بدن وثقل وزنه استأذن أصحابه في اتخاذ شيء يجلس عليه للاستراحة ، فأذنوا له في ذلك ، ثم زادوا في ارتفاعه حتى صار سبعة أذرع ، وكان يفرش للخليفة على سرير الخلافة فرش مرتفعة ، وهي التي يعبر عنها بسدة الخلافة انظر : القلقشندي : مآثر الأنافة ، ج٢ ص ٢٣٧ .

- القلقشندي : مآثر الأنافة ، ج٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يذكر أن دخول طغرلبيك بغداد للمرة الأولى كان سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، البندارى : آل سلجوق ص ١٢ .

(٣) الكامل ج٩ ص ٢٢١ ، آل سلجوق ص ١٦ ، ١٧ ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (بيروت ، ١٩٠٤م) ص ٢٠١ ، رسوم دار الخلافة ص ٩٠ ، ٩٤ ، البداية والنهاية ج١٢ ص ٧٣ ، المنتظم ، ج٨ ص ١٨١ ، ١٨٢ كتاب العبر : ج٤ ، ص ٢٢٦ ، مآثر الأنافة ج٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، راحة الصدور وآية السرور ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ .

والخليفة على سرير عال من الأرض بنحو سبعة أذرع ، وعلى كنفه البردة^(١) ويسميه القضييب^(٢)، فلما رآه السلطان قبل الأرض دفعات كثيرة^(٣) ، ونصب له كرسيًا دون

(١) البردة : هي بردة (النبي صلى الله عليه وسلم) ، التي كان الخليفة يلبسها في المراكب ، قال أبو السعادات ابن الأثير في "نهايته في غريب الحديث" ج١ ، ص ٧٢ مادة برد ، وابن منظور : لسان العرب ، مادة برد ج١ ، ص ٥١٢ أنها شملة مخططة ، وقيل كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب وجمعها برد ، وقد اختلف في وصولها إلى الخلفاء ، فحكى الماوردي في الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٥٣ ، عن إبان بن تغلب أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد أهداها لكعب بن زهير (رضي الله عنه) عند ما عاد إلى النبي تائبًا مستغفرًا واشتراها منه معاوية وتناقلها الخلفاء بعده ، وقيل أن كعبًا لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال : لم أكن أوثر ثوب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحد ، فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم ، وقيل أن (النبي صلى الله عليه وسلم) أعطاها لأهل - أثلة - أمانا لهم ، فأخذها منهم سعيد بن أبي أوفى ، وهو عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وبعث بها إلى مروان فكانت في خزائنه حتى أخذت بعد قتله سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، وقيل اشتراها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار وتوارثها خلفاء بنو العباس من بعده ، وكانت رمزًا على الخلافة لاتصح إلا بها . لمزيد من التفاصيل راجع : هلال بن الصاهي : رسوم دار الخلافة ، ص ٩٣ ، ابن سعيد : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، الطبقات الكبرى (دار التحرير ، القاهرة ، ١٩٦٨م) ج٧ ص ١٥٠ ، العسقلاني : شهاب الدين أبي الفضل بن علي الإصابة في تمييز الصحابة ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون) ، ج٥ ، ص ٣٢٣ ، ج٤ ص ٢٧٣ ، القلقشندي : مآثر الأنافة ، ج٢ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، أحمد الشامي : الحضارة الإسلامية (مطبعة عبادة الزقازيق سنة ١٩٩١م) ، ص ٣٣ .

(٢) القضييب : وهو عمود كان (النبي صلى الله عليه وسلم) يأخذه بيده ليشير به على الأصنام في الكعبة عندما دخل مكة فاتحًا ، فكانت الأصنام تتهاوى ، وهو من تركته عليه السلام ، وكان القضييب والبردة جميعًا عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقي من الخليفة المسترشد بالله العباسي ٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م ثم أعيدت إلى المقتدى ٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م عند ولايته في سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م ، وبقيت في خلافة بني العباس إلى أن سقطت سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ثم انتقلا إلى مصر حينما أحيا المماليك الخلافة العباسية سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م وبعد سقوط الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م نقلوا إلى استانبول في خلافة بني عثمان ، انظر : الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٥٣ ، القلقشندي : مآثر الأنافة ج٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وفي عصرنا الحاضر يتخذ رؤساء الدول وكبار القواد ويصنع من الذهب الخالص ، ويرصع بالجواهر ويسمى (الصولجان أو عصا المرشالية) ، أحمد الشامي : الحضارة ، ص ٣٤ .

(٣) القلقشندي : مآثر الأنافة ج٢ ص ٢٣٩ .

السريير فجلس عليه ، فقال رئيس الرؤساء "أصعد ركن الدين" وأصعد أبو منصور الكندري مفسرا ، ومترجما معربا ما كان معجماً (١) وفسر له عميد الملك الكندري تفويض الخليفة إليه ، وقال الخليفة لرئيس الرؤساء "قل لركن الدين ، أمير المؤمنين حامد لسعيك ، شاكر لفضلك ، أنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، ورد إليك مراعاة عبادته ، فاتق الله فيما ولاك الله : ففسر له عميد الملك القول ، فقام وقبل الأرض ، وقال "أنا خادم أمير المؤمنين وعبدته ومتصرف على أمره ونهيده ، ومشرف بما أهلنى له ، واستخدمنى فيه ، ومن الله تعالى أستمد المعونة والتوفيق" (٢) .

ثم أستاذن طغرلبيك أمير المؤمنين فى أن ينهض فأذن له (٣) ثم أفيضت عليه سبع خلع جبات سود فى زي (٤) واحد ، ومنحت له مملكة الأقاليم السبعة ، وشرف بعمامة سوداء مذهبة ، فجمع له بين تاجى العرب والعجم ، وقلده الخليفة سيفاً محلى بالذهب وطوق بطوق من ذهب ، وسور بسوارين من ذهب (٥) ، وكان أحسن ما خلع على طغرلبيك (لقب ملك المشرق والمغرب) (٦) .

وخطب طغرلبيك بلقب سلطان ، فكان أول من منح هذا اللقب رسمياً فى الإسلام (٧) ، ثم ولاه الخليفة السلطنة على ممالك العراقيين والجبال (٨) (قهبستان) ، فقبل طغرلبيك الأرض عدة

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٧٣ .

(٣) سيط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ورقة ١٢٨ .

(٤) زيق : تزيت المرأة تزيقاً ، وتزيت وتزيقاً إذا تزيت ، وتلبست واكتحلت ، ومعناه أيضاً زيق الجيب المكفوف والزيق ما كف من جانب الجيب ، وزيق القميص وما أحاط بالعنق ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٩٠١ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ١٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ١٨ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، ميرخواند : حبيب السير ، ج ٤ ص ١٠٦ .

(٧) سهيل زكار : المدخل ، ص ١١٠ .

(٨) العراقيين والجبال : أى عراق العجم وقهبستان وبلاد العراق ، وهى البلاد الجبلية الواسعة الممتدة من سهول العراق والجزيرة إلى مفازة فارس ، وسماها البلدان يون العرب إقليم الجبال ، ثم بطل استعمال هذا الاسم ، وصار الإقليم أيام السلاجقة يعرف خطأ بعراق العجم ، وقد سمي بذلك تمييزاً له من عراق العرب ، =

مرات وجلس على كرسيه بين يدي أمير المؤمنين ، فحاول تقبيل يد الخليفة ، فمدها له الخليفة ، فلم يتمكن بسبب وضع التاج على رأسه ، فرفعه ، وقبل يد الخليفة مرتين ، ووضعها على عينيه^(١) فقلده الخليفة سيفاً آخر كان بين يديه ، فتم له بتقلد السيفين تقلد ولاية الولايتين^(٢) (المشرق والمغرب) . وأعطاه الخليفة ثلاثة ألوية ، اثنان خمريّة بكتائب صفر ، وآخر بكتائب مذهبة سمى لواء الحمد والذي عقده الخليفة بيده^(٣) ، فشكر طغرل بك الخليفة ، واستأذن في الخروج ، وأبان عن طاعته ، وصادق محبته ، وخرج إلى صحن دار السلام ، فسار والخيل والألوية أمامه ، إلى باب النوبى^(٤) الذي اتخذ طغرل بك مسكناً له^(٥) وجاءه رئيس الرؤساء مُهنّئاً بما أفاض عليه الخليفة ، وحمل طغرل بك رئيس الرؤساء إلى الخليفة

= وهو ما بين النهرين ، وأطلق العرب اسم (العراقيين) على عاصمتى العراق الكوفة والبصرة ، غير أن السلاجقة ، بعد أن تولوا حكم فارس الغربية جعلوا دار ملكهم في همدان والرى وأصفهان ، وبسطوا نفوذهم على ما بين النهرين حيث مقام الخليفة في بغداد وأحرز السلاجقة من الخليفة العباسى سلطان العراقيين ، وقصد بها في عهدهم إقليم العراق بكامل مدنه ، وإقليم الجبال (عراق العجم) حيث كان السلطان السلجوقى يقضى أكثر وقته ، وهكذا صار يعرف لدى العامة بعراق العجم تمييزاً له عن العراق الآخر بكامل مدنه ، وسماء القزوينى بـ (قوهستان) أى إقليم الجبل ، وبطل استعمال لفظ الجبال بعد الفتح المغولى ، ومازال اسم "عراق العجم" يطلق على إقليم الجبال حتى اليوم ، وخاصة البلاد التى تقع جنوب غربى طهران ، ويعرفه أهل اليوم باسم (ولاية عراق) ، ومن أهم مدنه قرميسين (كرمانشاه الحديثة) وهمدان والرى وأصفهان وكردستان ، ولورستان وغيرها - لمزيد من التفاصيل أنظر أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٤٠٨ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٥ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٣ ، ومابعدها ، ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٢٠٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٢٠-٢٢٨ .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٨٢ .

(٤) باب النوبى : محلة كبيرة بالجانب الغربى من بغداد ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٠٨ ، ولقد بلغ من اهتمام الخلفاء العباسيين بباب النوبى ، أن جعلوا له قاضياً يعينه قاضى القضاة العباسى ، وكثيراً ما كان باب النوبى هو مكان جلوس قاضى الحرم الطاهرى ، واعتبر باب النوبى منزلاً لكبار زوار الخليفة العباسى فى بغداد وتشير أغلب المصادر التاريخية إلى ذلك ، انظر ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٨٢ ، ومابعدها ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٦٢ ، صالح العلى : معالم بغداد الإدارية والعمرانية (بغداد سنة ١٩٨٨م) ص ٢٤٢ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ .

خمسين غلاما تركيا على خيول بسيوف ، ومناطق^(١) ، وعشرين رأسا من الخيل ، وخمسين ألف دينار ، وخمسين قطعة ثياب^(٢) .

أما تفويض السلطنة لألب أرسلان وملكشاه ، فقد تم دون حضورهما إلى بغداد^(٣) ، بل تم عن طريق الوزراء والرسل ، فعندما تم لألب أرسلان أمر السلطنة أرسل قاضي الري (أبا عمر محمد بن عبد الرحمن) وزوده برسالتين إحداهما للخليفة العباسي ، والأخرى لوزيره ابن جهير^(٤) ، وقد رحب الخليفة القائم بأمر الله برسول السلطان ، وأخرج وزيره "فخرى الدولة ابن جهير" لتلقى رسل السلطان ، وجلس الخليفة جلوسا عاما ، وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة ، وسلمت الخلع بمشهد من الناس^(٥) ، وأمر أن يخطب للسلطان السلجوقي في مساجد بغداد وأن يكون لقبه "السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود^(٦) . وقد رد ألب أرسلان على إنعام الخليفة عليه بإنفاذ مبلغ من المال، وبعض الهدايا إليه^(٧) .

ولما تولى ملكشاه السلطنة سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م بعث سعد الدولة كوهرائين^(٨) سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسي يطلب تفويضا بحكم البلاد ، فجلس الخليفة العباسي جلوسا عاما لهذه المناسبة ، ومعه ولي عهده المقتدى بأمر الله ، والنقباء ، وقاضي القاضى ، والوزير فخر الدولة ابن جهير وسلم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة ، وقرأ ابن جهير أوله وسلم إليه لواء عقده الخليفة بيده ، ولم يمنع أحد من

(١) مناطق : جمع منطق ، وهو الحزام ويكون غالبا من الذهب أو الفضة ، دوزى : المعجم ص ٣٤٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، القلتشندى : مآثر الأنافة ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٣) لم يثبت من خلال قراءة المصادر أن السلطان ألب أرسلان قابل الخليفة العباسي أبدا طوال فترة سلطنته ٤٥٥هـ / ٤٦٥هـ / ١٠٦٣-١٠٧٢م .

(٤) الحلبي : ملخص تاريخ الإسلام ، ج ٦ ورقة ٣٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٦٦ ، ط. بيروت .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٦٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٨) سعد الدولة كوهرائين : شحنة بغداد في عهدي ألب أرسلان وملكشاه ، الراوندى : راحة الصدور ،

ص ١٩٠ ، ١٩١ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٥ .

الدخول إلى دار الخلافة ، فامتلاً صحن دار السلام بالعامّة ، حتّى هنا الناس بعضهم بعضاً بالسلامة من كثرة الزحام^(١) .

ويمثل السلطان السلجوقي قمة الهرم الحاكم فى الدولة ، وإليه يرجع جميع المسئولين فى الدولة فى تصريف وفصل الأمور ، ومنه تصدر الأوامر والتشريقات ، وعلى هذا فإن السلطان هو الحاكم الأول فى الدولة السلجوقية^(٢) .

نظرية التفويض الإلهى :

كان لاحتكاك السلاجقة بالفرس أثره حيث أنهم اعتقدوا أن حكمهم مستمد من الله سبحانه وتعالى ، فهم يقولون بنظرية الحق الإلهى فى الحكم^(٣) ، قال نظام الملك^(٤) "اختار الله السلطان ، وميزه على عباده ، وجعلهم جميعاً خاضعين له ، منه يستمدون نفوذهم ، ودرجاتهم أما هو فيستمد قوته من ربه الذى جعله أميناً على عباده فعليه إذا ليكون له على سائر الملوك فخر وفضل أن يتحلى بطيب الخلق وحميد الخصال" .

وقد أوضح السلطان ألب أرسلان . ذلك الاعتقاد فى قوله عند تفويض نظام الملك الطوسى بالوزارة (وإنا نعه ونهيئة لنعمة الملوكة المفوضة من الله تعالى ، والتي حصلها بواسطة تربيتنا له)^(٥) .

ويقول الراوندى^(٦) "إن السلطان خليفة الله فى أرضه ، والحاكم فى حدود دينه وفرضه ، قد خصه الله بإحسانه وأشركه فى سلطانه ، وبذله لرعاية خلقه ، وندبه لنصرة حقه" .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ط. دار الكتب العلمية بيروت بدون) ، ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٠٣ .

(٢) Mehmet Altay : Tugulbey : p. 76 - 77 .

(٣) نظرية الحق الإلهى فى الحكم هى نظرية الفرس القديمة حينما اعتقدوا أن حكمهم مستمد من الله تعالى ، ونتيجة لاحتكاك بل واعتماد العباسيين اعتماداً رسمياً على الفرس فقد طبق أبو جعفر المنصور هذه النظرية فى إحدى خطبه حينما ذكر أنه ظل الله على الأرض "أحمد الشامى" الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ص ٦١ - ٨٥ .

(٤) سياسة نامه : ص ٤٦ - ٤٧ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٥٨ .

(٦) راحة الصدور : ص ١٩٧ .

ويتضح لنا من خلال هذه النصوص نظرة السلطان والوزير السلجوقي إلى روحية الحكم ، فالسلطان يقول صراحة أن السلطنة والملوكية مفوضة من الله تعالى له ، والوزير يؤكد أن الله اختار السلطان وميزه من عباده ، معنى هذا أن السلاجقة صبغوا على حكمهم صيغة إلهية - دينية - روحية فالاختيار واقع من الله تعالى لأن يكون طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه وبقية سلاطين السلاجقة يحكمون الناس بتفويض من الله تعالى ، فما على الناس إلا الطاعة والاحترام .

ومما يؤيد ذلك كله ما ذكره الراوندى^(١) ، إثر انتصارات طغرل بك ، قوله "فاشتد بأسهم وادادت قوتهم ولاحت على صفحات أحوالهم إمارات الملك المؤيد بالتأييد الإلهي وعلامات الحكم الموفق بالعون الأولى" .

ويقول في حق السلطان ملكشاه (كان السلطان ملكشاه ملكا جبارا نافذ السلطة سعيد المحظ .. مؤيد بالتأييد الإلهي ، موفقا بالتوفيق الرباني)^(٢) .

ولذلك تمتع السلطان السلجوقي بحقه الديني في دولته ، والولايات التابعة له ، بل في مقر الخلافة العباسية نفسها ، فكان اسمه ولقبه الديني يذكر في الخطبة ، كما كان ينقض على الحكم مع اسم والي الولاية السلجوقية ومع الخليفة العباسي في بغداد^(٣) ، الذي ظن هو الآخر أن حكمه مستمد من الله تعالى ، وأنه ظل الله في أرضه .

رسوم تعيين السلطان السلجوقي

أولا : قوة الزعيم السلجوقي وشخصيته :

والذي كان يغلب عليه الطابع العسكري القبلي فهو رئيس القبيلة ، وقائدها العسكري^(٤) ، ولذلك سنجد كل سلطان من سلاطين السلاجقة العظام يقود الجيوش بنفسه ، كما فعل طغرل بك وألب أرسلان ، وملكشاه^(٥) ، أو يوكل القيادة لأحد أولاده أو أقربائه ،

(١) راحة الصدور : ص ١٥٧ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٦ .

(٤) حسين أمين : نظام الحكم ، ص ٢١١ ، إدريس : رسوم السلاجقة ، ص ٣٤ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ، ص ١١٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٢١١ ، إقبال : إيران ، ص

أو وزرائه ، كما فعل طغرل بك حينما أناب عنه إخوته وبنى عمومته لفتح ما يجاورهم من بلاد^(١) ، كما منح أخاه إبراهيم ينال ، وابن أخيه ألب أرسلان قيادة الجيوش السلجوقية لفتح الكثير من البلاد وخاصة بلاد الروم^(٢) .

بل أننا نجد وزراء السلاجقة يقودون الجيوش ، كما فعل نظام الملك مع ألب أرسلان حينما قاد الجيوش بنفسه لفتح قلعة فى بلاد فارس^(٣) .

ولقد بلغ من قوة السلطان السلجوقى أنه هو المسئول الأول عن السياسة العامة للدولة وإعلان الحرب وقيادة الجيوش ، وتعيين الحكام والقواد ، وهو الذى يأمر بإقطاعاتهم كما يأمر بوضع الضرائب أو إزالتها^(٤) .

وعلى هذا يمكن القول بأن إدارة السلطان السلجوقى لدولته اتسمت بالمركزية فى بعض الأمور واللامركزية فى بعضها الآخر حينما اتسعت رقعة الدولة السلجوقية ، فكان السلطان السلجوقى يرجع إليه فى تصريف شؤون الدولة فى جلال الأعمال ودقائقها ، فحينما ذهب الماوردى برسالة الخليفة العباسى سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠ إلى طغرل بك فى الرى انتظر لمدة ثلاث سنوات حتى عاد طغرل بك من حملاته^(٥) ، وهذا دليل على قوة السلطان السلجوقى .

ويبلغ السلطان بما يحدث فى أرجاء دولته ، ويمنع جنده من السلب والنهب ، مثلما حدث حينما استأذن "حفرى بيك داود" السلطان طغرل بك فى نهب نيسابور بعد دخولها سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م فمنعه طغرل بك^(٦) .

وكان السلطان السلجوقى يولى ويعزل فى الإمارة والقيادة والإدارة ، ويفصل فى المنازعات التى تبلغه ، بين أفراد البيت السلجوقى ، مثلما فعل السلطان ملكشاه مع أخيه تتش ، وابن عمه سليمان بن قتلمش^(٧) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٢ ، عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين ص ٣٤ - ٣٦ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٧٤ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٦٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ١٦٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ .

وقشلت اللامركزية حينما ترك سلاطين السلاجقة كامل التصرف فى شؤون الولاية عامة من جباية للأموال ، وتعيين العمال وخلعهم ، وفض المنازعات ، ورعاية المصالح العامة لأمرأء الأقاليم^(١) ، نظرا لاتساع رقعة الدولة السلجوقية ، إلى جانب أنهم لم يهدفوا إلى إقامة حكم فردى ينحصر فى رئاسة زعيم واحد ، بل وزعوا الإمارات على أفراد البيت السلجوقى^(٢) .

ثانيا : إقامة الخطبة :

ومن رسوم تعيين السلطان السلجوقى إقامة الخطبة له على سائر منابر دولته التى يحكمها ، بالإضافة إلى مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، بل عمل منابر بعض الدول المجاورة والدول الخليفة مثل القسطنطينية والدويلات العربية المجاورة^(٣) .

ويعتبر السلطان طغرل بك هو أول سلطان سلجوقى قرئت باسمه الخطبة على منابر المساجد فى فارس ، والعراق ، وبلاد ماوراء النهر ، والشام ، والقسطنطينية^(٤) ، فحينما دخل طغرل بك نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م قرئت الخطبة باسمه فى يوم الجمعة الثانى من شهر رمضان سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م بعد أن كانت تقرأ باسم السلطان مسعود الغزنوى^(٥) . وفى سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م اعترف الخليفة العباسى بالسلاجقة ، وفوض طغرل بك البلاد التى تحت يده^(٦) فأصبح بذلك سلطان شرعى اكتسب شرعيته من الخلافة العباسية . وفى سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م دخل طغرل بك بغداد لأول مرة ، فأمر الخليفة العباسى القائم بأمر الله أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر بغداد ، وأن يكون لقب (السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبا طالب

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٧ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، إقبال : الوزارة ص ٦٠ .

(٢) إدريس : رسوم ، ص ٣٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ١٦٧ وما بعدها ، ابن العبرى : مختصر ص ٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٥٠ ، بارتولد : التركستان ، ص ٤٤٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، المقرئى : السلوك ، ج١ القسم الأول ص ٥٢ ، اتعاط الحنفا ، ج٢ ص ٢٣٠ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ١٦٢ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ١٦٦ ، ابن خلكان : وفيات ج٢ ص ٤٤٠ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج٤ ص ١٠ .

طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق^(١)، ثم عممت الخطبة باسمه فى سائر أنحاء الدولة العباسية بعد ما قضى على فتنة البساسيرى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م^(٢).

وفى سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، وسنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م أقيمت الخطبة لطغرلبك والخليفة العباسى فى مسجد القسطنطينية، بأمر من الإمبراطور قسطنطين التاسع موناмахوس، والإمبراطورة ثيودورا^(٣). حينما بعثت ثيودورا (٤٤٧هـ-٤٤٨هـ/١٠٥٥-١٠٥٦م) بهدايا وسفارة إلى طغرلبك الذى كان فى بغداد حينئذ، وقد وصلت هذه السفارة إلى العاصمة البيزنطية عبر أراضى الأمير المروانى نصر الدولة الذى سارع هو الآخر بإقامة الخطبة لطغرلبك فى بلاده^(٤).

كما أقام الملك بغراخان القرخانى^(٥) الخطبة لطغرلبك وللخليفة العباسى على منابر بلاده فى كاشغر عندما توطدت العلاقات بين السلاجقة والقراخانيين^(٦).

كما أقيمت الخطبة لطغرلبك على سائر منابر البلاد والمدن التى أعطى حكمها لأمرأء السلاجقة^(٧) وهذا دليل على قوة السلطان السلجوقى، وزيادة نفوذه، واتساع رقعة دولته.

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٣٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٨١ وما بعدها . ومن الملاحظ أن البعض يشك فى إقامة الخطبة لطغرلبك على منابر مسجد القسطنطينية على الرغم من الإشارات الصريحة فى المصادر العربية إليها ، راجع : عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين من ظهور الأتراك السلاجقة ص ٣٨ ، ٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٢١-٣٣٥ .

(٥) الملك بغراخان القرخانى : ملك الدولة القراخانية وهم الأتراك الشرقيون الذين كونوا لهم أول إمارة تركية إسلامية تركستان عرفت باسم القراخانيين شملت البلاد الواقعة إلى الشمال والشرق من بلاد ماوراء النهر حتى حدود الصين وقراخانيون تشتمل على مقطعين - قرا ، وهى كلمة تركية بمعنى أسود ، خانيون جمع خان وهو صاحب السلطة الرئيسية أو الملك ، ولذلك سُمى القراخانيون بالأتراك السود . انظر : حسن محمود : الإسلام فى آسيا الوسطى ص ١٣٦ ، بارتولد : التركستان ، ص ١٢١ ، تاريخ الترك ، ص ٦٨ ، ادريس : تاريخ العراق ص ١٦٠ .

(٦) البيهقى : تاريخ ص ٥٧١ - ٥٧٤ ، زامباور : معجم الأسرات ، ج ٢ ص ٣١٢ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ .

ولما استقرت السلطنة لألب أرسلان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، وبعد موافقة الخليفة العباسي على سلطنته أعلنت الخطبة باسمه في بغداد إلى جانب اسم الخليفة ، وقيل في الدعاء " اللهم أصلح السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود" (١) .

كما أقيمت الخطبة على منابر مدينة الري حينما أجبر أخاه غير الشقيق سليمان الطفل ، على التنازل عن العرش ، وإقامة الخطبة لنفسه (٢) .

كما قرئت الخطبة باسم ألب أرسلان في مدن فارس وإيران ، وأذربيجان ، وبلاد الكرج وأرمينية وآنى ، ومعظم بلاد ماوراء النهر (٣) وفي بعض مدن الشام (٤) وفي مكة والمدينة (٥) وبعض مدن آسيا الصغرى وملاذكرد ، والقسطنطينية (٦) .

ولما تولى ملكشاه السلطنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م أمر الخليفة العباسي بأن تقرأ له الخطبة على منابر بغداد ، وسائر أرجاء الدولة العباسية ، ولقبه بلقب السلطان (معز الدنيا والدين ملكشاه) (٧) .

كما كان يخطب له من أقصى بلاد الترك في كاشغر وحدود الصين حتى بيت المقدس غربا ، ومن القسطنطينية شمالا إلى بلاد الخزر جنوبا (٨) ، ومن شمال بحيرة خوارزم وصحراء

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص ٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ١٣ ، الراوندي : راحة ، ص ١٨٥ .

(٢) البنداري : : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر ج١ ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٢٨ ، ٢٩ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٢١ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٤٣ ، إقبال : إيران ص ٢٤٦ .

(٦) البنداري : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، وما بعدها ، حسانين ربيع : دراسات ص ١٩٠ ، وما بعدها ، فايز اسكندر : استيلاء السلاجقة ، ص ٧ - ٢٧ .

(٧) الراوندي : راحة الصدر ، ص ١٩٧ ، ابن الجوزي : ج٨ ص ٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٥٨٧ .

القفجاق حتى ماوراء اليمن^(١) ، وكان الإمبراطور البيزنطي والأمراء المسيحيون في بلاد الكرج ، والأبخاز يقيمون له الخطبة ويعطونه الجزية^(٢) . وهذا دليل واضح على مدى قوة ونفوذ واتساع ملك السلطان ملكشاه . ففي سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، أقيمت الخطبة للملكشاه في كرمان بعد قضائه على عمه قاورد بك^(٣) ، وفي نفس العام قرئت باسمه الخطبة في أصفهان حاضرة ملكة^(٤) . وفي أعوام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م ، وسنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، وسنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م ، قرئت الخطبة لملك شاه على منابر بلاد ما وراء النهر في بلخ وبخارى وسمرقند وكاشغر وفرغانة وغيرها^(٥) . وفي سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م ، وسنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م وما بعدها استقرت الخطبة وقرئت للملكشاه في بلاد الشام في مدن دمشق وحلب ، وبعليك وغيرها^(٦) . وفي سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م وما بعدها قرئت باسمه الخطبة على منابر آسيا الصغرى في قونية وأنطاكية^(٧) كما ذكر اسمه في خطبة المسجد الأقصى بيت المقدس^(٨) ، وبلاد اليمن^(٩) .

ثالثا : التلقب بالألقاب :

اللقب عزيز دائما ، والحفاظ عليه جزء من شرف المملكة^(١٠) ، ولذلك حرص سلاطين السلاجقة ووزرائهم ، وأمراؤهم على التلقب بالألقاب الدينية والدنيوية إلى جانب أسمائهم

(١) الراوندي : راحة الصدور ص ١٩٩ ، الحسيني : أخبار الدولة ص ٥٧ ، أبو الفداء : المختصر ج١ ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٢) اقبال : تاريخ إيران ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٣) القزويني : تاريخ كزيدة ص ٩٦ ، الحسيني : أخبار ص ٥٦ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ص ٣٩٨ ، ٤٢١ ، اقبال : تاريخ إيران ص ٢٥٣ . مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٢٨ .

(٦) أبو الفداء : المختصر ج١ ص ٢٠٠ ، المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ٣١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص ٣٠ وما بعدها ، حلمي : السلاجقة ، ص ٢٨ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ص ٢٦٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ص ١٠٤ .

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ١٠١ ، ١٠٣ .

(٩) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٩٩ ، الحسيني : أخبار ، ص ٥٧ وما بعدها .

(١٠) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٩١ .

الأصلية ، حتى أصبح من المظاهر الرسمية فى العصر السلجوقى الإكثار من الألقاب للسلطين وذوى النفوذ من الوزراء خصوصا التى اصطلح على تسميتها بالنعوت ، أى الألقاب المركبة التى تتكون من أكثر من لفظ واحد^(١) .

وكان الخليفة العباسى يمنح اللقب للسلطان السلجوقى ، إذا ما وافق على تفويضه السلطنة والحكم^(٢) ، فإلى جانب لقب السلطان الذى نعت به طغرل بك حينما دخل بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٣) لقبه الخليفة بـ (المعظم ركن الدنيا والدين أبى طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق)^(٤) .

وحينما قابل طغرل بك الخليفة العباسى لأول مرة سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م خلع عليه الخليفة لقب (ملك المشرق والمغرب)^(٥) ، بل زاد فى ألقابه (يمين أمير المؤمنين)^(٦) ، كما وجد هذا اللقب على نقشه المضروب بمدينة السلام سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م^(٧) .

وبعد القضاء على فتنة البساسيرى فى بغداد سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م^(٨) لقب الخليفة - طغرل بك - بلقب (شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب ، محب الإسلام ، حليف الإمام يمين

(١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٦٣ ، والمعروف أن سلاطين السلاجقة اتخذوا اسمين ، أحدهما الأصلي وهو الاسم التركى الذى كان يسمى به قبل دخوله الإسلام والدولة الإسلامية مثل طغرل بك وألب أرسلان ، واسم آخر عربى ، حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦١ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، إدريس : رسوم ، ص ٣٥ .

(٣) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠٤ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨٢ .

(٦) يمين أمير المؤمنين : يشير هذا اللقب إلى أهمية الملقب إلى أمير المؤمنين ، كأهمية اليد اليمنى للإنسان ، وهو يحدد إحدى مراحل التطور فى العلاقة بين السلطان والخليفة ، الحسينى : أخبار ، ص ١٩ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٢١٤ .

(٧) محمد باقر الحسينى : دراسة إحصائية للكنى والألقاب المضروبة بالرى (المحمدية) ، مقال منشور بمجلة المسكوكات ، العدد السابع (بغداد ، ١٩٧٦م) ص ٢٤٠ ، نقود السلاجقة : رسالة دكتوراه غير منشورة (آداب القاهرة ، ١٩٦٨م) ص ٢٠٤ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢١٠ ، المقرئى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، ابن القلانسى : ذيل ، ص ٨٩ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

خليفة الله أمير المؤمنين^(١) ، مما أعطى لطغربك صفة المنقذ لأنه أنقذ الخلافة من الضياع ، كما وجد اللقب نفسه (شاهنشاه المعظم) على دينار الذهبى المضروب فى نيسابور سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م . وفى سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م وفى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م وفى الرى ، وأيدج^(٢) ، ومدينة السلام وغيرها^(٣) .

كما يتضح من خلال النقود التى ضربها طغربك فى المدن التى استولى عليها ، الكثير من الألقاب التى تلقب بها ، وسكها على نقوده الذهبية والفضية ، ومنها "الأمير الأجل" لقب به طغربك على نقده الذهبى المضروب فى نيسابور سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤٥م^(٤) ، ولقب (الأمير السيد أبو طالب) المضروب على نقده الذهبى فى الرى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٦م^(٥) ، وسنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٧م وسنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٩م ، وسنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م فى هراة^(٦) .

وأطلق لقب السلطان على ألب أرسلان حينما وافق الخليفة العباسى على أن يكون سلطانا على السلاجقة ولقبه به (السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملك^(٧)) أبا شجاع ألب أرسلان بن داود^(٨) ، ووجد أيضا لقب السلطان سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م فى نقش صينية من الفضة فى إيران^(٩) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ٢٢٣ .

(٢) أيدج : من مدن القرس تقع بين خوزستان وأصفهان ، وهى أجل مدنها ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ص ٢٨٨ .

(٣) محمد باقر الحسينى : مجلة المسكوكات ، ج٧ ص ٢٤٠ .

Lane Poole : Catalogue of Collection of Arabic Coins, London 1897) p. 430 .

(٤) Seleu Kluderaisi, III, 1971, p. 441 .

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ١٨٩ - ١٩٣ .

(٦) Seleu Kludergisi, p. 442 .

(٧) تاج الملة : التاج الإكليل الذى يوضع على الرأس ، وأضيف هذا اللقب إلى الكثير من الألقاب ويرمز اللقب إلى أن الملقب أعلى الطائفة التى ينتمى إليها ويزنتها ، ومثله "تاج الرؤساء" وتاج الملوك وتاج الوزراء ، وقد أطلق على عضد الدولة البويهى ، انظر : المقرئى : السلوك ، ج١ ، ص ٢٨ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٢٩ ، ٢٤١ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ .

(٩) حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٢٥ .

وفى سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م حينما تم النصر لألب أرسلان فى ملاذكرد^(١) بعث الخليفة العباسى برسالة إليه يهنئه فيها بهذا النصر العظيم ، ولقبه بأرفع الألقاب "الولد السيد الأجل المؤيد المنصور المظفر ، السلطان الأعظم ، مالك العرب والعجم ، سيد ملوك الأمم ، ضياء الدين ، غياث المسلمين ، ظهير الأيمان ، كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين^(٢) ، حرص الله تمهيده وجعل من الخبرات مزیده^(٣) .

كما لقب ألب أرسلان بلقب (ناصر أمير المؤمنين)^(٤) ، وهذه اللقب يحدد إحدى مراحل التطور فى العلاقة بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة ، حيث اعتبر السلاجقة أنفسهم جنود للخلافة العباسية قدموا ليردوا لها هيبتها ، ولذلك تلقبوا بالألقاب ترمز إلى مهمتهم فى

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٤٠-٤٢ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ١ ص ٢٢ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ ، ستيفن رنسيما : تاريخ تاريخ الحروب ج ١ ص ١٠٧-١٠٩ ، فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد ص ١٣ وما بعدها .

(٢) برهان أمير المؤمنين : البرهان بمعنى الحجة ، وكان اللقب يطلق على السلاجقة ، وشاع استعماله فى دولة سلاجقة الروم ٥١١-٥٩٠هـ / ١١١٧-١١٩٣م ، كما أطلق لقب (براهين أمير المؤمنين) على سلاطينهم فى آسيا الصغرى أيضا ويلاحظ الاستمرار فى استعمال اللقب بعد انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ١٢٦١م ، على يد الظاهر بيبرس البندقدارى ٦٦٠-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م ، مما يشير إلى اعتراف سلاجقة الروم بسيادة المالك ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ١٩٨ ، أحمد الشامى : دولة الممالك البحرية ، آداب الزقازيق ١٩٨٩ ص ٥٦-٦٠ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٢ ، ص ٢٦٠-٢٦٥ ، الحشىنى : أخبار ، ص ٧٣ .

(٤) ناصر أمير المؤمنين : عرف هذا اللقب فى أوائل العصر الأموى حين تلقب به (عبد الرحمن بن الأشعث) لما ثار على الحجاج ، وهكذا كان من أوائل الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ظهورا ، وعرف أيضا فى بداية عصر السلاجقة وفى إطلاقه على سلاطين السلاجقة تعبير على ما أظهره السلاجقة من حمية فى نصرة الخلافة العباسية ، وحماية المذهب السنى ، وإن لم يمنعهم هذا من الاستبداد كلية بشئون الحكم والإدارة بعد ذلك ، وقد توارثه سلاطين السلاجقة فى أغلب دولها ، واستعمله الأيوبيون فى مصر وبعض سلاطين الممالك البحرية ، والملك الأشرف خليل قبل سلطنته ، كما ورد بصيغة ناصر الخلافة العباسية ضمن ألقاب قايتباى ٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٥٣-١٤٦١م ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

الانتصار للخليفة العباسي^(١) ، وإن لم يمنع هذا من الاستبداد كلية بالخليفة وشئون الإدارة والحكم بعد ذلك .

كما لقب ألب أرسلان بلقب "الأمير الأجل" قبل توليه السلطنة ، وقد وجد هذا اللقب على إحدى نقود طغرلبيك الفضية^(٢) ، وقد ذهب بعض الباحثين عند قراءته للقب (الأمير الأجل) إلى أن طغرلبيك كان قد نصب ألب أرسلان وليا لعهد ، ولكن ورود اسم "ألب أرسلان" مقرونا باللقب (الأمير الأجل) على هذا الدرهم ، لا يقضى أن يكون قد عين وليا لعهد عمه طغرلبيك كما ذهب (زامباور) ، إذ لو كان ألب أرسلان وليا لعهد طغرلبيك لنقش اسمه على جميع نقوده ، ولظهر على النقود التي ضربها ألب أرسلان بنفسه في مرو ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، وهراة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م عندما كان واليا على خراسان زمن عمه طغرلبيك^(٣) .

وأكبر الظن أن تسجيل اللقب (الأمير الأجل) على هذا الدرهم هو رغبة من السلطان طغرلبيك في استرضاء ألب أرسلان للاستعانة به ، وليس لكونه وليا لعهد^(٤) .

كما لقب ألب أرسلان بلقب "السلطان المعظم شاهنشاه ملك الإسلام" ، وذلك على نقده الذهبي المضروب في هراة سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م ، وقاشان سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م ، ونيسابور في نفس العام^(٥) ، كما لقب أيضا بلقب (ملك المشرق والمغرب) على نقده الذهبي المضروب في نيسابور ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م ، وأصفهان سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ، ومرو سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م^(٦) .

كما تلقب بلقب (ركن الدين) على نقده الذهبي المضروب بالرى سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م ، وفي هراة سنة ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م^(٧) وورد لقب (تاج الأمة) على نقد ذهبي لألب أرسلان ضرب

(١) البنداري : آل سلجوق ص ١٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٢٢١ ، حسن الباشا : الألقاب ص ٢٠٤ ، ٢١١ .

(٢) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ١٩٣ .

(٣) البنداري : آل سلجوق ص ٢٧ ، السيوطي : الخلفاء ص ٤١٩ ، ٤٢٠ محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ، ص ١٤٨ ، ١٩٣ .

(٤) محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ص ٤٨ .

(٥) Selcuku p. 481 .

(٦) Op. cit. p. 482 .

(٧) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ١٩٢ .

فى هراة ومرو سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ^(١) وكان من ألقابه أيضا (سيف الله) ^(٢) ، و(ظهير الإمام) ^(٣) ، و"أبو شجاع" وكلها ألقاب وردت على نقوده الذهبية المضروبة فى المدن التى فتحها ^(٤) .

وتتفق المراجع التاريخية والنقوش والعملة على أن لقب (سلطان) أطلق على ملكشاه ، فحينما استقرت له الدولة ، لقبه الخليفة بلقب (السلطان معز الدنيا والدين ملكشاه) ^(٥) ، وأضاف المقرئى ^(٦) أنه لقب بالسلطان جلال الدولة أبو الفتح ملك شاه بن عضد الدولة ، بينما يرد لقب (السلطان المعظم) ضمن ألقابه فى نقش بتاريخ ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م فى الجامع الأموى بدمشق ^(٧) ، ويؤيد الحسينى ^(٨) هذا اللقب حينما ذكر أيام (السلطان الأعظم جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه) .

وقد ورد فى تاريخ آل سلجوق ^(٩) لقب (السلطان جلال الدنيا والدين أبو الفتح ملكشاه) بن ألب أرسلان يمين أمير المؤمنين) ، ويؤيد قول البندارى أن لقب يمين أمير المؤمنين قد أطلق على ملكشاه فى نص أنشئ بتاريخ ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م فى الجامع الأموى بدمشق ، وآخر بتاريخ ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ، فى ضريح الصالحين بحلب باسم (عضد الدولة أبى شجاع أحمد يمين أمير المؤمنين) ^(١٠) .

(١) محمد باقر : نفسه ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢) سيف الله : لفظ دخل فى تكوين كثير من الألقاب المركبة التى تحمل جميعها معنى القوة ، وأول من نعت به فى الإسلام هو "خالد بن الوليد" لقبه به النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد انسحابه بجيش المسلمين من مؤته ، حسن الباشا : الألقاب ص ٣٤١ ، ٣٤٥ ، أحمد الشامى : تاريخ العرب قبل الإسلام ط ٣ (الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٨٥) ص ٢٤٩ .

(٣) ظهير الإمام : الظهير فى اللغة المعين ، وقد استعملت كلقب الرجال العسكريين ، وقد وجد على بعض نقود الغزنويين ، الكرملى : النقود العربية ، ص ١٣٢ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٨٦ .

(٤) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٢٠٨ - ٢١٤ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٧٦ .

(٦) السلوك ، ج ٢ ص ٣٣ .

(٧) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٣٢٥ .

(٨) أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٥٥ .

(٩) البندارى ، ص ٥٧ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ص ١٩٧ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢١٤ .

على أن الراوندى^(١) قد ذكر ملكشاه بلقب (قسيم أمير المؤمنين)^(٢) ، وهو لقب رفيع يعنى مقاسمة أمير المؤمنين فى سلطانه ، ويمكن تصديق ذلك بناء على اتساع ملك ملكشاه ، والذي قاسم به القائم ، والمقتدى العباسى فى سلطانهم ، خاصة حينما ساءت العلاقات بين ملكشاه والخليفة المقتدى بأمر الله^(٣) .

ومن ألقاب ملكشاه (معز الدين ركن الإسلام) على نقده الذهبى المضروب فى أصفهان سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، ونيسابور ٤٧٠هـ/١٠٧٧م^(٤) ، وعلى نقده الفضى المضروب فى سرخس سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م^(٥) .

(١) راحة الصدور ، ص ١٩٧ .

(٢) قسيم أمير المؤمنين : من الألقاب الرفيعة المضافة إلى أمير المؤمنين ، ومعناه مقاسم أمير المؤمنين فى سلطانه ، وأطلق هذا اللقب على أبى نصر الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه فى فارس والعراق (٤٤٠-٤٧٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م) إذ ورد ضمن ألقابه ، ويعبر عن صدى ما وصلت إليه سلطة الخليفة من اضمحلال فى آخر عصر بنى بويه ، ولم يتخذ سلاطين السلاجقة فى أول عهدهم هذا اللقب ، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم جنودا للخلافة ، ولكن لم يلبث أن ظهر هذا اللقب (قسيم أمير المؤمنين) ثانية فأطلق على ملكشاه وأولاده ، فقد أطلق على أبى شجاع محمد بن ملكشاه فى نص تعمير بتاريخ سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م فى الجامع الكبير فى دمشق ، ثم صار لقباً عاماً على سلاطين السلاجقة ، ثم نقل إلى ملوك الدول الآتية بعد السلاجقة مثل ملوك الدولة الغورية ٥٤٣-٦١٢هـ/١١٤٨-١٢١٥م ، وظل مستعملاً لكبار السلاطين حتى سقطت الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، وانتهى بنهايتها ، ولكن سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م حينما بعث الظاهر بيبرس الخلافة العباسية من جديد فى القاهرة ، وقلد خليفة جديد عرف بالمستنصر لقب نفسه بقسيم أمير المؤمنين ، وظل شائعاً فى العصر المملوكى ، لمزيد من التفاصيل راجع : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص ٣٩٧ ، ابن دقماق : الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، حققه محمد كمال عز الدين (دار الكتب بيروت ١٩٨٥م) ج٢ ص ٧٠-٧٦ ، سيرة الملك الظاهر بيبرس ، (بيروت المكتبة الشافعية ١٩٧٥) ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٢٠٤-٢٠٧ ، أحمد الشامى : دولة المماليك البحرية ، ص ٥٣ - ٥٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٩ - ٥١ ، ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ٣١٧ ، ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٣٤ - ٤٥ .

(٤) Salcuku, p. 485 .

(٤)

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٢٠٨ .

كما لقب ملكشاه أيضا بلقب (السلطان المعظم شاهنشاه) على نقده الذهبى المضروب فى سرخس سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، والرى سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م ومرو سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م (١) ، كما لقب بلقب (ركن الدين أبو العباس) على نقده المضروب بمدينة السلام سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، ولقب (ذخر الدين) (٢) أبو الفتح) كما ورد فى نقوده الذهبية المضروبة فى نيسابور وأصفهان والرى وبغداد (٣) .

أما أخطر الألقاب التى لقب بها ملكشاه فهو لقب (أمير المؤمنين) ، وقد ورد على أحد نقوده النحاسية المضروبة فى أصفهان سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م (٤) ، على الرغم من أن هذا اللقب خاص بالخلفاء ، وكان طبيعيا أن يرد هذا اللقب للخليفة بأمر الله أو المقتدى وغيرهما من خلفاء بنى العباس ، وهذا دليل على اتساع ملك - ملك شاه - وسطوته على الخليفة العباسى (٥) ، ولكن يمكن القول أن ذلك من باب التدليس والتزييف فى العملة والكيد بين الخليفة والسلطان ملكشاه خاصة أنه ضرب من النحاس وليس من الذهب وكذلك ضرب فى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م وهو العام الذى شهد أوج الخلاف بينهما .

رابعاً : نقش اسم السلطان على العملة :

يعتبر نقش اسم السلطان على العملة من أهم رسوم السلطنة (٦) ، ولذلك حرص سلاطين السلاجقة العظام على ضرب اسمهم على السكة مثلما فعل طغرل بك حينما دخل نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م (٧) ، كما ضرب العملات باسمه فى كل البلاد التى استولى عليها

Seleuku. p. 488 .

(١)

(٢) ذخر الدين : الذخر فى اللغة لما يذخر من النفائس ، وقد غلب استعماله كلقب للعسكريين فى عصر المماليك فيما بعد وغيرهم ، واستعمل فى تكوين بعض الألقاب المركبة ، وأصبح من ألقاب الملوك ، حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ص ٢٩٢ .

(٣) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ١٩٣ .

Seleuku. p. 488 .

(٤)

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ١٩٣ .

(٦) القلقشندى : مآثر الأنافة ، ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

السلاجقة^(١) ، وكان أخوه جفري بيك داود قد سبقه في ضرب السكة باسمه في مرو ، وخطب له فيها سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م^(٢) .

وإلى جانب اسم الخليفة العباسي ، ضرب طغرلبيك اسمه على النقود الذهبية والفضية والنحاسية في كل البلاد التي استولى عليها^(٣) ، ففي مدينة الري ضرب طغرلبيك نقوده سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م وفي سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م وفي سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م ، وكان لقبه (السلطان المعظم شاهنشاه طغرلبيك أبو طالب)^(٤) .

كما حرص ألب أرسلان على نقش اسمه على السكة قبل تولية السلطنة ، فعندما كان حاكما على هراة زمن والده "جفري بيك داود" منذ سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، حتى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ضرب نقدا ذهبيا ذكر عليه اسمه ، فقد ذكر في وجهه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ألب أرسلان)^(٥) ، وبعد أن استخلف والده في خراسان ضرب نقودا باسمه سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م في هراة ومرو^(٦) .

وعندما تولى السلطنة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، ضرب اسمه على النقود التي سكها في الفترة من سنة ٤٥٥-٤٦٥هـ / ١٠٦٣-١٠٧٢م وهي مدة حكمه^(٧) ، إلى جانب اسم الخليفة العباسي الذي لا تخلو نقود السلاجقة من ذكر اسمه^(٨) .

ونتيجة لاستقرار قواعد السلطنة للسلطان ملكشاه ، فقد زاد في ألقابه التي ضربها على العملة ، وحرص على نقش اسمه وألقابه وكنيته على كل النقود التي سكها في مدن مملكته

(١) البيهقي : تاريخ ، ص ١٠٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٧ .

(٣) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ٤٣ .

(٤) Selcuku, p. 443 .

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٥٢ .

(٦) Selcuku, p. 444 .

(٧) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٨٥ - ١٩٧ .

(٨) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٤٣ .

الشاسعة ، ومعظمها ضرب فى مدن الأهواز وبغداد ، وأصفهان ، ونيسابور ، والرى وسرخس وهماذان فى مدة حكمه الممتدة من سنة ٤٦٥هـ / ٤٨٥هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢م (١) .

علامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية :

١- حواضر السلاجقة :

اتخذ سلاطين السلاجقة حواضر خاصة بهم فى بلاد المشرق الإسلامى التى فتحوها وخضعت لسلطانهم ، ولم يتخذوا بغداد مقرا لإقامتهم كما فعل بنو بويه (٢) ، ولكنهم أرسلوا نوابا لهم ليراقبوا نشاط الخلفاء العباسيين ووزرائهم ، وصاروا يصرفون شئون الحكم من عواصم (٣) .

والسلطان طغرلبك هو صاحب السبق فى هذا الأمر ، لأنه هو الذى رسم سياسة السلاجقة ، واقتدى به من جاء بعده من سلاطين ، فقد رأى أن يكون بعيدا عن حاضرة الخلافة العباسية بغداد لىبتعد عن المشاكل السياسية والمذهبية التى كانت تتعرض لها الخلافة العباسية ، أو يمنع جنده من السلب والنهب ، كما حدث حينما دخل بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، واعتدى جنده على العامة فيها (٤) ، أو ليتخذ قراراته وهو بعيد عن الخليفة .

ولذلك اتخذ مدينة الرى عاصمة لملكه فى أول أمره (٥) ، ثم جعل نيسابور عاصمة لحكمه ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م حينما جلس على عرش مسعود الغزنوى (٦) ، ثم أعاد حكمه إلى الرى مرة أخرى بدليل أنه استعد لاستقبال زوجته ابنة الخليفة العباسى القائم بأمر الله فى الرى

(١) ولزید من التفاصيل حول نقود السلاجقة ، أنظر الكتاب .

(٢) Lestrangle : Bagdad during the Abbasid caliphate, 323 .

Altay, Tugurlbay, p. 73 .

(٣) إدريس : رسوم ص ٤٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ١٠ ، الحسينى : أخبار ص ١٨ ، ١٩ ، الرواندى : راحة ص ١٧٠ ،

البغدادى : تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٠٢ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٧ .

(٦) البيهقى : تاريخ ص ٦٠٣ ، ابن خلكان : وفيات ج ٥ ص ٦٦ .

باعتبارها دار ملكه^(١) ، وأنه دفن فيها بجوار قبر أخيه جغرى بيك^(٢) ، وكان سليمان الطفل وليا لعهدده فيها ، واستخلص ألب أرسلان السلطنة والعرش منها^(٣) .

ومع أن ألب أرسلان استخلص السلطنة لنفسه فى الرى ، وأقيمت له الخطبة فيها^(٤) إلا أنه لم يتخذها مقرا للملكه ، بل اتخذ مرو عاصمة له^(٥) ، ويرجع السبب فى عدم اتخاذ ألب أرسلان الرى مقرا لحكمه ، وتفضيله مرو عليها ، إلى أن مرو كانت إحدى مدن خراسان التى حكم فيها سنتين من قبل بعد وفاة أبيه جغرى بيك ، ولأن مدينة مرو كانت مقرا وعاصمة لحكم والده قبله حتى وفاته سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م^(٦) .

واختار السلطان ملكشاه مدينة أصفهان عن مدن سائر مملكته لتكون عاصمة للملكة ، ومقرا لعرشه لأنها كانت أحب البلاد إليه^(٧) ، وكانت أصفهان مقره الصيفى وبغداد مقره الشتوى^(٨) .

٢- القصر أو السرايا (دار الحكمة) :

كان القصر علامة على سيطرة السلطان السلجوقى على كل أرجاء دولته^(٩) ، وقد اتخذ طغرلبيك لنفسه قصرا يدير منه شئون حكمه ، فعندما دخل نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وجلس على عرش مسعود الغزنوى ، أدار دفعة الحكم من قصر مسعود فى نيسابور مؤقتا^(١٠) ، حتى نقل عاصمة حكمة إلى الرى ، فبنى بها قصرا ، ومن هذا القصر كانت

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، اليزدى : العراضة ص ٤٤ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٤٩ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، البندار : آل سلجوق ص ٣٢ ، ٣٣ ، دائرة المعارف الإسلامية مادة جغرى بيك .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٨ .

(٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٦ .

(٩)

Altay : Tugrulbey, p. 76 .

(١٠) البيهقى : تاريخ ص ٦٠٣ ،

تخرج الرسائل السلجوقية إلى شتى أطراف دولته^(١) ، وكان قصرا غاية في الروعة والجمال^(٢).

وعقب دخول طغرلبيك بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، وقبضته على دفعة الحكم ، وسقوط دولة بنى بويه وقتل الملك الرحيم البويهى آخر ملوكها^(٣) ، انتقلت قصورهم إلى السلاجقة ، حيث اتخذها طغرلبيك مقرا لحكمه ، ينزل فيها عند زيارته لبغداد^(٤) . وأراد طغرلبيك أن يكون له قصر سلجوقى خالص ، فأمر بهدم مائة وسبعين من القصور الشاطئية البويهية ، وأخذ أنقاضها ، وبنى بها قصورا جديدة^(٥) ، وبنيت فى الجانب الجنوبى من القصور البويهية، وعرفت بدار السلطنة ، أو دار السلطان ، أو مدينة طغرلبيك^(٦) .

وفى سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م بنى طغرلبيك سورا حول داره وقصره الواسع ، وأدخل فيه قطعة كبيرة من المحرم (دار الحرم الطاهرى)^(٧) ، ودار الفيل^(٨) ، وكان سور طغرلبيك واسعا وجمع له الصناع ، ونقل إليه الأبراج والأخشاب ليعمره^(٩) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٧ ، اليزدى : العراضة ص ٣٤ .

(٢) Altay, Tugrulbey, p. 76 .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٢٥٥ ، ابن الخطيب : تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٣ .

(٤) Altay : Tugrulbey, p. 76 .

(٥) جورج مقدسى : خطط بغداد فى القرن الخامس الهجرى ، ترجمة صالح العلى ، (بغداد ١٩٨٤) ص ٢٥ .

(٦) البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٤٠٤ ، جورج مقدسى : خطط بغداد ص ٣٩ - ٤١ .

(٧) دار الحرم الطاهرى : من أشهر محلات الجانب الغربى من بغداد ، وسميت بذلك نسبة إلى طاهر بن الحسين وبه كانت منازلهم ، وكان من لجأ إليه آمن ، ولذلك سمى الحرم ، وكان أول من جعلها حرما عبد الله بن طاهر ابن الحسين ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٥ ، جورج مقدسى : خطط بغداد ص ١٣-١٥ ، صالح العلى : بغداد مدينة السلام الجانب الغربى (بغداد ١٩٨٥م) ص ١٩٣ - ٢٠٥ .

(٨) دار الفيل : من المعالم العمرانية فى الأطراف الجنوبية والغربية من بغداد . صالح العلى : بغداد ص ١٨٥ .

(٩) جورج مقدسى : خطط بغداد ، ص ٣٩ .

وفى هذا القصر الذى اتخذه طغرلبيك مقرا له كلما دخل بغداد ، احتفل بزواج الأميرة العباسية ، احتفالا لم يسبق له مثيل^(١) ، ولكن نشب حريق هائل فى دار السلطنة التى بناها طغرلبيك سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، خرب الكثير منها ، وأعيد بناء هذه الدار مرة أخرى^(٢) ، إلى أن توفى طغرلبيك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، أمر الخليفة القائم بهدم القصور الشاطئية التى نجت من هدم طغرلبيك ونقلت موادها إلى قصر الخلافة^(٣) ، واستمرت دار السلطنة السلجوقية ببغداد خلال سيطرة السلاجقة عليها ، إلى أن أمر الخليفة الناصر لدين الله العباسى ٥٧٥ - ٦٢٢هـ/١١٧٩ - ١٢٢٥م بنقضها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م^(٤) .

وقد اتخذ السلطان ألب أرسلان قصرا يدير منه شؤون الحكم قبل أن يتولى السلطنة فى أثناء حكمه لمنطقة خراسان بعد وفاة والده^(٥) ، وعندما ولى السلطنة واتخذ مرو عاصمة له بنى فيها قصرا كان مضرب المثل فى الروعة والجمال^(٦) ، أدار منه شئون الحكم ، وسمح لأمرائه دولته ووزيره نظام الملك باتخاذ قصور فى العاصمة مرو نفسها^(٧) ، كما اتخذ قصورا فى المدن الكبرى التى كان يفتحها أو ينزلها فى المشرق الإسلامى^(٨) ، إلى جانب دار السلطنة السلجوقية فى بغداد التى كانت مقرا لسلطين السلاجقة فى العراق ، والتى لم يقدر لألب أرسلان دخولها وزيارتها . وعندما اصطفى ملكشاه مدينة أصفهان لتكون مقرا لحكمه ، أكثر من بناء القصور فيها ، وبلغ من اهتمام ملكشاه أنه أشرف بنفسه على بنائها^(٩) ومعه وزيره نظام الملك وأعيان دولته ، ولا تزال آثار بعضها شاخصة إلى الوقت الحاضر^(١٠) .

(١) البندارى : ال سلجوق ص ٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ٢٢٦ ، لسترنج : بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرسيس ، ط ١ (بغداد ١٩٣٦م) ص ٢٤ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ، ص ٤٠٢ .

(٣) جورج مقدسى : خطط بغداد ص ٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٢٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ٢٣٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥٧٨ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٧٦ .

(٨) إدريس : رسوم ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١٠) حسنين : سلاجقة إيران ص ٨٣ .

وقد شُيدَ للكبشاه قصور في كل مدينة كبيرة يصل إليها ، وتعلن ولائها له ، إلى جانب دار السلطنة السلجوقية في بغداد ، التي نزلها ملكشاه ضيفا على الخلافة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، والتي أدار منها حكم العراق أثناء وجوده فيه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م (١) .

رسوم السلطان السلجوقي في قصره :

أضفى سلاطين السلاجقة الهيبة على السلطنة السلجوقية حتى تبدو أبهى وأجمل قوة وهيبة ، يقول نظام الملك "لا ينبغي لمن انخفضت أيديهم عن السلطان أن تعلو أيديهم على يده ، وإلا تولد الخلل وذهب عن السلطنة بهاؤها وجلالها وهيبتها وقوتها" (٢) . فكان للسلطان السلجوقي مكانته الخاصة بين رعاياه ، وله احترامه الدائم فلا تعلو عليه سلطة ، ولا يتدخل في حقوقه أحد (٣) .

فلم يجعل سلاطين السلاجقة العظام للنساء مركزا في إدارة شئون الحكم داخل الدولة ، لأنه إذا تسلطت امرأة على سلطان في عهد من العهود ينشأ الفساد ، ويضار الملك في جلاله ووقاره وحرمة ، وماتج عن ذلك إلا الذل والعار والشر والفتنة والفساد (٤) .

ولم نسمع طوال عهدي طغرل بك وألب أرسلان أن تدخلت امرأة في شئون الحكم ، إلا في أواخر حياة طغرل بك عندما تزوج بأرملة أخيه جغرى بيك داود سنة ٤٥١هـ/١٠٥٧م فأوعزت إليه أن يجعل ابنها سليمان وليا لعهد (٥) .

وخلال المدة الأولى من حكم ملكشاه لم يسمح بتدخل النساء في الحكم ، ولكن أواخر حياته ، زاد نفوذ ترکان خاتون الجلالية ، التي تزوجها ملك شاه سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وكانت من سادات خانات التركستان ، وتسلطت على ملكشاه خاصة بعد أن ولدت له ابنه محمود ، والتي أرادت توليته ولاية العهد ثم العرش ، وكان نظام الملك الطوسي يناصر بركياروق أكبر أولاد ملكشاه ، مما أدى إلى حدوث تنافر بينهما (٦) .

(١) البنداری : آل سلجوق ، ص ٧٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٢٣-٢٢٦ .

(٣) إدريس : رسوم ، ص ٦٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٢٤ .

(٥) البنداری : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٠ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢١٦ ، الحسيني : أخبار الدولة ص ٦٨ .

ويقف على باب قصر السلطان السلجوقى ، غلمان مهياؤن فى حلل بهية يبلغ عددهم عشرين غلاماً ، بيدهم السلاح الخاص المرصع يحفون حول عرش السلطان السلجوقى ، ومهمتهم الاحتفاء بالرسل القادمين من الأطراف ، لأن ذلك من زينة الملك وترتيب السلطنة^(١).

كما كان يوجد فى القصر السلجوقى مائتا رجل من المختارين^(٢) ، المسلحين الذين يختارون عادة من ذوى المظهر الحسن ، والطول الفارع ، والرجولة والشجاعة ، ومهمتهم ملازمة الملك وخدمته فى حله وترحاله ، وكانوا يظلمون بألبسة جميلة فى القصر ، وكان لكل خمسين منهم نقيب يتولى شؤونهم ، والإشراف عليهم ، وإسناد المهام إليهم^(٣) .

وكان من رسوم السلطان السلجوقى فى قصره أيضا تخصيص يوم أو يومين أسبوعيا للمقابلات العامة والخاصة ، وكانت رسوم مقابلة الخاصة تختلف عن العامة ، فبالنسبة للخاصة يدخل ذوو القربى أولا ، فالمعروفون من الحشم ، فالناس من الطبقات الأخرى مثل ولاية الشغور والأمراء والأئمة^(٤) ، وكان من إمارات المقابلة بالنسبة للخاصة رفع الستارة ، أما إسدالها فيعنى أنه لايسمح لأحد بالدخول مالم يستدع^(٥) ، ويشترط أن يكون برفقة كل واحد منهم غلام واحد فقط إما حاملا للسلاح أو الطعام ، أو ذائقا الطعام^(٦) .

أما بالنسبة لرسوم العامة ، فيخصص يوم أو يومين للمقابلات العامة ، بحيث يكون الملك فيها فى أوج انبساطه ونشاطه ، ولا يمنع أحد من المقابلة ، ويجب أن يخبر العامة بأن هذا

(١) نظام الملك : سياسة تامة ص ١٣٢ .

(٢) المختارين : يقال لهم بالفارسية (مفردان) ، وقد تكون الكلمة مأخوذة من كلمة الفرد العربية التى معناها الذى لا نظير له ، وجمعها أفراد ، ويبدو أن هؤلاء هم الذين كانوا يسمون المختارين على عهد الخليفة المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م ، وهم حرس مستخلصون للموكب ، وملازمة الخليفة فى الدار وللدخول أوقات جلوس الخليفة ، وملازمته من أول النهار إلى آخره ، ويمكن تسميتهم الحرس الخاص مثل الحرس الجمهورى الآن ، انظر : ابن منظور : لسان العرب ج١٢ ص ٤٣٣١ ، حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٦٧٤ ، آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج١ ، ص ٢٥٣ .

(٣) نظام الملك : سياسة تامة ص ١٣١ .

(٤) نظام الملك : نفسه ، ص ١٥٩ .

(٥) نظام الملك : نفسه ، ص ١٥٩ .

(٦) نظام الملك : نفسه ، ص ١٥٩ .

اليوم يومهم ولا يأتون فى الأيام التى تخصص للخاصة ، ويجتمعون فى القصر ، لا يكون هناك فرق بين شريفهم ووضعهم^(١) ، وهذا دليل على عدالة السلاجقة .

وسار سلاطين السلاجقة على رسم دائم طول عهدهم ، وهو فتح دار السلطنة للمتظلمين^(٢) ، فلا بد للملك من الجلوس للمظالم يومين فى الأسبوع لاستلال العدل من الظالمين ، وإنصاف الرعية والبت فى الشكاوى وإصدار حكمه فيها^(٣) ، فكان يقف على باب القصر كثير من المتظلمين لا يغادرونه إلا إذا نظر فى شكواهم ، حتى لا يكون سلاطين السلاجقة فى موقف الظالمين لرعاياهم ، وحتى لا يحدث هؤلاء جلبة أو ضوضاء يسمعها رسل الدول القادمون^(٤) .

ولقد نظم السلاجقة ديوان المظالم بحيث تجمع شكاوى أهل كل مدينة أو ناحية من الحاضرين على حدة ، وتوضع فى مكان واحد ، ثم يأتى خمسة منهم إلى القصر لبيان أمرهم وعرض أحوالهم ، ويتلقون الجواب ، ويتسلمون الحكم^(٥) . وكان من عادة السلطان السلجوقى أن يقف للمرأة والضعيف ولا يبرح إلا بعد إنصافهم^(٦) ، حتى قيل إنه لم توجد على عهد السلطان ملكشاه مظلمة ، فإذا فرض وجاء متظلم لم يكن له من دونه حجاب ، بل كان يحدث السلطان مشافهة ويطلب إليه إنصافه^(٧) .

ملايس السلطان فى قصره :

كان للسلطان السلجوقى رداء خاص عند لقائه بالناس ، يرتديه عند جلوسه على العرش ، فكان طغرل بك بلبس الوازارى^(٨) ، والبياض^(٩) .

(١) نظام الملك : نفسه ص ١٦٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٢ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٥٩ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ٢١٢ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢٤٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ج١٦ ، ص ٣٠٩ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٦ ص ٣٠٩ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٠٥ ، وقصة صاحب البطيخ الذى أخذه منه غلمان السلطان وردوه إليه مشهورة فى كثير من المصادر ، انظر : ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٨) الوازارى : أو الأودارى ، نوع من الثياب ، طول كل ثوب منه إذا كان كامل خمسون ذراعا فى عرض شبرين ونصف ، وهى تفصل ثوبين كاملين ، وربما فضل من فضلة ، وأجودها ما دقق منه ، وصنف نسجه ، وكان أبيض اللون ، ويصنع من الحرير والقطن ، والكتان ، أنظر : أبو الفضل الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشورى (القاهرة ، ١٩٧٧م) ص ٤٦ .

(٩) البندارى : آل سلجوق ص ٤٨ ، ٤٩ ، الحسينى : أخبار ص ٢٢ ، ٢٣ .

وكان ألب أرسلان يلبس قلنسوة^(١) طويلة عند جلوسه على العرش ، ويوم استقباله للعمامة ، ويقال إن المسافة بين طرف لحيته ، وطرف قلنسوته بلغت ذراعين^(٢) كاملين^(٣) .

وسار السلطان ملكشاه على شاكلة والده وفي أثناء جلوسه للعمامة ، فكان يلبس مثل والده^(٤) ، أما عند استقبال السلطان السلجوقي للرسل والملوك ، وأمراء الدول المجاورة ، فكان يلبس البياض ويضع على رأسه التاج المرصع بالجواهر والقباء^(٥) .

(١) قلنسوة : بمعنى الطاقية التي توضع تحت العمامة ، وهي مرادف لكلمة طربوش ، أنظر : دوزى : القاموس المفصل لأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، (بغداد ، ١٣٩١هـ) ص ٩٧ .

(٢) الذراع : هو أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة في البلاد الإسلامية ، واختلف طول الذراع من فترة إلى أخرى ، والذراع سبعة أنواع أقصرها القاضية ، واليوسيفية ، والسواد والهاشمية الصغرى والهاشمية الكبرى والعمرية ، الميزانية لمزيد من التفاصيل عنها أنظر : الرئيس : الخراج ص ٢٩٩ ، هنتس : المكاييل والموازين ، ترجمة كامل العسلى (جوتنجن ، ١٩٥٥م) ص ٨٧ ، ٨٨ . إنستاس الكرملى : النقود العربية والإسلامية وعلم النباتات ، ط ٢ ، (القاهرة ، سنة ١٩٨٧م) ص ٢٧ - ٣٥ ، والقاضية : تسمى ذراع الدور فهي أقل من ذراع السواد بإصبع وثلثي إصبع ، واليوسيفية وهي التي يقيس بها القضاة الدور ببغداد ، والسواد فهي أطول من ذراع الدور بإصبعين وثلثي إصبع ، وأول من وضعها الرشيد ، والهاشمية الصغرى وهي البلالية وهي أطول من الذراع السواد بإصبعين وثلثي إصبع وأول من أحدثها بلال بن بردة أمير البصرة وقاضياها ولاء خالد القرى عليها سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م وهي أنقص من الزيادة ثلاثة أرباع عشر وبها يتعامل الناس في الكوفة والبصرة ، والهاشمية الكبرى : وهي ذراع الملك وأول من نقلها إلى الهاشمية المنصور وهي أطول من الذراع السواد بخمس أصابع وثلثي إصبع فتكون ذراعا وثمان وعشرا بالسواد الزبادية : وسميت بذلك لأن زياد بن أبيه مسح بها أرض السواد العمرية : ذراع عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) والتي مسح بها أرض السواد بالعراق ، وتساوى ٨١٥ و ٧٢ سم ، الميزانية : أول من وضعها المأمون العباسي ، وتساوى بالذراع السواد ذراعين وثلثي إصبع ، لمزيد من التفاصيل : أنظر ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، هنتس : المكاييل والموازين ص ٦٥ - ٩٠ ، والميزانية هي التي يقاس بها المساكن والأسواق وكراء الأنهار والخفائر : الماوردي الأحكام ص ١٩٦ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٦ .

(٤) الراوندى : نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٥) القباء : لباس خارجي فارسي الأصل ، يطوى تحت الأبط بصورة منحرفة ، واسع شديد الضيق من أعلى ، يمر مرتين تحت البطن ، ويشد تحت الذراع ، وهو مقور وله كمان قصيران ، دوزى : القاموس ، ص ٩٠ ، البندارى آل سلجوق ص ٤٨ ، ٤٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٢١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٠ .

شارات السلطان السلجوقية :

١- الخيمة :

تعتبر الخيمة من أهم شارات السلطنة السلجوقية فهي مساوية تماما لقصر السلطان السلجوقي في الأهمية لأنها تدل على حاكميته وسيطرته^(١) ، وكانت حمراء جهرمية^(٢) لكي تميزه عن سائر رعاياه من السلاجقة ، وكان لها خان أو أمين يشرف عليها^(٣) ، ويجتمع فيها السلطان بهيئته لمناقشة الأمور السياسية ، كما فعل طغرل بك سنة ٤٢٨هـ - ٣٦٠م ، عندما تشاور مع إخوته وبنى عمومته ، بعد مقتل عمه "إسرائيل بن سبجلق"^(٤) حيث اجتمع بهم في خيمة ضربت له في خراسان^(٥) .

وكانت هذه الخيمة تنقل بسفر السلطان لحروبه ، وهي عادة تركية قبلية تتفق وتقاليد السلاجقة البدوية ، ففي رجب سنة ٤٥٠هـ / أغسطس ١٠٥٨م ، اجتمع طغرل بك بقادته للتشاور في أمر القضاء على البساسيري^(٦) . وفي شعبان سنة ٤٥٤هـ / أغسطس ١٠٦٢م ، جلس السلطان طغرل بك في خيمته ينتظر قدوم عميد الملك الكندري ، بعروسة ابنة الخليفة العباسي^(٧) .

وكان السلطان ألب أرسلان ثم ملكشاه كلما نزلا مدينة ، أو دخلا معركة كانت الخيمة تنصب للتشاور في أمر المعركة ، فبعد انتهاء ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م ، أمر السلطان

Altay : Tugrulbey, p. 76 - 77 .

(١)

(٢) جهرمية : المقصود بها الخيمة المصنوعة في مدينة جهرم الفارسية ، واشتهرت هذه المدينة بصنع هذه الخيام حتى قيل للبساط نفسه جهرم ، وهي بين شيراز وأصفهان ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٩٤ .

Altay : Tugrulbey, p. 76 - 77 .

(٣)

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٦٣ .

(٥) اليزدي : العراضة ، ص ٣٢ .

(٦) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٤٠٤ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص ٢١٩ ، الحسيني : أخبار ص ٢٣ ، إقبال : تاريخ إيران ص ٢٤٠ .

ألب أرسلان بنصب خيمة استقبل فيها الإمبراطور البيزنطى^(١) . كما كانت الخيمة تضرب فى الصحراء فى أثناء خروج السلطان للصيد ، كما فعل السلطان ملكشاه^(٢) .

٢- العلم أو البيرق : ومن شارات السلطنة السلجوقية أيضا العلم أو البيرق ، وكان لجميع الحكام بما فيهم الخليفة العباسى نفسه بيارق ، وكان بيرق أو علم السلاجقة أخضر اللون^(٣) مكتوبا عليه لفظ الجلالة ، واسم السلطان السلجوقى^(٤) .

٣- التخت : وهو يجلس عليه الملوك والسلاطين فى المواكب ، ومعناه العرش أو السرير^(٥) .

٤- الميقاتى : الذى كان يقوم بدق الطبول أمام قصر الخليفة ، وقصر السلطان السلجوقى والأمراء ، ومن ينعم عليهم السلطان بهذه الميزة كالقضاة ، وبعض الوزراء ، وبعض القواد ، لموعد الصلاة^(٦) .

٥- التاج : ما يوضع على الرأس ، وبه يتوج السلطان نفسه ، ويتزين به فى الأعياد الرسمية وفى المواكب^(٧) ، وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب ، وتحف به صفوف من المجوهرات والأحجار الكريمة ، وربما يمنحه الخليفة للسلطان السلجوقى ليزين به رأسه^(٨) ، وهذا دلالة على أعلى درجات المجد ، والفخار^(٩) .

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣ ، فايز اسكندر : البيزنطيون والأتراك السلاجقة ، ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٣) Altay : Tugrulbey, p. 76 - 77 .

(٤) Altay : Op. Cit., p. 77.

(٥) أنورى : اصطلاحات ، ص ٤٢ .

(٦) Altay, Op. Cit., p. 77-78 .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٩٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٦ .

(٩) دوزى : المعجم ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٦- السيف : القيلج^(١)، هكذا تسمية الترك ، وسمته السلاجقة بنفس الاسم واستعمله السلطان طغرل بك بهذا المسمى فى أغلب حروبه^(٢) .

٧- القوس : القوس فى الأصل ، عمود من شجر جبلى صلب ، يحنى طرفاه بقوه ، ويشد فيهما وتر من الجلد أو العصب الذى يكون فى عنق البعير ، وهو يشبه إلى حد ما قوس المنجدين فى هذه الأيام^(٣) . وقد كان السلاطين السلاجقة يحملونه معهم ، ويحاربون به من فوق ظهورهم^(٤) ، وكثيرا ما استخدم أداة لشنق الخارجين عن سلطان السلطان السلجوقى^(٥) فقد قتل طغرل بك أخاه إبراهيم بنال بوتر قوسه^(٦) وكذلك فعل ألب أرسلان مع الخارجين عليه^(٧) .

٨- السهم : القوس للرامى كالبندقية ، والأسهم كطلقاتها ، ولا بد للرامى من أن يحتفظ فى كنانته بعدد من الأسهم عند القتال^(٨) ، والسهم والنبل والنشاب^(٩) أسماء لشئ واحد ، وهو عود رفيع من شجر صلب فى طول الذراع تقريبا ، ويرمى بالسهم من بعد ، وهو سلاح قتال فتاك ، وبخاصة إذا سقى نصله بالسهم^(١٠) ، وقد أجاد السلاجقة الرمى به ، فهم من الترك أمهر رماة الحذق أى السهام^(١١) ، وفى بعض الأحيان كانت السهام تستعمل كأداة للتخاطب ، يكتب عليها راميتها ما يشاء ثم يرميها لمن يشاء ، حفظا للسرية^(١٢) .

(١) انظر ترجمته وتعريفه من الكتاب .

(٢) Altay, op. cit., p. 77 .

(٣) محمود شيت خطاب : العسكرية العربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

(٤) Altay : Op . Cit., p. 78 .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٥ ، ص ١٠٣ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٥ ، ص ١٠٣ .

(٨) محمود خطاب : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٩) انظر تعريفها ص من الرسالة .

(١٠) خطاب : المرجع السابق ص ١١٢ .

(١١) ابن خرداذبه : المسالك ، ص ١١٦ .

(١٢) محمود خطاب : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

٩- القباء والهودج : ومن شارات السلطان السلجوقي قباء مرصع بالجواهر ، وجواد مسرح بسرج أحمر ، وفيل عليه هودج ، يركبه السلطان عند مروره وخروجه ، والفيل مروج خاص يتولى شؤونه^(١) ، وقد اكتسب السلاجقة عادة ركوب الفيل من الغزنويين^(٢) . وكان من عادة السلطان طغرىك أن يركب هودجه على هذا الفيل ، عندما سار إلى بغداد في ذي الحجة سنة ٤٥١هـ / ١٠٦٠م ، بعد أن قضى على البساسيري^(٣) .

١٠- البوق : وللسلطان السلجوقي بوق تركى يدق له في وقت الركوب ، أو النزول^(٤) ، والبوق شبه منقار ملتوى المخرق ينفخ فيه فيعلو صوته ، فيعلم المراد به^(٥) .

١١- جنود الخدمة : وللسلطان السلجوقي جنود يلزمون ركوبه ، مثبتة أسماؤهم في الجرائد الديوانية وبلغ جنود ملكشاه المرافقين له ست وأربعين ألفا من الفرسان ، وكان السلطان يعطيهم أرزاقهم في أيديهم إقطاعا^(٦) ، وإذا نزلوا بناحية من النواحي كانت نفقاتهم ، وعلوفة دوابهم معدة ومهيأة ، ويضم إقطاع كل قرية وضواحيها منازل واقعة على الطريق التي يستمر بها الركب السلطاني للإنفاق عليه^(٧) .

١٢- الخاتم والتوقيع : ومن رموز وشارات السلطنة السلجوقية الخاتم ، وكان السلطان السلجوقي يحمل خاتمه بنفسه^(٨) ، كما كان لكل سلطان سلجوقي توقيع خاص به ، ويوقع به على المراسلات والمكاتبات ، واعتادوا أن يتخذوا الأسماء والعبارات الدينية رمزا لتوقيعهم ، كأن يستفتح بها السلطان مكاتبتة أو دعاء يستحسنه ويتفاهل به^(٩) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٣ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٤ - ٦٥٦ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ .

(٤) الراوندى : نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٨٨ - ٣٩١ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٤ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٣٨ .

(٨) البندارى : تاريخ آل سلجوق ، ص ١١٢ .

(٩) إدريس : رسوم ، ص ٦٠ .

وقد بدأ السلطان طغرل بك هذا الرسم ، وكان توقيعه هكذا () على شكل الدبوس^(١) ، ولم يتخذ عبارات عربية لأنه كان لا يعرفها ، أو ربما لأنه كان فى مرحلة تأسيس للدولة ، وحروب مستمرة . وأول من بدأ التوقيع بالعربية من سلاطين السلاجقة هو السلطان ألب أرسلان فكان توقيعه (ينصر الله)^(٢) ، وهو يدل على طلب النصر من الله تعالى ، ولما استقرت أحوال الدولة وتعددت أطراف المملكة ، اتخذ ملكشاه عبارات تدل على زيادة تمسكه بالدين مثل (استعنت بالله) و(توكلت على الله) ، و(اعتصمت بالله)^(٣) وعبارة (الحمد لله على نعمة) والتي كانت علامة وزيره نظام الملك^(٤) .

١٣- الخوان^(٥) : كان القصر السلجوقى يحتوى على قاعات للطعام والجلوس ، وأماكن للغلمان والخصيان^(٦) ، وكان السلطان السلجوقى ينصب الخوان فى الصباح الباكر ، ويتكلف من ألوان الطعام أطيبها ، حتى أنها كانت تشير عجب الأمراء والأتراك أثناء تناولهم الطعام^(٧) .

وكان ألب أرسلان يطبخ فى مطبخه خمسون رأسا من الغنم للفقراء ، كما خصص راتبا من الخزينة السلطانية للسماط اليومي^(٨) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٠ . ويذكر حسن أنورى أن السلطان طغرل بك كان له توقيعاً هو (اعتمادى على الله) ، انظر : حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى دوره غزنوى وسلجوقى ، (تهران ، ٢٥٣٥ شاهنشاهى) ص ١٧٥ .

(٢) الراوندى : نفسه ، ص ١٨٦ . ويذكر أنورى أيضا أن السلطان ألب أرسلان كان توقيعه - اعتصمت بالله - انظر : أنورى : اصطلاحات ص ١٧٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠١ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٩ .

كما يذكر أنورى أن السلطان ملكشاه كان من توقيعه "اعتمادى على الله" ، أنورى : اصطلاحات ديوانى، ص ١٧٥ .

(٥) الخوان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ، تعريب خوان ، وأصل معناها الطعام ، والوليمة ، أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة ، (بيروت ١٩٨٠م) ، ص ٥٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢١٣ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

ويذكر الراوندى^(١) أن مطبخ السلطان ألب أرسلان كان يطبخ فيه أربع وعشرون ألف رأس من الغنم سنويا ، يديره شخص مستقل يتولى منصب رئيس المطبخ ، وكان السلطان ملكشاه يتصدق على الفقراء والدرائش بدينار لقاء كل صيد بصيده^(٢) ، وكان لا يمنع أحد من تناوله طعامه^(٣) .

دور الحريم : جعل سلاطين السلاجقة دور الحريم فى مكان خاص بهن فى دار السلطنة السلجوقية فإذا كان للسلطان السلجوقى غلمان ، وماليكه ، وخدمه الخاص^(٤) ، فلدور الحريم خصيان ونقباء وجواري ومطربات وإماء مغنيات^(٥) .

الدركاه^(٦) : باب السلطنة السلجوقية ، والتي اهتم بها سلاطين السلاجقة اهتماما كبيرا حيث كان عليها غلمان قائمون على الخدمة من التركمان (يسمون غلمان القصر) عددهم ألف رجل ينصرفون إلى الخدمة ، ويتعلمون آداب السلاح والخدمة ، ويختلطون بالناس ، حتى تزول من نفوسهم وطباعهم النعرة التركية^(٧) .

وفى الدركاه كان يوجد عبيد السلطان من الخدم ، وهم عدد معلوم من الغلمان الموكلين بالماء والسلاح والشراب ، واللباس ، وكانت لهم عنابر ألحقت بسرارى القصر ، وكان لهم ترتيب

(١) راحة الصدور : ص ٢٦٨ .

(٢) الراوندى : نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٧٢ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٨٨ .

(٦) الدركاه : باب القصر فارسيت "دركاه" ومعناه الباب والسدة ، والدار ، وهو مركب من دارى - باب - ومن كاه بمعنى محل ، أدى شير : الألفاظ ، ص ٦٢ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٤ ، ١٥ . ويعمل بالدركاه السلطانية ومن يحق لهم دخولها : أمير الأمراء ، والأمير السلجوقى ، وأمير الجيوش ، وأمير الحجاب ، وأمير الصيد ، والحاجب ، ورئيس الفراشين ، وصاحب مراسيم الاستقبال ، ومتولى خزانة السلاح ، ومتولى الخزانة السلطانية ، حارس ملابس السلطان والمتسلحين ، ويوجد بها الصولجان - الملقب - ملعب الضرب - ولاعب الصولجان والخاصة ، والخزانة السلطانية ، والخدم والمرضون والأطباء ، وصانع الخيمة ، وحامل الخلع ، وحامل الدواة ، وضارب الطبل ، وغلمان السراى ورافع الستارة التى تنصب حول خيمة السلطان فى أوقات صيده ، والغلمان ، وحارس الضياع الخاصة للسلطان ، والمحدث ، وحامل البيرق ، وحامل الختم ، والنديم ، ووكيل الدار السلطانية .

عنهم جميعا انظر : حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤ - ٤٦ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٤٣ .

معين حين دخولهم على السلطان ، وهو إسدال الستارة ورفعها (١) ، ومنهم من رقى حتى وصل إلى رتبة أمير الحجاب ، أو أمير إمارة ، أو ولاية (٢) .

وكان مجلس السلطان السلجوقى مرتبا ، حيث يقف الكبراء وغير الكبراء حول سرير الملك ، فيقف خاصة الملك من حملة السلاح ، والسقاة وأترابهم بالقرب من سرير الملك ، ويلتفون حوله ، ويقف حاجب البلاط على بعد منهم ، يبعد كل غريب يندس وسط الحاشية (٣) . كما كان بالدركاه ممالك صغار للسلطان السلجوقى ينشئهم على القيام بالعمل فى الخدمة ، ومغنيات مخصصات للدركاه من الجوارى والإماء (٤) .

الخزانة السلطانية :

وفى دار السلطنة السلجوقية الخزانة الخاصة (٥) ، وكان للسلاجقة خزانتيان ، الخزانة الأصلية ، وخزانة الإنفاق ، وكانت الخزينة الأصلية تحوى المال الكثير ولا ينفق منها إلا للضرورة القصوى ، وعلى سبيل قرض يعاد إليها بعد ذلك ، أما خزانة الإنفاق فمالها قليل ، وهى التى ينفقون منها فى حياتهم اليومية وتوجد فى قاعة السلطان ، وكانت الخزانة الأصلية هى الرصيد المالى للدولة ، وكان لابد أن تظل عامرة دائما (٦) . فعندما أصبح طغرلبيك سيد الموقف بعد هزيمة البساسيرى سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، ورجوعه إلى دار ملكه أمر أن تحمل الموارد المالية إلى خزانته الخاصة بدلا من خزانة الخليفة (٧) .

وكان السلطان ألب أرسلان يصطحب معه خزانة الإنفاق دائما فى تحركاته (٨) ، وكانت له خزانة فى قلعة (فراهان) (٩) ، وكان يستعان بها فى حالة نقص الخزانة الأصلية فهى بمنزلة

(١) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٤٤ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٣) نظام الملك : نفسه ، ص ١٦٢ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ١١٠-١١٤ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٤ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٩٣ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٧١ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٩٨ .

(٩) قلعة فراهان : تقع فى همذان وهى إحدى رساتيقها أى قلاعها تحيط بها بحيرة كبيرة ، ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٤٥ ، ٢٥٨ .

احتياطي لها (١) . وكان السلطان السلجوقي يعرف بنفسه دخل دولته وخرجها (٢) وهو بذلك يسير أمورها المالية ، وكان للخزانة خازن خاص بها ، وكان السلطان السلجوقي يضع الجواهر النفيسة بالخزانة الخاصة (٣) .

رئيس الفراشين :

وبدار السلطنة السلجوقية يوجد رئيس الفراشين ، وكان على عهد السلطان ألب أرسلان يسمى (جامع النيسابوري) وهو الذي كان بيده مطرقة ضرب بها قاتل ألب أرسلان في مجلسه فيما وراء النهر ، فقتله وأخذ بثأر السلطان ، وكان يلزم السلطان في كل مكان ، وكذلك صاحب المظلة وصاحب الطست (٤) .

حقوق السلطان :

كان السلطان السلجوقي يتمتع بحقوق سياسية ، وعسكرية ، ومالية مطلقة فإلى جانب كونه السلطة العليا في الدولة ، فقد دان أمراء السلاجقة بالطاعة والولاء لسلطانهم وليس أدل على ذلك حينما دان أمراء السلاجقة للسلطان طغرلبيك بالطاعة والولاء ، على الرغم من صغر سنه عن أخيه داود (٥) .

وكان من حق السلطان السلجوقي تعيين ، وتوزيع ولايات الدولة على أفراد البيت السلجوقي ، وتلقيب كل منهم بلقب ملك ، فجغرى بيك داود أكبر أخوته كان حاكما على مرو ، واختص بأكثر خراسان وكان يحمل لقب ملك ، وموسى كان حاكما على بست وهرات وسجستان وحمل لقب ملك وقاورد أكبر أولاد جغرى بيك كان حاكما على ولاية الطبيين وكرمان ولقب بملك هو الآخر (٦) ، وذلك لضمان وحدتهم مع الإذن لهم بفتح ما يشاءون من البلاد المجاورة ، وضماها إلى ولايته (٧) .

(١) نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٩٧ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ٢٩٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٥ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٩٣ .

وكان اختيار لقب ملك لهم يعنى أنهم تابعين للسلطان الذى له الكلمة النافذة فى جميع الدولة (١) ، ولم يعمل طغرلبيك على إقامة حكم فردى مركزى ينحصر فى شخصه ، بل ترك الحكم مشاركة مع حكام الولايات التابعة له (٢) ، كما تمتع ألب أرسلان وملك شاه ، بنفس الحقوق ، فقادوا جيوشهم بأنفسهم فى معاركهم حتى ضد معارضيتهم من الأسرة السلجوقية نفسها (٣) .

كما كان من حق السلطان السلجوقى العفو عن الخارجين عليه من أفراد أسرته ، أو قتلهم ، فعندما تمرد إبراهيم يnal على أخيه طغرلبيك سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م فى همذان ، وإقليم الجبيل (٤) ، عفا عنه وأكرمه هذه المرة ، ولكن فى الانشقاق الثانى الذى حدث سنة ٤٥٠هـ / ١٠٤٩م ، لم يرحم طغرلبيك أخاه ذا الشخصية التواقة إلى الاستقلال وعدم التبعية ، فأمر بقتله هذه المرة (٥) ، ويمكن التماس العذر لطغرلبيك هذه المرة لأن انشقاق أخيه هدد وحدة البيت السلجوقى ، وهدد الخلافة نفسها لتعاون يnal مع البساسيرى (٦) .

وكما فعل ألب أرسلان مع أخيه سليمان الطفل ، فبعد هزيمته اتخذه وليا لعهد (٧) ، ثم أقاله وعين نجله ملكشاه وليا لعهد (٨) ، ولكنه استخدم أسلوب القتل مع عمه شهاب الدولة قتلش بن إسرائيل ، عندما تمرد عليه فى المحرم سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م (٩) ، واتخذ ملكشاه نفس الأسلوب مع عمه قاورد حينما تمرد عليه فى كرمان وهمذان فأمر بقتله دون تردد (١١) .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) الحسينى : أخبار ، ص ١٧ ، عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين ص ٣٤ - ٣٦ .

(٣) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ص ١٠ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزیده ص ٩٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٥٦ ، الخالدى : نظم ، ص ١٧٦ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ١٨ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٦) الشيزارى : السيرة المؤبدية ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٩٧ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ .

(٩) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(١٠) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ وما بعدها .

مراسم الاستقبال وتبادل الهدايا وإرسال الرسل :

استقبل القصر السلجوقى ، الكثير من الرسل القادمين من الأطراف المجاورة لهم ، وفى نفس الوقت خرجت منه الكثير من الرسائل السلجوقية إلى حكام الدول المجاورة .

وقد سار سلاطين السلاجقة على نظام معين فى استقبال هؤلاء الرسل ، فقد وضعوا عيوناً وحراساً وسعاة على الطرق المعروفة ، وعلى حدود الدولة يستقبلون الرسل القادمين إليهم ، وخصصوا لهم رواتب شهرية ، وعينوا لهم نقباء لمراقبتهم والإشراف عليهم^(١) .

وكانت مهمة هؤلاء الحراس إلى جانب استقبال الرسل أن يعرفوا كل شئ ، ولا يعرفونه أى شئ وفى الوقت نفسه يبعثون فارساً إلى السلطان السلجوقى يسبق الرسول يخبرون السلطان عما يكون القادم ؟ ومن أين أقبل ؟ وكم معه من الفرسان المشاة ؟ ومعداته وخدمه وحشمه ؟ وصفة تجملهم ؟ وآلاتهم ، وفيهم إقبالهم^(٢) ؟ حتى يكون السلطان على دراية تامة بهذا الرسول قبيل قدومه إليه^(٣) .

وكانوا يبعثون مع الرسول القادم فارساً أو خيالا يبلغ به ، ويمن معه مدينة معلومة ، ومن تلك المدينة بصحبهم فارس آخر يمضى بهم إلى مدينة أخرى ، وهكذا دواليك حتى يصل إلى القصر^(٤) . كما كان من رسومهم حسن استقبال الرسول ، وكرم ضيافته ، وحسن وفادته ، وتقديم أحسن ما عندهم من طعام ، حتى يرتحل الرسل فرحين فى ذهابهم وإيابهم ، بعد ملاقات السلطان السلجوقى^(٥) .

وقد سار السلاجقة على هذا الرسم حتى فى الوقت الذى كانت تنشب فيه الخلافات ، ويستفحل الخطر بين الملوك ، كان الرسل يقدون ويروحون ، فيؤدون الرسائل على النحو الذى كلفوا به دون أن يمسه ضرراً ويقل الاحتفاء بهم كما جرت العادة ، لأن (وما على الرسول إلا البلاغ)^(٦) .

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٣٢ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ١٣٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣٣ .

(٥) نظام الملك : نفس المصدر والصفحة .

(٦) سورة النور : آية ٥٤ .

وكان للسلاجقة نظام معين فى استقبال الرسل ، فيدخلونهم أولا على الوزراء فى أى وقت ليخاطبونهم فيما يكون لديهم من مراد وملتمس ، وهى الرسائل الشفهية ، مثلما حدث حينما أرسل الخليفة العباسى إلى طغرلبك يستنجد به ضد البساسيرى ، فدخل رسول على الوزير أبى نصر الكندرى أولا (١) .

أما الرسائل المكتوبة فترسل للسلطان مباشرة ، مثل رسالة الخليفة التى حملها الماوردى إلى طغرلبك (٢) وفيما يتعلق بالرسائل الشفهية ينقلها الوزير للسلطان السلجوقى ، مثلما نقل الكندرى رسالة الخليفة القائم إلى طغرلبك بعد مقتل الملك الرحيم البويهى (٣) .

وللرسول أهمية كبيرة فى معرفة أحوال السلطنة ، فيذكر نظام الملك (٤) ، أنه كان يلعب الشطرنج وجاء أحد الرسل ، وهو رسول خان سمرقند (٥) ، وكان نظام الملك قد فاز على خصمه ، فأخذ خاتمة رهينة ورفع نظام الملك الشطرنج ، ودخل الرسول ، ولما فرغ الرسول من المقابلة ، عاد إلى سمرقند وبصحبته رسول السلطان السلجوقى ألب أرسلان ليأتيه بالجواب ، فسأله الخان ، كيف ألفت السلطان؟ وكم عدد جيشه؟ ومعداته؟ وأسلحته ، ورسائله ، وكيف وجدت ترتيب القصر والبلاط والديوان وقاعة المملكة؟ فرد الرسول ، وأحسن فى حق السلطان ، ولكنه قال (إن وزيره رافقى) لأنه رأى نظام الملك ينقل الخاتم من اليد اليمنى إلى اليسرى ، فظنه رافقى؟ لأن من يعتنق المذهب الإسماعيلى يلبس خاتما من طين أبيض يكتب عليه اسم الإمام الإسماعيلى (٦) ، واعتقد أن نظام الملك عندما كان يغير الخاتم من يده ،

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، البغدادى : تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٠٤ ، المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧٠ .

(٤) سياسة نامه : ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٥) خان سمرقند : هو ناصر الدين أبو الحسن شمس الملك نصر بن طمفاج خان إبراهيم ، كان أميرا على سمرقند وبلاد ما وراء النهر ، وكان تابعا للغزنويين ثم السلاجقة ، ولى الإمارة فى أيام ألب أرسلان ، وتوفى سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م وجد إلى ألب أرسلان جيشا بقيادة نظام الملك لتأديبه ، لكنه أى ألب لقي مصرعه قبل أن يلتحم الجيشان ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢٥ ، نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٣٤ .

(٦) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، (بيروت ، ١٩٦٥م) ص ١٣ ، ١٨٢ ، ٢٨٢ ، برنلرد لورس : أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، راجعه خليل أحمد خليل (بيروت ١٩٨٠م) ، ص ٧٨ ،

أراد أن يريه اسم الإمام الإسماعيلي المكتوب على الخاتم^(١) ، وهذا دليل على قوة ملاحظة الرسول الذي كان عليه أن يعرف أحوال المملكة معرفة تامة بل سرها كبيره وصغيره .

ولذلك سوف ينتقى السلاجقة رسلهم ، وأنشأوا نظام الاستطلاع ، حيث عهدوا لرسلهم بمعرفة المسالك والطرق ، وأحوال الملوك فى قصورهم ، ومعرفة أرباب الوظائف وخصائصهم ، وحياة الملوك الخاصة والعامة ، ومعرفة عدد جيوشهم ، وما يملكون من آلات وعدد ، واستطلاع خوان الملك ، ومجلسه ، وترتيب قصره ، ويلاطه ، وكيفية مجالسته ومعاشرته ، ومناذمته ، وصيده ولعبه ، سيرته ، وهباته ، وكرمه وسعيه ، ومظهره وأعماله ، أظالم أم أعادل ؟ أعجز أم شاب ؟ أعامرة ولايته أم خربة ؟ أراضى جيشه أم متظلم ؟ أغنية رعيته أم فقيرة ؟ أشحى أم بخيل ؟ ما يحب وما يكره ؟ أمتين فى أمور الدين أم ضعيف جاهل ؟ أيرغب فى الغلمان أكثر أم فى النساء ؟ ليكونوا على بينة من أمر الملك ويسهل عليهم لقاءهم فيما بعد^(٢) ، مثلما فعل السلطان ألب أرسلان ، فقد أرسل رسولا إلى ملك الروم ، وحمله بعض الأسئلة ، وكان يخفى غرضه الأساسى ، وهو كشف سرهم ومعرفة أحوالهم^(٣) .

وهكذا استخدم السلاجقة وبذكاء الرسل كجواسيس لهم على جيرانهم ، بل أنهم بثوا العيون فى كل الأطراف ، فى زى تجار ، وسياج ، ومتصوفة ، وبائعى أدوية ، لنقل كل ما يسمعون من أخبار ، حتى لا يظل أى شئ خافيا ، وكانوا يقفون على مآرب الولاة ، والعمال ، وأى عدو قادم لمحاربة السلطان ، كما كانوا يبلغونه بأخبار الرعية خيرها وشرها^(٤) .

ولذلك دقق السلاجقة فى اختيار رسلهم ، فاختاروهم من الشجعان ، ومن خدموا الملوك سابقا ومن سافروا كثيرا وطوفوا فى البلدان^(٥) ، ومن الفقهاء والشيوخ ، مثل رسالتهم الأولى إلى الخليفة العباسى ، والتي حملها أبو إسحاق الفقاعى^(٦) ، وكانوا يفضلون كبير السن ، ويذكر نظام الملك^(٧) أن نديم السلطان فى الرسل أفضل .

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٣٣ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٣٤ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ١١١ .

(٥) نظام الملك : نفسه ص ١٣٦ ، حسن انورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٦) الراوندى : راحة الصدر ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٧) سياسة نامه : ص ١٣٦ .

وفضل على كل هؤلاء الرسول الشجاع الشهم المبارز ، العارف بآداب السلاح والفروسية ، وذلك راجع إلى طبيعتهم البدوية القبلية ، التى تقوم على تقدير هذا النوع من الرجال ، مثلما فعل السلطان ملكشاه ، حينما اختار (سعد الدولة كوهرائين) شحنة بغداد ، ليأخذ العهد لملكشاه من الخليفة العباسى القائم بأمر الله (١) .

وقد أفاد هذا الاختيار للرسول سلاطين السلاجقة كثيرا ، فقد كان الحكام المجاورون عندما يرون رسول السلطان السلجوقى على هذا النحو من الشجاعة والفروسية ، يبدو لهم أن قوة للجميع على شاكلته ، وإذا كان الرسول من الأشراف زادوا فى إجلاله واحترامه لشرف نسبه (٢) . واستبعد السلاجقة معاقري الخمر ، والمقامرين ، والثرثارين ، والمغمورين من رسلهم (٣) ، وكان الشيخ العالم مثل القاضى يفضله السلاجقة فى إرساله إلى دار الخلافة العباسية توقيراً واحتراماً ، فهم يستمدون من الخليفة الحقوق الروحية والدينية بل والشرعية لحكم البلاد التى تحت سلطانهم ، مثلما فعل طغرل بك حينما أرسل القاضى الرئيس محمد بن عبد الرحمن النسوى (٤) ، إلى دار الخلافة العباسية (٥) .

وكان للسلاجقة طريقة فى التعامل استقبال رسول كل دولة يتعاملون معها سواء أكانت عدوة أو صديقة على النحو الآتى :

استقبال رسوم الغزنويين والهدايا المتبادلة بينهما :

بدأت العلاقات السلجوقية الغزنوية عدائية ، واستمر هذا العداء حتى سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م ، وهى السنة التى أنهى فيها السلاجقة قوة الغزنويين فى داندنقان (٦) ،

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٣٧ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) نظام الملك : نفس المصدر والصفحة .

(٤) النسوى : نسبة إلى نسا من بلاد خراسان ، وهو من شيوخ الشافعية فى بغداد ، ابن هداية : أبى بكر ابن هداية الله الحسينى ، طبقات الشافعية ، حققه عادل نويهض ج ٣ (بيروت ، ١٩٨٢م) ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٥) السبكى : طبقات الشافعية ، ج ٣ ص ٧٤ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٤ وما بعدها ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٤ ، اليزدى : العراضة ص ٣٥ .

ولكن هذه العلاقات العدائية لم تخلو من أوقات تخللتها بعض المفاوضات ، وكان إرسال الرسل من كلا هو أسلوب ذلك التفاوض .

ففى أعقاب الهزيمة التى أوقعها السلاجقة بالجيش الغزنوى فى نسا سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م (١) ، أرسل السلاجقة كتبهم إلى السلطان مسعود الغزنوى ، يعرضون إرسال رسول من قبلهم يعتذر للسلطان وهو شيخ من علماء بخارى ، وقد تقدم هذا الشيخ برسالة إلى الوزير الغزنوى (٢) ، تعرب عن ندم السلاجقة ، وتنم عن تواضع شديد ، وقد جاء فيها (ومعاذ الله ما كنا نجرؤ على امتشاق الحسام فى وجه الجيش المنصور ، لولا أنهم انقضوا على دورنا كما تنقض الذئاب على الحملان ، واعتدوا على نساينا وأطفالنا ، مع أننا كنا حاصلين على الأمان ، فلم نجد بدا من أن ندافع عن أنفسنا والنفوس عزيزة) (٣) .

كما طلب السلاجقة فى رسالتهم من الوزير الغزنوى أن يرسل لهم أحد ثقاته مع رسولهم ، ليسمع أقوالهم ويتأكد من عبوديتهم وإخلاصهم وبأنهم لا يبغيون غير السلم (٤) . وقسّر السلطان مسعود إيفاد القاضى أبى نصر الصينى (٥) مع الفقيه البخارى (رسول السلاجقة) كى يستمع عن كذب لما يقول أعيان التركمان ، وحتى يتثبت من صدق نياتهم ، ومن ثم يمكن أن تبدأ المفاوضات بين الطرفين (٦) .

واهتم الغزنويون برسولهم ، مثلما اهتموا برسول السلاجقة الذى قدموا له بعض الصلوات والهدايا حيث استقبل السلطان مسعود القاضى أبو نصر الصينى قبل رحيله إلى السلاجقة ،

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٦٤ ، سهيل زكار : المدخل ص ٤٨ .

(٢) يقصد به الوزير " أحمد بن عبد الصمد " أشهر وزراء الدولة الغزنوية فى عهد السلطان مسعود الغزنوى : أنظر ، البيهقى : تاريخ ص ٥١٨ - ٥٦٠ ، العتبى : تاريخ اليمنى ج ١ ص ٣٤ - ٨٤ .

(٣) البيهقى تاريخ ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٥) أبو نصر الصينى : كان رجلا شجاعا فصيحاً من خلصاء السلطان مسعود ، وقائدا عظيماً حقا قمرس على الأعمال ، وخدم فى بلاط مسعود الذى أطلع على جرأته وكفايته فعهد إليه بشؤون العرب خيرها وشرها ، البيهقى تاريخ ص ٦٤١ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ٢ ص ١٩٤ .

وتحدث إليه بشأن سفارته ، وحذره منهم^(١) ، وفى نسا استقبل أمراء السلاجقة القاضى الصينى أحسن أستقبال وأكرموا وفادته^(٢) ، وقد عاد الصينى بصحبة ثلاثة رسل من قبل أمراء السلاجقة ، واستقر رأى على أن تعطى بيغو وطغربك وداود ولايات نسا وفراوه ودهستان^(٣) .

وبعد قيام دولة السلاجقة فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وقبل موقعة داندنقان الشهيرة ، حاول السلطان مسعود الغزنوى إرضاء السلاجقة أو التفاوض معهم ، فأرسل وزيره (أحمد بن عبد الصمد) رسولا منه ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م (أبو الحاكم أبو نصر المطوعى الزوزونى) ، الذى وصل إلى السلاجقة فى نيسابور ، فاستقبله طغربك أحسن استقبال ، وبجله ، وأنزلوه منزلا لائقا ، وبعثوا معه الهدايا للوزير والسلطان^(٤) ، كما بعثوا معه أيضا رسولا من قبلهم إلى الوزير الغزنوى ، ثم عاد الزوزونى ثانية إلى السلاجقة يحمل رد الوزير فاستقبلوه أحسن استقبال ، وكان رجلا ذكيا حيث يلمس ما تنطوى عليه نفوس قواد السلاجقة ، وإصرارهم على تكوين دولتهم^(٥) .

ويبدو أن السلاجقة نظرا لكثرة انتصاراتهم على الغزنويين ، كانوا يستقبلون رسولهم بوجه ، وحينما يختلون بأنفسهم يضمرون وجها آخر ، فقد ذكر الصينى بعد رجوعه للوزير "وجدت القوم فى رحلتى هذه فى غاية الغرور والخيلاء ، ومع أنهم عقدوا الميثاق إلا أنى لا أثق بما عاهدونى عليه ، فقد سمعت أنهم كانوا يسخرون منا إذا خلوا إلى أنفسهم ، ويدوسون القلنسوات ذات الركنين^(٦) بأقدامهم^(٧) .

(١) البيهقى : تاريخ ص ٥٢٧ .

(٢) البيهقى ، نفسه ص ٥٢٨ ، فامبرى : تاريخ بخارى ص ١٣٢ .

(٣) أبو الفداء : تاريخ ص ٦٤١ ، ٦٤٢ ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٣٣ .

(٤) البيهقى : تاريخ ص ١٤٦ ، ٦٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٥ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٢ .

(٦) القلنسوة ذات الركنين : كانت إحدى الرتب الغزنوية التى أهداها الغزنويين للسلاجقة فى محاولة لتهدئة الأحوال بينهم ، وهى خلعة من الخلع السلطانية فى البلاط الغزنوى ، فقد أعطى مسعود الغزنوى أمراء السلاجقة طغربك وداود والبيغو ثلاث خلع وهى قلنسوة ذات ركنين ولواء ، وحلة مطرزة برسم الدولة الغزنوية ، وجوادا وسرج وكمر من ذهب ، وثلاثين ثوبا مخيطا بكل واحد منهم ، إلى جانب المخاطبة بلقب دهقان ، والموافقة على توزيع دهستان ونسا ، وفراره عليهم ، البيهقى : تاريخ ص ٥٢٨ ، الرواندى : راحة الصدور ص ١٥٧ ، ابن خلدون : العبر ، ج ١ ص ٨١٧ ، الحسينى : أخبار ص ٥ ، عباس إقبال : الوزارة ص ٣٢ ، أحمد حلمى : السلاجقة ص ٢٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ ، البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢٨ .

وبعد أن تمزقت وحدة الدولة الغزنوية بعد داندنقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م ، وسارت الحروب مع السلاجقة تتوالى (١) ، فكر السلطان إبراهيم بن مسعود (٤٥١-٤٨١هـ/ ١٠٥٩-١٠٨٨م) الذى أعاد للدولة الغزنوية بعض هيبتها ونظم أمورها (٢) فكر وأدرك أن الحرب مع السلاجقة غير مجدية لعدم تفوق أحد الطرفين ، فعقد صلحا مع جفرى بيك داود (٣) .

وفى عهد السلطان ملكشاه استقبل قصره رسولا غزنويا يطلب ابنته لابن السلطان الغزنوى (إبراهيم بن مسعود) مما زاد المودة بينهما (٤) .

علاقة السلطان السلجوقى بالخليفة العباسى واستقبال رسوله والهدايا المتبادلة بينهما :

يسجل عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م أول اتصال بين السلاجقة ، والخلافة العباسية ، فبعد إعلان قيام دولتهم فى نيسابور ، كانوا فى حاجة إلى الاعتراف الشرعى بها ، حتى ولو كان اعترافا شكليا يرضى عنه الناس ، فيروى ابن الأثير (٥) ، أن طغرل بك وداود والبيغو ، استقبلوا وفادة أرسلها الخليفة من بغداد مع رسالة ينهاهم فيها عن النهب والقتل والتخريب ، وكان رسول الخليفة إليهم هو "أبو بكر الطوسى" الذى عظمه السلاجقة وأكرموه وفادته ، وخلعوا عليه ثلاث عشر خلعة ، وتباهوا برسالة الخليفة ، وازداد بها قوة ورفعة .

وفى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م حمل العميد أبو اسحاق الفقاعى رسالة من السلاجقة إلى الخليفة العباسى ، يطلبون فيها اعترافه بقيام دولتهم ، ويعلنون فيها أنهم عبيد أمير المؤمنين (٦) ، وسر الخليفة بهذه الرسالة كثيرا (٧) ، وأظهر رغبته فى التقرب إليهم ، فأنفذ سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م قاضى القضاة أبا الحسن الماوردى محملا برسالة تتضمن رغبة الخليفة

(١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ج ١٠ ، ص ٢ ، عصام عبد الرؤف : تاريخ الإسلام فى جنوب غرب آسيا ، ص ١٣٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٨ .

(٤) خواندمير : حبيب السير ، ج ١ ، ص ٩٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٦ ، ط. بيروت .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٨ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٩ .

فى عقد الصلح بين السلاجقة وبين الملك الرحيم البويهى ، وحسن معاملة الرعية^(١) ، ومع
الماوردى أرسل الخليفة الخلع السلطانية التى منحها لطغرل بك ، مع كتاب التفريض بحكم
البلاد^(٢) .

ولقد رسم طغرل بك لمن جاء بعده من سلاطين السلاجقة مراسم استقبال رسل الخليفة
العباسى ، الذى بجله وأكرمه ، فعندما علم أن رسول الخليفة فى طريقه إلى خرج لاستقباله
إجلالا لرسالة الخليفة ، وجلس جلوسا عاما ، شهده جميع أمراء دولته فى قصره بالرى ، وظل
الماوردى فى ضيافة طغرل بك عاما كاملا ، عاد بعدها إلى بغداد^(٣) ، محملا بالهدايا التى
استنها طغرل بك كرد على رسائل الخليفة ، وكانت عشرين ألف دينار للخليفة ، وعشرة آلاف
أخرى للهاشية ، وألف دينار لرئيس الرؤساء ابن المسلمة^(٤) .

وهكذا توطدت العلاقات بين طغرل بك والخليفة العباسى القائم ، وما زاد فى توثقها أن
السلاجقة كانوا يعتنقون المذهب السنى ، مذهب الخلافة العباسية ، كما كانوا ينظرون إلى
الخليفة على أنه الرئيس الأعلى للمسلمين^(٥) .

وليس أدل على توثق هذه العلاقات من تبادل الرسل والهدايا بينهما ، فقد ذكر ابن
الأثير^(٦) أن طغرل بك أنفذ سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ، رسالة إلى الخليفة القائم يشكره فيها على
ما أنعم عليه من الخلع والألقاب ، كما أرسل إليه مع رسله عشرة آلاف دينار عينا وأعلقا
نفيسة من الجواهر والثياب والطيب ، وخمسة آلاف دينار للهاشية ، وألفى دينار لرئيس
الرؤساء ، وقد أكرم الخليفة رسل طغرل بك وأمر بإكرام وفادتهم .

(١) الراوندى راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ١٦٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٧ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٥) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٤١ ، أبو الفداء : المختصر ج ٢ ، ص ١٧١ ، السيوطى : تاريخ

الخلفاء ص ١٦٧ .

وفى سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م خرجت العلاقات بين طغرل بك ، والخليفة العباسى عن نطاق تبادل الهدايا والرسائل فما لبثت أن تطورت حتى فكر الخليفة فى الاستعانة به ، وبقوته لحماية الخلافة العباسية من خطر النفوذ الفاطمى ، وأبى الحارث البساسيرى^(١) ، فأرسل الخليفة رسولا إلى طغرل بك وهو بالرى وبصحبته أحد خواصه وهو (هبة الله بن محمد المأمون) وأمره أن يتوودد إلى السلطان السلجوقى ، ويستميله حتى يأتى إلى دار الخلافة ، ووعد طغرل بك بالمسير إلى العراق إن أمكن ذلك^(٢) .

وقد دخل طغرل بك العراق فعلا سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، وقد رحب الخليفة العباسى بقدومه ، ويتجلى ذلك فى الاستقبال الرائع الذى حظى به السلطان السلجوقى فى حاضرة الخلافة ، فعندما وصل إلى النهروان أرسل إلى الخليفة يستأذنه فى دخول بغداد ، فأذن له ، وخرج الوزير ابن المسلمة إلى لقائه فى موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف ، والشهود ، وأعيان الدولة ، وصحبة أعيان الأمراء من عسكر الملك الرحيم البويهى ودخل بغداد يوم ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، ونزل بباب الشماسية^(٣) .

على أن هذه العلاقات التى بدأت قوية وحسنة قبل قدوم السلاجقة إلى العراق ، ما لبث أن تبدلت على أثر دخول طغرل بك بغداد ، فقد قبض طغرل بك على الملك الرحيم البويهى ، وعلى كبار جنده ، وقد عد الخليفة هذا الإجراء خرقا لحرمة العهد بينهما ، فقد استخلف وزير الخليفة السلطان السلجوقى للخليفة وللملك الرحيم والأمراء والأجناد من قبل^(٤) ، وهدد الخليفة السلطان بمفارقة بغداد ، إذا لم يطلق سراح الملك الرحيم ورفض طغرل بك ، وصادر جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم ، وأموال الأتراك البغداديين^(٥) .

(١) البغدادى : تاريخ بغداد ج٩ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ص ١٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٩ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ١٨٥ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ١٦٤ ، باب الشماسية : أحد أبواب بغداد الخارجية من بناء المنصور ، صالح العلى : بغداد ، ص ١٣٢ ، ١٤١ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٣ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، أهر الفداء : المختصر ج٢ ص ١٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ص ٩١ ، ٩٢ ، الكامل ج٩ ص ٢١٨ ، القزوينى : تاريخ كزیده ، ص ٤٣٨ ، ابن خلدون : العبر ج٣ ص ٤٦٠ .

وهكذا رسم طغرل بك سياسة السلاجقة مع خلفاء بنى العباس ، فعلى الرغم من احترام طغرل بك للخليفة ، إلا أنه قد استغل ضعف الخليفة الذى لم يعد له سوى ذكر اسمه فى الخطبة ، ونقش اسمه على العملة ، وبعض الأرزاق ، والإقطاعات التى يقررها سلطان السلاجقة أسوة بما كان عليه فى العهد البويهى (١) .

ولم يكتف طغرل بك بما صادره من أموال ، بل عمد إلى أخذ أموال أخرى من الخليفة . ففى غمرة أحزان الخليفة بوفاة ابنه وولى عهده (محمد بن القائم) ، أرسل وزيره الكندرى إلى الخليفة وهو فى مجلس العزاء يطلب منه أموالا ، وحين استعظم الخليفة مقدار ما يطلبه السلطان ، أشاروا عليه بأن يطلق يده فى أموال الحریم فعظم ذلك على الخليفة ، وأجاب على رسل السلطان بأن "مال الحریم مازال مصونا ، وقد جرى فيه ما رأينا مكافأته فى ولدنا" (٢) .

وعلى الرغم من زواج الخليفة العباسى القائم ابنة أخى طغرل بك سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م (٣) ، إلا أن العلاقات بينهما لم تتحسن ، فقد بقى السلطان السلجوقى أكثر من ثلاثة عشر شهرا ، دون أن يلتقى الخليفة (٤) . ولكن الأحداث التى استجدت سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م ، والتى عرضت الخلافة للخطر ، كانت سببا فى حدوث تقارب بين الخليفة والسلطان ، حيث دخل البساسيرى الموصل ، فطلب الخليفة من طغرل بك إعادتها (٥) ، فسار طغرل بك إليها ، وحارب البساسيرى ، وأعاد الخطبة للقائم بأمر الله بالموصل (٦) .

وسر الخليفة سرورا كبيرا بالنصر الذى أحرزه طغرل بك ، وتأهب للاحتفاء بقدومه ، وخرج رئيس الرؤساء نائبا عن الخليفة لاستقباله ، وأبلغه سلام الخليفة ، فقبل طغرل بك الأرض ،

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

Lestrang : Baghdad during the Abasside Caliphate, p. 323 .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ، ص ١٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢٦١ ، الحسينى : أخبار ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٨١ - ١٨٣ .

ثم قدم له رئيس الرؤساء الهدايا والخلع التي جاء بها معه من عند الخليفة العباسي ، وكانت جاما (١) من ذهب فيه جواهر وفرجية (٢) .

وفى سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م ، قابل طغرلبيك الخليفة لأول مرة ، وجلس الخليفة جلوسا عاما حضره وجوه العسكر وأعيان بغداد (٣) ، ونظرا لحسن استقبال الخليفة لطغرلبيك أرسل إليه خمسين غلاما تركيا ، وعشرين رأسا من الخيل ، وخمسين ألف دينار ، وخمسين قطعة ثياب (٤) ، كما منح رئيس الرؤساء خمسمائة ألف دينار وخمسين لباسا ، لشكره على المنح التي أعطاه لها الخليفة (٥) .

ولما ثار البساسيري ببغداد سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، وأخرج الخليفة العباسي منها ، وأقام الخطبة للمستنصر الفاطمي ، وتوالت استغاثات الخليفة العباسي لطغرلبيك لإنقاذه ، واستجاب طغرلبيك ، وقضى على البساسيري سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، وأعاد الخليفة إلى مقر عرشه ، وطمأنه وهدأه (٦) .

(١) الجمام : إناء من فضة معناه القدح أو الكأس ، وتستعمل بمعنى الطبق ، النرشخي : تاريخ بخارى ص

٨٥ .

(٢) الفرجية : نوع من الثياب يلبس فوق سائر الثياب وله طرق ، يلبسه العلماء وتكون صناعته من الجوخ وله أكماء واسعة ، تتمدى أطراف الأصابع ، وهي غير مفتوحة أو مثقوبة ، ويسمى البعض فراجية ، وتكون أحيانا مفرجة من الأمام ، من أعلاها إلى أسفلها ومزورة بالأزرار ، وتوضع على الكتفين ، وكانت الخلع العظيمة لا تخلو منها ، وهي تخلع دائما على الأمراء والسلاطين ، والقواد ، والعلماء ، والقضاة وغيرهم ، انظر : دوزي : المعجم ، ص ٢٦٣ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦٥ حاشية (٤) ، الحالدي : الحياة السياسية ص ١٨١ هامش ٢ .

(٣) أنظر : ص ٩٠ ، ٩٤ من الرسالة عن مقابلة الخليفة لطغرلبيك .

(٤) Altay : Tugru;bey, p. 133 .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٦) البغدادي : تاريخ ج ٩ ص ٣٩٩ - ٤٠٤ ، الراوندي : راحة ، ص ١٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ،

ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

وزاد نفوذ طغرل بك في بغداد ، بعد القضاء على البساسيري ، وبسط سلطته على العراق ، وضعف شأن الخليفة العباسي ، ولم يعد له دور يذكر في سياسة دولته ، فانزوى في قصره ، وفوض الأمور إلى السلطان^(١) وأصبح لا يستطيع التصرف حتى في أملاكه الخاصة ، بل صار يعيش من إقطاعات مقررّة يستولى على دخلها لسد نفقاته .

واستبد طغرل بك بالخليفة ، فأمر أن تحمل موارد العراق المالية إلى خزائنه الخاصة بدلا من خزانة الخليفة^(٢) وقبل أن يرحل عن بغداد أناب عنه موظفا سلجوقيا يعرف بالعميد^(٣) ، وآخر لحفظ الأمن في بغداد يعرف بالشحنة^(٤) ، ووضع تحت تصرفهما حامية الجند السلجوقي^(٥) .

على أن أخطر ما فعله طغرل بك في حق الخليفة ، هو طلبه الزواج من ابنته ، فتخطى بعمله هذا تقاليد الخلافة العباسية ، إذ لم يسبق لأمر أعجمي أن تقدم لمصاهرة البيت العباسي^(٦) .

وكانت العلاقات قد ساءت بين الخليفة والسلطان قبل زواج طغرل بك ابنة الخليفة ، فقد أرسل طغرل بك عدة رسائل إلى كبار موظفي السلاجقة في بغداد والبصرة وواسط يأمرهم بمصادرة أملاك الخليفة ، وحاشيته ، ووضع اليد عليها ، على أن يترك للخليفة العباسي ما كان باسم الخليفة القادر بالله العباسي ٣٨١-٤٢٢هـ / ٩٩١-١٠٣٠م^(٧) .

ولقد زال هنا الخلاف بعد أن وافق الخليفة على الزواج ، فأمر طغرل بك برفع الحجز عن الخليفة وحاشيته ، كما أنفذ إليه طغرل بك أموالا وهدايا كثيرة ، فأرسل ثلاثين غلاما وجارية

(١) حمد الله القزويني : تاريخ كزيدة ص ٤٣٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣ ، ٤ .

(٣) انظر : من الرسالة .

(٤) انظر : من الرسالة .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢١٦ ، ابن دحية : النبراس ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، اليزدي : العراضة ، ص

٤٤ ، فتحى أبو سيف : المصاهرات ، ص ٨٧ وما بعدها .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

من الأتراك على ثلاثين فرس ، وخادمين وفرسا بمركب ذهب ، وسرجا مرصعا بالجواهر الثمينة ، وعشرة آلاف دينار باسم عروسه ، وهو ما كان لخاتون المتوفاة "زوجة طغرلبك" بالعراق ، وعقدوا فيه ثلاثون حبة كل لؤلؤة بها مثقال ، ويرسم الأمير عدة الدين خمسة آلاف دينار ، ويرسم السيدة والدة الخليفة ثلاثة آلاف دينار (١) .

علاقة السلطان ألب أرسلان بالخليفة العباسي والهدايا والرسل المتبادلة بينهما :

كان زواج طغرلبك ابنة الخليفة العباسي ، والذي لم يتم ؟ فجيرة بالنسبة للخلافة العباسية ، ولذلك أثر السلطان ألب أرسلان عقب توليه عرش السلاجقة أن يوطد علاقته بالخليفة العباسي فهو يعلم أن زواج عمه ابنة البيت الهاشمي تم على غير رضا الخليفة (٢) ، فبادر ألب أرسلان في سبيل توطيد علاقته بالخليفة وكسب رضاه إلى إرسال السيدة (ابنة القائم) إلى بغداد بعد أن منحها خمسة آلاف دينار لتستعين بها في العودة (٣) ، كما أمر أن يكون بصحبته قاضي الري أبو عمر محمد بن عبد الرحمن ، وزوده برسالتين إحداهما للخليفة ، والآخرى لوزيره فخر الدولة ابن جهير (٤) .

وقد سر الخليفة العباسي القائم بأمر الله سرورا كبيرا ، ورحب برسول السلطان ، وأمر أن يخطب للسلطان السلجوقي في مساجد بغداد ، ولقبه (٥) ، ورد ألب أرسلان على إنعام الخليفة عليه بإنفاذ عشرة آلاف دينار وزنا ، ومائتي ثوب أبرسمية (٦) أنواعا ، وحوالة على الناظر ببغداد بعشرة آلاف دينار أخرى ، وعشرة أفراس ، وعشرة بغلات (٧) .

(١) البنداري : آل سلجوق ، ص ٢٣ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٢٦ ، شذور العقود : ورقة

Altay : Tugrulbey, p. 134 .

، ١٣٦

(٢) البنداري : آل سلجوق ص ١٩ - ٢٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ، ص ٣٢١ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٨٨-١٨٥ .

(٦) أبرسمية : الأبرسيم نوع من الحرير ، أجوده النقى الحسن اللون السالم من الاختلاط ، والأوساخ الملبسة لبعض خيوطه ، وأن تكون خيوطه شكلا واحدا ليس فيها ما بعضه غليظ وبعضه رقيق ، أنظر : الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشوربجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

ولم يحدث خلال الفترة التي حكمها ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) ما يكدر صفو العلاقات العباسية ، السلجوقية ، بل كان السلطان السلجوقي يؤثر أن تبقى علاقته بالخليفة طيبة ، وليس أدل على ذلك من أن ألب أرسلان كان يستجيب إلى كل ما يرغب الخليفة في تنفيذه ، ففي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، أرسل الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع رسالة إلى القائم بأمر الله يطلب إليه توسطه في عقد هدنة بينه وبين السلاجقة^(١) وأجاب ألب أرسلان بقبوله وساطة الخليفة ودعوته إلى الصلح^(٢) ، ولكن إمبراطور الروم نقض الهدنة وهاجم السلاجقة فهزمهم ألب أرسلان في ملاذكرد ، فأرسل الخليفة رسالة إلى السلطان ألب أرسلان يهنئه وينعته بأفضل وأفخم الألقاب^(٣) .

وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، استجاب السلطان إلى طلب الخليفة بعزل شحنة بغداد آيتكين السليماني ، وكان السلطان ووزيره نظام الملك قد أوفداه إلى بغداد ، وإلى دار الخلافة ، وسأل الخليفة العفو عنه ، فلم يجب طلبه واضطر السلطان إلى أن يرسل سعد الدولة كوهرائيين بدلا منه^(٤) .

وليس أدل على حسن العلاقات بينهما من تبادل الرسائل والهدايا ، وذلك تعبيرا عن توثق العلاقات الدوية بينهما ، كما أن السلطان أرسل إلى القائم بأمر الله يستطلع رأيه في جعل ولده ملكشاه ولي عهده فوافق الخليفة على تعيينه ، وأرسل وزيره ابن جهير إلى الري يحمل للسلطان السلجوقي ولولده ملكشاه الخلع والعهد^(٥) .

وليس أدل على احترام "ألب أرسلان" للقائم إلا الحفاوة البالغة التي لقيها عميد الدولة ابن جهير من السلطان السلجوقي ، ومن وزيره نظام الملك حين أنفذه الخليفة إلى نيسابور ليخطب ابنة السلطان لولى العهد (المقتدى بأمر الله) ، ولما تم الزواج ، أمر السلطان أن يبالغ

(١) البنداري : آل سلجوق ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) ابن الجوزي : آل سلجوق ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

(٣) الحسيني : أخبار الدولة ، ص ٥٣ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ص ٤٢ ، ٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٥) البنداري : آل سلجوق ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٩ .

فى إكرام الوزير السلجوقى ، وذلك بمسيرة فى مدينة أصفهان وهو فى طريق عودته إلى بغداد (١) .

وعلى الرغم من الاحترام الذى أظهره السلطان ألب أرسلان للخليفة فى كثير من المناسبات ، فإنه حاول سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م ، أن يتدخل فى تعيين أحد الوزراء ، فقد اختار السلطان "أبا العلاء محمد بن الحسين" وهو أحد أفراد حاشيته ، وخلع عليه الخلع ، ولقبه بوزير الوزراء ، وأقطع النصف من إقطاع الوزير ابن جهير ثم أرسله إلى بغداد ليكون وزيرا للمقائم بأمر الله بدلا من ابن جهير ، وقد عد الخليفة هذا العمل من جانب السلطان تدخلا فى أمور الخلافة وخصائصها ، فلما وصل وزير الوزراء أبا العلاء - إلى بغداد ، أمر الخليفة بعدم الاحتفاء به ، كما امتنع عن مقابلته ، فجاء الوزير إلى باب النوى وقبل الأرض ، وأقام أياما ثم رحل (٢) .

ولم يكتف الخليفة بهذا ، بل عبر عن غضبه من تصرف السلطان أكثر بطرد حاجبه أبى المعالى - وهو أخو وزير الوزراء أبى العلاء - المخلوع - من دار الخلافة ، فأصبح محجوبا بعيدا بعد أن كان حاجبا قريبا (٣) .

وعلى الرغم من هذا كله ، والذى كان إهانة بالغة للسلطان السلجوقى ، فإنه لم يغضب ، ولم يضغط ويهدد بتعيين الوزير الذى اختاره ، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على التقدير الذى يكتنه السلطان ألب أرسلان للخليفة القائم رمز السلطة الدينية والشرعية (٤) .

علاقة السلطان ملكشاه بالخليفة العباسى ، والرسل والهدايا المتبادلة بينهما :

بدأت العلاقات بين السلطان ملكشاه ، والخليفة القائم ودية ، فحينما توطدت سلطة ملكشاه بعث سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، إلى الخليفة يطلب إليه تفويضا لحكم البلاد ، فجلس الخليفة جلوسا عاما ، وأعطاه له (٥) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢٩ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ٢٩ .

(٤) الخالدى : الحياة السياسية ، ص ١٩١ .

(٥) الحسينى : أخبار ، ص ٥٤ ، الرواندى : راحة الصدور ص ١٩١ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٢ .

واستمرت العلاقات بين الخليفة العباسي ، والسلطان ملكشاه يسودها الود ، إلى أن توفي الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م ، وبويع حفيده المقتدى بأمر الله^(١) ، الذي أرسل إلى ملكشاه يطلب منه البيعة فأعطاهها له عن طريق وزيره ابن جهير الذي استمر في ضيافة ملكشاه لمدة عام كامل^(٢) .

وقد مرت العلاقات السلجوقية العباسية في عهد ملكشاه بمرحلتين :

الأولى : تبودلت فيها الرسل والهدايا بين الخليفة ، والسلطان واستمرت حتى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م .

الثانية : تازمت فيها العلاقات بينهما ، ويرجع السبب في ذلك إلى تدخل ملكشاه في شؤون الخلافة فقد أنفذ رسالة إلى المقتدى بأمر الله سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م ، يطلب إليه فيها عزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة . كما تضمنت عدم إرسال رسول من دار الخلافة إلى خراسان مقر حكم السلاجقة^(٣) .

ولم يستجيب الخليفة إلى طلب السلطان ، فأرسل ملكشاه شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين ، وأمره بعزل الوزير ، فجاء كوهرائين إلى دار الخلافة ومعه الجند ، وطلب من الخليفة عزل الوزير^(٤) ، فاشتكى الخليفة للسلطان شحنته عن طريق رسول ، فاعتدى كوهرائين على رسول الخليفة ونهبوا ما كان معه واستطاع كوهرائين بتهديده للخليفة أن يعزل الوزير بن جهير^(٥) ، وهذا يدل على ضعف الخلافة ، وقوة السلطان وموظفوه ، سواء أكانوا شحنة ، أو وزراء حيث يرجح أن ذلك كله كان من تدبير نظام الملك^(٦) .

(١) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٦١ ، ابن دقماق : الجواهر الثمين ج ١ ص ٢٨٥ . القلقشندي : مآثر الأنافة ، ج ٢ ص ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٩٤ ، البنداري : آل سلجوق ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٩ ، القلقشندي : مآثر الإنافة ج ٢ ص ٣ .

(٦) البنداري : آل سلجوق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

ولقد استاء الخليفة من تصرف السلطان وشحنته ووزيره ، ورفض طلبهم ، ولم يعين وزيرهم المفروض عليه (عميد الدولة) وأمره بعدم مبارحة داره على أثر وصوله إلى بغداد^(١) ، وعين بدلا منه الوزير أبى شجاع محمد ابن الحسين ، على أن يكون نائبا له فى الديوان^(٢) ، وأمام إصرار السلاجقة استسلم الخليفة لضغوطهم وأعاد ابن جهير ثانية إلى الوزارة سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م ، بعدما تصالح مع نظام الملك^(٣) .

على أن سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، شهدت تحسنا طفيفا فى العلاقات بين ملكشاه ، والخليفة المقتدى بأمر الله فقد صاهر الخليفة ، السلطان السلجوقى بخطبة ابنته له^(٤) ، وكان لهذه المصاهرة أثر كبير فى تحسن العلاقات بينهما ، فبعدها أرسل ملكشاه إلى الخليفة رسالة تتضمن "الدعاء" له للمواقف المقدسة ، والاعتذار عن تأخره^(٥) .

ولما قدم السلطان إلى الموصل بعد فتح بلاد الشام ، أرسل الخليفة لاستقباله النقيبى العباسى والعلوى^(٦) فى موكب عظيم ، ويذكر ابن الجوزى^(٧) أن السلطان ملكشاه قام وقبل الأرض حين أبلغ بتهنئة المقتدى بأمر الله بسلامة وصوله ، وبعد أن فرغ السلطان عن زيارته ، جلس له الخليفة جلوسا عاما ، فدخل ملكشاه وأمره الخليفة بالجلوس "فامتنع وتواضع حتى ارتفع ، ثم أقسم عليه حتى جلس"^(٨) ، وكان نظام الملك يأتى بأمر أمير إلى اتجاه السدة الشريفة ويقول للأمير : هذا أمير الأمير ، ويقول للخليفة هذا فلان ، وعسكره فلان ، وولايته كذا .. وبعد أن فرغ الخليفة من استقبال كبار القواد خلع على ملكشاه الخلع السلطانية ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٤ - ٤٥ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ - ٣١٩ .

(٣) البندارى : آل سبجوق ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٢١٦ - ٢١٨ ، ط. بيروت .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٢٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ط. بيروت.

(٧) المنتظم : ج ١٦ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ط. بيروت .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

وفوضه أمر البلاد والعباد ، وأمره بالعدل فيهم^(١) ، وطلب السلطان أن يقبل يد الخليفة فرفض ، فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه أياه فقبله ووضع على عينيه ، وأمر الخليفة بالعودة إلى دياره ، وخلع على نظام الملك^(٢) . وفى سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م أرسل ملكشاه إلى الخليفة يطلب منه أن يجعل من ولده "أحمد" وليا لعهد ، فأذن له الخليفة ، وأمر خطباء المساجد فى بغداد بذكر اسمه على المنابر بعد اسم أبيه ، ونشرت الدنانير على الخطباء احتفاء بهذه المناسبة^(٣) .

ولكن هذه العلاقات الودية سرعان ما تبدلت ، وخاصة فى أواخر أيام الخليفة المقتدى بأمر الله الذى ظهر أمام السلطان ضعيفا متخاذلا حتى لم يبق له من الأمر شئ "وصار لا يتعدى حكمه بابه ، ولا يتجاوز جنابه"^(٤) ، ويرجع السبب الرئيسى فى سوء العلاقات إلى عزم السلطان على جعل الأمير جعفر ابن الخليفة من ابنته وليا لعهد المقتدى بدلا من المستظهر بالله الذى بايعه والده لولاية العهد من بعده^(٥) ، وقد قصد ملكشاه من وراء ذلك نقل الخلافة العباسية من الفرع الهاشمى إلى التركى ، كما حاول طغرل بك من قبل ولم ينجح .

رفض الخليفة المقتدى طلب ملكشاه بجعل حفيده الأمير جعفر وليا لعهد ، وخاصة حينما عرف نيات السلطان السيئة نحوه ، وما يؤيد ذلك ما ذكره الراوندى^(٦) من أن أخت^(٧) السلطان كانت تنادى على الأمير جعفر فى حضور أبيه المقتدى بعبارة : يا أمير المؤمنين ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٨ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٤) ابن دحية : النبراس ص ١٤٤ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٤ ، ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٩ .

(٦) راحة الصدور ، ص ٢٠٨ ، ص ٢١٦ .

(٧) تذكر معظم المصادر على أنها ابنة السلطان التى تزوجها الخليفة المقتدى ، وكان اسمها "مهلك خاتون" وليست أخته كما ذكر الراوندى فى ص ٢١٦ ، لمزيد من التفاصيل راجع : ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ابن دقماق : الجواهر الثمين ج ١ ص ٢٨٣ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ، ج ٢ ، ص ٣ .

وكان العزم قبل وفاة ملكشاه أن يبنوا دارا للخلافة وحرما ملحقا بها في أصفهان .. وأن يقيموا الأمير جعفر فيها ، ولكن الخليفة أحس بهذا الأمر (١) .

وفى سنة ٤٨٥/١٠٩٢ م ، عزم ملكشاه فعلا على عزل الخليفة المقتدى ، فقدم بغداد وأرسل للخليفة رسالة يقول له "تخرج من بغداد ، وتمكن أى بلد شئت (٢) ، فانزعج المقتدى ، وطلب إليه أن يمهل شهره ، فقال ملكشاه : ولا ساعة واحدة ، وترددت الرسل بينهما ، ثم استقرت الحالة بواسطة تاج الملك أبى الغنائم وزير ملكشاه ، على أن يؤخر عشرة أيام ، فوافق السلطان على ذلك (٣) ، وفى خلال هذه الفترة مرض السلطان ، ثم توفى فجأة فى شوال سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م (٤) ، وبذلك أنقذ القدر الخليفة المقتدى من شر كاد يطيح به من كرسى الخلافة.

استقبال رسوم البيزنطيين والهدايا المتبادلة بينهما :

ورث السلاجقة العداء الإسلامى البيزنطى ، وقد ظهر السلاجقة فى وقت ضعفت فيه القسطنطينية ، ولذلك أعلن طغرل بك أن هدفه الثانى بعد دخول بغداد ، وتأمين طريق مكة ، هو تأمين الطريق نحو أرمينية ، فممتلكات بيزنطة فى آسيا الصغرى ثم ممتلكات الفاطميين فى مصر والشام (٥) .

وبمعاونة قواده هاجم طغرل بك الإمارات الكرجية ، والأرمينية والبيزنطية ، وكان إبراهيم ينال ساعده الأيمن فى هذه المعارك ، حيث شن سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م حملة على أرمينية اكتسح فيها وادى باسيان وكارين ، وتمكن من إلحاق هزيمة منكرة بالجيش البيزنطى فى معركة بوترو (إحدى قلاع سهل باسيان) ، وكان يساند الجيش البيزنطى فى هذه المعركة حكام أرمينية ، وأمير الكرج (الأبخاز) - ليباريت - الذى وقع فى أسر السلاجقة ، ولم يجد الإمبراطور

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ ، ابن دحية : النبراس : ص ٣١٢ .

(٣) ابن العبرى : المختصر ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١ ص ٤٨١ - ٤٨٥ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٨٠ القلقشندى : مآثر الأتافة ، ج ٢ ص ٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٥) سهيل زكار : المدخل ، ص ٦١ .

قسطنطين التاسع مونا ماخوس (١٠٤٢-١٠٥٥ م/٤٣٤-٤٤٧هـ) حلا لإطلاق سراحه ، سوى الدخول فى مفاوضات مع طغرلبك^(١) . وظلت هجمات السلاجقة على أملاك بيزنطة ، حتى حاصر طغرلبك ملاذكرد^(٢) ، وفتح الكثير من المدن البيزنطية^(٣) ، وكان رد فعل البيزنطيين لاحتواء خطر السلاجقة هو إرسال الرسل ، وتبادل الهدايا والسفارات بين الطرفين^(٤) ، فكانت هناك سفارتين فى عهد طغرلبك :

السفارة الأولى : تمت سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠ م ، بين طغرلبك والإمبراطور قسطنطين التاسع مونا موخاس بعد تعرض قواته ، وقوات حلفائه من الأبخاز والأرمن إلى هزيمة ساحقة فى إقليم باسيان كما أسلفنا ، وكان الهدف منها عقد هدنة بين الجانبين مدتها أربع سنوات ، وإقامة علاقات ودية بينهما ، وإطلاق سراح الأمير الكرجى (ليباريت) ، وكان رسول البيزنطيين إلى طغرلبك هو شيخ الإسلام (أبا عبد الله بن مروان) موفدا من قبل نصر الدولة بن مروان حاكم ديار بكر ، والوسيط بين البيزنطيين والسلاجقة^(٥) .

وقد استجاب طغرلبك لهذه الرسالة والسفارة ، فأطلق سراح ملك الأبخاز دون فداء ، فسر الإمبراطور سرورا كبيرا بذلك ، فأرسل الهدايا إلى السلطان وكانت عبارة عن ألف لباس حريرى ، وخمسمائة لباس متنوع ، وخمسمائة حصان ، وثلاثمائة من دواب النقل الإجمالى ، وثلاثمائة حمار مصرى ، وألف من الماعز ومائتى دينار من الذهب الخالص^(٦) ، إلى جانب إقامة الخطبة للعباسيين ولطغرلبك فى مسجد القسطنطينية بدلا من الفاطميين^(٧) ، فكان أول سلطان سلجوقى تركى يرتفع اسمه فى سماء القسطنطينية المسيحية .

(١) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ١٨٨ ، المقرئى : السلوك ، ج١ ص ٥٢ ، حسانين ربيع : الدولة البيزنطية ص ١٨٢ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٥٢ .

(٣) فايز اسكندر : أرمينية ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، المقرئى : السلوك ، ج١ ص ٥٢ .

(٦) Altay : Tugrulbey, p. 334 ، الرشيد بن الزبير : كتاب الدخائر والتحف ١ ، حققه د/ محمد

حمد الله (الكريت ١٩٥٩م) ج١ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٧) المقرئى : السلوك ج١ ص ٥٢ ، فايز اسكندر : أرمينية ، ص ٢٤٢ .

السفارة الثانية : تمت بين طغرلبيك، والإمبراطورة ثيودورا ٤٤٧-٤٤٨هـ / ١٠٥٥-١٠٥٦م، حيث بعثت الإمبراطورة، بهدايا وسفارة إلى طغرلبيك وهو فى بغداد، ووصلت هذه السفارة عبر آراضى الأمير المروانى نصر الدولة، وكانت هدايا الإمبراطورة الى السلطان طغرلبيك عبارة عن خيول وبغال بيضاء، وخاتم سليمان وفى وسطه خط دقيق من الياقوت الأحمر يزن ٤٥ مثقالا، ومائة وخمسين وعاء صينيا، وخمسمائة لباس منهم مائتا لباس سقلاطون^(١)، ومائتا لباس عتابى^(٢)، وكافور، وعود بقيمة ألفين وأربعمائة دينار، وخمسون ألف دينار نقدا، وكثير من الملابس الأرجوانية^(٣)، وقد رغبت الإمبراطورة فى إقامة علاقات ودية بين الجانبين^(٤). وكاد رد السلطان طغرلبيك إيجابيا، حيث أرسل سفارة تحمل بعض الهدايا طالبا فيها إعادة بعض مدن الحدود الإسلامية مثل ملاذكرد، والرها، وأنطاكية، ودفع جزية سنوية له، وإقامة الخطبة له وللخليفة العباسى على منابر القسطنطينية^(٥).

(١) سقلاطون : نوع من الثياب بمعنى سقلط أو سقلطة، وينبغى أن يكون خماسيا لرفع النون وجرها مع الراو، ابن منظور : لسان العرب، ج٣، ص ١٠٤٢. وهو ما يعرف بالمصمت أى الذى لا يخالط لونه أو هو الذى جميعه (حرير) لا يخالطه قطن ولا غيره، وهو نسيج رقيق وهو ثياب من الحرير موشى بالذهب ويكون فيها صور منقوشة عليها، الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٢٦.

(٢) عتابى : نوع من الملابس، وتنسب الملابس العتابية إلى صحابى جليل هو عتاب بن أسيد، وانتشرت صناعته فى بغداد واشتهرت به إحدى ملاحتها، وهى ثياب مخططة تصنع من خيوط القطن والحرير من مختلف الألوان وانتقلت صناعته إلى خارج بغداد، كأصبهان، وصارت له شهرة عالمية حتى وصل إلى أوروبا، حيث قلد الأندلسيون صناعته، وصدوره من هناك إلى فرنسا وإيطاليا، وصار يعرف فى فرنسا باسم "تابى - Tabi" محرفا، انظر : ابن جبير : الرحلة، ص ١٦٢، الدمشقى : كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٢٤، ٢٦، حسين مؤنس : عالم الإسلام، (دار المعارف بمصر ١٩٧٣م) ص ٢٤٧.

(٣) الأرجوانية : هى ملابس الإمبراطور البيزنطى، وتصنع من الحرير الخالص، وكانت تستوردها بيزنطة من بلاد الهند، انظر : هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا، (الهيئة المصرية للكتاب، سنة ١٩٩٤م) ج٤، ص ١٧٩ - ١٨١.

(٤) Altay : Tugrulbey, p. 334، بورفيريوجنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع، عرض وتحليل وتعليق سعيد عمران، (دار النهضة العربية، ١٩٨٠)، ص ٢٧.

(٥) المقرئى : السلوك، ج١ ص ٥٢، حسنين : إيران، ص ١٨٤.

وقد ورث ألب أرسلان سياسة عمه العدائية والسلمية مع بيزنطة فواصل حروبه معها ، وهاجم الثغور البرية مثل ملطية^(١) ، واجتاحت قواته كباد وكيا^(٢) ، وكانت ملاذكرد وهزيمة رومانس الرابع هي قمة المأساة فى العلاقات البيزنطية السلجوقية .

وقبل ملاذكرد ، وفى أثناءها تبودلت الرسائل والسفارات والرسل بين الإمبراطور البيزنطى والسلطان السلجوقى ألب أرسلان عبر الخليفة العباسى وغيره ، فيذكر البندارى^(٣) وابن الأثير ، أن السلطان أرسل رسولا إلى الإمبراطور البيزنطى أثناء المعركة يطلب إليه الهدنة ويكشف سره ، ويقف على حقيقة عدد جيشه ، ولكن الإمبراطور رفض وتكبر ، وقال (لا هدنة إلا بالرى) ، ويقصد بذلك أنه سيحارب حتى يصل إلى عاصمة ألب أرسلان (الرى) ، مما أثار حفيظة السلطان فكانت الهزيمة للبيزنطيين والنصر للسلاجقة^(٤) .

وبعد النصر ، وأسر الإمبراطور ، وقبل الفدية منه ، عقد ألب أرسلان معاهدة لمدة خمسين سنة ، اشترط فيها تحرير أسرى المسلمين ، وأن تكون جيوش الإمبراطور مستعدة لمساعدة ألب أرسلان عند الطلب الذى يكفيه وفى الوقت الذى يحتاج إليه ، وخصص له سرادقا كبيرا ، وأعطاه خمسة عشر ألفا دينار ليصرف منها ، وخلع عليه خلعة شريفة ، وبعث معه كتيبة سلجوقية لحراسته^(٥) ، ولكن فى عهد ملكشاه استمرت الحروب ، والانتصارات حتى أقام السلاجقة لهم دولة فى آسيا الصغرى عرفت باسم سلاجقة الروم^(٦) .

(١) عليه عبد السميع الجنزورى : الثغور البرية الإسلامية (الأنجلو المصرية) ١٩٧٩ ، ص ٣ ، ١٠٤ .
وملطية : بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء ، بلدة من بلاد الروم تتاخم بلاد الشام بناها الإسكندر المقدونى ،
ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ١٩٢ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٨١ .

(٣) آل سلجوق : ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ط. بيروت .

(٤) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج١ ص ٨١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٢٣ ، فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص

ثانيا : ولى العهد :

اختيار السلطان السلجوقى لولى عهده :

لم يضع السلطان طغرلبك نظاما معيناً لاختيار ولى العهد السلجوقى ، يلتزم به أفراد البيت السلجوقى من بعده^(١) ، وذلك يرجع إلى أنه كان عقيماً لم ينجب^(٢) . إلى جانب أنه كان ذا طبيعة بدوية قائمة على النظام القبلى السائد آنذاك لدى السلاجقة حيث يتولى القيادة أقواهم ، وأشجعهم ، والكل يدين له بالولاء والطاعة ، مثلما حدث عندما تولى هو عرش السلاجقة^(٣) ، إلى جانب انشغاله الدائم فى حروب مستمرة على كل الأطراف .

ولكنه فى أواخر حياته قد عهد بالسلطنة من بعده لابن أخيه (سليمان بن دواد) وكان طفلاً صغيراً^(٤) وكانت أمه بعد زواجها طغرلبك قد أوعزت إليه بجعل ابنها هذا ولياً لعهد^(٥) ، ومن هنا برزت مشكلة التنازع والتنافس على عرش السلاجقة بعد وفاة طغرلبك ، فعندما علم ألب أرسلان حاكم خراسان ، والأخ الأكبر غير الشقيق لسليمان بولايته ، وأخذ الكندرى وزير طغرلبك البيعة له فى الرى ، وقرئت الخطبة باسمه متجاهلاً أخاه ألب أرسلان ، سار ألب أرسلان ووزيره نظام الملك إلى الرى بجيوش قوية ، وأجبر سليمان على التنازل عن العرش لألب أرسلان ، وأقيمت له الخطبة فى الرى على أن يكون سليمان ولياً لعهد^(٦) . ولكن ولايته للعهد لم تستمر .

ثم سار السلاجقة بعد طغرلبك على رسم معين فى اختيار وتولية ولى العهد ، فكان السلطان السلجوقى يعين أكبر أولاده ولياً لعهد قبل وفاته ، وإذا لم يكن للسلطان ابن فيولى أخوه ولياً لعهد ، ويشترط أن يكون ذا شخصية قوية فضلاً عن تمتعه بمكانة سامية بين أفراد

(١) حسانين : إيران ، ص ٥٣ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٢ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٠ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ .

البيت السلجوقي^(١) وأول من ولى ابنه العهد من بعده فى حياته من سلاطين السلاجقة ، السلطان ألب أرسلان الذى عهد لابنه ملكشاه بولاية العهد^(٢) .

وفى سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ولى ملكشاه العهد لابنه "أبى شجاع أحمد" وكان أكبر أولاده ، ولقبه (بملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين ، وأرسل إلى الخليفة المقتدى ليخطب له ببغداد ، فخطب له ، ولكنه مات بعد سنة^(٣) ، فصارت ولاية العهد لأخيه بركياروق^(٤) .

رسوم تعيين ولى العهد :

١- كانت أولى الخطوات التى سار عليها السلاجقة فى تعيين ولى العهد تمتعه بالشجاعة ، والقوة ، والتأييد من أمراء البيت السلجوقي ، وموافقتهم عليه سلطانا فيما بعد^(٥) ، وهذه هى سمات المجتمع التركى الذى كان السلاجقة جزءا منه .

٢- موافقة الخليفة العباسى ومن رسوم تعيين ولى العهد ، موافقة الخليفة العباسى ، حتى يتمتع ولى العهد بحقوقه الشرعية التى يستمدّها من الخليفة العباسى بحكم البلاد التى تحت يده عندما يتولى السلطنة .

فلما قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ / ١٠٦٣م ، وكان قد عهد لابنه ملك شاه بولاية العهد من بعده^(٦) ، أرسل ملكشاه إلى الخليفة العباسى يطلب الاعتراف بولايته للعهد فوافق الخليفة^(٧) .

(١) إدريس : رسوم ، ص ٧٧ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٦٠ ، الرواندى : راحة الصدور ص ٢١٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٧٥ .

(٥) إدريس : رسوم ، ص ٧٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٣٧٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

ولما ولي ملكشاه ابنه أبو شجاع أحمد ولاية العهد سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، أرسل إلى الخليفة المقتدى ليخطب له في بغداد ، وبأخذ موافقته على تعيينه^(١) ، وعندما قتل ملك شاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وكان قد عهد بالسلطنة لابنه بركياروق من بعده^(٢) ، أرسلت زوجته تركان خاتون إلى الخليفة المقتدى بأمر الله تطلب الموافقة على سلطنة ولدها محمود الذي لم يتجاوز الرابعة وشهور ، فأجابها إلى ما طلبت^(٣) .

٣- موافقة الجند السلجوقي :

جعل السلاجقة موافقة الجند على تعيين ولي العهد من الشروط الواجب توافرها عند اختياره ، فطغرلبك عندما أراد تعيين سليمان الطفل وليا لعهد ، بعث إلى وزيره الكندري ، وطلب إليه أخذ البيعة لسليمان من الجند والأمراء ، بل أصدر أمرا بذلك ، ومنح جنوده بهذه المناسبة سبعمائة ألف دينار وستمائة ألف ثوب من ديباج وسقلاطون ، وسلاحا^(٤) .

وسار ألب أرسلان على هذه النهج حينما أمر وزيره نظام الملك سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، بجمع العساكر وأمراء دولته ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق لابنه ملكشاه ، وقال لهم (أعهد إليكم أن تسمعوا لولدي ملكشاه وتطيعوه ، وتقيموه مقامى ، وتلكوه عليكم ، فقد وقفت هذا الأمر عليه ، ورددته إليه) ، فأجابوه بالدعاء والسمع والطاعة^(٥) بل أمرهم بأن يخطب له على منابر بلادهم ، وبهذه المناسبة أقطعهم البلاد^(٦) .

وهكذا كانت موافقة الجند السلجوقي على تعيين ولي العهد عاملا مهما لتدعيم السلطنة بعد وفاة السلطان ، فحينما قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٦٣م ، استخلف نظام الملك جميع العساكر والأمراء بالبيعة لولي العهد ملكشاه فحلفوا له^(٧) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٢ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٤ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٨١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٩٤ .

٤- موافقة الوزير السلجوقى :

وكان من رسوم تعيين ولى العهد ، موافقة الوزير السلجوقى ، فعندما أراد طغرلبك تعيين سليمان وليا لعهد ، بعث إلى وزيره عميد الملك الكندرى ، وأخذ منه البيعة لسليمان واستصدر منه أمرا بذلك (١) .

وحينما رأى الكندرى غلبة ألب أرسلان ، أعلن أنه تابع له ، وتخلّى عن سليمان الذى وافق على أن يكون وليا لعهد أخيه (٢) ، وكان نظام الملك الطوسى هو الذى أوحى إلى ألب أرسلان بتعيين ملكشاه وليا لعهد (٣) ، وكان هذا إيذانا بمبايعته له بولاية العهد ، ولما مات ملكشاه كان نظام الملك يبايع بركياروق ولده الأكبر بولاية العهد ، ودخل فى نزاع من ترکان خاتون زوجة السلطان وأم ولده محمود من أجل ذلك (٤) .

٥- إقامة الخطبة :

وكان من رسوم تعيين ولى العهد إقامة الخطبة له على منابر بغداد ، وعلى منابر كل بلاد دولة السلاجقة التى يحكمها أبوه (٥) ، وخلع عليه الخلع ، ففى سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م ، بعث الخليفة العباسى القائم بأمر الله السلطان ألب أرسلان خلعه ، كما بعث بخلعه أخرى لولى عهده ملكشاه ، وسيرت الخلع مع عميد الدولة بن جهير (٦) ، كما كانت تنشر الدنانير بهذه المناسبة وتهدى للجنود الهدايا وتقع لهم الإقطاعات بحكم البلاد (٧) .

وكان ولى العهد يشترك مع والده السلطان فى حروبه ، فقد أشرك السلطان طغرلبك ألب أرسلان فى حروبه (٨) ، وقد ظن البعض أن هذا إيذان منه بولاية العهد من بعده .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣١ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ص ١٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٧٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٣٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٧٦ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٧٧ .

وكان السلطان ألب أرسلان يصحب معه ابنه ملكشاه فى كل حروبه ، بل أرسله وهو شاب ومعه نظام الملك إلى وادى الرس ، وبلاد الكرج لمحاربة البيزنطيين والأرمن^(١) ، وشهد ملكشاه معركة ملاذكرد مع والده ألب أرسلان ، وأبلى معه بلاءاً حسناً فيها ، وحينما قتل والده فى سمرقند كان ملكشاه بصحبته ، وأخذت له البيعة بالسلطنة من بعده^(٢) .

وكانت ولاية العهد مشار نزاع وفتن ومشكلات طوال العهد السلجوقى ، وليس أدل على ذلك مما حدث عقب وفاة طغرلبيك ، وملكشاه ، والتي حسمها بركياروق لنفسه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م وأرسل إلى دار الخلافة للاعتراف به^(٣) .

ثالثاً : الوزارة^(٤)

تطور منصب الوزير :

منصب الوزير قديم قدم الحضارات القديمة ، فلا بد للحاكم من الاستعانة بأبناء جنسه لأنه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً^(٥) ، وقد عرفت الحضارة المصرية القديمة منصب الوزير^(٦) ، وعرفها الفرس وبنو إسرائيل فهى ليست من مستحدثات الإسلام^(٧) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٦ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٨ ، ص ٤٨٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٤) يقرر علماء اللغة أن لفظ الوزارة مشتق من ثلاثة أوجه : (١) مشتق من الوزر بمعنى الشغل ، لأن الوزير يحمل عن الملك أو الإمام أثقاله^(٢) مشتق من الوزير وهو الملجأ ومنه قوله تعالى (كلا لاوزر) أى لا ملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأى الوزير ومعونته ، (٣) مشتق من الأزر وهو الظهر ، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ، انظر : الماوردى : أبو الحسن بن على (قوانين الوزارة ، تحقيق صلاح الدين بسيونى ، (القاهرة ١٩٨٦م) ، ص ٣٩ ، ٥١ ، الأحكام السلطانية : ص ٢٣ ، وقد عرفها ابن خلدون بقوله هى أم الخطط السلطانية والرتب السلوكية ، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة ، المقدمة ص ٢١١ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٦ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ص ٦٠١ .

(٦) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج٢ ، المجلد الأول ص ٩٢ .

(٧) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٧ .

ومما يؤكد ذلك قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام (واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى) (١) ، وفى قوله تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) (٢) وموسى كان فى مصر القديمة ، ولا يمكن أن تستخدم هذه الكلمة إلا ولها وجود فى العصر الذى يعيش فيه .

وقد وجد منصب الوزير فى صدر الإسلام بالمعنى وليس باللفظ ، فيروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (إنه لم يكن قبلى نبى إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وأنى أعطيت أربعة عشر) (٣) ، وهذا يثبت أن النبى عليه السلام استخدم هذه الكلمة على الرغم من عدم تعيينهم وزراء ، بل كانت مهمتهم استشارية فقط .

واستخدم المسلمون الأوائل هذه الكلمة فى سقيفة بنى ساعدة حينما قال المهاجرون (نحن الأمراء وأنتم الوزراء) (٤) ، وكان أبو بكر الصديق بمنزلة وزير لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان عمر بن الخطاب بمنزلة وزير لأبى بكر الصديق (رضى الله عنهما) ، وكان عثمان وعلى وزيران لعمر ، كما كان مروان بن الحكم وزيرا لعثمان بن عفان (٥) .

وفى العصر الأموى ٤٠-١٣٢هـ / ٦٦٠-٧٤٩م ، استخدم الأمويون من يقومون بعمل الوزراء وسموا بالكتاب مثل عبد الحميد الكاتب الذى كان بمنزلة وزير لمروان بن محمد ١٢٨-١٣٢هـ / ٧٤٤-٧٤٩م آخر خلفاء بنى أمية (٦) ، كما سمي مشيرا (٧) .

(١) سورة طه : آية ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٣٥ .

(٣) ابن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط ٤ ، (القاهرة ١٩٥٤م) ، ج ٢ ، ص ١٢٦٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ ، ج ٣ ص ٢٢٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٠ ، أحمد الشامى : الحضارة ص ٣٧ ، ٣٨ ، الخلفاء الراشدون ، ط ٢ ، (النهضة المصرية ١٩٨٢م) ، ص ١٦ - ٢٠ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١١ ، وما بعدها .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١١ وما بعدها ، أحمد أمين : ضحى الإسلام (القاهرة ١٩٤٦م) ص

١٧١ .

(٧) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٨ .

ويتفق رأى المؤرخين على أن منصب الوزارة ولقب الوزير لم يظهر رسميا إلا فى العصر العباسى ، حينما لقب أبو عبد الله السفاح وزيره أبا سلمة الخلال (بوزير آل محمد) (١) .

وهكذا فإن فكرة الوزارة لم تكن غريبة عن الفكر الإدارى الإسلامى (٢) ، وهذا ينسب فى فارسية اللقب (٣) . وقد أطنب الكتاب والمؤرخون فى الحديث عن وزارة الدولة الإسلامية بعصورها المختلفة ، وانصب اهتمامهم على قلب الدولة الإسلامية دون أن تحظى بقية أطراف الدولة أو بعض الدويلات المستقلة بنفس القدر من الاهتمام ، بل وظهر مؤلفون (٤) دارت كتابتهم حول الدول الإسلامية نفسها دون غيرها .

وطوال العصر العباسى الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م ، كانت الخلافة قوية ومسيطرة ، الأمر الذى جعل الوزير شخصا مطيعا ، فكثيرا ما نكب الخليفة بوزرائه (٥) .

أما فى العصر العباسى الثانى ٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٦-٩٤٦م ، والذى عرف بعصر نفوذ الأتراك ، أخذ نفوذ الخلفاء فى الضعف ، وبالتالى ضعف منصب الوزارة (٦) ، وفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م دخل البويهيون بغداد على عهد الخليفة المستكفى بالله العباسى ٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٦م ، واستبد البويهيون بالحكم دون خلفاء بنى العباس وزال نفوذ الوزراء لأن الوزارة صارت من جهة البويهيين (٧) ، وأصبح للخليفة كاتب يدير شؤونه (٨) .

(١) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ١٦٣ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ١٧٢ .

(٢) محمد عبد الله الشيبانى : نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية (القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص ٩٢ .

(٣) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، (القاهرة ١٩٣٩م) ، ص ٣٦ .

(٤) ابن الصيرفى : تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، حققه أمين فؤاد سيد ، ط ١ (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٠م) ص ١١-٣٨ ، الجهشيارى : أبى عبد الله بن محمد ابن عبدوس ، الوزارة والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، (القاهرة ، ١٩٣٨م) ، والصايبى : تحفة الوزراء أو تاريخ الوزراء (القاهرة ١٩٥٨م) .

(٥) عن ذلك أنظر : ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٤٠٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٢٢٩ وما بعدها ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة برمك ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ١٢٠ - ١٣١ .

(٦) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٣ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٥ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٩٥ ، الزهرانى : الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ، (بيروت ، ١٩٨٦م) ص ٧ ، نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ، بيروت ، ١٩٨٢م) ص ٣٨ .

وفى سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، دخل السلاجقة بغداد ، فعاد نظام الوزارة ، وأخذ الخليفة فى تعيين وزيراً له^(١) إلى جانب وزير السلطان الذى كان من أهم المناصب الإدارية ، لأن الوزير كان يرأس جميع رجال الديوان ، ويشرف على جميع أعمال الدولة ، ويرأس جميع موظفيها ، ويستطيع أن يوجه سياستها فى الداخل والخارج^(٢) .

ويقصد بالوزارة فى العصر السلجوقى مجموعة الإدارات التى تختص كل إدارة منها بشأن شئون الديوان وتعرف باسم الصدارة ، ويطلق على القائم بأعمالها اسم (خواجه بزرگ) أو الصدر أو الدستور أو الوزير وكانت تشكل أكبر المناصب الحكومية^(٣) ، فعرف الوزير السلجوقى (بالصدر الأعظم أو السيد الأعظم) وكان منصبه يساوى منصب رئيس الوزارة فى العصور الحديثة ، وكان يرأس جميع الدواوين التى تقابل الوزارات فى نظم الحكم الحديثة^(٤) .

وكام من الطبيعى أن يلجأ سلاطين السلاجقة الأوائل ، وهم غير مثقفين إلى استخدام عدد كبير من الموظفين الإداريين لاستعمالهم فى المهام المختلفة^(٥) ، وكان هذا هو العامل الوحيد الذى عجل بإلحاز حوائجهم ومكن سلاطينهم من المحافظة على بلادهم ، فوجود طبقة الكتاب وعمال الدواوين الإيرانيين ممن أمضوا عمرهم فى خدمة السامانيين ، والغزنويين والخلفاء كانوا على دراية تامة بدقائق أعمالهم ، وبذلك كان ديوان السلاجقة هو نفسه ديوان الغزنويين والسامانيين من قبلهم ، وكان أول من تولى لهم فى خدمة الفرس والغزنويين^(٦) .

وإذا طبقنا تقسيم الماوردى للوزارة إلى وزارة تفويض ، والتى تجمع بين كفايتى السيف والقلم ، وهى أسس الوزارة^(٧) ، لأن الوزير فيها إلى جانب تنفيذ أوامر الملك يفوض فى أمور

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٢ .

(٢) عبد النعيم حسنين : إيران ، ص ١٦٢ .

(٣) أنبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٤) حسنين : إيران ، ص ١٦٢ .

(٥) سعاد ماهر : أثر الماوردى فى الفن السلجوقى ، مقال بمجلة المؤرخ (بغداد سنة ١٩٦٨م) ص ٤٥ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٣٨ .

(٧) الماوردى : قوانين الوزارة ، ص ٥٢ .

لا يرجع للملك فيها^(١) بل ويقود الجيوش بنفسه ، ثم وزارة تنفيذ لأن الوزير فيها ينفذ أوامر الملك فقط ، ويكون سفيرا بين الملك وأهل مملكته^(٢) .

وإذا طبقنا هذا التقسيم على العصر السلجوقي ، وخاصة وزراء السلاطين العظام ، سنجد أن التقسيم كان موجودا منذ اتخاذ طغرلبيك الوزراء ، فكان هناك وزير تنفيذ ، ووزير تفويض ، فإذا كان وزراء طغرلبيك بما فيهم أشهرهم وهو "أبو نصر الكندري" ، وزراء تنفيذ عليهم فقط تنفيذ ما يلى عليهم من دار السلطنة السلجوقية^(٣) ، فإن نظام الملك وزير ألب أرسلان وملكشاه ، وأشهر وزراء السلاجقة على الإطلاق ، قد جمع بين الوزارتين ولذلك لقب "بتاج الحضرتين"^(٤) ، فكان وزير تنفيذ ، ووزير تفويض لأن السلطان فوضه تفويضا تاما فى إدارة الممالك السلجوقية^(٥) حتى أنه أصبح حاكما بأمره فى الدولة السلجوقية زمن ملكشاه لمدة عشرين عاما كاملة^(٦) .

وسوف يتضح كل ذلك من خلال عرضنا لأشهر وزراء طغرلبيك وألب أرسلان ، وملكشاه ، وطريقة اختيارهم ، ومهامهم ، ومناصبهم .

وزراء السلطان طغرلبيك :

يعتبر السلطان طغرلبيك أول سلطان سلجوقى استن اتخذ وزير للخليفة العباسى^(٧) ، ووزيرا للسلطان السلجوقى يقيم معه فى حاضرة السلطنة السلجوقية ببلاد المشرق ويقوم بمساعدة السلطان فى سفره وحضره^(٨) ، ويساعده فى مهامه السياسية والإدارية والمالية

(١) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٩ .

(٢) الماوردى : قوانين الوزارة ، ص ٩٤-٩٨ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٥٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ .

(٤) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٦ .

(٦) يحيى الخشاب : نظام نظام الملك ، ص ٥٥٧ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٥ .

(٨) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٤٤ .

والعسكرية ، وهو من أهم المناصب فى سلك الوظائف السلجوقية ، لاتساع نفوذه وسلطانه وكونه المنصب التالى بعد منصب السلطان فى الدولة السلجوقية بمختلف أقاليمها (١) .

ولم يتخذ السلطان طغرلبيك وزيرا له منذ أن اعتلى عرش مسعود الغزنوى فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م مباشرة ولكن بعد أن استقر حكمه ونقل حاضرتة إلى الرى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م (٢) ، بدأ فى اتخاذ وزير يساعده فى مهامه .

اتخذ السلطان طغرلبيك خمسة وزراء ، إلا أن الفترة التى قضاها كل وزير غير معروفة على وجه التحديد (٣) وهم :

١- أبو الفتح الرازى :

تولى الوزارة سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م ، ويعتبر أول وزير لأول سلطان سلجوقى (٤) ، وكان يعمل فى بداية أمره فى خدمة الملك علاء الدولة بن كاكويه ، ت ٤٣٣ / ١٠٤١م ، حاكم أصفهان ، ومؤسس دولة الأكراد الكاكوية فى فارس (٥) ، ثم لازم ولده فرامرز الذى أرسله برسالة إلى طغرلبيك فلما وقع بصره عليه ، وقع منه موقع القبول ، وأمره بالبقاء فى بلاطه ، فأبدى هو الآخر رغبته فى ذلك ، فخلع عليه صغركبك ، وأسند إليه منصب الوزارة ، وأغضب ذلك فرامرز الكاكوى ، فأمر بنهب قصر أبى الفتح ، ومصادرة أملاكه (٦) .

وبعد مدة حاصر طغرلبيك مدينة أصفهان ، وكان بها فرامرز (٧) ، وانتهى الأمر بعقد صلح بينهما واشترط طغرلبيك فيه أن يدفع له فرامرز مائة ألف دينار ، وعاد طغرلبيك إلى طبرستان ، وأرسل أبا الفتح الرازى إلى أصفهان ليتسلم المال من فرامرز ، ولما عاد أبو الفتح من مهمته ،

(١) حسنين : ايران ، ص ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، عصام الفقى : الدول الإسلامية ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) هند وشاه بن سنجر : تجارب السلف ، طهران ، ١٣٤٤هـ - ش) ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، إقبال :

الوزارة ص ٦٠ .

(٤) تجارب السلف : ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٥) عصام عبد الرموف : الدول المستقلة ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٦) تجارب السلف : ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٦ .

وأوصل المال لخزانة السلطان سر غاية السرور ، ونعته بالأمين ، وقال : لو أنه أخذ المال ولجأ إلى بعض القلاع وتحصن بها لصعب علينا الوصول إليه^(١) .

وفجأة طلب أبو الفتح الاستقالة من منصبه ، فوافق طغرل بك ، فتوجه أبو الفتح إلى الملك أبي كاليجار البويهى ٤٣٥هـ - ٤٤٠هـ / ١٠٤٧ - ١٠٤٨م ، وتولى منصب الوزارة لديه ، ولم يستمر طويلا فيها حيث عزله الملك البويهى ، وقبض عليه فى شعبان سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م^(٢) .

وفى عام ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م هاجم جيش طغرل بك مدينة أصفهان ، وقد توجه إليها من الرى ، لكن أبا منصور فرامرز بن علاء الدولة كاكويه ٤٣٣ - ٤٥٥هـ / ١٠٤٢ - ١٠٦٣م ، ففاوضه طلبا للمصالح وتمكن بأمواله من صرفه عن السيطرة على تلك المدينة ، ثم توجه طغرل بك إلى جرجان وطبرستان بعد أن استولى على همدان فتكون وزارته لطغرل بك ، بناء على ذلك - واقعة فى الفترة ما بين إحضار رسالة فرامرز وتوجه طغرل بك إلى أصفهان أى أنها بدأت سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م^(٣) ، ولكن مدتها غير معلومة .

ولم يرد ذكر أبى الفتح الرازى كوزير لطغرل بك فى أى كتاب من كتب ومصادر التاريخ^(٤) ، ويتضح مما أورد صاحب تجارب السلف^(٥) من أخبار حول وزارته لأبى كاليجار البويهى ، وإلقاء القبض عليه ، يتضح بما لا يقبل الشك أن المقصود هو ذو السعادات محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس الذى تولى منصب الوزارة سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م عند دخول الملك أبى كاليجار بغداد ، فيذكر ابن الأثير^(٦) "أن أبا كاليجار دخل بغداد فى رمضان سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس".

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦١ .

(٢) تجارب السلف : ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٦٢ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٢ .

(٥) ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٦) الكامل : ج ٨ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وقبض الملك أبو كاليجار البويهى على ذى السعادات سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م ، وظل سجيناً إلى أن مات فى شهر رمضان سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م فى سجنه ، أو قتل بأمر من أبى كاليجار نفسه ، وكان عمره آنذاك إحدى وخمسين سنة^(١) ، ولاندرى ماهى الأسباب التى دعت أبا كاليجار إلى سجن وقتل وزيره إلا أن كانت مكيدة من كمال الملك أبا المعالى بن عبد الرحيم الذى وزره من بعده^(٢) .

وكان ذو السعادات كاتباً ناجحاً ، وشاعراً تفيض أشعاره بالعدوية ، فقد كتب وهو فى سجنه :

أودعكم وانى ذو اكتئاب وأرحل عنكم والقلب آبى
وان فراقكم فى كل حال لأوجع من مفارقة الشباب
أسير وما ذمت لكم جواراً ولا ملت منازكم ركابى
لكم منى المودة فى اغتراب وأنتم ألفت نفس فى اقترابى^(٣)

وكما أورد صاحب تجارب السلف أن لقب هذا الشخص هو أبو الفتح^(٤) ، ويلقبه ابن الأثير^(٥) تارة بأبى الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ، وتارة بمحمد بن جعفر بن أبى الفرج ، ويحتمل أن يكون هناك خطأ فى متن أحد الكتابين فيما يتعلق بهذا الأمر^(٦) .

ولما كان ذو السعادات قد تولى منصب الوزارة لطغرل بك سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م ، ولأبى كاليجار سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، وكان أبى كاليجار قد أصبح سلطاناً بدلاً من جلال الدولة قبل هذا التاريخ بعام واحد ، فان هذا يعنى أن وزارته لطغرل بك لم تدم طويلاً ، فيبدو أنه

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٢٨٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٨٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٨٠ ، عباس إقبال : الوزارة ص ٦٣ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٣ ، تجارب السلف ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٥) الكامل : ج ٨ ص ٢٦٧ ، ٢٨٠ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٦٣ .

منذ جلوس أبي كاليجار على العرش في شعبان سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م قد التحق ذو السعادات بخدمته ، والذي كان ينافس أبا منصور فرامرز مخدوم ذي السعادات الأول (١) .

٢- أبو القاسم عبد الله الجويني (الكوباني) :

أول وزير لطغربك في نظر ابن الأثير (٢) ، ولعل ذلك يرجع إلى عدم وجود معلومات لدى ابن الأثير تتعلق بوزارة ذي السعادات "أبي الفتح الرازي" في جهاز طغربك الإداري ، أو لعل المدة القصيرة التي قضاها في الوزارة ، وانتصار وزارة البويهيين عليه (٣) ، قد تسبب في أن يكون موضوع وزارته أمرا لا يستحق الذكر في نظر ابن الأثير (٤) .

وتولى الجويني الوزارة لطغربك سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م كما ذكر ابن الأثير (٥) ، وبناء على ذلك يكون قد تولى الوزارة بعد أن ترك ذو السعادات الوزارة لطغربك (٦) .

والجويني نفسه هو "أبو القاسم الكوباني" الذي ذكره مؤلف راحة الصدور (٧) ، ضمن من تولوا الوزارة لطغربك قبل عميد الملك الكندري ، وضبط (الكوباني) - كما ورد في راحة الصدور ، ضبط غير صحيح ، وصحة الاسم (الكوباني) .. و(كوبان) أو (كوبن) هو الشكل الفارسي لكلمة (جوين) (٨) ، ومعناها المتكلم أو المتحدث (٩) .

وأبو القاسم الجويني هو نفس الشخص الملقب (سالاروزكان) ، ومعناها بالفارسية "رئيس الديوان" (١٠) وكان يشغل منصب الرئاسة في نيسابور قبل مجئ السلاجقة إلى خراسان ،

(١) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٢ ، ص ٨٣ - ٨٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٣ .

(٢) الكامل : ج٩ ، ص ١٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٢٨٠ ، ط. بيروت .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٨١ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٧) الراوندي : ص ١٥٩ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٩) حساني : قاموس الفارسية ، ص ٥٨٠ .

(١٠) حساني : نفسه ، ص ٣٤٥ ، البيهقي : تاريخ ، ص ٦٠٤ ، أحمد معوض : تاريخ ، ص ٨٨ .

ولما قدم طغرل بك إلى نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، ساعده فى دخولها والتحق بخدمته^(١) ،
 وبلغ منصب الوزارة سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م . فلما عزل عاد إلى رئاسة الديوان مرة أخرى ،
 وعمل جابيا لأملاك طغرل بك (دهقاناً) وظل على هذا الوضع حتى نهاية عمره^(٢) .

ويبدو أن أهل ذلك العصر لم يكونوا راضين عن كبار رجال الجهاز الإدارى لطغرل بك ،
 فيقول أبو ناصر القايد المهلبى أحد شعراء العصر هاجيا كبار رجال الدولة :

إن المقابح والفضائح كلها مستجمعات فى ابن عبد الله
 كلب تصدر للوزارة وهو عن أم العزيز وخالتيه تباهى
 أضحت أمور الملك واهية به وكذلك إن بقيت عليه كما هى^(٣)

ويقصد بابن عبد الله - الشيخ أبو القاسم على بن عبد الله الجوينى^(٤) ، ويمكن تصديق
 هذا الشاعر لأن سالار سوزكان هذا قد تغير ولائه من الغزنويين إلى السلاجقة بسبب عداوته
 لسورى بن المعتز حاكم خراسان فى عهد الغزنويين^(٥) .

٣- رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن على بن ميكائيل^(٦) أو ابن ميكال الغزنوى^(٧) :

يبدو أن وزارته لطغرل بك ونهايتها أمر غير معلوم^(٨) ، فلم يحدد ابن الأثير وغيره من
 المؤرخين متى تولى ابن ميكائيل الوزارة لطغرل بك ، ومتى تركها ، ثم تولى ابن ميكال منصب
 رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء لطغرل بك فى عهد وزارة عميد الملك الكندرى^(٩) .

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٤ .

(٢) الباخزى : على بن الحسن بن أبى الطيب ، دمية القصر ، ج١ (بغداد ، ١٩٧١م) ، ص ٦٣ .

(٣) الباخور : نفسه ، ج١ ، ص ٦٣ ، إقبال : الوزارة ص ٦٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٥ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ص ١٨١ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ ، خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٢٨ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٩) الباخزى : دمية القصر ، ج١ ص ٦٣ .

٤- أبو الحسن الدهستاني :

هو صاحب حسين الميكالى الذى كان من أسرة مرموقة فى نيسابور ، قدمت العديد من العلماء الدينيين الذين خدموا المذهب الحنفى ، فضلا عن الكثير من الإداريين والموظفين وكان يعمل فى خدمة الغزنويين من قبل عندما أسرة السلاجقة ثم ألحقوه بخدمتهم^(١) ، وقد تولى الوزارة لطغرلبك بعد (رئيس الرؤساء ميكائيل) .

وأبو محمد الدهستاني هذا هو نفسه "نظام الملك أبو محمد حسن بن محمد الدهستاني" الذى ذكره ابن الأثير^(٢) وأنه أول من تلقب بنظام الملك^(٣) .

وبالنسبة لما جاء فى راحة الصدور^(٤) بخصوص وزارة "أبى أحمد الدهستاني عمروك" فإنه يبدو أن "واوا" ، كانت بين كلمتى (دهستاني) و(عمروك) ، وأنها سقطت من النسخة ، وأن العبارة كانت (أبا أحمد الدهستاني وعمروك) ، وأبو أحمد بالصورة الواردة فى راحة الصدور هكذا أخطأ وتحريف لأبى محمد الدهستاني كما ذكره ابن الأثير^(٥) ودمية القصر .

وعمروك أو عمروك هو "عمرك رباط قصار" المستوفى فى عهد طغرلبك ، ويبدو أن الدهستاني وعمروك أو "عمرك" كانا يقومان برئاسة بقية الدواوين أبان صدارة أبى القاسم الجوينى ، ومع أن رئيس الديوان كان يعنى الوزير إلا أنهما لم يحصلوا على الصدارة^(٦) .

ويبدو أن الدهستاني قد اشتهر بالجور والظلم ، وملأ جوره وظلمه خراسان والعراق ، ولقد شكاه أحد الشعراء عصره بقوله :

كانوا عصارة هذه الأعصار	لله در عصابة نادماتهم
ما بين قصار إلى عصار ^(٧)	فليت بعدهم بكل مؤاجر

(١) أحمد معوض : أضواء على تاريخ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) الكامل : ج٩ ، ص ١٨١ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٤) الراوندى : ص ١٥٩ .

(٥) الكامل : ج٨ ، ص ١٨١ ، دمية القصر للباخرزى ، ج٢ ، ص ٦٤ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٦٥ .

(٧) الباخريزى : دمية القصر ، ج٢ .

وهو يقصد بقصار .. عمرك الرباطى الذى كان يشغل منصب المستوفى فى عصر طغرلبك،
ويقصد بعصار أبا محمد الدهستانى^(١) .

٥- عميد الملك الكندرى :

اشهر وزراء طغرلبك ، وساعده الأيمن ، هو أبو منصور بن محمد بن نصر أبو نصر الكندرى، وقيل محمد ابن منصور^(٢) الكندرى من بنى شيبان ، ولد بناحية كنور من قرى نيسابور سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م ، وقرأ الأدب ، وكان معروفا بالذكاء والفروسية^(٣) ، وقد اشتهر عنه أنه كان عالما بالعربية والفارسية^(٤) ، ومن أجل ذلك قدمه الإمام (الموفق النيسابورى) إلى طغرلبك الذى ألحقه بخدمته وجعل كاتباً له حيث أن طغرلبك كان يبحث عن رجل يجيد اللغتين^(٥) ، وقد خدم الكندرى طغرلبك خدمات جليلة وعظيمة ، فقد كان رجلاً فاضلاً حازماً مدبراً عاقلاً حكيماً^(٦) .

وقد بدأ الكندرى حياته العلمية بدراسة الفقه ، حتى وصل فيه إلى درجة عالية ، فاستفاض فيه على يد الشيخ "الواثق أبو محمد الشافعى" أحد أعلام الشافعية فى هراة^(٧) ،

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) يكتب محمد بن منصور فى ابن خلكان وشذرات الذهب لأبن العماد الحنبلى ، وتاريخ آل سلجوق للبندارى ، ومراة الزمان لسبط بن الجوزى ، وتجارب السلف لهند وشاه ، ويضيف صاحب تجارب السلف ص ٢٦١ ، أن نسبه هو محمد ابن منصور الكندرى الجراحى ، وينتسب الجراحون إلى بنى شيبان تلك القبيلة العربية التى نزحت من شبه الجزيرة العربية إلى هراة ، بينما يذكره العينى فى عقد الجمان ، وابن الجوزى فى المنتظم ، وابن الأثير فى الكامل ، وابن كثير فى البداية والنهاية يكتب (منصور بن محمد) .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٤٤ ، ويضيف صاحب دستور الوزراء أنه كان يتمتع بوفور العقل وصنوف الفضل والكياسة ، وله صنعة فى الإنشاء والفصاحة وفن الاستيفاء ، وله يد بيضاء فى إحياء مراسم السلاجقة ، أنظر : غياث الدين همام : دستور الوزراء ، تصحيح سعيد نفيسى (طهران ، ١٣٤٧ هـ.س) ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج١ ص ٢٥٦ ، سبط بن الجوزى : حوادث سنة ٤٥٦ هـ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج١ ص ١٠ ، العينى : عقد الجمان : حوادث سنة ٤٥٧ هـ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ ، إقبال : الوزارة ص ٦٧ .

(٦) هند وشاه : تجارب السلف ، ص ٢٦١ . ابن تغرى بردى : النجوم : ج٥ ص ٧٦ .

(٧) تجارب السلف ص ٢٦١ .

فصار موضع اهتمامه ، وفوض الشافعي إليه إدارة أمواله وأملاكه ، ولم تمض بعد ذلك إلا فترة قصيرة حتى فوض إليه نيابته في بلاط طغرل بيك فلفت نظر السلطان إليه ، فقربه وجعله من مشيريه ، ثم أعطاه حكومة خوارزم ، إلا أن عميد الملك حاول التمرد على السلطان في خوارزم ، فما كان منه إلا أن تحرك بجيشه إلى هناك ، وقبض عليه ، وأمر بخصيه^(١).

أما البنداري ، وابن الأثير ، وابن الجوزي^(٢) وغيرهم من المؤرخين فلهم رأى آخر في مسألة خصي الكندري فيقال إن طغرل بيك في مبدأ أمره ، قد بعث الكندري إلى خوارزم ليخطب له امرأة وهو في ريعان شبابه ، فعصى طغرل بيك ، وخطبها لنفسه ، وتزوجها ، ولما ظفر به طغرل بيك بعد ثلاث سنوات أقره على خدمته بعد أن خصاه ، واستبقاه في خدمته ، احتياجا إلى كفاءته^(٣) ، وقيل إن أعداءه أشاعوا عنه أنه تزوجها ، فخصي نفسه بعد أن حلق لحيته ، خوفا من السلطان^(٤).

ويمكن تصديق الرأى الأول في مسألة خصي الوزير الكندري ، والتي يبدو أنها كانت إحدى العقوبات في العصر السلجوقي بدليل قول الباخرزي^(٥).

قالوا محا السلطان عنه تعزة سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة لما اعتدى عن أنيثيه عاطلا
فالفحل بأنف أن يسمى بعضه أنثى لذلك جذه مستأصلا^(٦)

(١) تجارب السلف ، ص ٢٦١ ، رقبال : الوزارة ص ٦٨ .

(٢) آل سلجوق : ص ٣١ ، المنتظم ج ٨ ، ص ٢٣٩ ، الكامل ج ١٠ ص ١١ ، الحسيني : أخبار الدولة ص ٢٤ .

ابن طباطبا : الفخرى ص ٦٨ ، ٦٩ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ج ٥ ، ص ٧٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣٩ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٣١ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ص ٣١ ، وما بعدها ، الحسيني : أخبار الدولة ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٥) الباخرزي : على بن الحسن الباخرزي : هو أبو الحسن علي بن الحسن ابن أبي الطيب الباخرزي ، الشاعر المشهور ولد بناحية باخرز من نواحي نيسابور ، وله العديد من المؤلفات منها (دمية القصر) ت سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م قتيلا أنظر ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ، ص ٣٨٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١١ ، الحسيني : أخبار الدولة ص ٢٤ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة في شعر عصرهم مقال نشر بمجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد السابع (بغداد ، ١٩٦٠م) ص ١٩٧ ، وعندما دخل الكندري بغداد مدحة أبو الجوائز الواسطي وقال أنه كان لطغرل بيك ما كان الصحابة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، الباخرزي : دمية القصر ، ص ١٢٠ ، على جواد الطاهر : نفسه ، ص ١٩٧ .

ويعتبر عميد الملك الكندري أول وزير سلجوقي مشهور ، ففي فترة وزارته التي بلغت ثمانية أعوام وثمانية شهور وثمانية أيام (١) ، على حسب قول صاحب تجارب السلف (٢) ، وإن كان من الممكن أن نقول إنه أمضى منذ قربه طغرلبك إليه وجعله مشيرا له قرابة عشرين عاما (٣) .

ومما لاشك فيه ، أن التحاق الكندري بخدمة طغرلبك لا يمكن أن يكون قد تم في العام الذي دخل فيه طغرلبك نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م للمرة الأولى ، لأن عميد الملك كان وقتها في الرابعة عشر أو الخامسة عشرة من عمره ولا بد أنه التحق بخدمة طغرلبك بعدة سنوات (٤) ، وخلال فترة وزارته هذه بلغت الدولة السلجوقية أقصى ومنتها اتساعها (٥) ، ودخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م وكان الكندري معه ، وتقابل مع وزير الخليفة ابن المسلمة نائبا عن السلطان طغرلبك (٦) ، شارك طغرلبك في كل تحركاته ، حيث شاركه في القضاء على فتنة البساسيري وقتله (٧) ، وهو الذي خطب له ابنه الخليفة القائم بأمر الله العباسي ، وتوسط لدى الخليفة والسلطان في إنهاء مراسيم الزواج ، مما أثار حفيظة الخليفة العباسي عليه (٨) .

ومما يؤخذ على الكندري أنه كان شديد التعصب على الشافعية وخاصة الأشاعرة ، حتى أنه أمر بلعنهم مع (الرافضة) الشيعة على منابر خراسان ، بعدما سمع سيده طغرلبك يذمهم (٩) ، لأن الكندري كان حنفيا متشددا ولأن سيده طغرلبك قد اعتنق الإسلام على

(١) البنداري : آل سلجوق ص ٣١ . إقبال : الوزارة ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) هند وشاه : تجارب السلف ، ص ٢٦١ ، أي أنه تولى الوزارة لطغرلبك سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، وأنها تلت وزارة نظام الملك الدهستاني ، إقبال : الوزارة ص ٦٨ .

(٣) معروض : أضواء ص ٩٠ ، وهذا يعني أن طغرلبك قد قربه منذ سنة ٤٣٥هـ / وعمره عشرون عاما فقط .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٧ .

(٥) البنداري : آل سلجوق ص ١٢ ، إقبال : الوزارة ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٦) البنداري : آل سلجوق ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٧) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٤ .

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع ص ٣٨٢ من الرسالة .

(٩) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٥٦ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ .

المذهب الحنفى فتعصب له^(١) . وروى أنه أمر بلعن جميع المذاهب يوم الجمعة على المنابر فشق ذلك على المسلمين^(٢) ، مما اضطر علماء البلاد المرموقين أمثال القشيري وأبى المعالى الجوينى^(٣) إلى الهرب من البلاد ، والتوجه إلى الحجاز عاكفين فيها ، مجاورين لبيت الله الحرام حتى سمى الجوينى إمام الحرمين^(٤) ، وإن كان الكندرى قد عدل عن التعصب لمذهبه فيما بعد ، ليؤلف بين الحنفية والشافعية ، والجمع بينهما كما ذكر البندارى^(٥) .

وعندما مات طغرل بك ، كان الكندرى بعيدا عن الرى ، وكان طغرل بك قد بعث إليه قبل موته ، فحضر قبل أن يدفن وأخذ البيعه لسليمان بن داود ، لأن طغرل بك كان قد نص عليه^(٦) ، مما أثار عليه حفيظة ألب أرسلان ونظام الملك فقتلاه سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٠م^(٧) .

وزراء ألب أرسلان وملكشاه :

١- نظام الملك الطوسى

أعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق ، وواحد من أكبر الوزراء فى تاريخ المشرق الإسلامى . جمع فى يديه كل مهام ممالك الدولة السلجوقية فى الفترة ما بين أواخر عمر جفرى بيك داود سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م^(٨) وقبل شهر واحد من من وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ٩٢م^(٩) ، وهى فترة تتجاوز الثلاثين عاما^(١٠) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٦

(٢) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ .

(٣) أنظر الفصل الثانى .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ص

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ص ١١ ، ١٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١١ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥ ، الراوندى راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ولمزيد من التفاصيل حول مقتل الكندرى راجع : التنافس وزارة بين الكندرى ونظام الملك فى الفصل الثانى .

(٨) البندارى : آل سلجوق ص ٣١ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٨١ .

(١٠) إقبال : الوزارة ص ٦٩ ، ٧٠ .

وبحسبنا أن نقول أنه كان الوزير القدير لألب أرسلان وملكشاه ٤٥٥-٤٨٥هـ / ١٠٦٣-١٠٩٢م وأنه وسع آفاق دولة إيران توسعة لم ير لها في إيران نظير في هذه الألف والأربعمئة سنة من تاريخ الإسلام ، وأنه لم يكن في شتى أنحاء كاشغر ، وبلا ساغون ، وما وراء النهر ، وخوارزم ، وخراسان ، وسجستان ، وكرمان ، وعراق العجم والعرب ، وأرمينية ، وآران ، والشام ، وبيت المقدس ، وأنطاكية من يتأخر في تنفيذ أوامره وتطبيقها^(١) ، حتى أن أعظم سلاطين السلاجقة ألب أرسلان وملكشاه كانا يطيعان أوامره ويقران تصرفاته حتى أنه أصبح الحاكم بأمره^(٢) .

ولم يكن خلفاء بنى العباس دائما ، يميلون عن رغبته وإرادته ، حتى أن أباطرة بيزنطة ، وحكام غزنين عاشوا في ظل خدمته ، أما ملوك الأطراف وبعض ملوك العرب ، فكانوا يضعون كتبه ورسائله على رؤوسهم وأعينهم ويعدون ارتداء خلعتة شرفا لهم^(٣) ، ويرجع إليه الفضل في إرساء دعائم الدولة السلجوقية وتثبيت أركانها ودوامها واستمرارها ، وكان أخرى وأجدي بمدح المعزى^(٤) أمير الشعراء في قوله :

أنت الوزير السعيد الذى بفضل كفاءتك
رفعت دولة السلاجقة رأسها إلى عليين .. واستقر
أنت المشير المدوح الذى صار قلمك ..
قرين سيف الملك فى الفتوح والظفر

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ایران ص ٢ (طهران ١٣٣٦ ش) ص ٩٠٥ ، هند وشاه : تجارب السلف ص ٢٧٨ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٤٥ .

(٢) يحيى الخشاب : نظام الملك والمدرسة النظامية ، ص ٥٥٧ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ، المقدمة ص ١٣ ، ١٤ .

(٤) المعزى : أمير الشعراء عبد الله محمد بن عبد الملك البرهاني ، من كبار الشعراء في العصر السلجوقي ، كان أبوه عبد الملك شاعر بلاط ألب أرسلان ، توفي أوائل سلطنة ملكشاه في قزوین وهو في سفره ، ولم يظفر المعزى بالقرب من السلطان ملكشاه إلا بعد أن توسط له الأمير على فرامرز من أقرباء السلطان وأطلق عليه لقبه أمير الشعراء ، وبعد مدة صار في خدمة سنجر من ملكشاه فأصبح من أشهر شعراء عصره . أنظر : ذبيح الله : تاريخ أدبيات جد ٢ ص ٨٣٤ ، رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ، ترجمة موسى هنداوى ، (دار الفكر العربى ١٩٤٧م) ص ٨٩ - ٩٤ .

والحديث حول حياة نظام الملك ، ونشأته وتعليمه وتدرجه فى الوظائف ، مدون ومفصل فى كثير من كتب التراث الإسلامى باللغات العربية والفارسية والتركية ، إلى جانب كثير من اللغات الأجنبية ولذلك ليس هدفنا تقصى أخبار حياته ، فقد أفسحت هذه المصادر لذلك مجالا واسعا ، وما سوف يقال عن حياته هو تكرار ، فلنتجاوز ذلك ، ونكتفى فقط ببعض نقاط أساسية تتصل به وبوزرائه .

ولد "الحسن بن على بن اكم نظام الملك " سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م^(١) ، فى (نوقان) إحدى قرى الراذكان بطوس^(٢) فى أسرة من الدهاقين ، وماتت أمه قبل فطامه ، وأصيب أبوه بعد ذلك بكثير من الأزمات المالية^(٣) ولكنه على الرغم من ذلك استطاع أن ينال قسطا من التعليم ، فتعلم وقرأ القرآن الكريم فى طوس ، وفيها تعلم اللغة العربية ، وفقد الشافعية ، والحديث فى مدن خراسان الأخرى مثل مرو ، ونيسابور^(٤) ، وفى ذكائه وطفولته وصباه ومهارته أحاديث كثيرة لاداعى لذكرها ، فقد أفاضت المصادر التاريخية وكتب الأدب الفارسية^(٥) فى ذكر أفضاله ، بل لقد مدحه الشعراء منذ طفولته حتى وفاته^(٦) .

(١) يرى أغلب كتاب السير أن اسمه (الحسن بن على) ، ويرى بعضهم الآخر أن اسمه (الحسين بن على) ومن يرون رأى الأخير الياقنى المكي : صاحب مرآة الزمان وعبرة اليقظان (ط حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٧هـ) ج٣ ص ١٣٥ ، واختلفوا أيضا فى نسبه ، ومكان ولادته وتاريخه ، فسيرى البعض أنه ولد سنة ٤١٠هـ / ١٠٢٠م مثل ابن خلدون : العبر ج٥ ص ١٣ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ٢٦٤-٢٦٧ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ، مخطوط رقم ٩٨ تاريخ ، ج٢ ، ورقة ٩ ، ابن القلاسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٢٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج٥ ص ١٣٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ٧٩ ، ٧٠ .

(٢) طوس : مدينة بخراسان ، تشتمل على بلدانيين يقال لإحدهما الطاهران ، وللأخرى نوقان فتحت أيام عثمان ابن عفان (رضى الله عنه) وبها قبر هارون الرشيد ، وعلى بن موسى الرضا ، ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٩ .

(٤) نظام الملك : مقدمة سياسته نامه ص ١٥ .

(٥) انظر على سبيل المثال : البندارى : آل سلجوق ص ٥٧ - ٦١ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٤٧٨ وما بعدها ، ابن الجوزى : المنتظم ج١٦ ص ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٦ - ٧١ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٤٥-٢٥٩ ، هند وشاه : تجارب السلف ص ٢٦٦ ، وما بعدها ، ديهج الله : تاريخ أدبيات ج٢ ص ٩٠٥ ، إقبال : الوزارة ص ٦٩-٨٧ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٦) أنظر : إقبال : الوزارة ص ٦٩-٨٧ ، على الطاهر : وزراء السلاجقة فى شعر عصرهم ص ١٩٨ -

وقد تتلمذ نظام الملك على يد عالم عظيم واسع الشهرة هو (هبة الله الموفق النيسابوري) ، الذى قدم الكندرى لطغرلبك من قبل^(١) ، ولما بلغ العشرين من عمره ، فرت أسرته إلى غزنة خوفاً من السلاجقة وكان ذلك سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م ، وهناك ألحقه أبوه بوظيفة فى البلاد الغزنوى ، ولما سيطر السلاجقة وأقاموا دولتهم ، وضعف شأن الغزنويين ، ولحق بهم الموفق نفسه وانتظم فى خدمتهم ، عمل نظام الملك بعد انتقاله إلى (بلخ) كاتباً لواليتها السلجوقى من قبل جغرى بيك داود - العميد على بن شادان^(٢) - وكان ابن شادان كلما جمع النظام شيئاً من المال أخذه منه ، فكره العمل معه ، وهرب إلى مرو^(٣) ، واتصل بجغرى بيك داود حاكمها ، فأعجب به ووزره^(٤) .

ولما أدركت جغرى بيك الوفاة أرسل نظام الملك برسالة إلى ابنه ألب أرسلان يقول فيها "عليك أن تعين هذا الشخص كاتباً ومستشاراً لك ، ومستولاً عن تدبير أمورك"^(٥) ، ونفذ ألب أرسلان الوصية فأصبح نظام الملك وزيراً له وهو أمير ، ومستولاً عن خراسان وأعمالها ، إلى أن آل العرش السلجوقى إلى ألب أرسلان سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م^(٦) ، فاتخذه وزيراً ، ووكل إليه تدبير الأمور فى مملكته الواسعة العريضة^(٧) ، ولكنه بدأ وزارته ، وبدأ اسمه فى الظهور على صفحات التاريخ بفعله شنعاء ، وهى قتل الكندرى وزير طغرلبك^(٨) ولذلك يعيب

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٦ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، براون : تاريخ الأدب ص ٢١٨ ، وأبو على بن أحمد بن شادان هو أحد عظماء خاوران من أعمال خراسان ، وزير لبنى سامان ، وطال عمره ، فوزر للأبناء والأبناء ، وكان يحكم من قبل جغرى بيك فى بلخ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٣٠٢ ، خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٤٥ .

(٤) خواندمير : دستور الوزارة ص ٢٤٥ ، عبد الهادى محبويه : الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٣٠٢ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ ، يحيى الخشاب : نظام الملك والمدارس النظامية ص ٥٥٢ ،

٥٥٣ .

(٧) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ .

(٨) براون : نفسه ، ص ٢١٨ .

عليه كثير من المؤرخين أن يبدأ حياته الوزارية بمثل هذا التصرف المخالف للشريعة الإسلامية ، والذي أصبح سنة علمت سلاطين السلاجقة قتل وزرائهم ، وذاقها نظام الملك نفسه حيث قتل قتلة شنيعة دامية^(١) . ولكن العصر السلجوقي كان يبيع كثيرا مما نحظره اليوم^(٢) .

وتورز البندارى لألب أرسلان وملكشاه فعرف بتاج الحضرتين لأنه وزير لسلطانين^(٣) ، وقد بلغت الدولة السلجوقية في عهده أقصى درجاتها ، فقد أدار المملكة والسلطنة السلجوقية في ترتيب ونظام دقيقين يشهدان بما كان يتمتع به من دراية وحنكة وتدبير ، وقد عاونه في إنجازاته عمال متمرسون وكتاب مهرة^(٤) ، وسانده أبناءه الأكفاء الاثنا عشر ، والذين ظفروا وأحفاده فيما بعد بمنصب الوزارة^(٥) .

ويذكر البندارى^(٦) أن جميع ما وصلت إليه الدولة السلجوقية من رخاء وتوسع وانتصارات ومجد كان بفضل نظام الملك وحسن تدبيره ، فكان نافذ الكلمة ، يقضى بأمره في جميع الشئون ، ويلتف حوله الجند ، ويقود الجيوش^(٧) ويخشى السلطان نفسه أن يعزله^(٨) . وكان لنظام الملك وأولاده الفضل على سلاطين السلاجقة ، ويكفى القول إن إجلال ألب أرسلان على العرش كان صنيعة نظام الملك^(٩) ، وكان استقرار الأمور لملك شاه ، والقضاء على منافسيه العديدين كله بفضل النظام وكفاءته^(١٠) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٧٨ ، عقيلى : آثار الوزارة ، ص ٢٠٧ .

(٢) يحيى الخشاب : نظام الملك ، ص ٥٥٣ .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ - ٢٦٥ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ - ٢١١ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٠ - ٧٢ ، إقبال : الوزارة ص ٣٩ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ ، البدارى : آل سلجوق ص ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٢ .

(٦) آل سلجوق ، ص ٥٧ - ٦١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٨١ .

(٨) حسنين : إيران ، ص ١٦٥ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٩ ، ١٠ ، إقبال : الوزارة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٥ .

حقيقة أن السلطان ألب أرسلان كان معتدا بنفسه ، وكانت الفترة التي حكم فيها خراسان نيابة عن والده ثم بالإضافة بعد وفاته ، كافية لأن يتقن فنون الحكم ، إلا أنه كان يترك كثيرا من أمور الدولة إلى وزيره نظام الملك وقد وجه الوزير القدير سياسة السلطان الخارجية نحو الفتح والغزو ، وقاد معه بنفسه المعارك في المشرق الإسلامي وحلب ومكة والمدينة ، وجورجيا ، وملاذكرد^(١) ، فعهد إليه بتربية ولده ملكشاه ولقبه - الأتابك (الأمير الوالد المربي) وهو لقب خاص بالأمراء السلاجقة^(٢) .

ومع ما كان لنظام الملك من النفوذ أيام ألب أرسلان ، فقد زاد نفوذه وهيئته ، وعلت منزلته في عهد ملكشاه والذي فوضه تفويضا تاما في إدارة دولته ، فأصبح لايجرى أمرا دونه ، أو عن طريق أولاده الذين نصب كل واحد منهم على عمل أو ولاية^(٣) .

كان نظام الملك مسموع الكلمة ، تفوق قوته وسلطته - في بعض المواقف - قوة السلطان السلجوقي ، وسلطته كما كان يتمتع بشعبية عارمة بين العامة^(٤) ، وكان يزن الأمور بمقياس العقل والتروي مما جعله موضع ثقة السلطان ملكشاه ومحل تقديره ، فيرى أنه لما آلت السلطنة إلى ملك شاه ، وثار عليه عمه قاورد بك ، حاكم كرمان^(٥) ، وحاربه ملك شاه وأسره ، وأحضر بين يديه ، أخبره قاورد بأن أمراء أي أمراء ملكشاه هم الذين كاتبوه ، وحرصوه على

(١) لمزيد من التفاصيل حول دور نظام الملك في حروب السلطان ألب أرسلان ، راجع ص ٤٢ - ٤٥ من الرسالة وفي ذلك يقول الشاعر : رمى بنواحيها الفرات فأقبلت
مغيبة الأعطاف تلح المناكب
وخاض بها جيحان يلطم موجه
ملاطمة الخصم الألد المشاغب
خميس أقاصى الشرق ترزم تحته
وترتج منه أخريات المغارب
يلفهم بالعرب قبل طرادهم
ويهزمهم بالكتب قبل الكتائب
انظر : على جواد الطاهر : شعر وزراء السلاجقة ، ص ١٩٨ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٤ ص ١٠٣ ، أحمد الشامي : صلاح الدين ، ص ٣٧ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ٢٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٣٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٣٩ .

(٥) أفضل الدين : تاريخ كرمان ، ص ١٠-١٢ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٣٧ .

الثورة وقدم للملكشاه الرسائل التى وصلت إليه منهم ، فأخذها ملك شاه ، وناولها نظام الملك ، فأخذها وأحرقها فوراً ، فأطمأن الأمراء الذين حرضوا قاورد بك على الثورة ، ودانوا للسلطان بالطاعة^(١) .

وكان نظام الملك يولى عناية كبيرة لكل جزئية من جزئيات الجيش السلجوقى ، ويهتم بكل شأن من شئون البلاد^(٢) ، ويعطينا ابن الأثير^(٣) مثالا آخر على بعد نظر نظام الملك وحسن تدبيره ، فيذكر أن السلطان ملكشاه استعرض جيشه سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م ، وأسقط منه سبعة آلاف جندى ، لم يعجبه حالهم ، فاعترض نظام الملك على ذلك الإجراء ، وقال للسلطان "إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ، ولا خياط ، ولا من له صنعة غير الجندية ، فإذا أسقطوا لا نأمن من أن يقيموا منهم رجلا ، ويقولوا هذا هو السلطان ، فيكون لنا منهم شغل ، ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم ، فلم يقبل السلطان ملكشاه قوله ، فسار أولئك الجند إلى تتش أخو السلطان ببوشنج^(٤) فقوى بهم .

ولم يكن النظام بارعا فى السياسة ، وصاحب قلم بارع فحسب ، إنما كان فضلا عن ذلك كله ذا خبرة واطلاع على أكثر العلوم^(٥) ، وكان سلطان السلاجقة من أقصاه إلى أقصاه تحت نفوذه وسيطرته ، وكان أمره نافذا فى كل مكان ، يسانده أبناءه وغلماناه الذين يعرفون بالنظامية والذين كانوا بمنزلة جنوده ، المخلصين الذين يفتدونه بأرواحهم إذا لزم الأمر^(٦) .

وكان يتمتع بنفوذ واحترام كبير فى الأوساط الدينية ، بما كان يتحلى به من روح دينية مذهبية ، وباحترامه للزهاد والعلماء ، والشيخوخ ، فيذكر ابن الجوزى^(٧) أنه كان إذا دخل

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٣٥ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣٩-١٤١ .

(٣) الكامل : ج ١٠ ص ١١٨-١١٩ .

(٤) بوشنج : بلدة حصينة بين هراة وخراسان ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٠٨ ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ص ٩٥ .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ - ٢٦٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٥ ، إقبال : الوزارة ، ص ٣٩ .

(٧) ج ١٦ ، ص ٣٠٣ .

عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلسهما في مكانه ، إلى جانب عطفه على الفقراء والمعوزين حتى قيل إنه كان قد أخرج لهم ذات مرة ثمانين ألف دينار^(١) .

وأحب نظام الملك الصوفية ، وكانوا محط أنظاره ، ومورد عنايته ، حتى قيل أنه لم يكن يعبر اهتمامه لغير الأئمة والمتصوفة^(٢) ، وكان ينفق عليهم ويؤمن لهم نفقاتهم سنويا ، ويهتم بإيجاد (خانقاهاتهم)^(٣) ، ويعتقد في شيوخهم ، حتى عُد مريدا لأبي سعيد بن أبي الخير^(٤) ، ومن البديهي أن تزيد هذه العوامل من أهميته لدى المسلمين .

أما أشهر أعمال نظام الملك على الإطلاق ، فهو تأسيس المدارس النظامية^(٥) ، صحيح أن تأسيس المدارس في ديار الإسلام كان سابقا عليه ، وأنه لم يكن مبتكر له ، ولكنه وفي نظر الجميع كان أول من سن نظاما جديدا في حق التربية والتعليم ، وهو تعيين رواتب ، وتخصيص مساكن لطلاب العلم ، وتأمين سكن ونفقات للمدرسين ، لقد كانت المدارس النظامية في بغداد ونيسابور وغيرها من المدارس المجهزة ليل نهار^(٦) .

لقد انشغل نظام الملك في السنوات العشر التي وزر فيها لألب أرسلان ، والعشرين سنة التي عمل فيها مع ملكشاه بتنفيذ مبدئين :

أولهما : العمل على جعل المذهب السني مذهبا عاما للمسلمين ، ومحاربة الشيعة عامة ، والباطنية خاصة^(٧) حربا لاهوادة فيها ، وإقامة الوحدة الإسلامية على هذا الأساس .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٦ ، ص ٣٠٣ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ .

(٢) العروضي السمرقندي : جهار مقالة ص ٦٧ ، ٦٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٣٩١ .

(٣) الخانقاه : مكان يجتمع فيه الصوفية للذكر والعبادة ويعرف بالتكية فارسي الأصل ، عبد المنعم حسنين ، قاموس الفارسية ص ٢١٣ .

(٤) انظر ترجمته ص ٤٦٧ من الرسالة .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٦ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٥٨ - ٦١ ، ابن الأثير :

الكامل ، ج٨ ، ص ٤٧٩ ، إقبال الوزارة ص ٦٩ - ٧٩ ، يحيى الخشاب : نظام الملك ، ص ٥٥٧ .

(٦) نظام الملك : مقدمة سياسة نامه ص ١٧ ، يحيى الخشاب : نفسه ص ٥٥٨ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٠٣ ، وما بعدها .

ثانيهما : إنشاء المدارس النظامية ، وجعل نظامية بغداد جامعة تضاهي أزهر الفاطميين ، وتقوم بنشر الدعوة للمذهب السني ، وترد على الباطنية^(١) .

أما ثاني أروع أعمال نظام الملك ، فهو ذاك الأثر الأدبي الرائع كتاب (سياسة نامه) وهو أهم الكتب القيمة التي كتبت نثرا بالفارسية ، لأنه يشتمل على قدر كبير من الأخبار ، والروايات التاريخية ، ولأنه من ناحية أخرى يشتمل على الآراء السياسية التي كان يراها ، واحد من أنبغ الوزراء في المشرق الإسلامي ، والذين بلغوا مبلغا من القوة والحكمة ، لانستطيع تقدير مداه إلا بالنظر إلى الفوضى المتصلة ، والحروب الداخلية المستمرة التي أعقبت وفاته^(٢) ، وقد أهدى كتابه العظيم إلى السلطان ملكشاه ، والذي قال عنه (لقد اتخذت هذا الكتاب إماما لي وعليه سأسير"^(٣) .

وكان نظام الملك دائم الحث للسلطان على محاربة الباطنية ، وقتالهم^(٤) ، حيث كانت الفكرة السائدة في العصر السلجوقي أن السلطان التركي يحمي الإسلام ، يذكر الراوندي^(٥) أن أبا حنيفة (رضي الله عنه) في آخر حجة له دعا إليه أن ينصر مذهب إن كان حقا ، فأجابه هاتف من الكعبة بأن مذهب حق وأنه باق ما بقى السيف في يد الترك ، وسواء صحت هذه الراوية أم لم تصح فقد اعتقد فيها السلاجقة جميعا فأصبحوا أشد المدافعين عن المذهب السني وخاصة الحنفي .

وعلى الرغم من الدسائس التي حيكت لمناهضة ومقاومة نظام الملك من قبل عمال الديوان ، فإنه ظل شامخا كالجبل ، راسخ القدم في منصبه ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، واعتلت

(١) يحيى الخشاب : نظام الملك ، ص ٥٥٧ ، عبد الكريم عرابيه ، العرب والأتراك ، (ط. دمشق ١٩٦١م) ص ٩٨ .

(٢) أنظر ، ترجمة الكتاب ، ط. ١٩٧٩ ، ط. الدوحة قطر تحقيق يوسف حسين بكار ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٥٩ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٠٣ - ٢٠٨ .

(٥) راحة الصدور : ص ٥٦ .

صحته ، وسثم ملكشاه طول بقائه فى الوزارة ، وساءته سيطرته وأولاده على الممالك ، وساءه تحكم أبنائه وأصهاره ، وخدمه فى أطراف البلاد وأكنافها (١) .

وساءت العلاقات بين السلطان ووزيره البارع القدير بفعل الدسائس والفتن التى لا يخلو منها عصر ، وتبودلت الرسائل بينهما (٢) ، والتى توضح مدى تفوذ الوزير العظيم ، ومقدار تحكمه وتهديده للسلطان ، وتعددت أسباب العداء بين السلطان ونظام الملك ودخل الواشون والمفسدون بينهما (٣) ، وشاء القدر أن يقتل النظام على يد ألد أعدائه وأبغضهم إلى قلبه وهم الباطنية (٤) ، واتهم ملكشاه بقتله (٥) ، وقد رثاه الشعراء ومدحوه ، فقال فيه الحكيم الأنورى (٦) :

لقد رحل حامى العالم من ظلم الأفلاك .

ورحل وحيد عصره وفريد زمانه .

(١) خواندمير . دستور الوزارة ص ٢٥٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٢) انظر نص الرسائل من الكتاب .

(٣) خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٠٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ .

(٤) الحسينى : أخبار ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٧٦ ، إقبال : تاريخ إيران ص ٢٥٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٧٦ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٦) الحكيم الأنورى : هو الأنورى الخاروانى شاعر السلطان سنجر السلجوقى ، ولد فى قرية (مهنة) من قرى (أبيورد) فى صحراء (خاوران) ، وتاريخ ميلاده غير معروف حتى الآن بالتحديد ، كذلك تاريخ وفاته غير معروف بشكل قاطع ، والأرجح أن وفاته قد حدثت فى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م ، أو بين سنتى ٥٨٥-٥٨٧هـ / ١١٨٩-١١٩١م) ، وقد التحق ببلاط السلطان سنجر السلجوقى وأصبح من كبار شعرائه ، ويعتبر الإيرانيون الأنورى واحدا من ثلاثة شعراء كبار يعتبرون أكبرهم وعلى وأسهم الفردوسى ثم الأنورى واحدا من ثلاثة شعراء كبار ، والسعدى . وكان له إلمام بعلوم الفلك والهندسة ، والمنطق ، والموسيقى والإلهيات والأحكام ، بل أنه برز فى كل علم نظرى أو عملى يعرفه واحد من معاصريه ، وهو أعظم شعراء القصيدة فى إيران . لمزيد من التفاصيل راجع : رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسى ، ص ٨٩-٩٢ ، براون : تاريخ الأدب ص ٤٦٢ - ٤٩٤ ، إدريس : سلطان السلاجقة الأعظم (السلطان سنجر) ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

ورحل منظم ومدبر العالم .

ورحل برحيله السرور والصفاء على العالم .

وقد مدحه الطغرثائى (١) ، والبأخرزى ، وابن الهبارية (٢) ، وشبل الدولة (٣) ، وغيرهم ولأنكاد نعرف من مراثيه غير قول (ختنه) شبل الدولة مقاتل :

كان الوزير نظام الملك لأولؤه نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف (٤)

(١) الطغرثائى : أبو اسماعيل الحسين بن على بن محمد بن عبد الصمد ، يعرف بألقاب عدة هى العميد ، الأستاذ ، المنشئ ، الأصنهبائى ، مؤيد الدين ، ولكن الطغرثائى هو الاسم الغالب عليه ، ولد سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، فى جى من أعمال أصفهان ، فى عائلة شريفة مجيدة ، وهو أحد شعراء العصر السلجوقى المجيدين ، وله ديوان عرف باسمه ، عنه أنظر : على أكبرد هخدا ، لفت نامه (تهران ، ١٣٣٥ ، شمس) ج٣ ص ٣٣ ، على جواد الطاهر : الطغرثائى حياته - شعره - لاميته ، (بغداد سنة ١٩٦٣) ص ٨-١٨ ، ٢٨-٦٩ .

والطغرثائى نسبة إلى صاحب الطغراء وهى الطرة التى تكتب فى أعلى المناشير فوق البسمة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذى صدر الكتاب عنه ، وقيل إنها لفظة أعجمية محرفة من الطرة ، وقيل إنها علامة تكتب على التوقيعات ، وهى تركية الأصل ، أنظر : ابن خلكان ، وفيات ، ج١ ، ص ٢٨٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ص ٥٧ ، دائرة المعارف الإيرانية مادة طغرا .

(٢) ابن الهبارية : هو محمد بن محمد بن صالح بن حمزة ، الشريف أبو يعلى نظام الدين المعروف بابن الهبارية الشاعر المشهور ، والهبارية أم أحد أبائه من ولد هبار بن الأسود بن عبد المطلب ، كان شاعرا بارعا بليغا ، من شعراء نظام الملك ، وكان ملازما له ، ولكنه هجا نظام الملك بأمر من عدوه اللدود تاج الملك أبى الغنائم حينما أغراه على ذلك ، فشنع فيه أحد خواص نظام الملك ورحل إلى كرمان بعد ما عفا عنه نظام الملك بعد أن سبه وشتمه فى شعره ثم عاد ومدحه ، وله عدة كتب منها (نتاج الفطنة فى نظم كليله ودمنة) وديوانه كبير يدخل فى أربع مجلدات ، للمزيد ، أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ، ص ٤٥٣-٤٥٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ، ج٣ ص ١٩٨ .

(٣) شبل الدولة : هو أبو الهيجاء مقاتل بن عطيه بن مقاتل البكرى ختن نظام الملك ، لأن نظام الملك كان قد زوجة ابنته ، أنظر ابن خلكان ج٢ ص ١٣٠ ، الحسينى أخبار الدولة السلجوقية ص ٧١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص ٢٥٧ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ، ص ٤٧٩ ، على جواد الطاهر ، وزارة السلاجقة ، ص ٢٠٠ .

ومن الناس من فرح لموت الوزير ، فرد عليهم سديد الملك المفضل بن عبد الرازق (العارض فى أيام ملكشاه) (١) .

قتل الوزير فكلهم جذلان لاتشمتوا فوراءه الحدثان
الملك بعد أبى على لعبة يلهو بها النسوان والصبيان (٢)

وقد نقل جثمانه إلى أصفهان ، ودفن فى مكان يليق به (٣) .

٢- تاج الملك أبو الغنائم الشيرازى :

هو الرئيس ابن الغنائم جمال الدين تاج الملك مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازى (٤) ، ولد فى فارس سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م من أب كان يشغل منصب الوزارة ، وعن والده تعلم تاج الملك آداب الكتابة ، وصناعة الوزارة وفنونها (٥) .

وفى بداية حكم السرهنك (٦) "قطب الدين عماد الدولة ساوتكين ، لكرمان وفارس والعراق سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م ، وهو العام الأول من بداية حكم السلطان ملكشاه ، التحق أبو الغنائم مرزبان بخدمة الأمير السلجوقى وحظى باهتمامه ورعايته ، وظل يزاوّل عمله إلى أن قدمه ساوتكين إلى السلطان ملكشاه على أنه كفء لأعمال الديوان ، فقبله فى جهازه الإدارى ، ووكل إليه بعض أولاده (٧) ، والذين أصبح بعضهم سلطانا فيما بعد (٨) .

(١) إقبال : الوزارة ص ١٠٥ .

(٢) الباخزرى : الخريدة ، ج ١ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٨ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٤ ، إقبال : الوزارة ، ص ١٤٤ .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ١٤٤ .

(٦) السرهنك : تعنى القائد ، ورتبة فى الجيش بدرجة مقدم ، حسن أنورى : إصلاحات ديسوانى ص ١٣٣ .

(٧) هو الأمير أبو شجاع أحمد الملقب بملك الملوك عضد الدولة تاج الملة عدة أمير المؤمنين ، ابن ملكشاه الذى كان قد اختاره وليا لعهدده سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، لكنه مات ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، وهو فى الحادية عشرة من عمره ويغلب على الظن أن تاج الملك كان وزيره ، ويؤيد ذلك أن لقب تاج الملك مأخوذ من تاج الملة ، وهو أحد ألقاب أبى شجاع أحمد . ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٦ ، إقبال : الوزارة ص ١٥١ هامش (٢) .

(٨) إقبال : الوزارة ص ١٤٤ .

ووثق ملك شاه فى تاج الملك فأودع بين يديه خزائنه الخاصة ، وبيوته السلطانية فأصبح مشرفا على شئون الملابس السلطانية^(١) ، كما كلفه بالاتصالات ، والمهام العسكرية ، وجعل له ديوان الإنشاء والطغراء^(٢).

وكان تاج الملك رجلاً فصيحاً ماهراً سخيّاً شهماً^(٣) ، لكن حبه للجاه ، ورغبته فى نيل منصب الوزارة جعلاه متلونا ، متقلبا ، فهو يوقر الخواجه نظام الملك ، ويعظمه غاية التعظيم ، بينما يشوه صورته لدى السلطان ملكشاه ، الذى ساءت العلاقات بينه وبين وزيره المسن فى أواخر أيامهما^(٤) .

وقد تأمر تاج الملك مع بعض خواص السلطان ، وعلى رأسهم مخدمته "تركان خاتون" زوجة ملكشاه العدو التقليدية لنظام الملك^(٥) ، واشترك معهما فى المؤامرة ضد "النظام" مجد الدولة القمى المستوفى بديل شرف الملك أبى سعد^(٦) ، وسديد الملك أبو المعالى العارض ، بديل كمال الدين أبى الرضا العارض^(٧) ، وكانا من أشد أعداء نظام الملك .

وقد اجتهدت هذه الجماعة وعلى رأسها - تاج الملك - فى إبعاد الخواجه نظام الملك عن الوزارة وأفلحت فى ذلك ، وأمسك تاج الملك ، ومجد الملك ، وسديد الملك ، بزمام أمور الديوان كما سبق ، واستولوا على أموال الدولة ، وأعمال المملكة ، وباتوا يصرفون شئونها كيفما شاءوا^(٨) ، وهم الذين أبلغوا السلطان رسالة وزيره المسن الخشنه القاسية^(٩) وأغروا صدره عليه .

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٧ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٧ .

(٤) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٩ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ٢١٠ .

(٧) الراوندى : نفسه ، ص ٢١٠ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٥ .

(٩) أنظر نص الرسالة فى الفصل الثانى .

وقد تأمر تاج الملك أبو الغنائم على قتل الوزير الحسن ، ويقال إنه هو الذى حرّض أبا طاهر الأوابى (١) أحد فدائى الإسماعيلية على قتل نظام الملك (٢) ، ويبدو أن ملكشاه كانت له يد فى هذه المؤامرة رغبة فى التخلص من سيطرة وزيره ، وسطوة أبنائه الاثنى عشر وأتباعه ، خاصة بعد أن أوغرت تركان خاتون صدره على النظام بقولها "إن لنظام الملك اثنى عشر ولداً فهم بمنزلة الأئمة الاثنى عشر وهذا جعله محبوباً فى نظر الناس ، وقد قسم حكومات الولايات عليهم" (٣) .

وكان مقتل نظام الملك قد عجل بتولى تاج الملك الوزارة لملكشاه ، والتى كان قد رشح لها حتى أن الجميع كانوا يقولون إنه الوزير بدلا من الحاجة نظام الملك (٤) ، ولكن لم يهنأ تاج الملك بوزارته لملكشاه ، ففى اليوم الذى اختاره المنجمون لملكشاه للجلوس وتفويض تاج الملك بالوزارة وهو يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، خرج ملكشاه يوم الأربعاء للصيد ، فأصيب بالحمى (٥) ، وفى يوم الجمعة الذى وقع عليه الاختيار لتنصيب أبو الغنائم وزيرا .. مات ملكشاه (٦) .

ومن نفس الكأس الذى أذاقه نظام الملك للكندرى وزير طغرل بك ، والتى أذاقها أياه تاج الملك ، تجرع تاج الملك الكأس ، فبعد وفاة ملكشاه مباشرة . نادى تاج الملك - الذى كان يشغل أيضا منصب الوزارة لتركان خاتون ، نادى بابن مخدومه (واسمه محمود) سلطانا على السلاجقة ، وأطلق عليه لقب ناصر الدنيا والدين ، وكان عمره يتجاوز الرابعة ببضعة أشهر (٧) .

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٧٨ .

(٣) خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٥٦ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ .

(٤) هندوشاه : تجارب السلف ، ص ٢٨١ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٥ ، الحسينى : أخبار ص ٧١ ، وانظر تفاصيل موت ملكشاه ، ص

٥٣ هامش ١ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، دهخدا : لفت نامه ج ١٤ ص ٩١ ، ٩٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٨٤ .

وأخفى تاج الملك وتركان خاتون موت السلطان ، وأرسلا شخصا إلى أصفهان العاصمة السلجوقية ، للقبض على ولى العهد بركياروق الابن الأكبر للملكشاه ، وقاما بحبسه^(١) ، وثار النظامية (جند نظام الملك وأتباعه) والذين كانوا قد حنقوا عليه لتيقنهم بأنه قاتل سيدهم^(٢) ، وانضموا إلى بركياروق وخلصوه من سجنه ، ونقلوه من أصفهان إلى الرى ، وجهزوا أنفسهم لمقابلة تركان خاتون وتاج الملك ، والتقوا فى بروجرد^(٣) فى آواخر ذى الحجة سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م^(٤) .

وانتصر بركياروق ، وفرض حصارا حول بروجرد ، فتقدم إليه تاج الملك مظهرا تلونه ، وخضوعه وطاعته له ، وكان قد فر من موقعة بروجرد ، وألقى القبض عليه بعد فراره بمدة قصيرة^(٥) ، وأراد بركياروق - بادئ الأمر - أن يقلده الوزارة ، وكان تاج الملك مستعدا لدفع مائتى ألف دينار بصفة تعويض لبركياروق والنظامية^(٦) ، لكن النظامية الذين كانوا يكونون له حقا شديدا ، ويرغبون فى أن تظل الوزارة محصورة فى أسرة الخواجة ، ثاروا عليه وأخبروا بركياروق بأنهم لا يقنعون إلا برأس تاج الملك^(٧) .

وانتهى الأمر بهجومهم عليه فى الثانى عشر من محرم ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م ، ومزقوا جسده إربا ، ووزعوا أجزاء منه على ولايات السلاجقة التى يحكمها أبناء نظام الملك ، حتى حمل إلى بغداد أحد أصابعه^(٨) .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٨١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) إقبال : الوزارة ص ١٤٧ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢١١ .

(٣) بروجرد : بالفتح ثم الضم ثم السكون ، وكسر الجيم ، بلدة بين همذان وبين الكرج ، وهى مدينة حصينة كثيرة الخيرات تحمل فواكهها إلى الكرج ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٠٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٥ .

(٦) ابن الأثير : نفسه ، ج ٨ ص ٤٨٥ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٧ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢١١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٨٥ ، دهمذا : لفت نامه ، ج ١٤ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

وكان تاج الملك - كسائر أعيان بلاط ملكشاه - مدوح كبار شعراء عصره ، وقد امتدحه المعزى بقوله :

فى كل ساعة يزداد لدى السلطان جاهك .

فلا عجب أن يزداد قدرك فى المملكة والدولة وعن أبنائها لا يغيب.

فأنت المتصرف فى بيت الملك المحروس .

وأنت الوزير الشهير لابنه العزيز الحبيب .

لقد صار رأيك فى الشرق والغرب بطل ملكه .

وصار حكمك فى البحر والبر - ترجمان سيفه المظفر (١) .

بينما أطلق بعض الباحثين ألسنتهم فى هجائه ونسبوا إليه افتعال التدين والتصوف والزهد واتباع الرياء ، مستنديين إلى أنه بعد أن أثر عنه أنه كان يصوم يميل إلى التدين والتصوف ، ويجمع الكثير من الفقراء عند الإفطار ، هجر كل ذلك بعد أن احتل منصب الوزارة ، وفى هذا الصدد يقول ابن الهبارية :

قد كان صور الدهر يجمعنا

وتمكنت منهم مكيدته

وقال عنه الطفرائى فى ديوانه ص ١٥١ :

يقولون تاج الملك بعد خمولة

فقلت لهم لا تحسدوه وأبصروا

وتحققت نبوءة الطفرائى ، فقد قتل تاج الملك بعد قليل من وزارته وهو فى السابعة

والأربعين من عمره (٤) ، ومن أهم أعماله بناؤه تربة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وبناء المدرسة التى إلى جانبها ورتب لها شيوخها ومدرسيها (٥) ، أسوة بنظام الملك .

(١) إقبال : الوزارة ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ، ص ٢٠١ .

(٢) هند وشاه : تجارب السلطان ، ص ٢٨١ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ، ص ٢٠١ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٥٠ ، على جواد الطاهر ، نفسه ، ص ٢٠٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٨٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٤٨٥ .

التنافس على الوزارة السلجوقية :

أولا : النزاع بين عميد الملك الكندري ونظام الملك الطوسي ومصرع الكندري : عندما علم ألب أرسلان بجلوس أخيه الطفل سليمان سلطانا على السلاجقة فى الرى عقب وفاة طغرلبك ٤٥٥هـ / ١٠٦٣ م ، على يد عميد الملك الكندري^(١) ، تحرك يشاركه وزيره الخواجه نظام الملك الطوسي بجيش جرار نحو الرى ، للقضاء على الكندري ، والطفل سليمان .

وبالفعل تم لألب أرسلان ، ووزيره نظام الملك ما أرادا ، ونصب ألب أرسلان سلطانا ، وأصبح أخوه سليمان وليا لعهد^(٢) ، والأدهش أن الكندري قد رضى بذلك ، وبدأ يتقرب إلى السلطان الجديد بالهدايا وحاول كسب رضاه بالقول والعمل ، أملا فى الاحتفاظ بالوزارة^(٣) .

ولكن نظام الملك استطاع بدهائه أن يغير مشاعر السلطان ألب أرسلان تجاه الكندري ، ودفعه إلى الشك فى نواياه ، وإلقاء القبض عليه واعتقاله فى مرو الروز^(٤) ، خاصة بعدما رأى نظام الملك بنفسه حب جنود السلطان طغرلبك ، لعميد الملك الكندري ، والتفافهم حوله ، فحينما ذهب نظام الملك فى زيارة إيناس واعتذر إلى نظام الملك ، وقدم بين يديه منديلا به خمسمائة دينار ، اعتذر نظام الملك ، وانصرف الكندري من عنده ، فسار أكثر العسكر فى خدمته ، فخوف النظام - السلطان ألب أرسلان - من غائلة ذلك وعاقبته^(٥) .

وهنا أصدر ألب أرسلان أمره بالقبض على الوزير القدير عميد الملك الكندري سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤ م ، واعتقاله حيث بقى فى الأسر سنة كاملة ، وكان محبوسا فى دار عميد خراسان ، ثم نقل إلى مرو الروز ، وحبس فى دار فيها فى حجرة ضيقة^(٦) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٣١ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ .

(٣) حسانين : إيران ، ص ٥٦ .

(٤) مرو الروز : المرو ، الحجارة البيض تقتدح بها النار ، والروذ بالفارسية النهر ، فكأنه مرو النهر ، وهى مدينة قريبة من مرو الشاهبان وهى نهر عظيم بفارس ، مات بها المهلب بن أبى صفرة ، أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ١٠ ، خرواندмир : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥ ، ويقول الراوندى ص ١٧٧ ، أنه سجن فى مدينة بنيساهور .

وقد قال وهو فى محبسه :

الموت مر ولكنى إذا ظمئت نفسى إلى العز مستحل لمشربه
وزارة باض فى رأس وساوسها تدور فيه وأخشى أن تدور به

وقال أيضا :

إن كان بالناس ضيق من منافستى فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المقبور يتبعنى كل لكأس المنايا شارب حاسى^(١)

ولكن نظام الملك لم يقنع بإيداع الكندرى السجن ، بل ظل يحرض السلطان ، ويخوفه من بقاءه على قيد الحياة حتى أمر السلطان بقتله سنة ٤٥٧هـ / ٦٥ م ، حين سير إليه السلطان غلامين فدخلا عليه ، وأخبراه بأن قتله امر محتوم^(٢)

وعندما علم الكندرى بخبر موته اذعن لقضاء الله . فدخل الحجرة وأخرج كفته ، وودع ابنته الوحيدة وأغلق باب الحجرة . واغتسل وصلى ركعتين ، وأعطى الذى هم بقتله مائة دينار ، وقال له . حقى عليك أن تكفى فى هذا الثوب الذى غسلته من ماء زمزم ، وذلك يوم الأحد السادس عشر من دى الحجة سنة ٤٥٧هـ / ٦٥ م^(٣)

ودخل عليه الغلامان وضرباه بالسيف وأخذوا رأسه وحمله إلى السلطان بكرمان ، وأما جثته فقد لفت فى خرقة ودفن فى قبر أبيه كندر عن عمر يناهز الأربعين عاما^(٤) ، ومن المشهور والعجيب عنه أنهم حصوه فى صباه فى حوارزم حيث دفنوا ذكره بها . ثم قتلوه فى مرور الروز فأخذوا جسده إلى موطنه كندر فدفنوه بها ، وأخذوا رأسه ماعدا قحف جمجمته إلى نيسابور فدفنت بها ونقل قحف جمجمته إلى كرمان حيث يوجد نظام الملك والسلطان^(٥)

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٩ ، ٣٠ ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٣١ .

٥ بر الأثر : الكامل ، ج ١ ، ص ١١ براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

وقبل تنفيذ حكم الإعدام فى الكندرى والذى طلبه بحد السيف ، وليس بالشنق^(١) ، نبه إلى خطورة هذه السنة السيئة ، فالتمس من قاتله أن يحمل رسالتين ، واحدة للسلطان ، وأخرى للوزير ، أما رسالته إلى السلطان ففيها يقول : "قل للسلطان لقد خدمتني خدمة جليلة ، وأن هذه أجل خدمة أديتها لى ، فقد أعطانى عمك ملك العالم الدنيوى لأتصرف فيه ، فلما أمرت بقتلى أعطيتنى ملك العالم الآخر جزاء لاستشهادى وبذلك تم على يديكما امتلاك ملك الدارين الفانية والباقية ، فقد منحنى عمك الدنيا لأحكمها ، ومنحتنى أنت الشهادة ، وظفرت بأجر الشهداء^(٢) .

أما رسالته إلى الوزير نظام الملك "وقل لنظام الملك إنك قد سننت سنة سيئة بقتل الوزراء بثسما عودت الأتراك - يقصد السلاجقة - قتل الوزراء ، وأصحاب الديوان ، ومن حفر قلبيا وقع فيه ، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأنى أدعو الله أن يصيبك ويصيب ذريتك ما أصابنى^(٣) .

ولقد استجاب الله تعالى دعوة الكندرى ، فقد قتل نظام الملك ، ومات أغلب أولاده بهذه الميئة السيئة التى استنّها ، والتى من المحزن حقا أن رجلا كبيرا ووزيرا عظيما "كنظام الملك" ،

(١) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٣٨ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٧ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٧ ، وقد صدقت نبوة عميد الملك الكندرى واستجاب الله لدعوته ، فقد وردت الأخبار إلى بغداد بوفاة جمال الملك ابن الوزير نظام الملك ، وكان يتولى بلخ وأعمالها ، وقد قيل فى سبب موته أن جعفر ك أحد مضحكى السلطان ملكشاه كان يسخر من الوزير نظام الملك فى خلواته مع السلطان ، ولما بلغ جمال الملك ابنه ، طوى المراحل إلى والده وإلى السلطان وهما بأصبهان ، فاستقبله أخواه فخر الملك ومزيد الملك ، فأغلظ لهما القول لإغماضهما عما بلغهما من سخرية جعفر ك بأبيهم ، ولما مثل جمال الملك بين يدى السلطان رأى هذا المضحك يساره ، فانتهره ، فلما خرج جعفر ك أمر جمال الملك بإخراج لسانه من فمه ، وقطعه فمات ، ثم سار مع السلطان ومع أبيه إلى خراسان ، وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العودة إلى أصفهان ، وتقدمهم الوزير ، وقد أوعز السلطان إلى أحد خدم جمال الملك بقتله ، فندس له السم فى إناء ، فمات ثم لحق به وزيره وعزاه فى ابنه ، ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ٤٥ .

لا يبدأ اسمه في الظهور على صفحات التاريخ ، إلا متصلا بهذه الفعلة الشنعاء التي أصابت الكندري (١) .

وقد رثاه الشيخ على بن الحسن الباخري مخاطبا السلطان ألب أرسلان قائلا :

وعمك أدناه وأعلى محله وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى على مولى منكما حق عبده فخوله الدنيا وخولته العقبى (٢)

ومدحه صردر (٣) بقوله :

عمت فواضله البرية فالتقى شكر الغنى ودعوة المسكين

ساس الأمور فليس تخلى رغبة من رهبة ويسالة من لين (٤)

ولم يستطع شعر العصر السلجوقي أن يفى بعض مكانة الكندري ، وأن يحفظ لنا ما كان له من خطر وشأن ، وما كان عليه من عصامية (٥) ، فبالرغم من صلة الباخري الوثيقة بعميد الملك الكندري ، والذي أثنى على معارفة وعلمه باللغات بما فيها التركية والفارسية ، والفقه والفلسفة وكان من المنتظر أن يرثيه ويبكى نهايته المؤلمة التي أذاقها أياها "النظام" وألب أرسلان ، ولكنه لم يحقق هذا الظن ، فقد كانت قصيدته هزيلة ، وأبياتها سخيفة تنبئ عن الذوق الذي استقبل به خبر مقتله (٦) .

(١) براون : تاريخ الأدب ص ٢١٨ .

(٢) الحسيني : أخبار الدولة ص ٢٥ ، ٢٦ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ، ص ١٩٧ .

(٣) صردر : هو على بن الحسن بن على بن الفضل الرئيسي أبو منصور الكاتب المعروف بصردر ، الشاعر المشهور كان أحد نجباء الشعراء في عصره ، توفي ١٠٧٢ هـ / ١٠٧٢ م ، ولقب بصردر لأن أباه كان يلقب بصريعر لشحه وبخله ، فلما نبغ ولده المذكور وأجاد الشعر ، قال له نظام الملك : أنت ابن صردر لا ابن صريعر ، عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ص ٣٨٥ ، الذهبي : العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، ابن العماد الحنبلي : شذارات ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٨١ ، ابن الأثير الكامل ، ج ١٠ ، ص ٨٨ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ج ٥ ص ٩٤ .

(٤) على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ص ١٩٧ .

(٥) على جواد الطاهر : نفسه ، ص ١٩٧ .

(٦) على جواد الطاهر : نفسه ، ص ١٩٧ .

ولكن ماهى الأسباب التى أدت إلى قتل الكندرى ؟ وما هى الدوافع التى دفعت نظام الملك وألب أرسلان على قتله ؟

أول هذه الأسباب كما قلنا أن الكندرى كان يناصر الطفل سليمان بن جغرى بيك ، وولى عهده طغرلبك ، وعلى الرغم من أن الكندرى قد أعلن ولاءه لألب أرسلان ، وأعلن الخطبة باسمه فى الرى إلا أن النفوس لم تهدأ ، فقد ظل الحقد وسوء الظن بالكندرى ، من قبل السلطان ووزيره قائما ، مما أدى إلى الدس له وعليه فأمر ألب أرسلان بقتله .

وهناك سبب آخر فى قتله ، وهو أن نظام الملك أراد ألا ينازعه أحد فى الوزارة ، فحرص على اعتقاله وقتله .

أما السبب الرئيسى فى مقتل الكندرى ، فهو موقف الكندرى من "الأشعرية" والذين أمر بلعنهم على منابر خراسان ، ومنهم الإمام أبو القاسم القشيرى و الإمام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ، وكثر لعنهم على منابر المساجد والجوامع ، ففارقا خراسان ، وأقام الإمام الجوينى بمكة أربع سنوات يدرس هناك حتى لقب بإمام الحرمين ، ولم يعد إلا بعد مقتل الكندرى سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م^(١) وكان هذا سببا رئيسيا فى التحريض على قتل الكندرى من نظام الملك ، والدليل على ذلك أنه بمجرد قتل الكندرى وبناء النظامية ، أمر الخطباء بالتوقف عن سب الأشعرية ، والاستمرار فى لعن الرافضة (الشيعة) فأرضى بذلك جماعة كبار الفقهاء الذين أكرمهم وأحسن إليهم^(٢) .

وهناك سبب آخر قد يكون له مغزى فى قتل الكندرى ، فربما اتصل الخليفة القائم بأمر الله العباسى بنظام الملك أو بالسلطان ألب أرسلان ، وحرصهما على الكندرى ، وذلك بسبب موقف الكندرى وتأيبده زواج سيده طغرلبك من ابنة الخليفة ، وإصراره على إتمام الزواج^(٣) .

(١) السبكى : طبقات الشافعية ج ٣ ، ص ٤٣٢ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٢٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٥ .

(٢) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٤٧ ، براون : تاريخ الأدب ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، اليزدى : العراضة ، ص ٤٤ ، فتحى أبو سيف ، ص ٧٥ -

وكان مقتل الكندري على هذه الصورة البشعة ، قد وضع حدا للتنافس بين الوزراء فى بداية العصر السلجوقى ولكنه أصبح سنة طوال هذا العصر بين الوزراء .

ثانيا : النزاع بين نظام الملك الطوسى ، وتاج الملك أبى الغنائم الشيرازى :

كما سبق أن ذكرنا فقد ساءت العلاقات بين ملك شاه ، وبين وزيره القدير المسن نظام الملك فى أواخر حياتهما لأسباب عديدة ، أهمها وشاية تاج الملك أبى الغنائم وجماعته ضد النظام عند ملكشاه^(١) ، وقد انتهت هذه الوشاية بتكليف تاج الملك بالوزارة ، وإبعاد نظام الملك عنها ، ولكن القدر لم يمهله لتوليها لموت السلطان كما أسلفنا^(٢) .

وفى أثناء الصراع بين نظام الملك ، وتاج الملك ، لقي نظام الملك الطوسى مصرعه مقتولا على يد أحد الإسماعيلية ، فحينما زاد حنق ملكشاه على وزيره ترك أصفهان إلى بغداد ، فلاحقه نظام الملك ولما وصل إلى أحد مزارع القصب ، اعترضه أبو طاهر الأوابى ، وكان من بين فدائى الإسماعيلية ، وبتحريض من تاج الملك أبى الغنائم ، وكان مُتَوَشِّحًا زى المتصوفه ، وقدم للنظام ورقة ، ظنها مظلمة ، فانشغل بقراءتها ، وطعنه أبو طاهر طعنة قاتلة بخنجر أودت بحياته^(٣) ، وهكذا ذاق نظام الملك نفس الكأس التى أذاقها لسلفه عميد الملك الكندري، وسوف يشرب منها تاج الملك ، فقتل هو الآخر على يد الجند النظامية سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، كما أسلفنا^(٤) .

(١) أنظر : الفصل الثانى .

(٢) أنظر : الفصل الثانى .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٧ .

يجمع المؤرخون على أن مصرع نظام الملك كان فى غرب إيران بين همذان وكرمانشاهان عند حدود نهاوند وبوجود ، فى العاشر من رمضان ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، عن عمر يناهز ٧٥ أو ٧٧ سنة ، وحمل أصحابه جثته إلى أصفهان ودفنوه فى محلة كران فى موضع جميل رائع قرب مجرى مائى كبير ، ويطلق الأصفهانى على ضريحه اسم (ترتب نظام) ، إقبال : الوزارة ص ٧٤ ، ٧٥ ، وربما تكون جثته قد نقلت فيما بعد إلى تيسابور ودفنت فى مقابر الأسرة فى طوس ، إقبال : الوزارة ، ص ٧٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٥ .

رسوم تعيين الوزير فى العصر السلجوقى :

يعتبر السلطان طغرل بك هو أول سلطان سلجوقى يضع رسماً معيناً لتعيين الوزير السلجوقى ، فقد كان اختيار الوزير يتم من السلطان شخصياً فعندما يقع نظر السلطان على شخص يتفق معه على تولية الوزارة ، ويسجل عقداً يوقعه كل من الطرفين المتفقين ، وتختلف صيغة العقد باختلاف درجة المنصب ، كأن يقال (تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناح العالى ، الفلانى ، ضاعف الله نعمته .. الوزارة الشريفة بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى .. (١) .

فإذا ما وقع العقد بين الطرفين يبدأ الوزير فى اتخاذ شارة الوزارة ، وهى دواة يضعها أمامه كشارة لقيامه بمهام وظيفته (٢) ، وبذلك أصبحت الدواة من شارات الوزير السلجوقى ، ثم يصدر السلطان منشوراً بحق وزيره ، وهو أشبه ما يعرف باصطلاح العصر الحاضر (المرسوم) يبلغ به الشخص المنتخب (٣) ، ويبدو أن الوزير هو الذى كان يضع صيغة المرسوم ويثبت الشروط التى يرد تحقيقها ، والتى جرى التفاوض بشأنها والاتفاق عليها (٤) .

فإذا ما تم اختيار الوزير سواء كان وزيراً للخليفة أو السلطان السلجوقى ، فعليه أن يركب من داره إلى دار الخلافة ، أو دار السلطنة السلجوقية فى لبس التشاريف ، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، بعد أن يحمل إليه مرسوم التعيين أميران من أمراء الدولة (٥) ، ويأتى راكباً بغلة خاصة عليها قماش مطرز بالذهب ، وسرج من حرير ، وبوسطه جلد فهد ، يقودها الغلمان حتى وصوله إلى دار السلطنة ، ثم يحضر الأعيان والقضاة ، وأركان الدولة ، وينعقد الحفل ، ويتلو نص التقليد وبعد الانتهاء ، يقبل يد السلطان ويخدم ، ويقول "لقد قبلت وتقلدت" ، ورعاً يقلده الخليفة أو السلطان بسيف ، وعقد له لواء (٦) .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ - ١٠٣ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٧ .

(٣) حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١٦ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٩٧ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٥٥ .

(٦) الصابى : تحف الوزراء ، الباب الرابع ، ورقة ١٣ ؛ حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١٦ .

ثم يخلع السلطان على وزيره خلع الوزارة ، وهى القباء ، والسيف ، والمنطقة ، المحليين بالذهب ويخرج الوزير على فرس بموكب ذهب إلى داره ، ويرافقه الأمراء ، والحجاب ، والقواد ، وكبار رجال الدولة (١) ، فإذا وصل حضر الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة (٢) ، فإذا بدأ ممارسة سلطاته ، كتب للأمراء ، والعمال خارج بغداد إشعارا بتوليده الوزارة (٣) ، ويختتم الحفل بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ، وإنشاد ما نظمه الشعراء لهذه المناسبة من مدائح (٤) . ويرسل إلى الوزير المعين ، مال وثياب وطيب وطعام وأشربه (٥) ، وبعد ذلك يرسل الوزير - إنهاء - إلى دار السلطنة أو الخلافة يتضمن الدعاء ، والثناء على الخليفة والسلطان ، وإعلامه بتسلمه منصبه (٦) .

ثم يحضر الوزير بعد صدور المرسوم بتعيينه إلى دار السلطنة مرة أخرى ، ومعه هدايا خاصة يقدمها للسلطان فى هذه المناسبة ، وكانت عبارة عن الآلات والتحف والخيام الجهرمية ، وهى الخاصة بالسلطان ، ومعه الطبول والأسلحة ، والدروع الجميلة ، فيقدمها هدية للسلطان ، ثم يتولى وزارته (٧) .

وكان من رسوم السلاجقة عند تعيين الوزراء ، التدقيق فى اختيارهم ، فقد كان المتبع أن يختار الوزير من المثقفين ثقافة أدبية وخاصة من طبقة الكتاب (٨) ، لخبرتهم الإدارية وتدرجهم فى المناصب وأعمال الدواوين المختلفة (٩) .

(١) مسكوية : تجارب ، ج٢ ص ٢٤٠ ، الصابى : تاريخ الوزراء ص ٢٨ .

(٢) الصابى : تحفة الوزراء ، ص ٢٨ .

(٣) الصابى : نفسه ، ص ٣٦ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص ٢٣٣ .

(٥) آدم متز : ج١ ص ١٤٦ .

(٦) ابن الديبشى : محمد بن سعيد بن محمد ، تحقيق مصطفى جواد ، ج٣ ، المختصر المحتاج إليه (بغداد سنة ١٩٧٧م) ، ص ٢٩ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٠ .

(٨) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ، ص ٣٨ .

(٩) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٣ ، ١٠٦ ، إدريس : رسوم ، ص ٤٧ .

كذلك كان السلطان السلجوقي يعتمد على خاصته فى اختيار وزيره ، ويسير وفق مشورتهم ، فأول سلطان سلجوقى أشار عليه كاتبه "هبة الله الموفق النيسابورى" فى اختيار الكندرى وزيرا له ثم قدم ناصر خسرو الكندرى إلى طغرل بك ، واتفقت وجهات نظره مع وجهة نظر كاتب السلطان هبة الله الموفق^(١) .

وقد قدم هبة الله النيسابورى نظام الملك الطوسى أيضا إلى الملك جفرى بيك داود ، والذي قدمه بدوره إلى ابنه ألب أرسلان^(٢) ، وقد أشار السرهنك ساوتكين على ملكشاه بتوزير تاج الملك أبى الغنائم^(٣) .

مهام ومناصب وأعمال الوزير السلجوقى :

يعتبر منصب الوزير أو الصدر الأعظم أو (خواجه برزك)^(٤) من أعلى المناصب فى الدولة السلجوقية ، ولذا تمتع وزراء الدولة السلجوقية ، وخاصة فى عصر سلاطينها العظام بنفوذ خاص ، كما قاموا بدور مهم فى وضع أسس قواعد هذه الدولة ، ولذلك أصبح منصب الوزير يلى السلطنة مباشرة ، فقد فوض سلاطين السلاجقة وزراءهم تفويضا تاما فى إدارة دولتهم ، كما حدث لنظام الملك الطوسى ، والذي فوضه السلطان ملك شاه تفويضا تاما ، فأصبح لايجرى أمر فى الدولة إلا عن طريقه ، وكان أمره نافذا ، لأن سلطان السلاجقة من أقصاه إلى أقصاه كان تحت سيطرته ونفوذه وقصة الحوالة المشهورة أى الكتابة إلى أنطاكية بالشام لدفع أجرة الملاحين بجيكون ، والتي وردت فى أغلب المصادر^(٥) والتي أراد نظام الملك أن يعرض من ورائها سعة المملكة ، ونفاذ أمر السلطان ، أو نفاذ أمره هو - فى الحقيقة - نموذج آخر من نماذج أهميته ونفوذه .

(١) السبكى : طبقات الشافعية ، ج٢ ص ٣١٢ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٣ ، ١٠٦ .

(٢) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٤) خواجه برزك : خواجه تعنى بالفارسية الوزير ، وبرزك : تعنى : العظيم أى الوزير العظيم ، حسنين : قاموس : ص ٢٢٢ .

(٥) هند وشاه : تجارب السلف ، ص ٢٦٧ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ .

كان الوزير السلجوقي يرافق السلطان في جميع الاحتفالات ، والمواكب والمجالس ، والزيارات التي يقوم بها السلطان في شتى مدن العراق والمشرق والسلطنة ، وخاصة بغداد^(١) كما كان يحضر مجلس السلطان العام^(٢) ، فالكندري وزير طغرل بك رافقه في دخول بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٣) ، وكذلك حضر معه مجلس الخليفة في أول مرة يقابل طغرل بك فيها الخليفة سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م^(٤) ، وقام بدور المترجم بين الخليفة والسلطان ، وكان ذلك من مهام الوزير السلجوقي . وعند زيارات ملك شاه لبغداد ، رافقه نظام الملك الطوسي سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(٥) ، وقد بجل الخليفة نظام الملك كاحترامه للسلطان .

وكان الوزير السلجوقي كثيرا ما ينوب عن السلطان في مقابلة الخليفة أو وزيره ، فقد تقابل الكندري مع الوزير رئيس الرؤساء ، وزير القائم ثم الخليفة نيابة عن سيده السلطان طغرل بك سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٦) للتمهيد لدخول طغرل بك بغداد . وكان الوزير بمثابة المستشار الشخصي للسلطان ، وعليه تنفيذ وصية السلطان ، فقد أوصى طغرل بك وزيره عميد الملك الكندري بأخذ البيعة لسليمان بن داود ، وتوزيع الهدايا على الجنود^(٧) ، وقد نفذها الكندري مما كانت سببا في قتله فيما بعد . وأصبحت هذه الوصية سنة في دولة السلاجقة ، ينفذها الوزير مباشرة ، ودليل ذلك أن نظام الملك نفذ وصية ألب أرسلان ، وجعل ابنه ملكشاه ولي عهده سلطانا من بعده^(٨) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٤٨ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٥٦ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٠ ، ابن تغري بردي : النجوم ج ٥ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

وكان الوزير السلجوقي كاتباً لديوانه ، فقد اتخذ الكندري شاعراً يدعى (دهخدا أبا البدر مظفر بن دهخدا أبا الحسن على بن محمد القصري) كاتباً لديوانه (١) ، وكان تاج الملك أبو الغنائم كاتباً في بداية حياته في ديوان الصدارة لنظام الملك الطوسي (٢) .

وكان الوزير يشرف على جميع الدواوين السلجوقية (٣) ، وكان عليه تقديم النصيح والمشورة للسلطان (٤) ، وتنفيذ رغبته ، وعليه أن يقوم بدور السفير بين الخليفة والسلطان ، مثلما حدث عند زواج طغرل بك ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وكان الكندري سفيرهما في إتمام الزواج (٥) ، ومثلما حدث عند زواج ابنة ملكشاه بالخليفة المقتدى بأمر الله العباسي ، وكان نظام الملك سفيراً بينهما (٦) .

وكان الوزير السلجوقي يشارك السلطان في حروبه الخارجية ، فقد اشترك الكندري مع طغرل بك في هزيمة البساسيري (٧) ، وقمرد ابراهيم يثال الأخير سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٩ م (٨) ، ولعب نظام الملك دوراً مهماً في معركة ما نزكرد مع السلطان ألب أرسلان (٩) ، بل قاد بنفسه يعاونه ملك شاه وهر أمير حملة على قلعة فضلون بفارس (١٠) .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٨ .

(٢) البنداري : آل سلجوق ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، إقبال : الوزارة ص ١٤٤ ، ولقد بلغ نفوذ الكندري حداً أنه كان يفصل في الخلافات بين البلاطين العباسي والسلجوقي لصالح طغرل بك ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ٤٣ ، حساني : سلاجقة ص ١٦٢ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧١ ، ٢٠٦ .

(٥) الحسيني : أخبار الدولة ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ١ ، ص ٤٩ .

(٧) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٧ ، الحسيني : أخبار ص ٤١ ، ٤٢ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٣٩٢ .

كما شارك ملك شاه وهو سلطان فى حروبه ضد خانات بلاد ماوراء النهر ، وبنى جنسه من السلاجقة^(١) ، ولقد بلغ نفوذ الوزير السلجوقى حدا أدى إلى تدخله فى تعيين وزراء الخليفة نفسه ، فقد ترتب على وجود وزير للسلطان ، ووزير للخليفة حدوث احتكاك بينهما ، وكان وزير السلطان أكثر نفوذا وسلطة من وزير الخليفة العباسى ، لأنه كان يستمد نفوذه من قوة السلطان السلجوقى صاحب النفوذ الفعلى وقتذاك^(٢) .

ولقد بلغ من نفوذ الوزير السلجوقى أن جاهر بعدائه لوزير الخليفة ، وأخذ يتدخل فى تعيينه وعزله بل كان أحيانا يقبض عليه ويرغمه على أداء بعض الأموال مقابل إطلاق سراحه ، وقد بدأ أول تدخل من الوزير السلجوقى فى عزل وزير الخليفة سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م حينما استدعى الخليفة القائم بأمر الله أبا الفتح بن دارست لتولى وزارته ، فلم علم عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك ، كتب إلى الخليفة يخبره بعدم رغبة السلطان فى تعيين ابن دارست وزيرا له ، بحجة أنه غير كفء للوزارة^(٣) .

وفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م ، أجبر نظام الملك الخليفة المقتدى ، على عزل وزيره أبى نصر محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة ، حيث اتهمه "النظام" بإثارة الحنابلة على الإمام القشيرى الذى قدم بغداد للتدريس فى النظامية ، وكان القشيرى على مذهب الأشعرية الشافعية الذى كان يعتنقه النظام ، فكتب إلى الخليفة بعزله^(٤) ، كما كتب إلى شحنة بغداد (ابن كوهرائين) يأمره بالقبض على ابن جهير وآله فلما علم ابن جهير ، سير إلى نظام الملك ولده (أبا منصور عميد الملك) ، وتمكن من إصلاح الفساد بينهما فكتب نظام الملك إلى الخليفة وشحنة بغداد يبدى موافقته مرة أخرى على إعادة "ابن جهير" إلى الوزارة^(٥) ، إلى جانب أنه

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص ٢٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

(٢) حسن محمود ، والشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٥٨٠ ، الزهرانى : نظام الوزارة

ص ١١٩ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٢١ ، ٢٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج١ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص ١٢٨ ، ابن

كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ص ١١٩ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٧١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص ١٢٨ .

زوج عميد الملك ابن جهير من ابنته ، وعاد فخر الدولة إلى بغداد ليتولى وزارة المقتدى سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م (١) .

كما تدخل نظام الملك أيضا فى عزل الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين الهمداني الروذارورى سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م لعدة أسباب ، منها اختلاف الوزير أبى شجاع مع أبى سعد اليهودى ، وكيل السلطان ملكشاه ، ووزير نظام الملك ، لأن أبا شجاع قد ألزم أهل الذمة بلبس الغيار (٢) ، وكذلك أنه سعى فى عزله لكى يولى أحد أبنائه وزارة الخليفة (٣) ، ولكن السبب الحقيقى فى عزل الوزير العباسى أبى شجاع هو عدم رغبة نظام الملك فى بقائه لما أظهره من كفاية عظيمة فى الوزارة (٤) ، ووقوفه بشدة فى وجه أطماع رجال الديوان ، وقادة الجيش السلجوقى (٥) ، وعلى رأسهم شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين الذى سار بنفسه إلى أصفهان شاكيا من أبى شجاع (٦) .

ويرجع الفضل إلى وزراء السلاجقة فى تثبيت أقدام السلاطين على العرش ، ويكفى ما فعله نظام الملك وأولاده من أجل سلاطين السلاجقة فكان الاستقرار الذى نعمت به الدولة السلجوقية يعزى إلى كفاءة هذا الرجل وبنيه ، فقد كانت الأسرة السلجوقية والدولة كلها رهن تصرف أسرة آل آسحق أى نظام الملك ، وأبناء إخوته وأبناء أعمامه ، وأولاده ، وأصحاره (٧) .

ألقاب الوزراء :

تلقب الوزير فى العصر السلجوقى بألقاب فخرية جديدة ، مضافة إلى أسمائهم (٨) ، ويرجع السبب فى تعدد الألقاب فى هذا العصر سواء أكان لوزراء السلاطين ، أو وزراء الخلفاء

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٩ ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ٤٧٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٣٢ .

(٤) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٢١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٥٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٨٦ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٤٧٦ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، إقبال : الوزارة ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٨) حسن الباشا : الألقاب ، ص ٦٤ .

إلى عاملين أولهما : أن بعض الوزراء كان يحمل لقباً قبل أن يلى الوزراء ، فلما ولى المنصب لقبه الخليفة لقباً ثانياً كالتبع فى تقليد الوزراء^(١) .

ثانيهما : حرص الخلفاء والسلاطين على منح الوزراء الذين يبذلون جهداً كبيراً فى خدمة الدولة ألقاباً خاصة تقديراً لكفاءتهم ، وقد ظهر تعدد ألقاب وزراء الخلافة العباسية بشكل واضح خاصة فى أثناء نزاع الخلافة مع السلطنة السلجوقية للتخلص من نفوذها^(٢) .

وتجلت فى الألقاب ظاهرة بالإضافة إلى الدين ، بالنسبة لوزراء الخلفاء العباسيين ، كظهير الدين ، وجلال الدين ، وعون الدين^(٣) ، أما بالنسبة ، لوزراء السلاطين السلاجقة فكان يضاف إلى ألقابهم (الملك) مثل عميد الملك ، ونظام الملك ، وفخر الملك ، ومؤيد الملك ، وتاج الملك^(٤) .

ويعتبر السلطان طغرل بك أول من أضفى لقب الملك إلى وزيره ، مثل نظام الملك الدهستانى أول من لقب بنظام الملك^(٥) وعميد الملك الكندرى ، الذى زاد فى ألقابه بـ (سيد الوزراء) مضافاً إلى عميد الملك عندما قضى على فتنة البساسيرى^(٦) .

ويعتبر نظام الملك الطوسى أول وزير سلجوقى ، يتلقب بأكثر من لقب فى العهد السلجوقى ، ويرجع هذا إلى إخلاصه فى عمله ، ومكافأة له على جهوده ، فقد كان فى عهد ألب أرسلان يلقب بنظام الملك (خواجه برزك) - أى الوزير العظيم - ثم زاد الخليفة القائم فى تكريمه فلقبه بـ (قوام الدين والدولة رضى أمير المؤمنين)^(٧) ، ولما ولى ملكشاه السلطنة زاد فى ألقابه نظام الملك . أتابك الجيوش^(٨) .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١١ ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٣١ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، حسن الباشا : الألقاب ص ٦٤ .

(٤) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤-٢٦٤ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٩ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٨٠ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٣ ، وما بعدها ، نظام الملك : المقدمة سياسة نامه ص ١٥ .

(٨) نظام الملك : المقدمة ، سياسة نامه ، ص ١٥ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ابن

الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٨٠ .

ولقب أيضا بتاج الحضرتين لأنه وزر لسلطانين ، فى حين أن الخلفاء لم يمنحوا لقباً لآى وزير سلجوقى غيره^(١) ومدحه الشعراء بهذا اللقب فقال أحدهم : أى نظام الملك المحمود ياشمس العصر وزين الدنيا والدين وزينتته الناس يهتفون (رضى أمير المؤمنين) بحر إذا تحرك، طود إذا سكن^(٢) .

كما لقب أيضا من قبل سلاطين السلاجقة بلقب (قوام الدين) وصدر الإسلام ، وسيد الوزراء والخواجة الكبير ، الصدر الأجل ، خليفة السلطان ، غياث دولة السلطان ، وزير ملك بلاد السلاجقة غياث الدولة ، والصدر الأجل ، قوام الدين^(٣) ، وظل بعض هذه الألقاب كقوام الدين بلقب به وأولاده ، وأحفاده ، ممن شغلوا منصب الوزارة لسلاطين السلاجقة^(٤) .

علامات (شارات) الوزير :

للوزير السلجوقى علامة خاصة به فى التوقيع أسوة بالسلطان ، فالوزير السلجوقى العظيم نظام الملك كانت علامته فى التوقيع (الحمد لله على نعمة) ^(٥) ، وظلت هذه الشارة سارية طوال عهد أسرة نظام الملك شأنها شأن علامة السلطان السلجوقى والتي تعبر عن شكر الله على نعمة ، وكانت الدواة من شارات الوزارة السلجوقية أيضا^(٦) . إلى جانب القلم والسيف.

العلاقة بين الوزير والسلطان :

كانت العلاقة بين السلطان السلجوقى ، ووزيره قويه ، فهو الذى اختاره ، ووزره ، وهو ساعده الأيمن ، والأعلم بسره ، بل هو الذى فوضه بالسلطة فقد قال ملك شاه لنظام الملك : "قد رددت إليك الأمور كبيرها وصغيرها ، قليلها وكثيرها ، وما منى اعتراض عليك ، ولا رد لما يكون منك ، وأنت الوالد^(٧) ، وحلف له ، وأقطع طوس يلبده ، وتقدم بإضافة

(١) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

(٢) نظام الملك : المقدمة ، سياسة نامه ص ١٥ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٧١ - ٧٥ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٥٠٣ وما بعدها .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٧٩ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٥ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٧٨ .

الخلع عليه ، وأعطاه دواة وعليها ألف مثقال ، ومدرجة^(١) محلاة بألف مثقال ، ومائة ثوب ديباج ، وعشرين ألف دينار ، ولقبه أتابك ، ومعناه الأمير الوالد^(٢) .

وإذا لاحظ السلطان خطأ فى تصرفات وزيره ، استدعاه إلى حضرة السلطنة ، وحذره من عاقبة تكراره ويرى نظام الملك^(٣) أن ذلك أفضل من معاقبته جهرا لأن ذلك يفيض ماء وجهه ، ولا يدانى مقامه الأول مهما حسنت أحواله بعد ذلك .

وإذا نشأ خلاف بين الوزير وبين بعض أرباب الوظائف العليا ، تدخل السلطان حتى لا تسوء العلاقة بين الوزير ، وموظفى الدولة ، ففى سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م أرسل خمارتكين شحنة بغداد إلى السلطان طغرلبيك يشكو وزيره عميد الملك الكندرى ، فورد كتاب من السلطان لوزيره يأمره بالرفق ، وأن لا يخاطب فى هذا الأمر إلا بالجميل^(٤) .

وجرى الوزير السلجوقى على رسم خاص عند لقائه بالسلطان ، وهو تقبيل الأرض بين يديه ، فعندما زار ملك شاه دار نظام الملك - وكان معه اثنان شاكيان خرج نظام الملك مسرعا وقبيل الأرض بين يديه ، وعرض السلطان عليه الشكوى ، فقبل الأرض ، وسار فى خدمته ثم عاد^(٥) .

ولم يحدث طوال عهد طغرلبيك ما يعكر الصفو بينه وبين وزيره الشهير الكندرى ، ولا فى أثناء تولى ألب أرسلان ووزيره نظام الملك ، ولكن العلاقات ساءت بين ملكشاه ونظام الملك فى أواخر حياتهما وتبادل الاثنان الرسائل إلى تنم عن الكراهية التى تولدت بينهما ، وانتهت بمقتل "الخواجه برزك" ، والذى اتهم ملكشاه بقتله^(٦) .

(١) مدرجة : نوع من الثياب .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سياسة نامه ص ١٦٢ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٧٣ .

(٦) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

راتب الوزير :

كان من الطبيعي أن يتقاضى الوزير فى العصر السلجوقى راتبا منتظما سواء أكان وزيرا للخليفة ، أو وزيرا للسلطان السلجوقى ، على اعتبار أنه يتقلد منصبا من أهم مناصب الدولة (١) .

ولكن يجب أن نقرر من البداية أن بعض من تولوا منصب الوزارة فى العصر السلجوقى كانوا من الأثرياء ولم يكن الراتب الشهري دافعا لهم للتطلع للوزارة ، فالوزير أبو الفتح بن دارست ، وزير القائم كان من كبار التجار ولم يتقاضى راتبا أثناء وزارته للخليفة (٢) ، وكان الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذارورى يملك حين تولى الوزارة سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م مبلغا مقدارة ستمائة ألف دينار (٣) .

وكان نظام الملك أشهر وزراء السلاجقة ينفق كل سنة على الفقهاء ، والقراء والمتصوفة ، ستمائة ألف دينار (٤) ، وقيل سبعمائة ألف (٥) ، حتى قيل - "لو جيش بها جيش لغزا باب القسطنطينية" (٦) . وكانت سببا فى العداوة بينه وبين تاج الملك أبى الغنائم .

كذلك كان أولاد الوزير نظام الملك الذين تعاقبوا فى وزارات السلاجقة أثرياء ، ولم يهمهم أن يتقاضوا مرتبات من خزينة الدولة بقدر حرصهم على الوزارة ، ويذكر الراوندى (٧) أن (فخر الملك بن نظام الملك قدم للسلطان بركياروق عند توليه الوزارة هدية عظيمة من التحف والآلات والخيام والطبول والأسلحة ، والأدوات المرصعة بالجواهر والخيول العربية الفارسة ، والصقور المدربة على الصيد والدروع الجميلة" .

(١) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٢٨ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ ص ٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ورقه ٢٢٣ ، ابن كثير : البداية ج ١٢ ص ١٥٠ .

(٤) العروض السمرقندى : ج ٨٣ ص ٨٣ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ص ٦٧ .

(٦) الحسينى : نفسه ص ٦٧ .

(٧) راحة الصدور ص ٢٢٠ .

وكان راتب الوزير السلجوقي مقداره عشر ما تحصل عليه الدولة من إيرادات الإقطاعات^(١)، ويعتبر نظام الملك هو أول من ابتكر هذا النظام^(٢)، وقد صرف هذا الراتب لمن جاء بعده من الوزراء أسوة به^(٣)، هذا فضلا عن الإقطاعات التي كان يقطعها سلاطين السلاجقة لوزرائهم، فقد أقطع ملك شاه وزيره نظام الملك سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م إقطاعات جديدة كان من جملتها مدينة طوس مسقط رأس وزيره^(٤).

وكان لفخر الملك ابن نظام الملك إقطاعات في فارس أقطعها والده له^(٥)، وإلى جانب ذلك وجدت دخول أخرى لوزراء السلاجقة، مثل اشتغالهم بالتجارة، فقد عمل فخر الملك ابن نظام الملك بالتجارة، أثناء وزارته للأمير ملكشاه عندما فوضت إليه مملكة فارس سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، نيابة عن والده ألب أرسلان^(٦).

وقد تأثر خلفاء بنى العباس بسلاطين السلاجقة، خاصة حينما منحوا وزراءهم رواتبهم عن طريق الهبات والإقطاعات فقد منح الخليفة المقتدى بأمر الله العباسي وزيره أبا شجاع الروذارورى سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م، إقطاعا ببضعة عشر ألف دينار^(٧).

وظل منح الوزير اقطاعات كراتب له معمولا به في الدولة السلجوقية، والعباسية، وغيرها من الدول الإسلامية التي عاصرتهم وأعقبتهن^(٨)، وكان الوزراء يوكلون إدارتها

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠ ص ١٣١، القزويني: آثار البلاد، ص ٤١٢، حسين أمين: تاريخ العراق ص ١٩٣، نظم الحكم ص ٢١٦، حسن محمود: العالم الإسلامي ص ٥٨٠-٥٨١، محمود اسماعيل: الإقطاع الإسلامي منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجري، حوليات كلية الآداب (الكويت ١٩٨٩م) الحولية ١١ ص ٤٨، ٤٩.

(٢) سياسة نامه ص ١٧٤، ابن الأثير: الكامل ج ١٠ ص ١٣١.

(٣) الزهراني: نظام الوزارة ص ١٢٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ١٠ ص ٨٠.

(٥) عبد الهادي محبوبة: من رسائل الملك، مثال منشور بمجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٢، القاهرة مايو ١٩٦١م) ص ٣٠، ٣١.

(٦) عبد الهادي محبوبة: نفسه ص ٢٠.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ٩٠٩.

(٨) محمود اسماعيل: الإقطاع، ص ٤٨، ٥٠.

إلى وكلاء عنهم^(١) ، أما أقصى ما حصل عليه وزير عباسى فى هذا العهد فكان فكان ألف دينار سنوياً^(٢) .

وزير الخليفة ووزير السلطان :

عندما دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م تنفس الخليفة العباسى الصعداء وسمحوا له باتخاذ وزيراً^(٣) له ، وكانت سلطة الوزير السلجوقى قوية يستمدّها من قوة سلطنة^(٤) فكثيراً ما تدخل الوزير السلجوقى فى أمر وزير الخليفة^(٥) وكثيراً ما جاهر الوزير السلجوقى بعدائه للخليفة ووزيره ، وأخذ يتدخل فى تعيينه^(٦) .

وحاول بعض سلاطين السلاجقة ، تعيين وزير للخليفة ليكون عيناً له على الخليفة ، ففى سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م حاول السلطان ألب أرسلان أن يعين أحد خواصه وهو أبو العلاء بن الحسين وزيراً للخليفة القائم ، غير أن الخليفة رفض تعيينه^(٧) .

وتدخل نظام الملك أشهر وزراء السلاجقة بدرجة كبيرة فى تعيين الوزراء العباسيين ، ففى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م عزل الوزير فخر الدولة بن جهير^(٨) كما سبق القول ، ولكن فخر الدولة أزال هذا الجفاء بينه وبين النظام بل زوج ابنه من نظام الملك فأعادته إلى الوزارة ، فقال الشاعر

(١) ابن الساعى : الجامع المختصر فى عيون التاريخ والسير ، ج٩ (بغداد ، ١٩٣٤م) ، ص ٢٧ ، ٢٩٣ ، بدرى محمد فهد : تاريخ العراق فى العصر العباسى الأخير ، (بغداد ١٩٧٣م) ص ٣٢٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ، ص ٩٠ ، ابن كثير : البداية ، ج١٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٥٠ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٦ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٥٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٤٤ ،

ابن الهبارية فى ذلك :

قل للوزير ولا ترهبك هيبتته

وإن تجبر واستعلسى بمرتبة

لولا صفية ما استوزرت ثانية

فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به

وصفية التى يقصدها الشاعر هى ابنة نظام الملك التى تزوجها ابن الوزير ابن جهير^(١) .

وفى سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م أرسل الخليفة المقتدى وزيره فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملك شاه ليخطب له ابنته ، فنجح الوزير فى مسعاه ، وعقدت المصاهرة بمعاونة الوزير نظام الملك^(٢) ، وهكذا كان يقوم الوزير العباسى بدور السفير بين السلطان والخليفة .

وكان السلطان السلجوقى يتدخل فى قرارات الخليفة بالنسبة لوزيره ، فحينما غضب الخليفة المقتدى على عميد الدولة ابن جهير سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م ، وعزله من الوزارة طلب السلطان ملكشاه ، إلى الخليفة أن يسمح لبنى جهير بالتوجه إليه ، فسار بنو جهير إلى ملكشاه الذى أنعم على فخر الدولة وولاه ديار بكر ، وسير معه العساكر العساكر للاستيلاء عليها ، كما سمح له أن يقيم الخطبة لنفسه ويضرب السكة باسمه^(٣) .

وفى سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م طلب نظام الملك إلى الخليفة المقتدى عزل وزيره أبى شجاع بن الحسين الهمدانى الذى وزر له عدة مرات ، وعين نائبا فى الوزارة ، وأمره أن يستوزر عميد الملك بن جهير فأجابه إلى ذلك ، وخرج الهمدانى من الوزارة^(٤) ، وقد تعرض الهمدانى أكثر من مرة لغضب السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك ، حتى عزل نهائيا من الوزارة سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ، فانصرف إلى داره ، وهو ينشد تولاهها وليس له عدو .. وفارقها وليس له صديق^(٥) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٩ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١١٦ - ١٣٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٨ .

والوزير العباسى فى العصر السلجوقى كان ينظر فى أمر الأموال والأجناد ، ويسوسها على مايليق به ، وعليه النظر فى جميع الدواوين ، ويستعرض حساباتها وأعمالها ويقوم معوجهم ويصلح فاسدهم^(١) .

ولقب وزراء بنى العباس فى العصر السلجوقى بألقاب جديدة وكثيرة ، مضافة إلى أسمائهم ، ولم يكن من قبل قد ألفوا هذه الظاهرة ، فمعظم الوزراء العباسيين كانوا يعرفون بأسمائهم دون لقب إلا الوزير الأول فى الدولة العباسية الذى لقب بوزير آل محمد ، وهو أبو سلمة الخلال^(٢) ، ولكن فى العصر السلجوقى أصبح لهم ألقاب كثيرة ، فأول وزير عباسى فى هذا العهد ، وهو أبو القاسم بن المسلمة تلقب بأكثر من لقب ، منها رئيس الرؤساء ، جمال الورى ، شرف الوزراء^(٣) ، ولقب ابن جهير بلقب فخر الدولة^(٤) ، كما لقب ابنه المنصور بلقب عميد الدولة^(٥) ، كما تلقب الوزير أبو الفتح بن المظفر بلقب زعيم الرؤساء^(٦) ، ولقب الوزير أبو شجاع الهمداني بلقب ظهير الدين^(٧) .

ومن أشهر وزراء بنى العباس عصر السلاطين العظام :

١- أبو القاسم على بن الحسن بن المسلمة : الملقب برئيس الرؤساء ، الذى وزره الخليفة القائم بأمر الله بعد أن اتخذه كاتباً له^(٨) ، وقام بدور كبير فى فتنة البساسيرى ، وقتل على يديه^(٩) .

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٢) أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٤) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ص ٢٢٧ .

(٨) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٥ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ .

- ٢- أبو الفتح بن دارست : الذى وزر للقائم وعزل سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م^(١) .
- ٣- محمد بن محمد بن جهير : الملقب بفخر الدولة ، وزر للقائم سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م ، وهو الذى أخذ البيعة للمقتدى بالله سنة ٤٦٨هـ/١٠٦٥م بعد وفاة جده القائم ، وتولى وزارته ، وظل وزيرا حتى عزل سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م بناء على أمر نظام الملك ، ثم عاد لها ثانية سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م^(٢) .
- ٤- أبو شجاع محمد بن الحسين الهمداني : الذى عزل بناء على أمر ملكشاه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م^(٣) .
- ٥- أبو الفتح بن المظفر : الملقب بزعيم الرؤساء وعزل سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م^(٤) .

منصب نائب الوزير :

لم يكن منصب نائب الوزير من مبتكرات العصر السلجوقى ، ولكنه ظهر بشكل واضح فى هذا العصر ، حتى ألف الناس وجوده ، وأصبح مظهرا من مظاهر تطور الوزارة^(٥) ، فقد ظهر هذا المنصب فى بعض فترات العصر العباسى فى سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م استوزر الخليفة الراضى بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) أبا لفتح بن جعفر بن الفرات عامل الخراج بمصر والشام ، فأناوب أبو الفتح عنه فى وزارة الخليفة ببغداد أبا بكر بن على النقرى^(٦) ، وفى أوائل العصر البويهى كان أبو محمد الحسن بن المهلبى ينوب فى الوزارة للأمير معز الدولة البويهى . ٣٢-٣٥٦هـ/٩٣٢-٩٦٧م ، أثناء غياب وزيره أبى جعفر الصعيدى عن بغداد^(٧) .

ولكن نيابة الوزارة هذه ، لم تكن منصبا ثابتا ضمن وظائف الدولة الكبرى ، كمنصب الوزير ، وكاتب الإنشاء وقاضى القضاة مثلا ، بل أنه كان منصبا مؤقتا ، وكان الخليفة

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٥ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

(٥) الزهرانى : نظام الوزارة ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ص ٣٦٨ ، ٤٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٣٥٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٨٥ .

العباسى أو السلطان السلجوقى يعين نائب للوزير خاصة فى الفترات التى تلى عزل أحد الوزارة حتى لا تتعطل أعمال الديوان الإدارية والمالية فإذا ما تم اختيار وزير جديد سرعان ما يعزل نائب الوزير^(١).

وكان الوزير فى بعض الأحيان يعين نائباً عنه فى الوزارة ، إما لغيابه عن حاضرة الخلافة أو لانشغاله فى قيادة الجيوش لمحاربة أعداء الدولة ، وقد يلجأ الوزير إلى تعيين نائب له إذا أيقن أنه لا يستطيع بمفرده القيام بأعمال الوزارة ، وفى سنة ٤٨١هـ / ١٠٨١م سار الوزير ظهير الدين بن الحسين إلى الحج ، وأتاب عنه ابنه "ربيب الدولة" ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى^(٢) .

وكان يراعى فيمن يلى نيابة الوزارة ، أن يكون من كبار موظفى الديوان ، ككاتب الإنشاء ، أو قاضى القضاة أو نقيب النقباء ، وذلك إضافة إلى أعمالهم الأساسية ، حيث كانت نيابة الوزارة عملاً مؤقتاً دعت الحاجة إليه ولهذا لم يكن لعزل نائب الوزير تأثير فى وظيفته الأساسية^(٣) . وكان ذلك أيضاً من رسوم السلاجقة ، حيث كان هناك نائب للوزير السلجوقى يتولى شئون الوزارة إذا غاب الوزير فى حرب أو حج^(٤).

محاسبة الوزير وعزله :

إذا لاحظ السلطان السلجوقى خطأ فى تصرفات وزيره يستدعيه إلى دار السلطنة ويحذره من عاقبة تكراره^(٥) .

أما عزل الوزير ، فقد جرت العادة أن يصدر توقيع من السلطان السلجوقى بعزله فى سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م خرج توقيع فى شهر صفر إلى الوزير عميد الملك بن جهير بعزله وجاء فى هذا

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٣٠ ، ١٣٦ ، ٣١٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٦٨ .

(٣) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٣٧ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٦٢ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ١٠٤ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٦٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٢٠ .

التوقيع : "انصرف من الديوان إلى دارك ، وخل ما أنت منوط به" (١) فخرج والده وأهله ، من غير استئذان الخليفة ، وهذا يدل على سعة نفوذ وقوة السلطان السلجوقي .

وزير زوجة السلطان :

كان لزوجات السلطان السلجوقي وزير يدير شئونها خاصة عندما قويت الدولة السلجوقية ، فتركبان خاتون بنت طمغاخ خان ، زوجة ملك شاه ، وأم ولده محمود (٢) كان لها وزير خاص بها وهو "تاج الملك أبو الغنائم" (٣) وكان يعهد لوزير زوجة السلطان بشئون الملابس السلطانية ، وبذلك يكون هذا الوزير مختصا بالشئون الخاصة بالسلطان السلجوقي - إلى جانب إدارته لشئون زوجة السلطان - الإدارية والمالية والحربية (٤) .

وزراء أمراء الأقاليم :

كان لكل وال من ولاية الأقاليم وزير ، يخضع للأمير مباشرة ، فهو الذى يعينه ويصرفه ، فأبو على شادان كان وزيرا لجغرى بيك داود فى أثناء ولايته على مرو (٥) ، وعمل نظام الملك بمنزلة وزير لألب أرسلان فى أثناء ولايته على مرو قبل سلطنته (٦) .

وقد أورد عباس إقبال مرسوما بتعيين وزير ، يتضح منه رسوم السلاجقة فى تعيين وزرائهم ، كما يبين مهام الوزير ، والشروط الواجب توافرها فيه ونصه .

ثالثا : الكتابة :

تطور منصب الكتابة : قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم "الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم" (٧) وقال سبحانه "ولا يضار كاتب ولا شهيد" (٨) وقال تعالى "وإن كنتم

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٤ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٥) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، إقبال : الوزارة ص ٦٠ .

(٧) سورة العلق ، آية ٤ ، ٥ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .

على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة^(١) " ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قيدوا العلم بالكتابة"^(٢) ، وفى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب كتاباً ، أن رحمتى سبقت غضبى"^(٣) .

وقيل أن لوطاً (عليه السلام) كان كاتباً لإبراهيم (عليه السلام) ، وكتب يوسف للعزيز ، ويحيى بن زكريا لعيسى (عليهما السلام) ، ويوشع وهارون لموسى (عليهم السلام) ، وكان على بن أبى طالب (رضى الله عنه) يكتب العهود للرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وكان الزبير بن العوام يكتب له أموال الصدقات ، وكتب له حذيفة بن اليمان رضى الله عنه المعاملات ، وكتب عثمان بن عفان وغيرهم رسائله إلى الملوك والأمراء^(٤) ، وقيل إن كتابه (صلى الله عليه وسلم) ، كانوا نيافاً وثلاثون كاتباً ، وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه كاتباً لأبى بكر الصديق (رضى الله عنه) وكتب مروان بن الحكم لعثمان بن عفان لما ولى الخلافة ، وكان عمرو بن سعيد بن العاصى كاتب ديوان المدينة فى العصر الأموى^(٥) .

وهكذا كانت صناعة الكتابة لا يستغنى عنها ، فشأنها شأن اللسان العربى^(٦) ، وسار عليها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم بنو أمية الذين اهتموا بكتابهم ، فاتخذوهم من صفوة المثقفين ، وتعدد الكتاب فى عهدهم فصاروا خمسة الأول اختص بكتابة الرسائل ومخاطبة الملوك والأمراء وعمال الولايات والأمصار ، والثانى بتدوين الحساب للخراج والثالث يقيد أسماء الجند وأعطياتهم ، والرابع للشرطة ، والخامس للمقضاء^(٧) ، وكان أعلاهم مركزاً هو كاتب ديوان الرسائل^(٨) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٨٣ .

(٢) صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٨٣١ .

(٣) صحيح البخارى ، ج٢ ص ٤٥١ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١ ص ٩٢ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٤٥ .

(٥) أسعد بن ممتى : قوانين الدواوين ، حققه عزيز سوريال عطيه (القاهرة ١٩٤٣م) ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٦ .

(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١ ص ٩٢ .

(٨) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج١ ص ٤٥٢ .

الشروط الواجب توافرها فى الكاتب :

يعتبر عبد الحميد بن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ١٢٧-١٣٢هـ/٨٤٤-٧٥٠م من أشهر الكتّاب فى العصر الأموى وغيره ، وقد بعث رسالة إلى زملاء المهنة قائلًا فيها "يجب أن يكون الكاتب حليما فى موضع الحلم ، مقداما فى موضع الأقدام ، محجما فى موضع الإحجام ، كتوما للأسرار ، عالما بالنوازل كما نهى الكتاب عن المطامع ، وسفاف الأمور ، وأن يتجنب الكبر والسخف والعظمة^(١) ، وكان الكاتب فى العصر الأموى هو الوزير فى العصور التالية .

وينبغى أن يكون الكاتب كريم الأصل ، شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، حرا مسلما صادقا ، أديبا فقيها ، عالما بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) شديد الأنفة ، كريم الأخلاق ، عالما بالعربية وغيرها ، وبأشعار العرب ، وأيامهم وأحاديثهم وسيرهم ، وعليه أن يكتب إلى كل إنسان بما يلائم أصله ونسبه وملته ، وأن يوجز فى الكتابة لأن فصحاء العرب قالوا "خير الكلام ما قل ودل"^(٢).

وبعد أن استقر الحكم لبنى العباس سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م ، اتخذوا الكتاب والوزراء ، وغلب الفرس على دواوينهم منذ وقت مبكر^(٣) ، وزاد اهتمام بنى العباس بالكتابة ، فأصبح لكل ديوان كاتب ، كان أعلاهم كاتب ديوان الرسائل لقربه من الخليفة^(٤) ، وقد ذكر العصر العباسى بطائفة من الكتاب لم يجود الدهر بمثلهم^(٥) وقد أوردت أسماؤهم وصفاتهم كتب الأدب .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، العروضى السمرقندى : جهاز مقالة ، ص ١٠١ هامش (١٠) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٦-٢٥١ ، ابن ممتى : قوانين الدواوين ص ٦٥ ، ٦٦ ، العروضى : جهاز مقالة ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ١٠٣ .

(٤) القلقشندي : نفسه ص ١٠٣ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ .

(٥) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٣٣٢ .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر السلجوقي ، وجب أن نقرر أن السلاجقة كانوا بداية لا خبرة لهم بشئون الوظائف الإدارية ، والدواوين ، ولا علم لديهم بأخبار الملوك السابقين ، وكانوا غير مثقفين ، فاضطرهم ذلك إلى استخدام عدد كبير من الموظفين فى الدواوين المختلفة^(١) .

ومن ثم برزت طبقة الموظفين من العرب والفرس والترك ، وازداد نفوذ بعضهم ، وخاصة طبقة الوزراء والحجاب والكتاب ، حتى أنهم استطاعوا فى بعض الأحيان السيطرة على سلاطين السلاجقة وتوجيههم وفق إرادتهم^(٢) .

ولقد تعددت الدواوين فى العصر السلجوقي^(٣) ، فكثر عدد الموظفين العاملين فيها ، وخاصة الكتاب الذين اهتم بهم سلاطين السلاجقة ، وقد أدى تعدد الدواوين إلى تعيين عدد كبير من كبار الموظفين للإشراف عليها ، وكان كل واحد يسمى (الكتاب) وكان أشهرهم كاتب ديوان الرسائل ، وكاتب ديوان الخراج ، وكاتب ديوان الجند^(٤) .

وكان كاتب ديوان الرسائل من أهم هؤلاء الموظفين فى البلاط السلجوقي ، نظرا لأن مهمته كانت تحرير الرسائل السياسية ، والأوامر السلطانية بعد اعتمادها من السلطان ، ومراجعة الرسائل الرسمية ، ووضعها فى صيغتها النهائية ، ثم ختمها بخاتم السلطان ، وكان يجلس السلطان فى مجلسه ، يتولى مخاطبته مباشرة^(٥) .

وحدد ابن الصيرفى ، وابن خلدون الصفات الواجب توافرها فى كاتب ديوان الرسائل ، فيجب أن يكون ذا دين وورع ، وأمانة ، فإنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة ، يتحكم فى أرواح الناس وأموالهم ، لأنه لو زاد كلمة أو حذف حرف ، أو كتتم شيئا من علمه ، أو تأول لفظا بغير معناه أو حرفه عن جهته ، أدى ذلك إلى ضرر كبير ، ويجب أن يختار من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروءة ، وعارضة البلاغة ، ويجب أن يكون وقورا حليما ، كما للسر ..

(١) حسنين : سلاجقة إيران ، ص ١٦٧ .

(٢) سعاد ماهر : أثر الماوردى فى الفن السلجوقي ، ص ٤٥ .

(٣) انظر : ص ١٥٥ من الرسالة .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ٥٧ ، ٥٩ ، حسنين : سلاجقة إيران ص ١٦٧ .

(٥) قانون ديوان الرسائل ، ص ١٥-٢١ ، المقدمة ، ص ٢٤٦-٢٤٨ .

ولقد دقق سلاطين السلاجقة فى اختيار كتابهم ، لقربهم منهم واطلاعهم على أدق أسرارهم ، فأول سلاطينهم طغرلبيك اتخذ كاتباً يحرر له الرسائل التى كتبها ، ويبحث بها إلى السلاطين والأمراء الغزنويين ، وأمراء الدول المجاورة ، والخليفة العباسى^(١) .

ومن أشهر كتاب طغرلبيك وزيره عميد الملك الكندرى فى بدايته والذى اتخذ (دهخد أبا البدر مظفر بن دهخدا أبا الحسن بن محمد القصرى) كاتباً لديوانه^(٢) ، وشيخ الدولة أبا الحسن على بن محمد بن عيسى البرکردزى^(٣) ، والشيخ أبا بكر العبدى الذى يعتبر من أشهر وأكبر كتاب طغرلبيك وشعرائه ، وكان كاتب ديوان الوزير أبو القاسم الجوينى^(٤) ، وكذلك الشيخ أبو بكر بن المستعين شريك الشاعر الباخرزى فى ديوان الميكالى الوزير^(٥) .

ومنهم أبو الفتح مسعود بن محمد بن سهل وزير الأمير بيغو ، وأبو نصر أحمد بن حسن الباخرزى وزير حسن ابن موسى ييغو فى هرات^(٦) ، وقد عمل نظام الملك الطوسى فى بداية أمره كاتباً لجغرى بيك داود ثم لابنه ألب أرسلان فى خراسان ومرو^(٧) .

ولقد اهتم ألب أرسلان وملكشاه بديوان الرسائل ، لأن رسائلهم التى صدرت من بلاطهم كانت كثيرة^(٨) ، ومن أشهر كتابهم نظام الملك الطوسى فى بدايته ، وأبو الرضا فضل الله أبو نصر الزوزنى ، وكمال الملك الأديب أبو جعفر محمد بن مختار الزوزنى ، وأبو الغنائم تاج الملك المرزبان ، وعميد الملك جمشيد بن بهمنيار^(٩) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦-١٦٨ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧ ، ٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٢٢٦ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ١٢ ، إقبال : الوزارة ص ٦٨ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ٦٦ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٦ .

(٥) إقبال : الوزارة ص ٦٦ ، وكان ابن حنبل أحد كتاب طغرلبيك . الراوندى : راحة الصدور ١٧٣-١٧٤ .

(٦) إقبال : الوزارة ص ٦٦ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٤ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٠٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، الخالدى : النظم فى العراق ص ١٨٧ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٨٥ ، إقبال : الوزارة ص ١٠٥ - ١٠٨ .

ولقد خط هؤلاء الكتاب الرسائل المهمة إلى الملوك والأمراء ، وخلفاء بنى العباس ، وأباطرة بيزنطة^(١) . كما عرف العصر السلجوقي كتابا آخرين للدواوين المختلفة ، فكان هناك كاتب لديوان الخراج ، وآخر لديوان عرض الجيش ، وكاتب لديوان الأشراف ، وكاتب ديوان الاستيفاء ، ويختار لها أشخاص عرفوا بالتدين وحسن الخلق والنزاهة والكتمان ، ويفضل من كان ذا خط حسن جميل^(٢) .

على أن أشهر هؤلاء كان كاتب ديوان الرسائل ، لأنه كان يخالط السلطان ويلزمه ، ويتصل به اتصالا مباشرا فأطلع على أدق تفاصيل وأسرار السلطنة السلجوقية ، مما جعل الكتابة بهذا الديوان من المناصب المهمة ، والتي يكثر التنافس حولها^(٣) .

ومثلما اتخذ سلاطين السلاجقة كتابا لهم ، اتخذ خلفاء بنى العباس المعاصرون لهم كتابا أيضا فى دواوينهم^(٤) ، وكان كاتب ديوان الرسائل من أشهر الكتاب فى العصرين السلجوقي والعباسي .

ألقاب الكاتب :

نظرا لأهمية الكتاب وأهميتهم السياسية والاجتماعية فى البلاط السلجوقي ، فقد منحهم السلاطين ألقابا خاصا بهم ، فأبو القاسم الجويني (الكوباني) الذى كتب رسالة طغرلبك إلى الخليفة العباسي سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م كان يلقب بـ (سلار بوزكان) أى قائد ورئيس ومقدم القوم^(٥) .

وقد أفاض ألب أرسلان وملكشاه على كتابهم الكثير من الألقاب مثل نظام الملك ، وعماد الدين ، وكمال الدولة وكمال الملك ، وناصر الدين ، وجمال الدين ، وتاج الملك^(٦) ، مما يدل على أهمية الكاتب .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، ٤٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ١٠٤-١٠٦ .

(٣) حسين أمين : النظم ص ٢١٩ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ١٠٤-١٠٦ .

(٥) حسنين : قاموس الفارسية ص ٤٨٢ ، إقبال : الوزارة ص ٦٤ .

(٦) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ٢٣٢ ، إقبال : الوزارة ص ٨٨ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ١٣٥ ، ١٥٦ .

حسين أمين : النظم ، ص ٢١٩ .

رابعاً : الحجابة :

تطور منصب الحاجب : يقصد بالحاجب الشخص الذى يقف بباب الخليفة ليحجبه عن الناس ، ويفلق بابه دوتهم أو ينظم دخولهم عليه مراعيًا فى ذلك مكانتهم وأهمية أعمالهم^(١) ، ولم يمنع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا الخلفاء الراشدون أحداً من الدخول عليهم ، بل كانوا يخاطبون الناس دون حجاب^(٢) ، كما يتضح من كلام ابن خلدون^(٣) "وأما مدافعة ذوى الحاجات عن أبوابهم فكان محظورا بالشرعة فلم يفعلوه" .

ولكن بعد حادثة الخوارج ، وعمليات الاغتيالات التى تعرض لها على ومعاوية وعمرو بن العاص سنة ٤٠هـ / ٦٥٩م ، وانتقال الخلافة من الشورى إلى الملكية على يد معاوية بن أبى سفيان ، حتمت هذه الظروف ضرورة الاهتمام بباب الخليفة ، وسده دون الجمهور ، فاتخذ معاوية حاجبا له ، وسار سنة من بعده^(٤) .

وتوخى بنو أمية الدقة فى اختيار حجابهم ولذلك قال عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م لحاجبه عندما خلع عليه المنصب "وليتك حجابة بابى إلا عن ثلاثة : المؤذن للصلاة ، فإنه داعى الله تعالى ، وصاحب البريد فأمر هام جاء به ، وصاحب الطعام لئلا يفسد"^(٥) .

وقد اقتدى خلفاء بنى العباس ببنى أمية ، فاتخذوا الحاجب الذى اقتصر عمله فى أول الأمر على حفظ باب الخليفة ، والاستئذان للداخلين عليه ، ثم سرعان ما استبد بالأمر ، وصار يمنع الناس عن مقابلة الخليفة إلا فى الأمور الهامة ، وهذا مايسميه ابن خلدون^(٦)

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٠ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ١٨٤ - ١٨٦ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٥٣ .

(٣) المقدمة : ص ١٩١ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٠ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، (دار

الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠م) ص ٦١ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٠ .

(٦) المقدمة : ص ٢٩١ .

"الحجاب الثانى" ، وصار بباب الخليفة العباسى دارين ، دار الخاصة ، ودار العامة ، وكان الخليفة يقابل كل طائفة فى مكان معين على ما يراه الحاجب (١) .

وبذلك ارتفعت منزلة الحاجب فى الدولة العباسية ، وأصبح الخليفة يستشيريه فى كثير من مهام الخلافة ، مما جعله يستبد فى بعض الأحيان بالنفوذ دون الوزير ، وهذا ما يطلق عليه ابن خلدون (٢) بالحجاب الثالث وهو أشد من الأولين ، الأمر الذى أدى إلى نشوب الخلاف بين الوزير والحجاب وكان سببا فى خروج أحدهما من عمله (٣) .

الحجاب برزك :

واستمر نظام الحجابة فى كل الدول الإسلامية فى المشرق الإسلامى ، وقد ورثه السلاجقة وأصبحت وظيفة الحاجب من الوظائف المهمة فى العصر السلجوقى ، فقد استخدم سلاطين السلاجقة الحجاب بالدركاه (باب السلطنة السلجوقية) ، وأطلقوا على صاحبها "حاجب برزك" أى الأمير الحاجب الكبير أو الحاجب العظيم ، لأنه كان من أهم اختصاصاته الاتصال بين الناس والسلطان السلجوقى ، أى أنه حلقة الوصل بين السلطان والوزير ، وكان يتلقى أوامره من السلطان مباشرة ، فهو وحده الذى يتلقى أوامر السلطان الشفهية (٤) ، ويبلغها للوزير وعلى الوزير تنفيذها (٥) ، مما جعل وظيفته حساسة ، وجعل منصبه من أهم المناصب فى الدولة لشدة قربيه من السلطان ، فكان من أهم رجال البلاط السلجوقى (٦) .

ويدل أيضا على مدى حرص سلاطين السلاجقة على أسرارهم وأنفسهم ، أن جعلوا الحاجب ولأول مرة هو همزة الوصل بين السلطان والوزير على الرغم من قرب الوزير من السلطان ، وهكذا أصبح كلام الحاجب هو كلام السلطان وعلى الوزير وغيره من موظفى الدولة تنفيذ أقواله (٧) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٩١ .

(٢) المقدمة ، ص ٢٩١ .

(٣) حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٨٣ ، ١٨٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٠٧ ، حسنين : إيران ، ص ١٦٤ .

(٥) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٣٢ .

(٦) حسنين : إيران ، ص ١٦٤ .

(٧) إقبال : الوزارة ص ٣٢ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٨٣ ، ١٨٥ .

رسوم تعيين الحاجب السلجوقى (حاجب برزك) :

من رسوم السلاجقة فى تعيين الحاجب أنهم جعلوا تعيينه من اختصاص السلطان نفسه^(١) ، فإذا رضى السلطان عن أحد من خواصه رفعه إلى درجة الحجابة .

ولقد ورث السلاجقة الكثير من النظم السياسية والإدارية عن الغزنويين الذين احتكوا بهم قبل دخولهم العراق وفارس ، فتعيين الحاجب الكبير كان يتم عن طريق السلطان فى كلا العصرين ، فإذا ما أسند المنصب إلى شخص ما ، فإنه يؤمر له بخلعة فاخرة ، ثم يدخل على السلطان مرتديا خلعة الحجابة ، وتتكون من قباء أسود اللون ، وقلنسوة ذات ركنين ، ثم يبارك السلطان له بها ، إلى جانب منطقة من ذهب ، والكؤوس والرايات العريضة والشارات والغلمان وأكياس النقود والكسوة^(٢) .

وقد سار سلاطين السلاجقة على أن يكون لهم حاجب برزك أى عظيم واحد فقط ، بعكس الغزنويين الذين تعدد حجابهم للسلطان الواحد^(٣) ، وإن كان وزراء السلاجقة وأمراء الأقاليم قد قلدوا وزراء الغزنويين وأمراء أقاليمهم فى اتخاذ حجاب لهم^(٤) .

اختصاصات ومهام الحاجب الكبير :

يختص الحاجب الكبير بنقل أوامر السلطان إلى كبار رجال الدولة ، وطلبات ورغبات الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان ، كما يقوم بالإشراف التام على مقر السلطان ومجلسه وشئونه الخاصة ، ويستشير السلطان فى كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، وكان يسند إليه مهمة قيادة الحملات الحربية ، ويعرض على السلطان الأمور المهمة التى يجب على السلطان بحثها ، وإبداء الرأى فيها^(٥) .

ومن مهام الحاجب تنظيم "الدركاه" فيعين مكان وقوف العبيد والخدم والأصاغر ، فيقف خاصة الملك من حملة السلاح ، والسقاء ، وأضرابهم بالقرب من سرير الملك ، ويلتفون حوله ، فإذا ما أراد شخص أن يندس بينهم أبعده حاجب البلاط^(٦) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٦٧ ، ادريس : رسوم ص ٩٣ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٤٩ ، ١٧٠ .

(٣) البيهقى : نفسه ص ١٤٦ ، ١٦٥ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٢٤ .

(٥) البيهقى : تاريخ ص ٥٢ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٨٣ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٦٢ .

ومن أهم وظائف الحاجب المحافظة على شخص السلطان من الثورات الداخلية ، فيعمل على إخمادها^(١) ، وهو المشرف على سير الأمور في الدولة في بلاط السلطان ، وله نائب يعاونه ، وهو نفسه "حاجب سلار" الذي كان في عهد الغزنويين^(٢) . وكان السلطان السلجوقي يعهد إلى حاجبه الكبير بقيادة الجيوش لمحاربة أعداء السلطنة خارج حاضرة السلطنة السلجوقية ، مثلما كان الحال في العصر الغزنوي^(٣) .

وكان الحاجب الأعظم (حاجب برزك) يشرف على الأمور في البلاط ، وكان نفوذه يصل - أحيانا - إلى درجة التدخل في شئون الدولة المختلفة ، وفي تعيين حكام الأقاليم وكثيرا ما استبد الحاجب بهذه الشئون دون الوزراء ، فكان أصحاب الدواوين يرجعون إليهم في المسائل المتعلقة بدواوينهم ، ولا يفصلون فيها إلا بعد الرجوع إليهم ، وكثيرا ما كان الحاجب يصبح هدفا لدسائس الوزير إذا زاد نفوذه ، وعظم استبداده بأمور الدولة لدرجة مخالفته لأوامر السلطان السلجوقي^(٤) .

وكان منصب الحجابة مصدر ثراء لمن يتولاها^(٥) ، مما أدى إلى زيادة التنافس حول هذا المنصب . ويعاون الحاجب نائب له يعاونه في تصريف أمور الدولة^(٦) ، وعليه تبليغ ما يريده الحاجب وتنفيذ أوامره ، وتصريف أعماله^(٧) . وعندما يريد شخص مقابلة السلطان السلجوقي يسمح له بالدخول دون حجاب إذا كان للشخص مظلمة ، ويحدث السلطان مشافهة ، ويطلب إليه إنصافه^(٨) ، وكان السلطان ملك شاه من أحرص سلاطين السلاجقة

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٦٧ .

(٢) البيهقي : تاريخ ، ص ٥٠٥ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، البيهقي : تاريخ ص ٥٠٢ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ص ٣٣٧-٣٣٨ ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ ، حسنين : سلاجقة إيران ، ص ١٦٦ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ص ١٥٣ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٥٩ .

(٧) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٨٣ .

(٨) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٥ .

على السماح للمظلومين بالدخول دون حجاب ، حتى قيل أنه لم يوجد على عهده شخص له مظلمة^(١) ، ومن اختصاصات الحاجب أيضا الاتصال بالسلطين والملوك ، وأمراء الدول المجاورة ، وعرض وجهات نظر السلطان الذي يقوم الحاجب بخدمته^(٢) .

ولم يتخذ الحاجب من قصر السلطان مقرا دائما له ، بل كان يساهم مع السلطان فى حروبه خارج عاصمته^(٣) وكان الحاجب بصحب السلطان السلجوقى فى مواكبه ورحلاته داخل وخارج حدود الدولة السلجوقية ، ففى سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، لما خرج طغرلبك قاصدا بغداد خرج رئيس الرؤساء ابن المسلمة لتلقى السلطان فلقية الحاجب ، وقدم رئيس الرؤساء إلى السلطان طغرلبك ، وأمر حاجب السلطان رئيس الرؤساء بالنزول عن بغلته ، وأن يركب فرسا من مراكب السلطان الخاصة^(٤) .

حجاب طغرلبك :

يعتبر السلطان طغرلبك أول السلاجقة الذين اتخذوا حجاباً لهم ، فكان أول حجاب الحاجب (عبد الرحمن اليزن الآغاجى)^(٥) والذي كانت مهمته توصيل الأحكام والفرامين السلطانية إلى الأمراء ورؤساء الجيش الوزراء ، وقد ساعد الآغاجى طغرلبك فى حروبه ضد أخيه ابراهيم ينال بالمشاركة مع السيدة خاتون زوجة طغرلبك الأولى^(٦) .

ولذلك حظى الآغاجى بالنجاح والتقدير لدى طغرلبك فأطلق عليه الألقاب ، التى تبين اختصاصاته ومهامه ، مثل لقب الآغاجى أى الرئيس أو القائد ، والذي يدل على أنه الواسطة

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٥ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧٠ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٨٣ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ١٩٠ ، ١٩١ ، البغدادى : تاريخ بغداد ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ، ص ١٦٤ .

(٥) الآغاجى : أغا كلمة تركية المصدر (أغشق) بمعنى الكبر وتقدم السن ، وآغاجى كلمة تركية معناها الحاجب أو الخادم للسلطين ، وهو الواسطة فى إبلاغ المطالب والرسائل يحملها من السلطان يبلغها إلى أعيان الدولة وتطلق فى التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة ، وعلى الخادم الخاص الذى يؤذن له بالدخول على النساء : الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٠ ، النظام العروضى : جهاز مقاله ص ١٣٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٣٣٤ ، أحمد السعيد ، تأصيل ص ١٧ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

فى إبلاغ المطالب والرسائل التى يحملها من السلطان ليبلغها إلى أعيان الدول أو العكس^(١)، كما لقبه بحاجب برزك أى الحاجب العظيم .

ثم تولى الحاجب "قماج" الحجابة للسلطان طغرل بك^(٢) .

حجاب ألب أرسلان وملكشاه :

استمر الحاجب قماج حاجبا لألب أرسلان^(٣) ثم تولى مكانه الحاجب (بگرك) ثم الحاجب عبد الرحمن الآغا جى مرة أخرى^(٤) ، ثم أعاد ملك شاه الحاجب :قماج" مرة أخرى^(٥) .

ملايس الحاجب وألقابه :

كان لباس الحاجب قباء أسود ، وعمامة سوداء ، وسيفا ، ومنطقة من ذهب^(٦) ، وكان يلقب ببعض الألقاب التى تدل على اختصاصاته مثلما طغرل بك حاجبه (عبد الرحمن ألبزن)

الفصل الثالث

النظم الإدارية والقضائية

أولا : النظام الإدارى : التقسيمات الإدارية - أقاليم الدولة -
الولاية - أمراء الأقاليم - مراسم تعيين الوالى - العلاقة بين السلطان
السلجوقى وولاية الأقاليم - الدواوين : ديوان الصناديق (الوزارة) ،
ديوان الطغراء (الرسائل) ، ديوان الاستيفاء ، ديوان عرض الجيش .
أرباب الوظائف الأخرى : وكيلدار السلطان (وكيل الباب) -
الطغرائى ، نائب الطغرائى - المستوفى ، نائب المستوفى - المشرف ،
نائب المشرف - عارض الجيش - العميد - الشحنة - الأسفهلار -
صاحب الشرطة .

النظام القضائى : تطور منصب القضاء - اقضى القضاة فى عهد
السلجقة - أشهر من تقلد منصب القضاء زمن السلاطين العظام .
(أبو عبد الله الدامغانى * أبو بكر أبى المظفر السمعانى الشافعى)
- تشكيلات القضاء فى السلطنة السلجوقية (ثقافة القضاة
ونزاهتهم - مجالس القضاء - مذاهب القضاة - إيرادات القضاة
(روايتهم) .

ديوان القاضى وأعرانه ، الوكلاء - المحامون ، تلاميذ القاضى ،
مهابة القضاة عند سلاطين السلجقة ، ملابس القضاة ، ديوان المظالم
(قضاء المظالم) .

النظام الإدارى :

كان لشجاعة السلجقة ومهارتهم ، وقوتهم ، وكثرتهم العددية أثرها فى صيرورتهم قوة
إسلامية كبيرة لها وزنها فى مشرق العالم الإسلامى ، وأدرك سلاطين السلجقة العظام أن
الواجب يحتم عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم للمحافظة على مكانتهم ، والإبقاء على الصرح

الذى شيدوه ، فأروا أنهم فى حاجة إلى إقرار نظم إدارية ، وإلى تعيين موظفين وعمال ينجزون حوائجهم ، ويحققون متطلباتهم ، ويساعدونهم على الاحتفاظ بممالكهم الفسيحة^(١) .

وكما أسلفنا فالسلاجقة كانوا مجموعة من القبائل التركمانية البدوية ، لا خبرة ولا دراية لهم بمجال الإدارة ، والقوانين الإدارية ، على الرغم من مهارة رؤسائهم ، ولكن العامل الوحيد الذى عجل بقضاء حوائجهم ، ومكن السلاطين العظام من المحافظة على ممالكهم الواسعة ، هو طبقة الكتاب وعمال الدواوين ممن أمضوا عمرهم فى خدمة السامانيين الغزنويين الديلمية الفرس ، وخلفاء بنى العباس والذين قرسوا فى الأعمال الإدارية ، واكتسبوا فيها الخبرة والدراية ، ولأنهم - أى السلاجقة لا خبرة لديهم قط عن كيفية إدارة الممالك ، فقد أبقوا على هذه الطبقة من الموظفين بنفس تشكيلاتها ونظمها الإدارية فى العهود السابقة ، مما كان سببا فى أن ديوان السلاجقة هو نفسه ديوان الغزنويين والسامانيين باستثناء بعض المصطلحات والتغييرات البسيطة التى اقتضاها العصر السلجوقي^(٢) .

أولا : التقسيمات الإدارية (أقاليم الدولة) :

نتيجة لاتساع الدولة السلجوقية فى عهد السلاطين العظام ، فقد تألفت من عدد من الأقاليم الإدارية ، وكانت أشهر الأقاليم الإدارية التى شملتها الدولة فى أوج قوتها فى عصر السلاطين العظام ، خراسان ، وما وراء النهر وىست وهراة وسجستان وكرمان ، والرى ، وهمدان ، وأبهر رزنجان ، وأذربيجان ، وأصفهان ، ومرو ، وبلاد فارس وبلاد الشام ، وآسيا الصغرى^(٣) وبعض أجزاء من أرمينية إلى جانب العراق .

وقد خضعت التقسيمات الإدارية فى دولة السلاجقة العظام لعوامل سياسية ومالية نتج عنها قيام أقاليم جديدة أو إدماج أقاليم فى أخرى^(٤) ، وكان من أثر اختيار السلاطين عواصم لهم بدلا من بغداد كالرى ونيسابور فى عهد طغرل بك ، ومرو فى عهد ألب أرسلان ، والذى

(١) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢٠٨ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٣٨ .

(٣) حسنين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٠ .

تحمّش أن ينزل بغداد حتى لا يتورط في المجادلات المزعجة مع الخليفة وعرب العراق ، تلك المجادلات التي عقدت الأمور في السنوات الأخيرة من حكم طغرل بك الذي فرض في العراق حقوق السلطنة بلا تهاون ، ولم يرى ما نعا من استمرار بقاء الإمارات المستقلة القائمة على حدوده مثل بنى عقيل في الموصل^(٢) وبنى شداد في آران^(٣) واتخذ ملك شاه أصفهان عاصمة له ، فكان من أثر ذلك أن أصبح العراق إقليمًا كغبرة من أقاليم الدولة ، غير أنه كان يلى حكمه حاكم مدنى يعرف بعميد العراق^(٤) ، يساعده حاكم عسكرى يعرف بالشحنة^(٥) ، مما أدى إلى تلاشى سلطة الخليفة العباسى الإدارية ، كما تلاشت من قبل سلطته السياسية^(٦) .

ثانيا : الولاة أو أمراء الأقاليم :

اتبع سلاطين السلاجقة العظام نظام اللامركزية في إدارة الولايات فعينوا أميرا على رأس كل ولاية من أفراد البيت السلجوقى^(٧) .. وقد قسم فقهاء المسلمون أنواع الولاية على البلدان إلى نوعين عامة وخاصة^(٨) ، وقسمت العامة إلى قسمين :

١- إمارة استكفاء :

وهى التى تنعقد بعقد عن اختيار السلطان أو الخليفة ، وتشتمل على عمل محدود ، ونظر معهود ، والتقليد فيها أن يفوض الخليفة أو السلطان إمارة بلد أو إقليم إلى الأمير ولاية على جميع أهله ..

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٤ ، ص ١٦٨ .

(٣) آران : بالفتح وتشديد الراء وألف ونون ، اسم لولاية واسعة وبلاد كثيرة ، من أصقاع أرمينية ، وهو أيضا اسم لحراث ، البلد المشهور من ديار مصر ، كان يعمل بها الخنز قديما ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٤٦ .

(٤) انظر : الفصل الثالث ص ٢٨٠ - ٢٨٥ .

(٥) أنظر : الفصل الثالث ص ٢٨٥ - ٢٨٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٦٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨١ .

(٨) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ .

٢- إمارة استيلاء :

يعقد عن اضطرار بمعنى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة أو السلطان إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير مستبدا بالسياسة والتدبير^(١) .

أما الإمارة الخاصة :

فهى أن يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية ، وحماية البيضة والذب عن الحرم ، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات^(٢) .

وإذا طبقنا هذا التقسيم على إمارات وولايات السلاجقة عصر السلاطين العظام ، فسنجد أن إمارتى الاستكفاء ، والإمارة الخاصة فقد كانتا موجودتين ، طوال عصر طغرلبيك وألب أرسلان ، وملك شاه ، ولا وجود لإمارة الاستيلاء ، باستثناء بعض الفترات البسيطة التى كان يستولى فيها أمير على إمارته ، وسرعان ما كان يؤدبه السلطان .

فقد استطاع السلاطين العظام بحكم تقاليدهم البدوية أن يضموا إليهم جميع إخوتهم وبنى عموماتهم ، وأبناء جلدتهم من السلاجقة ، وأخذوا منهم الطاعة والولاء بالرضا تارة ، وبالقهر تارة أخرى ، وقد استطاع أول سلاطينهم أن يكسب ولاء وطاعة جميع أفراد البيت السلجوقى^(٣) ، وبهم بلغت الدولة فى عهده أوج قوتها ، وأقصى اتساعها وضمت إليها مناطق جديدة^(٤) .

والى طغرلبيك يرجع الفضل فى وضع نظام اللامركزية فى الحكم ، فقد عين أمراء البيت السلجوقى كلا على ناحية من نواحي الدولة الوليدة ، ولقب كل واحد منهم بلقب ملك ، جفرى بك أكبر إخوته سنا كان حاكما على مرو ، واختص بمعظم خراسان ، وكان يحمل لقب ملك ، وموسى بيغوكلان "أكبر السلاجقة سنا حاكما على بست وهرأة وسيتسان ، وما يجاورها من الجهات التى يستطيع فتحها ، ولقب بلقب ملك أيضا ، كما أصبح قاورد بك أكبر أولاد

(١) الماوردى : نفسه ، ص ٣١ - ٣٣ .

(٢) الماوردى : نفسه ، ص ٣٢ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٨ .

(٤) حساني : السلاجقة ، ص ١٦٩ .

جغرى بيك حاكما على ولاية الطبسين وكرمان ولقب بلقب ملك ، وكان ابراهيم ينال حاكما على قهستان وجرجان ^(١) أما الأمير ألب أرسلان فقد لزم خدمة عمه طغرلبك ، وبقي معه ليدبر أموره ^(٢) .

وتعاهد هؤلاء الأمراء على الاتحاد والتعاون فيما بينهم ، وبذل طاعتهم لطرغلبك ، وقال لهم طغرلبك "فاذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم ، وتغلب علينا الأعداء ، وذهب الملك من أيدينا" ^(٣) .

وبعد أن استتب الأمر للسلطان ألب أرسلان فى مرو بايعه أمراء دولته ، وأقطع البلاد لهم ، فأقطع مازندران ^(٤) للأمير أيناچ بيغو ، وبلغ لأخيه سليمان بن دواد ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ، ومرو لابنه أرسلان شاه ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ، وولاية بقشور ^(٥) ، ونواحيها للأمير مسعود بن ارتاش بن عمه ، وولاية اسفيزار ^(٦) لمودود بن ارتاش سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ^(٧) ، وبلاد فارس إلى ابنه جلال الدولة ملكشاه ، وأسند وزارته إلى نظام الدين فخر الملك ابن نظام الملك سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٢ م ^(٨) .

(١) الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٣ .

(٣) الحسينى : نفسه ، ص ٢٣ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ .

(٤) مازندران : بعد الزاى نون ساكنه ، ودال مبهمة ، وراء ، وآخره نون ، اسم لولاية طبرستان .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤١ ، وهى طبرستان كلها وطبرستان تعنى الجبل ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠٩ .

(٥) بقشور : تقع على طرف بحر الديلم ، وتشتمل على قرى واسعة ، وهى وسط جبال وعرة المسالك ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣١ ، وهى مدينة بين هراة ومرو الروز ، القزوينى : آثار البلاد ص ٣٢٩ .

(٦) اسفيزار : بالفتح ثم السكون ، وكسر الفاء وباء ساكنة ، اسم ولاية على طرف بحر الديلم ، وتشتمل على قرى واسعة ، أرضها جبال وعرة ومسالكها ضيقة ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٨٠ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٨ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٦ ، ص ١٢٨ ، عبد الهادى محبوبة : من رسائل نظام الملك ، ص ٢٨ -

واتبع ملك شاه نفس النهج ، بل زادت الدولة اتساعاً في عهده فبلغت أقصى اتساعها ، فعين على كل ولاية أميراً ، فكان سليمان شاه بن قاورد على كرمان ، وأسند ولاية فارس إلى الأمير ركن الدين قتلج تكين ، وولى أخاه شهاب الدولة قتلش على بلخ وطخارستان إلى جانب بلاد الشام ، وعين بوري برس بن دواد على هراة ونواحيها ^(١) ، وجمال الملك بن نظام الملك بلخ وأعمالها ^(٢) ، والأمير العميد أبا طاهر عميد خوارزم على سمرقند ^(٣) وعين قيم الدولة أقسنقر على ديار بكر وما يجاورها ^(٤) ، وسليمان بن قتلش على آسيا الصغرى ^(٥) ، والأمير أرتق على بيت المقدس ، والأمير بوزان على الرها ^(٦) ، وعين نظام الملك أولاده الاثنى عشر كل على ولاية من ولايات الدولة الواسعة ^(٧) .

وعرف حاكم الإقليم أو الولاية بالأمير أو الوالى ، وروعى في اختياره أن يكون أحد أفراد البيت السلجوقي أولاً ^(٨) ، وأن يكون من كبار القادة العسكريين ، وبذلك اتسمت إدارة الولايات بالطابع العسكري الذى يتفق مع روح السلاجقة ^(٩) ، ومرد ذلك إلى إرضاء قادة السلاجقة وللوقوف في وجه الطامعين في الخروج عن السلطان ، ولرد أى عدوان خارجى من الدول المجاورة أو لمعاونة السلطان السلجوقي في حروبه الخارجية ، حيث اختص كل أمير بتجهيز جيش كبير على أن يكون هو وجنوده في خدمة السلطان ووزيره ، ويسارع إلى تلبية

(١) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٩ ، عباس إقبال : أخبار الدولة ص ٥٧ .

(٢) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٤٢٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٨ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٦) ابن القلانئ : ذيل ، ص ١١٩ .

(٧) خوندامير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، الرواندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٨) حسانين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٩) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٢ .

النداء إذا ما طلب إليه ذلك ، مثلما فعل إبراهيم ينال مع طغرل بك^(١) ، وشهاب الدولة قتلمش ، وتاج الدولة تتش مع ملك شاه^(٢) . ولقد حققت هذه السياسة قدرا كبيرا من الأمن للسلطة السلجوقية ، وإبقت عليها حيناً من الدهر .

وسمح سلاطين السلاجقة لحكام الولايات (نوابهم) بفتح ما يشاءون من البلاد المجاورة لولاياتهم وضمها إليهم^(٣) ، فكان من حق أمراء الولايات التوسع بشرط ألا يكون هذا التوسع على حساب أبناء جنسهم ، بل على حساب الولايات غير الخاضعة للسلطان السلجوقي ، وليست على دين الإسلام ، مثلما فعل سليمان بن قتلمش في آسيا الصغرى^(٤) .

وترك سلاطين السلاجقة العظام إدارة الأقاليم في يد أمرائها الحاكمين من قبلهم ، دون تدخل من جانبهم في تنظيم الإقليم ، وتصرف أموره الداخلية ، فكان حاكم كل إقليم مستقلاً استقلالاً تاماً في إدارة إقليمه ، مع إعلانه الطاعة والولاء للسلطان^(٥) .

كما سمح السلاطين لحكام الولايات باتخاذ الوزراء مما يدل على حریتهم في تصرف أمور أقاليم ، فاتخذ جفري بيك داود أبا على بن شادان - وزيراً له^(٦) كما اتخذ الأمير موسى بيغو - أبا الفتح مسعود بن محمد ابن سهل وزيراً له^(٧) واتخذ حسن بن موسى بيغو حاكم هراة - أبا نصر محمد بن حسن الباخريزي وزيراً له^(٨) ، وزر نظام الملك لألب أرسلان

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢١-٢٢٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٩ ، ص ٧٢ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٩٦ ، ٩٧ . ابن القلائس : ذيل ، ص ١١٩ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٠ .

(٦) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٢١ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٠ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

فى أثناء ولايته على خراسان^(١) ، ووزر نظام الدين فخر الملك من نظام الملك للملكشاه فى أثناء ولايته على فارس^(٢) ، واتخذ قاورد بك - ناصر الدين أبا عبد الله بن العلاء مجير الدولة وزيرا له ، كما اتخذ الأمير ركن الدين قتلج تكين أمير فارس فى عهد ملك شاه - عميد الدولة جمشيد بن بهمنيار وزيرا له^(٣) .

واستعان كل وال وأمير من أمراء الأقاليم بعدد من الموظفين بعدد من الموظفين الذين اتصفوا بالسيرة الحسنة^(٤) يساعدونه فى تسيير أمور دولته ، وسمح لهم باتخاذ الجند ، وتكوين الجيوش الخاصة بهم^(٥) ، فاستعانوا بالقبائل السلجوقية التركية فى تكوين جيوشهم ، كما استعانوا بمجموعة كبيرة من موظفى الدواوين التى كانت على غرار الدولة الأم كديوان الرسائل ، والخراج ، والطغراء وغيره^(٦) ، بل سمح لهم باتخاذ الحجاب ، والكتاب الخاصين بهم^(٧) .

ألقاب حكام الأقاليم : لقب حاكم الإقليم فى العصر السلجوقى بلقب الوالى أو الأمير ، كما لقبوا بلقب "شاه" أى ملك^(٨) ، لأن هذا اللقب تابع للسلطان الذى كانت له السلطة العليا فى الدولة ، كما أضيف إليهم لقب دهقان^(٩) .

نائب الوالى : وكان يسمح لوالى الولاية بتعيين نائب عنه فى ولاية أخرى ، إذا ما أسندت إليه ولايتان ، ويشترط فى ذلك موافقة السلطان السلجوقى نفسه^(١٠) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ١٣٥ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٥٦ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٦٠ .

(٥) حسنين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٦) انظر : ترجمتها ص ٢٦٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٩) البيهقى : تاريخ ، ص ٤٤١ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، البيهقى ص ٢٦٧ ، ٣٧٦ .

مراسم تعيين الوالى : عند تعيين والى الولاية أو أميرها تجرى مراسيم التعيين المتبعة لذلك فيعد له (الخلعة) أو الزى الخاص به ، وتكون فاخرة للغاية ، وتشتمل غالبا على منطقة من الذهب وقبعة ذات ركنين ، وسرج ذهبى بألف مثقال ، وعدد من الغلمان ، يتفاوت بحسب منزلة الوالى وأهميته ، ومقدار كبير من المال لا يقل عن مائة ألف درهم ، وعدد من الملابس والأقبال والكوسات^(١) ، والراية^(٢) ، ويقوم الوزير عادة بإعداد وثيقة التولية ، وكتاب العهد ، وتقرأ أمام السلطان فى المجلس ، ويشهد عليها الحضور ، ثم يقسم الأمير على الوفاء ، ويباركه السلطان^(٣).

ويعارس الوالى كافة السلطات المدنية ، ويعين بدوره صاحب الشرطة والشحنة بكل مدينة أو ناحية فى ولايته ، وتسند إليه القيادة العامة للشئون العسكرية فى الولاية ، وهو بذلك يجمع بين السلطات المدنية والعسكرية عدا القضاء الذى كان من اختصاص الخليفة والسلطان^(٤).

وعلى الولاية وجميع حكام الأقاليم إقامة الخطبة للسلطان السلجوقى فى ولاياتهم ، وضرب العملة باسمه فلما تولى جفرى بيك داود حكم مرو وخراسان ، ذكر طغرلبيك فى الخطبة^(٥) ، وفى سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م سار طغرلبيك إلى تبريز قاعدة أذربيجان ، وإطاعة أميرها أبو منصور فرامرز البويهى ، وأعلن الخطبة له فيها^(٦) ، كما أقام ألب أرسلان الخطبة لعمه طغرلبيك فى مرو وخراسان كلها بعد وفاة والده جفرى بيك^(٧) وأجبر ألب أرسلان أخاه قاورد على إقامة الخطبة له فى كرمان سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م^(٨) ، كما أجبر عمه بيغور على إقامة

(١) الكوسات : جمع كوست وهى الطبل الكبير ، البيهقى : تاريخ ، ص ٨٠٤ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٩١ ، ٤١٣ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٩٦ .

(٤) بدر عبد الرحمن : رسوم ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

الخطبة له فى هراة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م^(١) ، وأقام سليمان بن قاورد الخطبة لملك شاه فى كرمان سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م^(٢) ، كما أقيمت له الخطبة فى البلاد الواقعة بين كاشغر شرقا ، وأنطاكية غربا ومن بحيرة خوارزم شمالا حتى حدود اليمن جنوبا^(٣) .

العلاقة بين السلطان السلجوقى وولاية الأقاليم :

دان أغلب ملوك وأمراء السلاجقة بالطاعة والولاء لسلطانهم ، وأعلنوا تبعيتهم له ، وخطبوا باسمه على على منابر ولاياتهم ، ورضوا بلقب الملك وهو لقب تابع السلطان^(٤) ، ولقد مثل الملك جفرى بيك داود الأخ الأكبر لطغربك قمة الإخلاص فى الطاعة والتبعية لأخيه على الرغم من كبر سنه^(٥) ، وفى الوقت الذى كان طغربك مشغولا بالتوسع غربا وفى قمع الثورات التى يعلنها قادة التركمان ضده ، كان جفرى بيك مستقرا فى حكم المنطقة التى منحها إياه طغربك وهى خراسان ومرو ، وكافة الأراضى الواقعة شمال نهر جيحون مما قد يفتحها وكانت مرو عاصمته ، ومركزا لإدارة الجانب الشرقى من السلطنة السلجوقية^(٦) .

ولم يفكر جفرى بيك داود مطلقا أن يستقل بحكم هذه المناطق عن طغربك ، أو أن يقود ضده ثورة والذى كان بإمكانه أن يتوسع على حساب الغزنويين وغيرهم ، ولكنه أثر أن يكون حاكما للجانب الشرقى من الدولة حتى وفاته سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م^(٧) ، على الرغم من أنه جعل ابنه وخليفته ألب أرسلان يشاركه فى تصريف الأمور بقدر ظل يتزايد فى السنوات الأخيرة من حياته^(٨) .

(١) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٧٧ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٢) أفضل الدين : تاريخ كرمان ، ص ١٠ .

(٣) الذهبى : دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٧ .

(٦) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ .

(٨) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

ونتساءل الآن لماذا وقف جغرى بيك هذا الموقف من طغرلبك ؟ ولماذا لم يقدر حركات التمرد ضده مثلما قادها - قادة - التركمان الآخرون ؟ والإجابة هي : يرى بعض الباحثين أن شخصية جغرى بيك لم تكن مرموقة فعالة ، وأنه أثر السلامة والحفاظ على الجانب الشرقى المخصص له من الدولة السلجوقية ، ولم يحاول أن يناطح طغرلبك أو ينافسه^(١) . قانعا بما تحت يده من إمارات ليحكمها .

ولعل السبب فى هذا الحكم هو أن المعلومات التى ذكرتها المصادر الأصلية عنه ، وعن أسلوب حكمه فى بلاده ليست بالوفيرة ، ولكن التفكير المنطقى يبرر تصرف جغرى بيك ، وقناعته بالسلطة الواسعة التى كانت له فى المشرق ، صحيح أنه لم يفكر فى التمرد على شقيقه طغرلبك ، ولكن ما الداعى لهذا التمرد ، وهو يعلم أن طغرلبك ، ليس له أولاد يرثون ملكه من بعده ؟ ويعنى هذا أن أحد أبناء جغرى بيك نفسه هو الذى سوف يعقب طغرلبك على أملاك السلاجقة الشاسعة ، وهذا ما حدث بالفعل بعد وفاة طغرلبك ، فتقلد ألب أرسلان أكبر أولاده السلطنة السلجوقية^(٢) .

كذلك كان أبناء جغرى بيك خير عون لطغرلبك طوال حياته ، فقد ساندوه وأزروه ، فعاونه ألب أرسلان كثيرا خاصة فى أثناء تمرد إبراهيم ينال سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، عندما استدعاه طغرلبك فجهز جيشا كبيرا ساند به عمه فى القضاء على الفتنة^(٣) ، ومكث إلى جوار عمه يسانده فى كل المواقف^(٤) . واستعان خراسان من السلطان مودود الغزنوى سنة ٤٣٥هـ / ٤٣-٤٤م^(٥) .

ويضاف إلى ما سبق أن مهمة جغرى بيك وأعباءه ومسئوليته ، ليست باليسيرة فى المشرق فقد كان عليه أن يدافع عن منطقة الحدود الواقعة خلف نهر أترك^(٦) ، ونهر جيحون ودهستان

(١) كاهن : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جغرى بيك ، ص .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٨ ، أحمد معوض : أضواء ص ٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢١-٢٢٣ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص .

(٦) نهر أترك : أحد أنهار جرجان أوكركان فى جنوب شرقى بحر قزوين وهو يسقى السهول العريضة والأودية فى إقليم جرجان ، ومخرجه من سهول خراسان بين نسا وجنوشان قرب منابع نهر المشهد ، =

وخوارزم من غارات القنجاك ، وما قد يتجدد من نشاط معاد للسلاجقة من جانب القراخانيين^(١) .

كذلك كان الشغل الشاغل لجفرى بيك هو تأمين العلاقة مع الغزنويين الذين استمروا بضعة عقود ، يحلمون باستعادة الأقاليم الخراسانية ، فيذكر ابن الأثير^(٢) أن إبراهيم بن مسعود ٤٥١-٤٩٢هـ / ١٠٥٩-١٠٩٩م ، كان يتباكى على أراضى الغزنويين السليبية ، ويعلن أسفه على أنه لا يستطيع استرجاعها ، وقد اعتاد أن يقول : إنه لو كان مكان أبيه مسعود ، بعد وفاة جده محمود ، لما كانت أراضى الدولة الغزنوية قد تداعت .. ولكنه ضعيف لا يستطيع أن يستعيد ما أخذه ملوك أقوياء^(٣) .

واستمر الصراع الغزنوى السلجوقى ، الذى لعب فيه جفرى بيك دورا هائلا ، يسانده أمراء الأقاليم الآخرون ، ففى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م قام أبو الفضل سنجر ، وارتاش أخو إبراهيم بنال بالهجوم على بست ، إلا أن السلطان مودود الغزنوى ٤٣٢-٤٤١هـ / ١٠٤٠-١٠٤٨م أحبط هذا الهجوم^(٤) وهاجم السلطان عبد الرشيد بن محمد الغزنوى ٤٤١-٤٤٤هـ / ١٠٤٩-١٠٥٢م أراضى السلاجقة وطرد حاكم سيستان أبو الفضل سنجر وموسى بيغو السلجوقى من الإقليم ، واضطره إلى الهرب إلى هراة ، وهزم السلاجقة ، واضطروهم إلى الانسحاب لفترة من كرمان وسجستان^(٥) .

= ونهر أترك عميق الغور ومعظمه صعب العبور ويصب فى بحر قزوين ، وطول مجراه حوالى ٧٢٠ كم ، ويقال ان اسم أترك ترك وسمى نهر أترك بهذا لأن الأتراك يعيشون فى زمن ما على ضفافه ، ولم يعثر على اسمه فى كتب البلدانين العرب الأوائل وذكره المستوفى فى نزهة النفوس فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلاد باسمه نهر أترك ، وهى التسمية التى يعرف بها الآن ، انظر : المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

(١) أحمد معوض : أضواء ص ٨١ .

(٢) الكامل : ج ١٠ ص ١١١ .

(٣) أحمد معوض : أضواء ، ص ٨١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٨ .

(٥) تاريخ سيستان لمؤلف مجهول ، نشر ملك الشعراء محمد تقى بهار ، (طهران ١٣١٤/١٩٣٦م) ص ٣٧٩ ، ٣٨٢ الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٨-٢٩ ، أحمد الخولى : سجستان ، (القاهرة ، بدون) ، ص ٩ .

وهنا تحرك جغرى بيك ، ليعيد الحكم السلجوقى إلى سجستان من جديد ، وجعلها جغرى بيك هذه المرة تابعة له ، وأكد سيطرته عليها ، بعد أن أرسل فى أول الأمر ابنه ياقوتى ، ثم جاء نفسه إلى رزنك عاصمة سيستان سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م - ١٠٥٧م ، وفيها سك العملات باسمه^(١).

وأراد جغرى بيك بوصفه حاكم خراسان والمشرق ، أن يرد موسى ييغوا إليها على أن يكون تابعا له ، وأن تكون سجستان مقاطعة تابعة لخراسان ، إلا أن موسى ييغوا لجأ إلى طغرلبك بوصفه رأس الأسرة السلجوقية ، فأرسل إليه تقليدا بولاية سجستان وأمر أن تكون الخطبة والسكة باسم موسى ييغوا ، كما كانت من قبل ، دون مناقشة أو مراجعة^(٢) . وظلت سجستان بعد موسى ييغوا لابنه قرا أرسلان بيرى ، الذى تمتع بنفس حقوق أبيه فى سجستان ، وإن استمرت الإدارة المحلية فى أيدي أبى الفضل سنجر الصنارى حتى وفاته سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م ، ثم ابنه بهاء الدولة والدين طاهر من بعده^(٣) .

وحاول جغرى بيك حصار غزنة واحتلالها ، إلا أن فرخ زاد بن مسعود الغزنوى رده عنها وأسر العديد من قادة السلاجقة المعروفين ، إلا أن ألب أرسلان قد سارع بالقيام بعملية إنقاذ هزم فيها فرخ زاد وحرر أسر والده ومن معه^(٤) .

وهكذا كان جغرى بيك مهموما بدولة السلاجقة ، وحروبها المستمرة مع الغزنويين فلم يفكر مطلقا فى التمرد على أخيه طغرلبك ، بل كان ساعداً أمين له .

ولكن نتيجة للتناقض بين الأساليب البدوية المتأصلة فى نفوس السلاجقة ، وبين الأساليب الإيرانية التى تؤله الحاكم ، وتجعل كلمته هى العليا^(٥) ، ثمرد بعض أمراء البيت السلجوقى ، وأعلنوا انشقاقهم ، وخروجهم على السلطان بل قادوا الثورات ضده ، فقد ثمرد موسى ييغوا أكبر أفراد الأسرة السلجوقية سنا على طغرلبك فى هراة وسجستان وبست ، ورفض أن

(١) تاريخ سيستان : ص ٣٦٨ - ٣٧١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٨٨-١٩٨ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣) تاريخ سيستان : ص ٣٦٨-٣٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٩٨ .

(٥) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٧ .

يدين له بالطاعة والولاء ، فقد كان ينظر إلى طغرلبيك هو وأمراء التركمان ، على أنه عدیل لهم وقرین ، وليس رئيسا مطلق الكلمة والأمر ، تجب طاعته فورا^(١) ، فقد كان موسى بيغو ، وإبراهيم ينال ، وقتلمش بن إسرائيل - وهم أشهر من قادوا الثورات وحركات التمرد ضد طغرلبيك ، كانوا يعدون أنفسهم أشبه بمجلس رئاسة للدولة ، يكون فيه السلطان هو المتحدث الرسمي أو المقرر حسب المفاهيم المعاصرة الآن^(٢) . ولكن الموظفين الإداريين الإيرانيين الذين التفوا حول السلطان السلجوقي ، والذين اعتادوا تأليه الحاكم وتقديسه ، ووضعوه في مرتبه أعلى ممن عداه^(٣) ، نجحوا في فترة وجيزة في أن يغيروا من طبيعة السلطان وفي أن يدخلوا في نفسه العجب والتهيب والغرور ، لدرجة أن طغرلبيك عندما احتل نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م بلغ من السرور مبلغا ، ووصل التهيب والعجب بنفسه حدا ، جعله يتصرف تصرف الحاكم المطلق الإقليم خراسان ، فاتخذ لنفسه قصر السلطان مسعود الغزنوي في ضاحية الشادياخ^(٤) ، وجلس على عرش مسعود ، ولم تمض فترة قصيرة على هذا الحدث ، وعاد مسعود إلى نيسابور ، فاستشاط غضبا وغيظا ، وكان أول ما فعله أن حطم ذلك العرش الذي دنسه طغرلبيك وانتبهك حرمة^(٥) .

ولكن كانت أخطر الثورات في عهد طغرلبيك ، هي ثورة أخيه غير الشقيق إبراهيم ينال ، والذي انشق مرتين الأولى من سنة ٤٤١هـ/١٠٥٠م^(٦) ، والثانية وهي الأخطر سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م^(٧) ، حيث كانت بغداد تحت سيطرة البساسيري ، والذي سعى لضم إبراهيم ينال إليه^(٨) ، وقد زاد من خطورة إبراهيم ينال هذه المرة أن انضمت إليه معظم القوات

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢٥ ، أحمد معروض : أضواء ، ص ٧٧ .

(٢) أحمد معروض : أضواء ، ص ٧٧ .

(٣) أحمد الشامي : الدولة الإسلامية ، ص ٧١ .

(٤) البيهقي : تاريخ ، ص ٦٠٤-٦٠٥ .

(٥) البيهقي : تاريخ ، ص ٦٤٧ ، بارتولد : التركستان ، ص ٤٤٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٣١ ، خواندمير : حبيب السير ، ج٢ ، ص ٤ ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٥ ، ص ١٠٥ ، أبو الفداء : المختصر ، ج١ ، ص ١٧٧ .

(٨) المؤيد الشيرازي : السيرة المؤيدية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٣٩٩ -

التركمانية التي كانت متبرمة من طغرل بك لطول مقامة في بغداد والعراق ، ولقلة ما يصل إلى أيديهم من الغنائم بسبب هذا المقام ، وسبب ضرب طغرل بك على أيديهم بعد أن عقوا بالعامّة في بغداد ، وأغضبوا الخليفة العباسي نفسه^(١) .

وقد أحسن إبراهيم ينال بالغيرة ، والمهانة لأن طغرل بك لم يعامله معاملة أخوية ، ولم يلقيه بلقب ملك مثل بقية أفراد البيت السلجوقي المساعد له في الحكم^(٢) ، ومن ثم ثارت مطامعه بصورة لم يكن من الممكن تهديتها إلا بقتله^(٣) .

إلى جانب أن إبراهيم ينال ، وموسى بيغو ، وقتلمش بن إسرائيل كانوا قوادا من قواد السلاجقة ، وكان لكل منهم دوره في وصول السلاجقة إلى السلطة في إيران^(٤) ، ومن ثم فإنهم لم يستطيعوا قط أن يفهموا أن يتغير وضعهم فجأة من قادة مساوين لطغرل بك ، وأن يصبحوا بين عيشة وضحاها تابعين له تبعية مطلقة ، وكان هذا سببا رئيسيا في ثورتهم^(٥) .

فإلى جانب كبر سن موسى بيغو الذي لم يهدأ له غبار حتى عهد ألب أرسلان ، فإن قتلمش بن إسرائيل شعر بأنه أحق ، لأن حقه وحق والده إسرائيل الذي أطلق عليه شهيد السلاجقة^(٦) قد أهدر وضاع وأنه لم يكافأ على ما بذله هو ووالده من جهد كبير في توطيد أركان الدولة السلجوقية^(٧) .

وسببت هذه الثورات حربا شديدا لطغرل بك ، فعندما ثار إبراهيم ينال سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ومعه ابنا أخيه ارتاش ، شعر طغرل بك بالخرج وهو يسعى لإنقاذ بغداد من البساسيري^(٨) .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٦٠ ، أحمد معوض ، أضواء : ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٧٦ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٤٦ ، ١٥٢ .

(٥) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٨ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .

(٧) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ١٩١ .

فاستنجد بابن أخيه ألب أرسلان الذى حضر بجيش ومعه أخواه ، قاورد وياقوتى انضم به إلى قوات عمه واستطاعت هذه الجموع أن تخمد ثورة إبراهيم ينال ، والذى عشر عليه مشنوقا بوتر قوس أخيه^(١) .

ويعلق ابن الجوزى^(٢) ، على هذا الوضع بين التركمان بعد هذه الحادثة ، بأن طغرل بك قد حطم كل ثقة لدى أقرانه من الترك فيه ، ونزع كل إخلاص فى قلوبهم له ، ولا بد أن يجمع الآخرين ، ويخضعهم لإرادته ، ويمحو من صفحة الوجود من لا يقبل سلطته حتى ولو كان أقرب الناس إليه . هذا هو ما حدث بين أفراد الأسرة السلجوقية نفسها ، فقد كان الأمر أشد وأخطر .

أما ما حدث بالنسبة لرؤساء الترك وقبائل التركمان ، وعامة الأفراد ، فأشد وأخطره ، حيث كان طغرل بك بالنسبة لهم رئيس قبيلة ، له عليهم حقوق بمقتضى هذه الرئاسة التى فرضوها إليه^(٣) ، ولهم عليه حقوق تفرضها رئاسته لهم ، أما بعد أن انتقلوا من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية ، فقد لها لهم هذا الفارق الكبير فى الوضع الجديد بين طغرل بك كسلطان وبينهم كرعية ، ومن هنا كانت سبل التفاهم موصدة بين الطرفين فصاروا مصدر إزعاج للسلطان ، خاصة مع وصول عناصر قبلية جديدة من وسط آسيا اجتذبهم الغرب لما رأوه من وجاهه طرأت على أقرانهم ، ونى جلدتهم من السلاجقة^(٤) .

ولم يسلم ألب أرسلان وملكشاه من بعده ، من قيام حركات تمرد ، وثورات ضدهما من قادة وأمراء ونوابهم من البيت السلجوقى وغيره ، ففى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، قاد شهاب الدولة قتلش بن إسرائيل مرة أخرى ثورة ضد ألب أرسلان ، وأعلن أنه أحق بالسلطنة منه لكبر سنه ، وأنه ابن شهيد السلاجقة^(٥) وأعلن التمرد فى الرى ، ولم يستجب لرسائل ألب

(١) البغدادى : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٤٠١-٤٠٣ ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٥ ، ص ١٠٥ .

(٢) المنظم : ج٨ ص ٢٠٢ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ ، ١٥٦ .

(٤) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

(٥) الرواندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .

أرسلان الودية ، فسار إليه بجيش كبير ومعه وزيره نظام الملك الطوسي ، وحاربه ، وقتله ، وأسر عددا كبيرا من جيشه^(١) .

ومرة أخرى يقود موسى بيغو ثورة ضده حفيده ألب أرسلان ، فى هراة وست وسجستان ، وعز عليه مرة ثانية أن يصير تابعا لابن أخيه الأصغر منه سنا ، وحاول الاستقلال بالمناطق التى تحت يده ، ولكن ألب أرسلان حاربه سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، وانتصر عليه فى هراة وتعهد البيغو بالطاعة والولاء والتبعية لألب أرسلان^(٢) .

وفى سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، قاد - قاورد بك - شقيق ألب أرسلان تمردا عليه ، فقد استولى على كرمان زمن عمه طغرل بك سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، ونصبه ملكا عليها^(٣) ، وبسط سلطانه على شيراز سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م وأعلن أحقيته بعرش السلاجقة ، ولكن ألب أرسلان حاربه ، وأجبره على تبعية وإعلان الولاء له^(٤) - وإذا كان هؤلاء المتمردون من الأسرة السلجوقية نفسها ، فإن هناك حكاما آخرين لأقاليم السلاجقة من غير السلاجقة ، قد خرجوا أيضا عن طاعتهم ، وأعلنوا عدم اعترافهم بالسلطنة ، وفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، تحصن أمير ختلان وصفانيان^(٥) ، واسلمه موسى بغلق بلاده وأعلن تمرده ، فسار إليه ألب أرسلان وقتله ، وتسلم القلعة ، وخضعت له هذه المناطق ، وعين عليها واليا سلجوقيا^(٦) .

ولم تكن نهاية ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م ، إلا على يد قائد أحد الولاة المتمردين عليه فيما وراء النهر حينما حاول شمس الدين نصر بن طمغاج خان أن يستقل بما وراء النهر ، فخرج ألب أرسلان على رأس جيش كبير لمحاربة الخارجين عليه ، ولكنه قتل^(٧) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٤) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ ، ١١ .

(٥) ختلان وصفانيان : ختلان كورة بما وراء النهر ، تقع وراء بلخ ، أبو الفداء ، تقديم البلدان ص ٥٠٢ ، صفانيان : كورة من كور ما وراء النهر وراء نهر جيحون ، ويقال لها بالأعجمية جفانيان ، أبو الفداء ، تقديم البلدان ، ص ٥٠٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١-١٣ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ، ص ٢٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٥ ، الراوندى : راحة الصدور : ص ١٨٨ ، براون : تاريخ ، ص ٢٢٤ .

ولم يهدأ أمراء السلاجقة ، وحكام الأقاليم ، خاصة فى فترات انتقال السلطة من سلطان إلى آخر ، فبعد مبايعة الجند والأمراء للملكشاه بالسلطنة^(١) ، قاد عمه قاورد بك والى كرمان مؤامرة ضده ، بعدما أيقن أن حلمه القديم قد أصبح ممكنا بعد وفاة شقيقه ألب أرسلان ، فأعد جيشا كبيرا سار به من كرمان لمحاربة ملك شاه ، وكان جزاؤه قتله بسبب تمرد الدائم^(٢) ، وأبقى ملك شاه كرمان بيد سليمان شاه بن قاورد بك وتوارثها أبناؤه إلى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وأسسوا بها دولة سلاجقة كرمان^(٣) .

وقاد أمراء وولاة الأقاليم من غير السلاجقة ثورات ضد ملك شاه هو الآخر ، وفى سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م استغل ولاة بلاد ماوراء النهر فترة عدم الاستقرار التى أعقبت وفاة ألب أرسلان وتمردوا على ملك شاه ، وكان والى بلخ (الخاقان شمس الملك) خو أول الخارجين ، فحاربه ملك شاه وقضى على تمرد^(٤) .

وفى سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، استقل والى خوارزم بها ، ولكن ملك شاه أجبره على الدخول فى طاعته ، ثم أجبر والى كاشغر على إقامة الخطبة له ، وضرب العملة باسمه^(٥) وفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م تمرد أمير فرغانة ، ومعه قبائل من الأتراك بالقرب من سمرقند ، بحجة أن مرتباتهم لم تصل إليهم فأحمد ملك شاه ثورتهم ، واستقرت له أحوال بلاد ماوراء النهر^(٦) .

وكان على ملك شاه أن يرضى أسيرة شهيد السلاجقة إسرائيل بن سلجوق فعهد إلى حفيده سليمان بن قتلмыш بولاية آسيا الصغرى ، والذي بسط نفوذه على قونية ، وأنطاكية ، وكون ما يعرف فى التاريخ بدولة سلاجقة الروم^(٧) .

وكان ملك شاه قويا صارما حتى مع اخوته ، وهى سياسة ورثها عن جده طغرل بك ، ووالده ألب أرسلان ، فحينما زاد نفوذ أخيه تتش فى الشام ، خاف ملك شاه من اتساع نفوذه ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ ، أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ .

(٣) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ - ٢٤ ، زامباور : معجم الدول والأسرات ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٩٨ ، مواهب عبد الفتاح : " الحياة السياسية ، ص ٢٨ .

(٥) إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٩ - ١١ .

ولذلك لم يتركه ينعم بالشام منفردا ، فأمر معه أمراء آخرين عليها^(١) ، وحصر نفوذه في دمشق وفلسطين ، مما أثار حفيظته ضد ملك شاه ، فسار إليه سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م وهو ببغداد يستأذنه في التوسع في بلاد الشام على حساب الفاطميين فأذن له السلطان^(٢) .

والسؤال الآن ؟ لماذا قاد حكام الأقاليم كل هذه الثورات ضد سلاطينهم السلاجقة العظام على الرغم من قوتهم وشدتهم ، وصرامة سيوفهم ؟ والجواب أن السلاجقة كانوا مجموعة من العشائر البدوية ، التي ألفت حياة الترحال ، واستخدمت النهب والسلب طريقة للحصول على مآكلها ومشربها ، ومن الصعب السيطرة على البدوي ، وضعه تحت سيطرة سلطة مركزية ، أضمن أنظمة معينة ، فهو لم يألف هذه الحياة ن قبل ، ولذلك عمل سلاطين السلاجقة العظام على القضاء على هذه الصفات في نفوس قبائلهم ، وحرصوا على تركهم فتوحا خارجية في بلدان غير إسلامية ، أو بلدان لاتدين بالإسلام السنّي ، ولقد كانت أرمينية وبيزنطة هي البلد الكافر ، وكانت الجزيرة والشام البلد الذي لا يدين بالسنة^(٣) . وهكذا استفاد سلاطين السلاجقة من بداتهم لمد رقعة دولتهم أولا ، ثم مد رقعة ديار الإسلام إلى حدود بيزنطة ثانيا ، والتخلص منهم ثالثا .

والسبب الثاني هو التنظيم القبلي السلجوقي ، الذي لم ينسأه السلاجقة طوال حياتهم ، فقد عز عليهم أن يخضعوا لسلطان أقل منهم سنا ، أو مقاما ، مثلما فعل موسى بيغو مع طغرل بك وألب أرسلان ، وقاد انقلابا ضد الاثنين انتهى بفشله ، ومثلما فعل قاورد بك مع ملك شاه ، ولم يقنع أمراء البيت السلجوقي بأن يكونوا تابعين لأمير مثلهم ، مهما كان شأنه ومهما كان أبوه . وما من شك في أن ثورات التركمان ضد سلاطين السلاجقة العظام إنما كانت تدل على أن رؤساء القبائل ورجالها لم يستطيعوا أن يتقبلوا ذلك التحول الذي وقع لقادة السلاجقة ، وارتفاعهم من رؤساء قبائل بدوية مثلهم إلى حكام مسموعى الكلمة ، مطلقى السلطة ، على الطريقة الإيرانية الموروثة من عصور ما قبل الإسلام ، ومع ذلك فإنه في كل مرة استطاع فيها السلاطين العظام إخماد ثورة قامت ضدهم ، وتعاملوا مع قائدها ومحركها

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ .

(٣) سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

تارة بكسب وده ، وأخرى بقتله ، كانت فى كل مرة تخمد فيها ثورة ، تشتعل فيه أخرى ضدهم^(١) .

وعلى الرغم مما سببه نظام الإمارات من عداوات وحروب ، فقد ساعد هذا النظام وتقسيم الحكم إلى ولايات على رقى المدن وازدياد مراكز الحضارة ، فكان كل أمير يجمع فى قصره العلماء والشعراء مجتهدا فى ترقية حضارة مدينته ، ولقد انتقلت الحياة الحضارية بفضل هذا النظام وريدا من مراكزها القديمة فى البصرة وبغداد ونيسابور ، وغيرها ، إلى المدن الجديدة أمثال الرى وأصفهان وحوارزم وشيراز ، وجمع فيها الأمراء كتباً وأنشأ مكتبات كبيرة^(٢) .

كما ساعد هذا النظام على ظهور أهمية المدن والثغور ، وازدادت هذه الأهمية بمرور الزمن ، حتى صارت لبعضها شخصية واضحة مميزة لها قوامها كالرى ومرو وتبريز وغيرها ، كما أصبحت الثغور تؤدي واجبا دينيا مقدسا ، هو صد أعداء الإسلام عن الديار الإسلامية ، مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة ، وجعل ولاية الثغور موضع تقدير المسلمين ، ومدح الشعراء والكتاب^(٣) .

وهكذا وكما رأينا فطوال عصر السلاطين العظام لم يستقل أمير واحد بإمارة على الرغم من خروج العديد منهم ولكن بعد وفاة ملك شاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، وانفراط عقد الدولة السلجوقية ، قل ولاء أمراء الأقاليم للسلطان السلجوقى ، وانعدم الانسجام والترابط بين أجزاء الدولة ، ولم يعد هناك نظام معين لحكام الأقاليم ، فسرعان ما تمردوا على السلطنة وانفصلوا بأقاليمهم مكونين فيها دويلات مستقلة^(٤) .

الدواوين :

تشكل الدواوين الأجهزة الإدارية المنفذة ، التى تقوم على تنفيذ أوامر الخليفة أو السلطان أو الملك وحكام الأقاليم ، ولقد نمت هذه الدواوين وترعرعت بنمو الدولة الإسلامية واتساعها

(١) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة ، ص ٧٣ .

(٣) نظام الكنجوى : شاعر الفضيلة الإيراني ، ط. القاهرة (١٩٤٥) ص ٥٨ ، حسنين : سلاجقة ، ص

١٦٩ .

(٤) عن هذه الدول السلجوقية المستقلة انظر : الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، أفضل الدين

الكرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠-٢١ ، حسنين : سلاجقة إيران ، ص ٨٣-١٠٣ .

ولقد بدأ نموها خلال عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فهو أول من دون الدواوين فى الإسلام^(١) فأنشأ ديوان العطاء ، وديوان للجند ، وآخر للخراج ، ثم توسعت الدواوين بعد ذلك فأصبح هناك جهاز إدارى كامل يشمل عددا كبيرا من الدواوين فى العصرين الأموى والعباسى^(٢) .

ويقصد بالدواوين فى العصر السلجوقى مجموعة الإدارات التى تختص كل إدارة منها بشأن من شئون الديوان ، شأنها شأن الوزارات الحديثة ، ومع أن تشبيهها بالوزارات الحديثة من ناحية تشكيلها أمر بعيد عن الصواب كلية ، إلا أنها تتشابه معها من جهة الاختصاص الموكولة لكل منها^(٣) . وكانت الحاجة ماسة فى العصر السلجوقى إلى نشأة الدواوين لأن دولة السلاجقة كانت قوية ، تضم ولايات كثيرة ، مما جعل كل ولاية فى حاجة إلى موظفين وديوان يشرف على إدارة الأمور فيها^(٤) .

ويجب أن نقرر من البداية أن ديوان السلاجقة مقتبس من ديوان الغزنويين والسامانيين والبويهيين والعباسيين ، فقد كان لكل منهم دواوينهم^(٥) ، فمثلا كان للخليفة العباسى عند دخول السلاجقة بغداد ديوانه^(٦) ، وللبويهيين ديوانهم^(٧) ، ولقد أبقي السلاجقة على ديوان الخليفة الذى كان يضم عددا كبيرا من الدواوين^(٨) ، وكان يشرف عليه وزير الخليفة^(٩) .

(١) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٤٩-٦٥ .

(٢) محمد عبد الله الشيبانى : نظم الحكم والإدارة فى الدولة العباسية ، (القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١١١) .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٤) حسنين : سلاجقة ، ص ١٧٠ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٦) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٧) مسكويه : نفسه ، ج ٦ ، ص ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢١ .

(٨) من أهم هذه الدواوين : ديوان السواد ، وديوان الرسائل ، وديوان الجيش ، وديوان الشرطة ، وديوان البريد وديوان الجهبذ ، وديوان بيت المال العام ، وديوان بيت المال الخاص ، وديوان المعونة ، وديوان الزمام ، وديوان النفقات وغيرها : أنظر : هلال الصاهى . تحفة الأمراء ، ص ١٣٠-٣٣٢ ، الخالدى : الحياة السياسية ، ص ٢٥٨ - ٢٦٣ .

(٩) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٩ ، الخالدى : الحياة السياسية ، ص ٢٥٩ .

وكان لبداوة السلاجقة تأثير كبير على سير أمور دولتهم الإدارية ، فلم يفتنوا إلى دقائق النظم الإدارية فنجدهم ينشئون دواوين جديدة ، كديوان الإشراف الذى هو فى حقيقة أمره جزء مكمل لديوان الاستيفاء والزماء ، ويدمجون دواوين فى أخرى كديوان الرسائل والإنشاء الذى جعلوه جزءا من ديوان الطغراء على الرغم من أهميته فى كل العصور^(١) .

وكانت شئون السلطة الإدارية فى عهد السلاطين العظام فى يد خمسة أشخاص ، لكل منهم الرئاسة على أحد الدواوين ، ولأهمية منصب كل واحد منهم ، لم يكن أحدهم يتدخل فى شئون الآخر ، حيث كان لكل منهم منزلته ورتبته^(٢) .

وترتب الدواوين الخمسة حسب أهميتها على النحو الآتى :

١- ديوان الصدارة أو الوزارة :

يطلق على القائم بأعمالها "خواجة برزك" ، أو الصدر الأعظم الدستور ، أو الوزير ، وكانت تشكل أكبر المناصب الحكرمية السلجوقية^(٣) ، لأنه يشرف على جميع مرافق ودواوين الدولة ، يأتس السلطان برأيه وبصحبه دائما ، ويتعامل معه مباشرة دون سائر رؤساء الدواوين^(٤) ، وكان هذا الديوان لأهميته وخطورته محل نزاع وتنافس^(٥) ، لأن الصدر الأعظم أو الوزير يشغل أرفع المناصب فى الدولة بعد السلطان .

٢- ديوان الاستيفاء :

هو أشبه ما يكون بوزارة المالية فى العصر الحديث ، ويسمى أيضا ديوان الزمام ، فلصاحب هذا الديوان الذى يعرف "بالمستوفى" النظر فى الأمور المالية ، والإشراف على حسابات الدولة ، وتدقيقها ، وكثيرا ما كان يقوم بجولات تفتيشية لأجل ذلك ، وتلى منزلته منزلة الوزير السلجوقى^(٦) لأن عمله مرتبط بالشئون المالية والحسابات فهو الذى يقوم بضبط أموال الجيش والدولة ، ويتكفل بإدارة جميع أموال الديوان والمنصرف وضبط الحسابات^(٧) .

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٧٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ ، ٤٦ .

(٢) إقبال ، الوزارة ص ٤٣ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٤) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٠ .

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٤٤ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، تاريخ العراق ، ص ١٩٧ ، أنورى : اصطلاحات ،

٣- ديوان الطغراء والرسائل والإنشاء :

الطغراء كلمة تركية استعملها أهل الديوان منذ استيلاء السلاجقة على إيران وهي تعنى الخط المقوس الذى كان يرسم فى صدر الفرمانات والمنشورات ، كما كان يحدث بالنسبة لعلاقة كل سلطة ، وبالنسبة للفظ الجلالة (بسم الله) ، وكان من يعهد إليه برسم هذا الخط يسمى بالعربية طغرائى - وبالفارسية طغراكش^(١) .

والطغراء كلمة تركية من طغراج أى الختم ، وقد جاء به الأتراك الغز من غرب آسيا حيث راج بعد ذلك فى بلاد السلاطين العثمانيين إلى عهد قريب ، وعرفته سائر الممالك بدورها^(٢) .

ويسمى رئيس هذا الديوان باسم الطغرائى ، وكان يتعامل مع السلطان والوزير مباشرة لأن مهمته كانت توصيل الرسائل والفرمانات والمنشورات إلى السلطان ومهرها باسمه^(٣) ، وهو الذى يصدر عنه الأوامر الموقعة بتوقيعه ، والمهورة باسمه وخاتمة والمذيلة بشعاره ، وهو الذى يصاحب السلطان عند خروجه للصيد إذا لم يخرج معه الوزير ، ويحل محله إذا غاب^(٤) .

وبعد هذا الديوان همزة الوصل بين السلطان وموظفى الدولة ، فالطغرائى يحمل الأختام ، وعن طريقة تصلهم الأوامر السلطانية موقعة ، وموشحة بالشعار السلطان^(٥) .

ويشمل هذا الديوان فروعاً وشعباً تدخل كلها فى تقسيمين هما ديوان الطغراء ، وديوان الرسائل والإنشاء^(٦) الذى يرأسه شخص اسمه الرئيس أو الوزير أو صاحب ديوان الرسائل ، وهو فى الواقع رئيس دار الإنشاء السلطانية ، يأتمر بأمره عدد كبير من الموظفين والمحربين المنشئين بأسماء كتاب الرسائل وأضربهم مما ينعمون بثقة الدولة ويحفظون أسرارها^(٧) .

(١) حسنين : قاموس الفارسية ، ص ٤٤٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٢٨٨ ، إقبال : الوزارة ص ٥٢ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١١٩ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦-١٨٣ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٣ ، إقبال : الوزارة ، ص ٥٢ ، حسنين : سلاجقة ، ص ١٧٠ .

(٧) إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠-١٨٣ .

وكان يشترط فى كاتب ديوان الرسائل أن يكون قد قمرس فى الكتابة ، وألم باللغة والأدب وعرف القوانين^(١) . وأن يكون ذا دين وورع ، لأنه يتحكم فى أرواح الناس وأموالهم^(٢) ، ماهراً فى كتابة وقراءة الخطوط الدقيقة وحسن عرض الموضوعات ، وصواب الرأى والمقدرة ، فقد حبس نظام الملك الشيخ مسعود ناصر بن عبد الله ، الذى عرف بحسن الخط فى بيهق ، ثم نقله إلى طوس للاستفادة منه^(٣) .

ويشرف ديوان الرسائل أو الإنشاء على جميع المكاتبات الرسمية ، والمراسيم والبراءات ، وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم السلطان بعد اعتمادها منه ، كما كان يحضر المجالس العامة التى يعقدها السلطان لسماع المظالم ، والنظر فى شكاوى الناس ، ويقوم بتسجيل ما يعن للسلطان من ملاحظات والتماسات^(٤) وينظم علاقة الدولة بالداخل والخارج ، يعاونه فريق من الكتاب الذين تتوافر فيهم نفس المزايا ويقسم هؤلاء الكتاب إلى طوائف تختص كل طائفة منهم بمكاتبة طبقة معينة من الناس ، فمنهم من يتولى مكاتبة الملوك ، وهؤلاء يشترط فيهم الإلمام بلغات حكام الدول المعاصرة ، ويعرفون بأمناء الأسرار ويختارون من الشقاة الذين يعرفون خفايا الملك ويحللون جميع المراسلات حتى يقفوا على معانى الكلمات ودقائق الألفاظ^(٥) . لأنهم يوفدون من قبل البلاط السلطاني إلى شتى أنحاء البلاد ، يحملون الرسائل ويقومون بالوساطات وينجزون المهام الرسمية والسياسية^(٦) .

وهناك فريق داخل ديوان الرسائل يعرف بالمراجعين مهمتهم قراءة وتصفيح كل ما يكتب بهذا الديوان قبل رفعه إلى السلطان^(٧) ، ومن الوظائف المهمة أيضا فى ديوان الرسائل

(١) ابن الصيرفى : القانون فى ديوان الرسائل ، ص ٧ ، ٨ .

(٢) ابن الصيرفى : نفسه ، ص ٨ ، ٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٣ ، ٤٠ .

(٤) ابن ممتى : قوانين الدواوين ، ص ٦٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٦ ، حسانين : سلاجقة ، ص ١٧٠ .

(٦) إقبال : الوزارة ص ٥٣ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ ، جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، ج ١ ص

وظيفة الخازن ، ويختص شاغلها بحفظ أصول المكاتبات التى ترد إلى الديوان مع إشارة موجزة حول ما تم بشأنها^(١) .

لقد كانت المهمة الرئيسية لديوان الرسائل هى تحرير الكتب الغراميين ، والرسائل السلطانية ، ولذلك دقق سلاطين السلاجقة العظام فى اختيار رؤساء ديوان الرسائل ، وتحرر الدقة فى تعيينهم ، فأولهم وهو طغرل بك اتخذ رؤساء لديوان رسائله منهم أبو القاسم الكوباني والدهستاني ، وعميد الملك الكندري^(٢) .

وكان أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة أبى نصر الزوزنى رئيسا لديوان الإنشاء فى عهد طغرل بك وألب أرسلان ، وتوفى سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م^(٣) وكان السلطان ملك شاه من أكثر سلاطين السلاجقة تحريبا ودقا فى اختيار رؤساء ديوان الرسائل^(٤) . فضم عصره كتابا فضلاء كبراء^(٥) . وكانوا موضع رقابة مشددة حتى لا يستخدم أحدهم توقيع السلطان فى غرض له^(٦) . لأن من مهام هذا الديوان كتابة العهود بالوظائف ، وللسلطان خاتم خاص يوقع به على تولية العهود والوظائف الكبرى^(٧) .

٤- ديوان الإشراف :

يختص هذا الديوان بضبط المحاسبات ، والصادرات ، والواردات ، والموازنة بينهما ، وهو فى الواقع مكمل لديوان الاستيفاء^(٨) فى إدارة أموال الديوان وضبط الحسابات ، وإثبات الدخل والمنصرف^(٩) .

(١) ابن الصيرفى : القانون ، ص ١٥-٢٥ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٦٣-٦٧ ، أنورى .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٤) إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٠٣ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٨٠ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٦ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٥٠-١٥٨ .

وترجع أهمية هذا الديوان إلى ما يقوم به من أعمال مالية ، ويرأسه رجل يعرف بالمشرف الذى يعد مسئولاً عن كل ما يدخل أو يخرج من الدركاه (قصر السلطان) حتى يتمكن من تحقيق التوازن بينهما^(١) ، وكانت تسجل المعاملات المالية فى وثائق تحفظ بالديوان وتخضع للمحاسبة^(٢) ، وهو يشبه الجهاز المركزى للمحاسبات فى الوقت الحالى ، لأن مهمة الاشراف كانت تستلزم ما يسمى "بالتقرير" الآن ، ولذلك فإنها لم تكن موضع الاحترام فى نظر طغرلبيك، فلقد شغل عميد الملك الكندرى هذا المنصب فى البداية قبل تولية الوزارة ، ولما كان طغرلبيك يرى أن الجاسوسية أمر لا يناسبه فقد عينه واليا على خوارزم^(٣) .

٥- ديوان عرض الجيش :

كان يعرف بديوان "العارض" ومن يرأسه يعرف بالعارض^(٤) ، أى عارض الجيش ، وكان يقوم بمهمة ضبط نفقات الجيش ومرتباته ، وتنظيم تغذيته ، وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش ، وكان له بدوره نائب يقيم دائماً فى المدن ، ويسير دفعة إدارة هذا الديوان فى حالة غياب العارض الذى كان يقيم معظم الوقت فى المعسكرات الخارجية المهمة^(٥) .

وكان هذا الديوان أيضاً يشرف على تسليح الجيش واعداده وتكوينه^(٦) ، ومن الطبيعى أن يهتم السلاجقة بالجيش لأنه مصدر حياتهم ، ومع قوة قواد الجيش السلجوقي أيام السلاطين العظام ، فإن عارض الجيش لم يكن له نفوذ قوى يذكر^(٧) ، حيث اقتضت مهمته على المهام المنوطة به فقط . وهذا الديوان مسئول أيضاً عن توفير العطاء للجنود غير الدائمين (المرتزقة) الذين لا إقطاع لهم ، وقد حرصت الدولة كل الحرص على ألا يكون عطاء هؤلاء الجند قليلاً حتى لا ينفروا من الخدمة ، وألا يكون كبيراً بالدرجة التى تجعلهم يستغنون به عن العمل

(١) مراهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٧ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، حسين أمين : العراق ، ص ١٩٩ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٥٦ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٥٨-١٥٠ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ .

(٦) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١١٦-١٤٧ .

فى الجندية ، كما فرضت عليهم رقابة شديدة فإذا تبين أن أحدهم قصر فى أداء مهامه عزل من الخدمة^(١) ، وبهذه الصرامة والجدية سار العمل فى ديوان الجيش على أحسن ما يكون^(٢) .

وكان سلطان السلاجقة يشرف على إدارة هذه الدواوين الخمسة ، فى أوقات قوة الدولة وتماسكها بمساعدة وزيره ، ورؤساء الدواوين التابعين له ، ولكن نظرا البداوة السلاجقة وتأثيرهم بالنظام القبلى فلم يلتزموا بتطبيق نظم إدارية معينة فى تصريف الدواوين التى كثر فيها الموظفون فأصبحت من الأعمال التى يتنافس الناس على الظفر بها^(٣) . وكان لكل صاحب ديوان من هذه الدواوين نائب يتولى مهام منصبه فى أثناء غيابه ، كما كان يعمل بكل ديوان عدة من الكتاب والموظفين يشترط فيه حسن السمعة والنزاهة والكتمان وسعة الثقافة وجمال الخط^(٤) .

وإلى جانب هذه الدواوين الخمسة ، والتى تعتبر من أهم الدواوين السلجوقية ، وجدت بطبيعة الحال دواوين أخرى كالتى كانت موجودة فى البلاط العباسى والغزنوى والسامانى ، مثل ديوان الزمام الذى هو نفسه ديوان الاستيفاء ، وديوان الخراج ، وديوان الشرطة ، وديوان المظالم الذى اهتم به سلاطين السلاجقة كغيرهم وكان مقره الدركاه (قصر السلطان) فكان كل من له مظلمة يذهب إلى باب السلطان السلجوقى ، ويحدثه مشافهة دون حجاب ، ويطلب إليه إنصافه ، ولا يبرج باب السلطان إلا إذا أجيب إلى طلبه^(٥) ، وكان سلاطين السلاجقة العظام يحرصون على إقامة العدل والحدود ، كما كانوا لا يقبلون شفاعاة فى إطلاق ظالم حتى ولو كان الشافع الخليفة نفسه^(٦) ، وغلب على السلطان ملك شاه لفظ العادل ، حتى قيل إنه لم توجد فى عهد مظلمة^(٧) ، ودخلت الطمأنينة قلوب الناس وكان الباعة يطوفون بالتبن والدجاج وسط العسكر لا يخافون بطشهم ولا يبيعون إلا بما يريدون^(٨) .

(١) الطرطوشى : سراج الملوك ، ص ٩٩ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ .

(٢) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٢ .

(٣) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٧١ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٩٩ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٨٠ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

أرباب الوظائف الأخرى :

والى جانب الدواوين الخمسة ، كانت هناك عدة مناصب إدارية لها وزنها وخطورتها فى الجهاز الإدارى السلجوقى ، يعين أصحابها من قبل السلطان وهى :

١- وكيلدار السلطان (وكيل البلاط) (وكيل الباب) :

هى وظيفة تشبه وظيفة (الحاجب برزك) ، ومنزلة هذا الموظف أخص من منزلة الحاجب الكبير^(١) ، لأن صاحبه يكون ملتصقا بالسلطان ليعرف أخلاقه ومزاجه ، ويقف على ما يرضيه وما يغضبه ، حتى لا يحدثه فى أمر دون اختيار الوقت المناسب للحديث^(٢) ، وكان مؤهلات هذه الوظيفة ، "أن يكون بليغا فى المنطق ، مستقلا بإقامة الحجة عند الحاجة ، متجنبيا للسماجة ، عارفا بأخلاق السلطان فى أوقات رضاء وسخطه ، وقبضه وبسطه ، فإذا وجده منقبضا تلتطف فى تنشيطه مما يتفق عليه من الحديث الرائق ، حتى إذا رأى منه القبول ، حدثه بمقصوده ، وإلا جرى فى الإمساك بمعهوده ، لأن السلطان لا يثبت خلقه على حالة ، ولا بد له من ضجر وملالة^(٣) ، فكان عليه أن يختار الوقت المناسب للحديث مع السلطان لكى يقنعه^(٤) ، لأنه يحدث السلطان مشافهة ، وهو غير وكيل البلاط الغزنوى الذى كان يوفد من قبل حكام الأقاليم إلى بلاط السلطان لإنهاء ما يخصم من أعمال ويأخذ راتبه من الوالى^(٥) بعكس وكيلدار السلطان السلجوقى الذى كان يقيم فى القصر السلجوقى ، ويأخذ راتبه من السلطان السلجوقى نفسه ، ويعين من قبل الوزير لأنه من أهم وظائفه أن يتردد فى المهمات بين الوزير والسلطان ، ويأتيه بجواب المؤامرات والرسالات^(٦) ، ويقال له فى بلاد العجم وكيلدار أى وكيل الباب^(٧) .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٨٦ ، أحمد حلبى : السلاجقة ص ٢١٢ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩١ .

(٤) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٢ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٣٣٥-٣٣٦ هامش ٦١ .

Osborn, Islam Under the Khalifs of Baghdad, London, 1978; p. 312-315 .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩١ .

(٧) البندارى : نفسه ، ص ٩١ ، حسنين : قاموس الفارسية ، ص ٧٩٠ .

٢- الطفرائي : (رئيس ديوان الطغراء والإنشاء) :

من أهم الموظفين في جهاز السلاجقة الإداري ، لأنه يتعامل مع السلطان والوزير مباشرة^(١) ، والمقصود به رئيس الديوان (البلاط السلطاني) أي رئيس ديوان الطغراء والإنشاء^(٢) ، وكانت وظيفته من الوظائف الخصوصية للسلاجقة^(٣) ، فاختاروا الطفرائي من خواصهم ، ولذلك كان اختياره يتم عن طريق السلطان أو وزيره نظرا لأهمية الوظيفة التي يشغلها^(٤) ، ومن الامتيازات التي كانت لهذا الموظف أنه يتمتع بصلاحيات الوزير ، حينما يكون الوزير السلجوقي خارج دار السلطنة مع السلطان في حرب أو صيد مثلا ، وكثيرا ما كان يعهد للطفرائي نيابة الوزارة^(٥) وبذلك يمكن أن نطلق على الطفرائي نائب الوزير^(٦) .

لذلك اختار نظام الملك^(٧) لهذا المنصب أحد التقاة الذين تتوفر فيهم مؤهلات معينة كقوة الشخصية وأصالة الرأي ، وعلو الثقافة ، وانتسابه إلى ذوى الجاه والمال والدهاء^(٨) ، وله نائب يحل محله إذا لزم الأمر^(٩) .

وكان يعمل مع الطفرائي ، وينطوى تحت رئاسته كثير من الموظفين ، والكتاب العاملين بأسماء كتاب الرسائل والمنشئين وأضربهم^(١٠) ، مثل الشيخ أبى بكر العبدى كاتب ديوان أبى القاسم الجوينى فى عهد طغرلبك^(١١) .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٤ ، ١٩٤ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٠ .

(٢) إقبال : الوزارة ص ٥٢ ، ٥٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠-١٨٣ .

(٣) إدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٢-٩٤ ، أدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٥) إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، ٥٤ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠-١٨٣ .

(٦) أدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٧) سياسة نامه : ص ٨٣ ، إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١٧ ، تاريخ العراق ص ١٩٥ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، ١٩٤ .

(٩) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٩ .

(١٠) حسين أمين : نظم الحكم ٢١٧ ، تاريخ العراق ، ص ١٩٥ .

(١١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

وشيخ الدولة أبى الحسن على بن على بن محمد بن عيسى البركردزى كاتب ديوان الأمير ابراهيم ينال^(١) وأبى الفتح أحمد بن حسن الباخريزى كاتب ديوان حسن بن موسى بيغو^(٢) ، والشيخ أبى بكر المستعين كاتب ديوان رئيس الرؤساء أبى عبد الله الميكالى^(٣) ، والشاعر دهخدا أبا البدر مظفر بن دهخدا أبا الحسن على بن محمد القصرى كاتب ديوان عميد الملك الكندرى^(٤) .

وكان سيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك محمد بن أبى نصر الزوزنى كاتباً فى ديوان الإنشاء أيام ألب أرسلان وملكشاه وكان أحد الكتاب المهرة فى فارس^(٥) ، وقد اتهم مع والده كمال الدولة أبو الرضا رئيس ديوان الإنشاء بعدائهما للخواجه نظام الملك فسلم السلطان ملكشاه عينه^(٦) سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣ م .

وكانت قوانين الدولة السلجوقية تلزم الصدور (الوزراء) والأمراء والرؤساء والأعيان والأكابر والوجوه والمشاهير وقادة الجند ، وجميع الحشم والخدم ، ومختلف طبقات الناس ، وكافة وعامة الشعب ، تلزمهم احترام الطغرائى^(٧) ، على أساس أنه المنتخب من قبل السلطان السلجوقى للعمل بديوان الصغراء^(٨) ، وعليهم أن يعرفوه ، ويشملوه بعنايتهم ، ويعاملونه بإجلال وإكرام وتوقير ، ويخاطب بهذا جميع الموظفين ، وعلى هذا فلينهجوا ويعملوا ويعتمدوا^(٩) .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

(٢) ابن فندق : أبو الحسن على بن زيد بيهقى : تاريخ بيهقى ، جاب شاه طهران ، ٣١٧ شمسيه / ص ٧٣ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٨ ، سيد على مؤيد ثابتى : تاريخ نيشابور ، (طهران ٢٥٣٥ ، شاهنشاهى) ص ٢٩٠-٢٩٥ ، حسنعللى مؤيدى : بقدرت رسيدن طغرل سلجوقى ، ص ٨٩٠-٩٢٢ .

(٥) إقبال : الوزارة ص ٨٩ ، مجلة يادكار : وفيات سلطان ملكشاه سلجوق ص ٦٢ ، ٦٣ ،

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٣٥ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٩ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٨) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٧ .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

وظائف الطغرائي :

أهم وظائف الطغرائي هي حمل الرسائل والفرمانات والمنشورات إلى حضرة السلطان^(١) ، وأيضاً من وظائفه في الإدارة السلجوقية أنه حامل الأختام ، ويتولى استصدار الأوامر السلطانية وتبليغها إلى أنحاء الدولة بعد حتمها بخاتمة وتوقيعها بتوقيعه ، والمهورة بخاتمة ، والمذيلة بشعاره^(٢) لأن للطغرائي شعاراً خاصاً بضعه على أوامر السلطان بجانب ختم السلطان السلجوقي^(٣) . وبذلك يتم صحة الرسائل وقداسية الأوامر السلطانية .

كما كان يتولى توصيل وتسلم المراسلات والمكاتبات والكتب من وإلى السلطان ، أو وزيره^(٤) في ديوانه المعروف بديوان الطغراء أو الرسائل^(٥) ، وينوب عن الوزير في غيابه^(٦) ، كما كان يتولى في بعض الأحيان الوزارة نفسها ، مثلما تولى أبو الغنائم جمال الدين تاج الملك مرزبان فيروز الشيرازي رئيس ديوان الطغراء والإنشاء في عهد السلطان ملكشاه^(٧) ، تولى الوزارة بعد مقتل نظام الملك سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م^(٨) ثم توزر لابنه السلطان الطفل محمود^(٩) ، كما كان الطغرائي يتولى في بعض الأحيان وزارة زوجة السلطان السلجوقي ، وقد ولى تاج الملك مرزبان هذه الوزارة لتركبان خاتون زوجة ملكشاه^(١٠) . كما كان على الطغرائي تنظيم علاقة الدولة بالخارج^(١١) ، وعليه أن يحدد وجوه الإنفاق ، وبعد مرتبات الحشم والخدم ، ويهيئ أسباب الرفاهية للناس ، وبعد ترتيب السلطنة ، ويترتب ديوان الإنشاء الذي يرأسه

(١) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٠٣ .

(٢) أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٢١٠ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ ، إدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ، ص ٩٧ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٥ .

(٦) إقبال : الوزارة ص ٥٣ .

(٧) مجلة يادكار : وفات سلطان ملكشاه سلجوقي ، ص ٦٢-٦٦ .

(٨) ابن فندق : تاريخ بيهق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٩) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

(١٠) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(١١) أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٢١١ .

كما أن عليه أن يدقق فى اختيار طبقات الكتاب الذين يدونون أسرار المحالك وخفاياها ، ويراجع دقائق ألفاظهم ومعانيهم ، ويعرف إمكانيتهم العقلية ، وعليه أن يرجع إلى السلطان فى كل مصالح الملك وشئون الدولة وألا يعترض على شئ يصدره السلطان، ولا يحيد عن طاعته^(١) .

كما كان على الطغرائى أو رئيس ديوان الرسائل والإنشاء تحرير الكتب والفرامين والرسائل والتبليغات^(٢) وكان كل ما يصدر عن هذا الديوان يوضع موضع التنفيذ ، وإذا تبين أن أحد استصغر شأن هذا التوقيع ، أو تباطأ فى تنفيذه مهما كان شأنه ، عوقب عقاباً شديداً^(٣)، وهذا يدل على اليقظة فى إدارة الدولة ، وارتفاع شأن السلطان فيها^(٤) .

الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى منصب الطغراء :

تمتع الطغرائى بمكانة سامية بين أرباب الوظائف فى سائر أرجاء الدولة السلجوقية ، فهو مختار السلطان نفسه الذى يعنى به عناية شاملة^(٥) ، ولذلك دقق السلطان فى اختياره ، فكان يختاره من العناصر المعروفة بالقوة والجد ، ومن تولوا مناصب إدارية سابقة حتى يتمرسوا فى الوظائف^(٦) ، ويجب أن يكون أحد الثقة ، ذا مؤهلات معينة ، كقوة الشخصية وأصالة الرأى ، وعلو الثقافة وانتسابه إلى ذوى الجاه والمال والدهاء^(٧) حتى يستطيع أن يباشر عمله بثبات وثقة ويحظى بمكانة عالية لدى السلطان السلجوقى ، ولكى تتم له الإحاطة الكاملة باختصاصاته الدقيقة والتفرغ للعمل والمحافظة على كل المراسيم والشروط^(٨) .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٥٤ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ، ص ١٥-٢٥ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٠٣ .

(٤) مراهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ص ٨٤ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ .

كما يشترط فيه أن يكون قد قُرس في الكتابة ، وعلم اللغة ، والأدب ، وعرف القوانين^(١) ، ذا خط جميل حسن^(٢) ، لأنه العقل الإداري والثقافي للسلطان السلجوقي^(٣) . وليس أدل على أن منصب الطغرائي كان ذا أهمية بالغة في البلاط السلجوقي من أن كان يؤهل صاحبه لرئاسة الوزارة^(٤) .

رسوم تعيين الطغرائي :

بلغ من أهمية منصب الطغرائي لدى سلاطين السلاجقة ، أنهم استصדרوا مراسيم بتعيين رؤساء الديوان السلطاني^(٥) ، وكان من رسوم تعيين الطغرائي أن يكون قد سبق تعيينه في وظيفة إدارية أخرى لكي يتمرس عليها ، وأن يكون قد مر في سلك الوظائف التي تؤهله للعمل كطغرائي حتى يكون متمكنا إداريا بشئون عمله^(٦) .

وكان من رسوم تعيينه أيضا إلزام الوزراء والأكابر والأمراء باحترامه ومعرفته^(٧) ، وجلس السلطان نفسه لاستصدار مرسوم تعيينه^(٨) ، وإلباسه حلة التشريف الفاخرة ، واصطحاب الوزير له إلى الديوان^(٩) .

رؤساء ديوان الطغراء والرسائل عهد السلاطين العظام :

تولى رئيس الرؤساء أبو عبد الله حسين بن علي بن ميكال الغزنوي^(١٠) منصب رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء للسلطان طغرلبيك في عهد عميد الملك الكندري^(١١) ،

(١) ابن ممتي : قوانين الدواوين ، ص ٦٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٢٦ ، ابن الصيرفي ، قانون ديوان الراسل ، ص ١٥-٢٥ .

(٣) إدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، إقبال : الوزارة ص ١٤٤ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٩٦ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ .

(٦) البنداري : آل سلجوق ، ص ٩٨ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٨) أنظر مرسوم تعيين طغرائي في الملاحق .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ١٣ .

(١٠) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

(١١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

وقد أثبت الباخريزى اسمه فى كتابه دمية القصر باعتباره أحد كتاب الرسائل فى ديوان طغرلبك^(١).

كما تولى أبو القاسم الجوينى (الكوبانى) ، منصب رئاسة الرسائل سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م فى بلاط طغرلبك بعد عزله من الوزارة^(٢) ، وكان يشغل هذا المنصب فى بيشاور أيام الغزنويين^(٣) ، كما كان أبو أحمد الدهستانى^(٤) ، وعمر ك أو عمروك ، اللذان توليا منصب الديوان أيام طغرلبك^(٥). كما عمل الكندرى كاتباً فى بدايته لطغرلبك ، ثم تولى منصب الوزارة^(٦).

وتولى أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن أبى نصر بن القاضى أحمد الزوزنى ، منصب رئاسة الديوان فى عهد ألب أرسلان وملكشاه^(٧) ، وكان أحد شعراء العصر السلجوقى وكتابه ، وظل يعمل فى ديوان الرسائل والإنشاء حتى عام ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م^(٨) ، حيث اتهم بتدبير مقتل نظام الملك مع أبى سعد القمى ، وتاج الملك أبى الغنائم ، فغضب عليه السلطان وعزله من منصبه ، وأسندته إلى الخواجه شهاب الدين أبى بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك^(٩).

(١) دمية القصر : ج ٢ ، ص ١١٥ ، ١٣٤ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٥٦ ، سيد على مؤيدى ثابتى : تاريخ نيشابور ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٥ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٥٧ ، مؤيدى ثابتى : تاريخ نيشابور ، ص ٢٩٠ - ٢٩٥ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٨-١٠٤ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥-٢٦٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٠ ، إقبال : الوزارة ص ٨٨ .

(٩) يعتبر شهاب الدين أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن نظام الملك من أشهر وزراء الدولة السلجوقية بعد أبيه وأخيه الأكبر فخر الملك ، ولد مؤيد الملك سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م ، وكان ثانى أبناء نظام الملك ، حيث كان برفقة أبيه مع أخيه فخر الملك منذ التحق بنظام نظام الملك بخدمة الأمير باجر (بيجر) القائم بشئون بلخ ، وكان معه أيضاً فى أثناء خدمته فى مرو للملك جفرى بيك داود ، وحينما قرر نظام الملك الالتحاق بخدمة =

ولم يستمر أبو بكر عبيد الله فى رئاسة ديوان الطغراء طويلا ، حيث عين فى نفس العام ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م فى وظيفة قائد لأحد جيوش السلطان ملكشاه^(١) ، وأسند منصب وزارة الرسائل لأحد الكتبة الشعراء المهرة المرؤوسين لكمال الدولة الزوزنى ، وهو الأديب أبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزنى^(٢) . الذى لقب بعد حصوله على هذا المنصب بلقب كمال الملك^(٣) ، والذى تفرس فى هذا الديوان منذ بدايته ، فكان يعمل نائبا لكمال الدولة أبى الرضا ، ثم نائبا لمؤيد الملك بن نظام الملك فى ديوان الرسائل ، إلى أن اشتغل برئاسته ، وظل يشغله حتى وفاته^(٤) .

وكان أبو جعفر يتحلى بكل الصفات التى تؤهله لهذا المنصب المهم فى البلاط السلجوقى ، وكان يتميز بكمال العقل ، جيد النثر ، رائق النظم ، عذب اللفظ ، لطيف الخط ، وكان يشغل

= جفرى بيك داود أخفى ولديه فخر الملك ومؤيد الملك الذى كان طفلا آنذاك عن أعين جواسيس الغزنويين وحينما وزر نظام الملك لألب أرسلان ، أوفد مؤيد الملك سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م من قبل السلطان وأبيه إلى بغداد لإنجاز إحدى المهام ، وصادف وصوله إلى دار الخلافة فيضان دجلة وغرق بغداد ، ولهذا لم يتمكن الخليفة القائم ورجاله من استقباله ، مما أغضبه وجعله يتصور أن الخليفة قد تعمد الامتناع عن استقباله ، فاسترضاه الخليفة بخلع كثيرة ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح مؤيد الملك أحد المبرزين فى الدولة السلجوقية ، فأعد لنفسه مسكنا ببغداد ، وشغل منصب الرئاسة والإمارة ، وأدار شؤون العراق والجزيرة مع سعد الدولة كوهراثيين شحنة بغداد ، وكان فى بلاط الخليفة العباسى بمنزلة الوزير ، وحين اعتلى المقتدى الخلافة سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م كان مؤيد الملك ضمن مبايعيه شأنه شأن وزير الخليفة ونقيب النقباء وقاضى القضاة ، وشارك مع السلطان ووالده فى الحروب ، واستمر كذلك فى عهد السلطان ملكشاه الذى أسند إليه منصب رئاسة الديوان سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م ، وبلغ من مكانته لدى الخليفة والسلطان أن الوزير العباسى كان يأمر بقرع الطبول أمام منزله وقت الصلاة من كل يوم ، ثم أوفد سنة ٤٧٧هـ / فى مهمة إلى شرف الدولة مسلم بن قريش المروانى يدعوه لطاعة السلطان ، وحتى سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م لم يرد ذكره لانشغاله فى المعارك ، ثم وزر للسلطان محمد بن ملكشاه ، وقتل أيضا سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م - لمزيد من التفاصيل أنظر : البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٥٠١-٥٢٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ٣٥١ ، إقبال : الوزارة ، ص ١٨٧-٢١٨ .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ١٨٧-٢١٨ .

(٢) المتوفى : القزوينى : تاريخ كزیده ، ص ٨٤ وما بعدها ، إقبال : الوزارة ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٠٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

منصب الكاتب عدة سنوات للسلطان ملكشاه الذى كان يعرفه تمام المعرفة^(١) ، وهو الذى أمر مؤيد الملك ابن نظام الملك أن يولييه عملا فى ديوانه فعينه مضطرا وبأمر من السلطان كاتباً لديوان الرسائل ، فقبل الأديب أبو جعفر يد ملكشاه اليمنى ، وألبس حلة التشريف الفخرة طبقاً لأمر السلطان ، واصطحب إلى الديوان ، وأجلس فى مكانه الجديد ، وهناك الناس بما فيهم نظام الملك نفسه^(٢) .

ثم تولى تاج الملك أبو الغنائم مرزبان خسرو فيروز الشيرازى ، رئاسة ديوان الرسائل والإشياء حتى مصرعه سنة ٥٤٨٦هـ / ١٠٩٣م^(٣) .

نواب الطفرائى :

نظراً لأهمية منصب الطفرائى ، كان يعين له نائب ينوب عنه إذا غاب عن الدركاه والديوان السلطاني ، ويعاونه فى نفس الوقت فى إدارة هذا الكم الهائل من الأعمال داخل الديوان ، ومن شغلوا منصب نائب رئيس ديوان الطغراء والإشياء أيام السلاطين العظام : أبو محمد الدهستانى ، وأبو القاسم الجوينى ، أيام طغرل بك^(٤) ، وسيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك ، ابن كمال الدولة أبو الرضا رئيس ديوان الإشياء فى عهدى ألب أرسلان وملكشاه ، ونائبه فى نفس الوقت ، والذى اختاره السلطان ملكشاه بنفسه^(٥) ، وصاهر نظام الملك الطوسى^(٦) ، وكان ووالده من مشجعى الشعراء والأدباء ، وخاصة الشاعر المعروف

(١) العونى : لباب الألباب ، ج٢ ، ص ٦٨ .

(٢) الباخزى : الدمية ، ج٢ ، ص ١٨٤ ، إقبال : الوزارة ص ١١٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٩٠ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، الباخزى : الدامية ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، وبلغ من مكانته أن عين لنفسه وزيراً هو عميد الدولة جمشيد بن بهمنار ، إقبال : الوزارة ص ١٥٦ .

(٦) إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ .

(المعزى) الذى كان مرتبطا بأبى المحاسن سيد الرؤساء ارتباطا كبيرا ، ومدحه كثيرا فى ديوانه^(١) .

وكان سيد الرؤساء هذا أحد الكتبة المهرة فى فارس ، وكان أيضا من ندماء ملكشاه ، وأحد المقربين إليه وكان السلطان يأنس إليه كثيرا ، وكان نظام الملك يفخر بشرف مصاهرته^(٢) ، ولكن عام ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م ، اتهم مع والده كمال الدولة بعدائهما للخواجه نظام الملك ، فسلم السلطان عينى سيد الرؤساء ، وأبعد والده عن منصبه ، ولم تعد نعرف شيئا عن أحوال هذه الأسرة^(٣) .

كما كان لكمال الدولة أبى الرضا نائب آخر فى ديوان الرسائل اسمه أبو الحسن على بن يحيى^(٤) ، كما تولى أبو اسماعيل الطغرثى نائبا لأبى بكر عبيد الله مؤيد الملك ، ثم عزل ونصب مكانه الأديب أبو جعفر الزوزنى^(٥) .

كما أناب تاج الملك أبا الغنائم عنه فى ديوان الرسائل مجير الدولة أبا الفتح على بن حسين الأردستانى ، فصار مجير الدولة كاتب رسائل الديوان الملكشاهى^(٦) ، والذى وزير للأمير سنجر بن ملكشاه فى خراسان سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م^(٧) فيما بعد .

(١) فما قاله : أبو المحاسن ، معين ملك الملك ومجد دولته :

ومن يحاكى الشمس فى معلها .. أو هو الزهرة تحلو للنظر

هو العظيم فخر الشعب وصاحب الكتاب . أنظر ديوان المعزى ص ١٤٥ ، إقبال : الوزارة ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٣) ولقد شبه أحد الشعراء الفرس وهو مؤيد الملك الطغرثى نكبة هذه الأسرة بنكبة البرامكة ، وخصص قسما من ديوانه لدائع سيد الرؤساء ووالده كمال الدولة فقال :

فيا آل فضل الله الله هلا وقتكم	أياديكم صرف الزمان المفجعا
أما لكم من آل برمك أسوة	أناخ بهم ريب الزمان فجمعجا
وقد قصرت أيدي المكارم بعدكم	وكنتم لها بوعا طويلا وأذرعنا

أنظر : إقبال : الوزارة ص ١٠٣ .

(٤) الباخزى : الدميده ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٩٠ .

(٦) ابن فندق : تاريخ بيهق ، ص ٧٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٤ ، ط. بيروت ، إقبال : الوزارة ، ص ٢٧٣ وما بعدها .

ألقاب الطفرائي :

بلغت منزلة الطفرائي درجة خطيرة كما رأينا في الدولة السلجوقية ، ولذلك كان يلقب بألقاب ينعم بها عليه السلطان نفسه ، كالوزير السلجوقي ، فقد لقب ابن ميكال بلقب رئيس الرؤساء^(١) ، ولقب أبو الرضا فضل الله بلقب كمال الدولة^(٢) ، كما لقب ابنه أبو المحاسن بلقب سيد الرؤساء معين الملك محمد^(٣) ، وتمتع أيضا بلقب مجد الدولة^(٤) ، كما لقب أبو بكر عبيد الله بن نظام الملك بلقب مؤيد الملك^(٥) ، ولقب الأديب أبو جعفر بلقب كمال الملك^(٦) ، وتمتع أبو الغنائم بلقب تاج الملك^(٧) ، ومنح نائبه أبو الفتح الأردستاني لقب مجير الدولة^(٨) .

٣- المستوفى :

تأتى أهمية منصب الاستيفاء تالية لأهمية الصدارة في ديوان السلاجقة ، وبعد مستوفى عام المملكة أو السلطنة صاحب أول وأكبر مقام بعد الخواجه العظيم^(٩) لأنه المسئول عن الشئون المالية والحسابات^(١٠) وضبط أموال الولاية ، ولأن مصالح الجند وقواعد الملك والرعية وأموال المملكة تحت مسئوليته^(١١).

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ ، ومن ألقابه أيضا الأمير المؤيد انظر ديوان المعزى ، ص ١٤٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٤) المعزى : ديوان المعزى ، ص ١٤٥ .

(٥) خوائد مير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ ، وما بعدها ، إقبال : الوزارة ، ص ٩٠ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ١٠٥ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢١ ، إقبال : الوزارة ، ص ٢٧٣ ، وما بعدها .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ٤٤ ، ٢٤٧ .

(١٠) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٧ .

(١١) إقبال : الوزارة ، ص ٤٨ .

فالاستيفاء وظيفة سامية فى الدولة السلجوقية لصاحبها النظر فى الأمور المالية ، فهو أشبه ما يكون بمقام وزير المالية فى نظمنا الحالية^(١) .

اختصاصات ووظائف المستوفى :

أول عمل للمستوفى فى البلاط السلجوقى رئاسة ديوان الاستيفاء وكان يتكفل بإدارة جميع أموال الديوان ، والدخل والمنصرف ، وضبط الحسابات^(٢) ، والإشراف على حسابات الدولة وتدقيقها ، وجمع الضرائب وتنظيم إيرادات الدولة ، ومصروفاتها ، وحفظ القوانين ، وتدبير الدواوين^(٣) . وعليه أن يقوم بجولات تفتيشية لأجل ذلك فقد قام العميد شرف الملك أبو سعد المستوفى بزيارة العراق ، ودخل بغداد سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م^(٤) ، وفى أثناء تلك الجولة أمر ببناء مدرسة بجوار ضريح الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان^(٥) ، ورتب لها مدرسا هو أبو طاهر الياس بن ناصر الديلمى الذى كان يتصف بالصلاح وحسن التفهم ودقة الفكر ، وتوفى سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م ، كما بنى قبة عالية عظيمة على قبر الإمام وأتفق عليها أموالا كثيرة وجعله مشهد كبير^(٦) .

كما كان على المستوفى ضبط الأموال التى تتعلق بالجيش السلجوقى ، وضبط أموال المملكة والعمل على حفظها^(٧) وعليه تعيين نوابه فى كل ولاية ومحاسبتهم إذا أخطأوا^(٨) .

الشروط الواجب توافرها فى من يتولى منصب الاستيفاء :

يجب أن يكون الشخص المختار لهذه الوظيفة معروفا بحسن السيرة والسداد فى رأى ومن حيث الدين يجب أن يكون من المتفق على تقواه عارفا بأسرار المعاملات المالية وأساليبها

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٧ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ .

(٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ورقة ١٠٩ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

لا يفوته ضبط الجزء من حساباتها ، موصوفا بأنواع من الكفاءات والخبرة التامة بالرسوم ، وأصولها وبآداب خدمة السلطان ، ذا قلم وحكم موصوفين بالعدل وشاهد صدق معروف بحسن الفصل بين الحق والباطل وأهلا للقيام بإنجاز المصالح والأمور السلطانية ليناط به حفظ أموال الدولة^(١) ، وله خبرة فى كافة أعمال الضرائب وغيرها ، ويفصل المحاسبات ويجليها ويراجعها عارفا بضبط الخراج والزيادات والعلاوات^(٢) .

رسوم تعيين المستوفى :

كان من رسوم تعيين المستوفى ، أن اختياريه يتم عن طريق السلطان السلجوقى أو وزيره ، وكان السلطان يصدر مرسوما بذلك^(٣) ، ويخلع عليه الخلعة الشريفة ويجلس له مجلس عام^(٤) . وكان من رسوم تعيينه أيضا إلزام عمال الوزارة بتوقيره واحترامه ، ومراعاة قدرته واحتشامه وعليهم أن يدركوا أن منزلته أرفع المنازل وأن يرفعوا إليه فى كل شأن يتعلق بديوان الاستيفاء وأن يوقروا مرسومه ورسومه بأمر من السلطان نفسه^(٥) لأنه هو الذى يقرر المعاملات ويحرر الحسابات ويثبت البراءات للسلطان .

نواب المستوفى :

كان مستوفى المملكة أو السلطنة العام هو نفسه رئيس ديوان الاستيفاء وكان له نواب أو وكلاء فى كل مدينة سلجوقية ، عرف شاغلها باسم وكيل المستوفى أو نائب المستوفى الذى كان يشترط فيه أن يكون كرئيسه مشهورا بحسن السيرة وكمال الديانة ، عليما بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات ، وأن يكون قلمه حكم عدل وشاهد صدق ، ويكلف هذا الوكيل الذى كان يعرف بالمستوفى الصغير^(٦) تمييزا له عن المستوفى الكبير ، بضبط أوراق الدخل

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٨ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ ، ٥١ وتبرز أهمية المستوفى عند قيام السلطان بعزل ولاته فيأمر المستوفى بتقديم بيانات بالأموال المتوفرة ووجوه إدخالها وإخراجها ، أنظر : حسن أنورى : ديوان استيفاء درحکومت غزنویان و سلجوقیان ، مجلة بررس های تاریخی - العدد ٦ السنة بهمن اسفند ١٣٥٢ شمارة مسلسل ٤٩ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ - ٥١ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ١١٣ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ .

(٦) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

والمصرف ، وضبط الخراج والضرائب والزيادات والعلاوات ، وإرسال نسخة منقحة ومهذبة إلى الديوان فى عاصمة السلطنة وعليه أن يوصل ما هو مقرر على الولايات التابعة له ، طبقا لما هو مسجل فى دفاتر ديوان الاستيفاء وبناء على ما هو وارد فى حجة الديوان^(١) . وهم أشبه بوكلاء وزير المالية الآن .

كما كان المستوفى يعين موظفا من قبله فى العراق خاصة يعرف بجابى الأموال ، ومهمته جمع الأموال المتحصلة من الضمان^(٢) والخراج والضرائب ، وحملها إلى خزانة السلطان السلجوقى بعد إنفاق جزء منها على المرافق العامة^(٣) ، أى أن المستوفى مفوض من قبل السلطان بتلك الاختصاصات ونائب المستوفى مفوض من قبل المستوفى بتلك المهمة ، وكان له كاتب يعرف باسم كاتب ديوان الاستيفاء أو كاتب المستوفى^(٤) .

وقد شهدت كبرى مدن المشرق الإسلامى تعيين مستوفى خاضع للمستوفى المقيم فى حاضرة السلطنة السلجوقية وقد أورد عباس إقبال مرسومين الأول بتعيين مستوفى لمدينة مرو وآخر لمدينة كرمان^(٥) .

ويبدو أن لفظ المستوفى يتفق مع لقب الخازن ، أو الخزينة دار^(٦) ، وكان يعمل تحت إمرته "الحساب" جمع حاسب أو محاسب^(٧) ، ويبدو أن الإدارة التى كان يشغلها هذا الموظف تتفق مع "ديوان الخراج" وديوان الزمام عند العباسيين^(٨) ، لأنه كان يشرف على خزائن الدولة^(٩) .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ .

(٢) أنظر : الناحية الاقتصادية .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ - ٥١ .

(٦) الكرديزى : زين الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٧) بارتولد : التركتان ، ص ٣٥٨ .

(٨) الطبرى : تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٥٥٠ .

(٩) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، بارتولد : التركتان ، ص ٣٥٨ .

أشهر من تولوا ديوان الاستيفاء عهد السلاطين العظام ونوابهم وألقابهم :

العميد شرف الملك أبو سعد المستوفى ت ٤٦١هـ / ١٠٦٨م تولى ديوان الاستيفاء عهد طغرل بك وألب أرسلان^(١) وهو نفسه عماد الدين أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور بن محمد الخوارزمي ت ٤٩٤هـ / ١١٠٠م صاحب ديوان الاستيفاء عهد السلطان ألب أرسلان وملكشاه ، وكان مرؤوسا لنظام الملك ، ومن أشهر موظفي بلاط ألب أرسلان ، كان ذا ثروة عريضة حتى قيل انه كان يمتلك ثلاثمائة وستين رداء يلبس في كل يوم أحدها بحيث يكون متناسبا مع الأيام وفصول السنة ، وإذا أهدى أحدا أو خلع عليه ، أعد خازنه بديلا لما أعطاه ووضع الجديد في خزانة الثياب^(٢) .

ويمكن تصديق هذه الرواية لأن سلاطين السلاجقة تحروا الدقة في اختيار المستوفى لأنه المسئول عن كل أموال الدولة ، لذا كان أمينا ثقة ذا ثروة .

وفي الثامن من صفر عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ، أوفد ألب أرسلان شرف الملك المستوفى إلى الخليفة في بغداد حيث أهدى له مصحفًا شريفا نفيسا ، وياقوته حمراء ، وسلمه رسالة السلطان ، وبقي شرف الملك في منصب الاستيفاء إلى ما بعد وفاة ألب أرسلان ، وكان مؤيدا لنظام الملك ومعينا له ، لكنه استقال من منصبه قبل مقتل النظام ، وموت السلطان ملكشاه ، ودفع مائة ألف دينار كى يعفيه السلطان من الخدمة ، وتوفى في أصفهان سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م^(٣) .

وقد بنى إلى جانب قبر ومدرسة الإمام أبى حنيفة النعمان مدرسة أخرى للحنفيين في مرو^(٤) ، وكان نائبه أبو غالب أسعد بن محمد بن موسى البراوستاني من أهل قم ، ثم النجيب الجرياذقاني ، ثم أبو الفضل أسعد البراوستاني القمي ، والذي لقب بمجد الملك وكان حجة في الضبط والحفظ ، وتدبير الدواوين^(٥) .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٨٣ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٣) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ورقة ١٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٧٤ ، ط .

بيروت .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٨٥ .

(٥) البنداري : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

وكان شرف الملك المستوفى - ممدوح - أمير الشعراء المعزى ، وقد امتدحه مرارا فى ديوانه^(١) ، كما مدحه أيضا الأبيوردى فى قصيدة غيداء فى ديوانه هو الآخر^(٢) .

٤- المشرف :

هو رئيس ديوان الإشراف الذى كان مكملا لديوان الاستيفاء ، لأنه يختص بضبط المحاسبات والصادرات ، والواردات ، والموازنة بينهما^(٣) ، وكان للمملكة أو السلطنة العامة مشرف يسمى مشرفا عاما يسمى بالفارسية مشرف كل مملكة^(٤) .

الشروط الواجب توافرها فى المستوفى ورسوم تعيينه :

كان يراعى فى الشخص الذى يستند إليه هذا المنصب أن يكون ثقة ، عفيف اليد ، سديد رأى لأنه مسئول عن كل مايدخل أو يخرج من الدركاء (قصر السلطان)^(٥) ، وكان المشرفون يوضعون تحت المراقبة لأن الفائدة التى تحصلها الدولة من استقامتهم تعادل أضعاف ما يتقاضونه مشاهرة^(٦) ويفضل أصحاب القلم الرفيع ، ويتعين عليه بموجب منصبه أن يجعل كل شئ تحت تصرفه وتحت سمعه وبصره ، وأن يقف على الدخل والمنصرف ، ولا يغرب عن باله مثقال ذرة^(٧) .

(١) ديوان المعزى ص ١٤٧ حيث يقول :

عماد الدين الملك الذى بفضل شمائله
دائما ما يسطع دين محمد المختار
إنه سر السعادة أهر السعد ، الذى بقتل كفايته
يزداد مديحنا لملك الملوك الصيد الكبار
إنى أعيش فى جواره دون بقية الشعراء

فاكتب لى اللهم فى جواره السعيد العزة . لا الهوان والصغار . إقبال : الوزارة ، ص ٨٦ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

(٥) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٧ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٩٩ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

وكانت وظيفة المشرف كغيرها من الوظائف المهمة فى البلاط السلجوقى ، التى يفوضها السلطان بنفسه ، بمقتضى مرسوم يذكر فيه اختصاصات من يمارسها والشروط الواجب توافرها فيمن يتولى هذا المنصب^(١) ، وكان من رسومه أيضا إلزاما العمال والموظفين فى ديوان الإشراف بإطاعة أوامره ، وعليهم عدم التصرف فى أمر من الأمور دون علمه ومعرفته ، وعلى نائب قصر الرئاسة ألا يجرى شيئا دون حضوره وأن يبلغ بما أقدمه من أعمال وعلى المفوضين مراعاة حرمة ، وسماع شكايته وقبول شكره^(٢) .

نواب المشرف :

كان المشرف العام للملكة يعين له نوابا يساعدونه يسمى كل منهم (نائب المشرف)^(٣) وهو بمنزلة رئيس للتفتيش المالى^(٤) ، ويشترط فى نائب المشرف أن يكون أمينا قويا فى كل ناحية ومدينة لمراقبة الأعمال ، والإشراف على تحصيل الخراج ، ومعرفة كل صغيرة وكبيرة هناك ، أولا يشغل نفسه بجمع المال ، ولذلك يحقق لهم كل ما يحتاجونه من بيت المال حتى لا تكون لهم حاجة لخيانة ورشوه^(٥) ، وأن يكتبوا الدخل والمنصرف بالتفصيل ويرسلوا نسخة منه إلى ديوان الإشراف^(٦) .

ويعرف بعض العلماء المشرف بأنه من يعينه السلطان جاسوس على رسول له لينقل إليه ما يجرى فى أثناء أداء الرسالة^(٧) ، وهو ما يشبه كتابة التقرير اليوم ، ولذلك كرهها طغرل بك وعزل الكندرى عنها^(٨) . ويؤيد ذلك قول بارتولد^(٩) من أن المشرف يعنى حرفيا المراقبة من أعلى ، ولذا فإن مهمة "المشرف" أى المراقب وفقا لنظام الملك هى أن يعلم بما يدور فى البلاط ويطلع عليه المسئولين إذا ما احتاج الأمر إلى ذلك .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٩٩ ، النورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٩٩ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٧) نظام الملك : سياسة ، ص ٩٩ ، هامش ١ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٥٦ .

(٩) التركستان ، ص ٣٦٠ .

وأهم من تولى الإشراف عصر السلاطين العظام : أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة الزوزنى ، رئيس ديوان الإنشاء والإشراف حتى سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م^(١) ، ثم ابنه سيد الرؤساء أبو المحاسن^(٢) ، وأبو المعالي عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبد الرازق بن عمر الأصفهاني^(٣) .

وكانت وظيفة الإشراف (المشرف) لها علاقة بوظيفة المستوفى ، إذ أن المستوفى بطبيعة وظيفته يكون مراقبا لديوان الإشراف ، حيث تسجل المعاملات المالية فى وثائق وتحفظ بالديوان وتخضع للمحاسبة^(٤) ، وكان للمشرف كاتب يعرف بكاتب ديوان الإشراف^(٥) .

٥- عارض الجيش :

هو متولى ديوان عرض الجيش ، ووظيفته الإشراف على ديوان الجيش وتنظيم سجلات الجند ، وصرف مرتباتهم وتهيئة الجيوش وتسليحها وقومنها ، وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش^(٦) ، وعليه تقسيم الجنود إلى فرق وفصائل حتى يسهل توزيع المهام عليهم وقت الحاجة ، وينظر العارض أيضا فى مخاصمات الجند ، وما يتعلق بأمر الإقطاعات ، وإذا كان لأحدهم حاجة أو مطلب يفصح عنها لرئيسه ، فإذا أمكن حلها كان هذا فى صالح الدولة^(٧) ، وكان عليه أيضا توفير الأسلحة والمعدات الحربية ، وتخزينها فى القلاع إذا ما اقتضت الضرورة إليها^(٨) .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٢ .

(٤) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٩ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٧ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٩ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص ١٦٩ ، ٥٦٢-٥٦٥ ، إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ١٠٩ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٦٣ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٣٩ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢١-١٢٣ .

وكان للعارض نائب يقيم معه فى الحضر ، ويسير دفعة إدارة الديوان فى حالة غياب العارض الذى كان يقيم فى معظم الأوقات فى المعسكرات الخارجية ، حيث كان عليه أن يصاحب السلطان أو الوزير فى حروبه الخارجية^(١) .

وعند تولى العارض أو صاحب ديوان العرض مهام وظيفته ، يأمر له السلطان بخلعه قاهرة ، تشتمل على منطقة بسبعمائة مئقال فى العادة ، ويصبح بذلك من ذوى الرتب الكبيرة فى الدولة ، ويستعين بمجموعة من الكتاب لعمل بيانات بمكافآت الجند وبيانات المصروفات وحفظها^(٢) ، ويمكن تشبيه عمله بعمل رئيس أحد الجيوش العسكرية الآن .

ومن تولى هذا المنصب أبو المعالى عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبد الرازق الأصفهاني ، الذى شغل منصب عارض الجيش أواخر عصر ملكشاه^(٣) .

٦- العميد :

من المناصب التى استحدثها السلاجقة فى العراق ، وهو يعين من قبل السلطان السلجوقى وسلطاته على ما يبدو وكسلطان المدير أو المحافظ فى عصرنا هذا ، ووظيفته إدارية^(٤) ، وقد عرف بعميد العراق^(٥) ، لأن سلطاته أوسع من سلطات الشحنة ، فالعميد يشرف على العراق بأكمله ، بينما الشحنة يعين للإشراف على مدينة ك بغداد ، أو البصرة أو غيرها من مدن العراق^(٦) .

والعميد يعتبر نائبا عن السلطان السلجوقى ببغداد والعراق^(٧) كله ، ويكون مقره بغداد لينوب عن السلطان فى حاضرة الخلافة ، لأنه كان من عادة سلاطين السلاجقة أن يرسلوا نوابا عنهم إلى الأقاليم التى تخضع لسلطانهم^(٨) .

(١) إقبال : الوزارة ص ٥٧ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٠ .

(٢) البيهقى : تاريخ ص ٥٦٥ ، بارتولد : التركتان ص ٣٥٠ ، بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ، ص ١٠٩ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ١٤٢ .

(٤) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ .

(٥) البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٤٠٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٦ ، ص ١٠٩ .

(٦) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ ، إدريس : رسوم ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ص ٤٨٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ .

(٨) ابن خلدون : نفسه ، ص ٤٨٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

ويعتبر السلطان طغرليک أول من أنشأ هذه الوظيفة^(١) ، والذي دفعه إلى ذلك هو ومن جاء بعده من سلاطين السلاجقة الذين حذوا حذوه ، أنهم لم يتخذوا بغداد مقرا لهم^(٢) ، وذلك لوجود الخليفة فيها وعدم تعود السلاجقة على عادات أهل بغداد ، فيكفى ما كان يفعله الجند الأتراك الغز حينما ينزلون بغداد مع العامة^(٣) ، كما أنهم كانوا يجهلون اللغة العربية ، وكانوا يجيدون اللغة الفارسية والتركية ، لذا تراهم يتخذون إيران بمدنها المختلفة كالرى ومرو وأصفهان^(٤) ، حواضر لهم ، ينفردون بالزعامة فيها يتصرفون بها وفيها كيفما شاءوا ، بينما لو أرادوا اتخاذ العراق أو بغداد مستقرا لهم لوجود الخليفة منافسا لهم ، وهذا ما جعلهم يكتفون بنياية أحد موظفيهم فى العراق يدبر شؤونهم ويرتب أموره^(٥) . وهو العميد .

كما كان المسئولون السلاجقة كالسلطان أو الوزير أو المستوفى وغيرهم من كبار الموظفين السلاجقة كانوا كثيرا ما يترددون على العراق ، وبغداد بالذات^(٦) ، للتعرف على أحوالها ومشاكلها ، أو لزيارة الأضرحة أو لدواعى الترف كان بهاء بغداد يستهويهم وخاصة قى الشتاء^(٧) ، وتركوا دفعة إدارتها للخليفة ووزيره العباسى ، ونائبهم العميد ومساعدته الشحنة اللذين مارسا عملهما من المقر السابق لحكام بنى بويه ، والمعروف بقصر السلطان ويقع بالجهة العليا من شرف بغداد^(٨) .

وكان أول عميد لبغداد والعراق هو (أبو نصر أحمد بن على) ، الذى عينه السلطان طغرليک ، وقد قاوم البساسيرى ومعه شحنة بغداد ، فقتله البساسيرى مستغلا وجود طغرليک فى الموصل^(٩) سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م وكان هذا العميد ذا شجاعته فهو الذى أشار على

(١) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١١-١٣ .

(٢) Le strange : Baghdad during the Abbande calphate, p. 33, Alay, Tyguribey; p 73.

(٣) أبو نصر الكاشانى : تاريخ آل سلجوق ، ص ٨ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١١٦ ، ص عتيلى : آثار الوزراء ص ٢٠٧-٢١١ .

(٧) سبيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ .

(٨) Le Strange; Baghdad, p. 23 .

(٩) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٥ . اليافعى : مرآة الجنان ، ج ٢ ص ٦٦ ابن كثير : البداية والنهاية ،

ج ١٢ ص ٦٨ .

رئيس الرؤساء ابن المسلمة بعدم مناجزة البساسيري إلا بعد وصول السلطان طغرلبك^(١)، وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ فى بغداد^(٢). وتولى بعده العميد أبو الفتح ابن أبى الليث^(٣). ولقد تدخل العميد نائبا عن طغرلبك ومعه الشحنة فى شئون الخلافة، حينما استعان بهم طغرلبك فى تحقيق أغراضه، عندما ساءت العلاقات بينه وبين الخليفة العباسى القائم بأمر الله، مثلما حدث عندما أمرهما بمصادرة أموال الخليفة، وحاشيته، وأن يترك ما كان باسم الخليفة القادر بالله من الأملاك، فلبجأ الخليفة إلى الرجاء بترك أمواله، ويتضح ذلك من كتابه إلى طغرلبك الذى جاء فيه "مارجوننا من ركن الدين ما منع وما توقعنا ما وقع، وبين يديك الإقطاعات فأقطعها، وقد ارتفعت الموانع فامنعها"^(٤).

ولقد تعاون الشحنة والعميد فى إدارة الولاية، وحاربا معا كما سلف، وإذا حدث شئ يعكر صفو الأمن داخل بغداد، ففى صفر من سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ثارت فتنة بين الشيعة والسنة فى بغداد، وقتل جماعة، وكانت الواقعة بين جامع المنصور^(٥) والقنطرة

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٢٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ٢٢٦ ، ورباط شيخ الشيوخ أو رباط الزوزنى ، وهو ذلك الرباط الذى بنى مقابل جامع المنصور ، وقد نسب إلى أبى الحسن على بن محمود بن إبراهيم الزوزنى ٣٦٦-٤٥١هـ/٩٧٦-١٠٥٩م وهو من كبار صوفية بغداد ، ولم يكن الرباط ملتصقا بالجامع ، وإنما كانت بينهما فسحة كان من عادة الصوفية أن يقيموا فيها مآدبة للطعام إذا مات رجل منهم ، انظر : ابن الجوزى ، المنتظم ، ج٧ ، ص ١١١ ، ج٨ ، ص ٢١٤ ، السمعانى : الأنساب ج٦ ص ٣٤٤ ط . الهند ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ج٨ ، ورقة ١٨٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٣٩١ ، صالح العلى : بغداد ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٤ .

(٤) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٧ ، ١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص ٢٢٥ .

(٥) جامع المنصور : هو المسجد الجامع الذى بناه أبو جعفر المنصور عند بناء بغداد سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م ، وظل يسمى جامع المنصور أحيانا ، ويسمى جامع المدينة . انظر : الخطيب البغدادي ج١ ص ٤٤٧ ، ٤٤٤ ، ٣١٥ ، ٣٥١ ، ج٨ ، ص ١٩ ، ٢٤٩ ، ابن الديبشى : المختصر المحتاج إليه ج١ ص ١٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم : ج١ ص ٢١٧ ، ج٧ ، ص ١٧١ ، ٢٧٩ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ٨٠-٨٨ .

العتيقة^(١)، فتولى قتال أهل السنة العميد والشحنة ، ثم حاصرا الطائفتين أياما ، فلم يقدر أحد أن يظهر ، فجبى لهما مال تولى جبايته النقيبان ، نقيب السنة ونقيب الشيعة ، فأمر الخليفة المقتدى بالقبض على النقيبين ، وأنكر مافعلا ، وألزم العميد والشحنة برد الأموال^(٢).

ويقوم العميد بمراقبة دواوين الدولة ، وعمل إصلاحات عمرانية ، ويراقب الخليفة وحاشيته^(٣) فهو عين السلطان في بغداد ، وتوضع تحت تصرفه حامية من الجند السلجوقي ، يستعين بهم في تحقيق أغراض سلاطين السلاجقة^(٤) . فقد قام العميد أبو الفتح بعمارة الكرخ^(٥) سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م^(٦) .

(١) القنطرة العتيقة : هي القنطرة التي بناها المنصور ، وتنتهي عند باب البصرة عليها سوق كبيرة فيها سائر التجارات ، وسميت بالعتيقة أو القديمة لأنها أول من بنى من قناطر على عهد المنصور ، وبنى بعدها قناطر أخرى حديثة وقد جددت عدة مرات الأولى سنة ٣٦٠ هـ / ٩٨٠ م ثم سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م ، بعد أن زادت الفرات ففرقت بغداد ، وسقطت القنطرة الجديدة والعتيقة ، وجدها عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ هـ . وقد جددت مرة أخرى على عهد ملكشاه السلجوقي سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، وظلت قائمة حتى القرن السابع الهجرى على الرغم من أنها أصبحت في غاية العتق كما ذكرها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ص ١٨٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، ج١٠ ص ٣٦٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ج٩ ص ٤٣ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ٤٠٦ ، صالح العلى : بغداد ، ص ٤٩٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ، ص ٤٥٤ .

(٣) فقد كان العميد يتدخل أحيانا في شئون الخليفة ، فتصطدم سلطته عندئذ بسلطة الخليفة ، ويقع الخلاف بينهما ففي سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م أرسل الخليفة المقتدى الإمام الشيخ أبا إسحاق الشيرازى برسالة إلى السلطان ملكشاه تتضمن الشكوى من العميد أي الفتح ابن أبى الليث ، انظر : البندارى : آل سلجوق ص ٦٩ ، السيوطى تاريخ الخلفاء ، ص ٧٠ وعزل العميد أبو الفتح عن منصبه ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٤٢٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٤ ، أدریس : مرسوم ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) الكرخ : أحد أحياء بغداد الشهيرة ، وهو الذى أسكن فيه المنصور التجار وجعل فيه الأسواق عند بناء بغداد واشتهر هذا الحى ومازال سكنه الشيعة دوما ، لمزيد من التفاصيل انظر : البغدادي : تاريخ بغداد ج١ ص ٣٦٥ صالح العلى : بغداد ، ص ٢٣٨ .

(٦) حيث قام العميد أبو الفتح بعمارة سوق الكرخ ، وتقدم إلى من بقى من أهلها بالرجوع إليها ، ونهاهم عن العبور إلى الحرم الطاهرى والعيش فيه ، وابتدأ العمارة ، فأعاد السوق إلى ما كان عليه أيام البويهيين ، انظر : الجوزى مرآة الزمان ج٨ ، ورقة ١٧١ ، ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ٤ ، صالح العلى : بغداد ، ص ٦٧ .

وقد أوفد العميد فى كثير من الأعمال من قبل السلطان السلجوقى ، فى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، أوفد العميد أبو الفتح المظفر بن الحسين الذى شغل المنصب بعد العميد أبى نصر أحمد بن على ، أوفد من قبل السلطان ألب أرسلان فى موكب رجوع ابنة الخليفة القائم بأمر الله وزوجة السلطان طغرل بك^(١) ، والتى أعادها السلطان ألب أرسلان إلى دار الخلافة ببغداد ، وكان معه الأمير ايتكين السليمانى شحنة بغداد ، ولكن أبا الفتح المظفر ابن الحسين مات فى الطريق^(٢) .

وبلغ من سلطات العميد ببغداد أنه كان يجلس فى مجالس الخليفة ، ويأخذ منه الخلع للسلطين ، فى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م وبعد وفاة العميد أبى الفتح ابن الحسين ، تولى أبو الحسن العميد هذا المنصب ، وحينما جلس الخليفة القائم بأمر الله جلوسا عاما لإعطاء البيعة بالسلطنة لألب أرسلان ، كان ذلك بناء على طلب العميد أبى الحسن ، الذى جلس بحضرة الخليفة وتسلم منه الخلع ، ولقبه الخليفة بشيخ الدولة ، ثقة الحضرتين^(٣) .

وفى سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م ، تولى أبو العباس الخوافى فى منصب العميد ، فقد وصل إلى بغداد فى رجب من السنة المذكورة موفدا من قبل السلطان ألب أرسلان^(٤) .

وظل الخوافى عميد للعراق ثمانى سنوات حتى عزل وأعيد أبو نصر أحمد بن على إلى عمله كعميد للعراق سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م فقد حضر . سعد الدولة كوهرايين شحنة بغداد مع عسكر السلطان ألب أرسلان^(٥) - الذى كان يرافق العميد والشحنة فى رحلاتهما إلى بغداد ، أو إلى دار السلطنة السلجوقية فى مرو وأصفهان^(٦) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٦ ، ص ٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٣٦٦ ط. بيروت .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٦٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٦ ، ص ٨٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٨١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٨١ ، ٢٨٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠١-٢٠٧ .

ولم يمكث أبو نصر أحمد بن علي في عمله طويلا ، فقد عزل وتولى مكانه أبو أحمد النهاوند عميدا للعراق^(١) وكثيرا ما كان العميد يقوم بحملات عسكرية من قبل السلطان ، أو يوفد لتسلم مدن سلكها أهلها له ، ففي سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م أرسل السلطان ألب أرسلان العميد كمال الملك أبا الفتح الدهستاني إلى الأنبار ليتسلمها من بني عقيل^(٢) ثم أرسله سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م إلى مدينة هيت^(٣) ، بجيش وحاصرها ، فأخذها صلحا^(٤) .

وقد شارك عميد العراق كثيرا في تهذئة الفتن التي كانت تحدث بين الفرق الدينية ، ففي سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م اشترك العميد كمال الملك الدهستاني في إسكات فتنة بين أهل البصرة ، وأهل الكرخ الشيعة^(٥) ، وعزل كمال الملك سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م ، وتولى مكانه أخوه أبو المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني ، الذي شارك هو الآخر في رأب الصدع بين الحنابلة والأشعرية في بغداد ، وظل عميدا إلى نهاية حكم ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م^(٦) .

٧- الشحنة :

وهو من المناصب التي استحدثها السلاجقة أيضا في بغداد^(٧) ، ويعين صاحبها من قبل السلطان السلجوقي^(٨) ويتمتع شاغلها بسلطات بوليسية ، وإدارية ، وحرية ، فهو المسئول

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٤ .

(٢) بنو عقيل هم : حكام الموصل ، والأنبار ، وكان ولاؤهم يتوزع بين السلاجقة تارة والفاطميين تارة ، أنظر الفصل الأول من الرسالة ، وسهيل زكار : المدخل ، ص ٨٩-٩٩ ، وأول من أسسها محمد بن المسيب العقيلي سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م .

(٣) هبت : بالكسر ، وآخره تاء مشناه ، وسميت هبت لأنها في هوة من الأرض ، بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ، وهبت أيضا من قرى حوران من أعمال دمشق ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٥٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٦٢ . البنداري : آل سلجوق ، ص ٨٧ - ٩٢ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ ، الخالدي : الحياة السياسية ، ص ٢٥٤ ، أحمد حلمي : السلاجقة ص ٢١٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٣ ، إدريس : رسوم ص ١٠٩ ، أنوري : اصطلاحات ، ص ٢٢٣-٢٢٢٥ .

عن إدارة المدينة ، والمحافظة على أمنها واستقرارها ؛ وملاحقة الخارجين على النظام ، ومعاقبة المسيئين^(١) ، وهى بهذا تشبه وظيفة حكامدار المدينة أو مدير أمنها فى الوقت الحاضر .

وكان لكل مدينة سلجوقية شحنة ، خاصة مدن العراق^(٢) ، وبصفة أخص بغداد لوجود الخليفة فيها ، فعند دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، وبعد أن استتب الأمر لطغرل بك فيها ، ترك وزيره عميد الملك الكندرى فى بلاد الخلافة العباسية^(٣) ، وعين شحنة لبغداد هو الأمير برسق^(٤) ، الذى كان مقر إقامته فى دار الخلافة نفسها بغداد بجوار الخليفة العباسي^(٥) .

ولقد حدد نظام الملك^(٦) الشروط الواجب توافرها فىمن يتولى مسئولية الشحنة فقال "ليبحث فى كل مدينة عمن له شفقة فى الدين ، وعلى أمور الدين ، ويخاف الله تعالى ، وليس يصاحب غرض ثم يقال له إننا نضع هذه المدينة والناحية أمانة فى عنقك ، عليك أن تحيط بكل شئ ، وتتحرى كل صغيرة وكبيرة ، ثم تحيطنا علما بالحقيقة سرا وعلانية لكى تأمر باتخاذ التدابير اللازمة ، بل أنه أوجب على من يتوفر هذه الصفات أن يلزم بقبول الوظيفة ، وإلا أجبر على تحملها .

كما كان يشترط فى الشحنة الشجاعة والمقدرة العسكرية والإدارية ، والمقدرة على حفظ الأمن ومراقبة المفسدين والقبض على الجناة ، ومراقبة اللصوص ، وقطاع الطرق^(٧) .

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ ، العراق ، ١-٢ ، ٢٠٢ .

(٢) الخالدي : الحياة السياسية ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، فهناك شحنة لواسط ، وآخر للكوفة ، وآخر للبصرة ، وآخر للأتباء وغيرها وكانت هناك شحنة للمدن الأخرى كشحنة همدان والرى وغيرها ، ابن تغرى بردى : النجوم . ج ٥ ص ٧٣ .

(٣) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٥-١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٣ .

(٥) إدريس : رسوم ، ص ١٠٩ .

(٦) سياسة نامه ، ص ٨٣ .

(٧) الخالدي : الحياة السياسية ، ص ٢٥٥ .

ويعمل ابن خلدون ^(١) الأسباب التي دعت السلاجقة إلى تعيين شحنة بقوله "كثرة الفتن وانتشار الذعار والمفسدين في بغداد .. هذه الفتن التي كانت بين أهل السنة والشيعة ، وبين الحنابلة والشافعية ، ولم يقدر بنو بويه ولا السلاجقة على حسم ذلك لبعده حواضرهم عن بغداد ، ورأى السلاجقة أن تكون بغداد شحنة تحسم ماخف من العلل" .

وقد شارك الشحنة في أعمال حربية في جيش السلطان ، أو للدفاع عنه ، فقد شارك شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين في الإعداد معركة مانزكوت مع السلطان ألب أرسلان ، وهو الذي أبقى الغلام الرومي الذي أسر الإمبراطور البيزنطي رومانس الرابع ^(٢) .

ولم تقتصر أعمال الشحنة على حفظ الأمن في الداخل فقط ، بل تعدى اختصاصاته ، وقام بأعمال عسكرية واسعة كما فعل سعد الدولة كوهرائين في عهد السلطان ألب أرسلان وملكشاه ^(٣) ، بل أنه هو الذي تسلم تقليد الخليفة القائم بالسلطنة للسلطان ملكشاه سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، وبلغ من نفوذه أن الخليفة جلس له ، ووقف على رأسه ولي العهد المقتدى بأمر الله ^(٤) .

وكان سعد الدولة كوهرائين قد عين شحنة لبغداد سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م حسب رواية ابن الأثير ^(٥) ، بعد أن ارتكب (ايتكين السليمانى) الشحنة السابق ، أفعالا أغضبت الخليفة القائم بأمرين ، حيث استخلف ابنه عند سيره إلى السلطان ، وجعله شحنة بغداد ، فقتل أحمد الماليك الدارية ^(٦) ، فغضب الخليفة ، وأصر على عزله من شحنة بغداد على الرغم من معارضته نظام الملك الطوسي ^(٧) .

(١) العبر ، ج٣ ص ٤٧٧ ، والذعار : لغويا شراسة الخلق ، وزعرور سئ الخلق وتدل على المفسدين وقطاع الطرق ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص ٢٣٥١ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٥ ، ٢٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ ، وقد كان كوهرائين مع ألب أرسلان في حروبه ضد الخانيين التي قتل فيها ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٦ ص ١٥٤ ، ط. بيروت .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٤ .

(٦) الدارية : من الفارسية دار بمعنى صاحب والقيم ، حسنين : قاموس ، ص ٢٣٢ ، أحمد السعيد سليمان : تأصيل ص ١٠٩ ، أدريس : رسوم ، ص ١٠٩ هامش ٥٦ ، أدى شير : الألفاظ ، ص ٩٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٦ ، ص ١٣٨ ، ط. بيروت .

ويلغ من نفوذ سعد الدولة كوهرائين أنه عندما عين شحنة لبغداد ، جلس له الخليفة وخرج الناس لاستقباله^(١) ، بل أنه شارك الخليفة المقتدى بأمر الله فأقر أن يضرب على بابه بالطبل ثلاث مرات فى أوقات الصلاة سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م مشاركا بذلك فى حقوق الخليفة العباسى ، فاستاء الخليفة من ذلك ، لأنه لم تجر العادة بمثل ذلك من قبل^(٢) .

وعلى الشحنة أن ينفذ أوامر السلطان ووزيره ، فهو تابع للوزير السلجوقى ، فمن حق الوزير عزل الشحنة إذا ما أظهر عدم كفاءة ، أو سوء تصرف ، مثلما عزل نظام الملك - السليماني - كما سبق بأمر من الخليفة^(٣) وبدل ذلك على أن الشحنة خاضع للوزير فهو الذى له حق عزله إذا ما أراد الخليفة ذلك^(٤) .

وعلى الشحنة أيضا مراقبة الخليفة ووزيره ، ورفع التقارير عنهم إلى وزير السلطان ، والذى يبلغها بدوره إلى دار السلطنة ، فلما غضب الوزير السلجوقى نظام الملك على الوزير العباسى فخر الدولة بن جهير وزير المقتدى بأمر من الأمور ساءته ، وبعد تقارير شحنته فى بغداد سعد الدولة كوهرائين عنه ، أمر نظام الملك الشحنة سنة ٤٧١هـ / ١٠٨٨م بإرغام الخليفة على عزل وزيره ، ولو أدى ذلك إلى مضايقة الخليفة نفسه^(٥) . بل أن الشحنة كان يتولى محاربة المتمردين على السلطان ، ويكافأ بتقليده إمارة بعض الولايات^(٦) وكان الخليفة العباسى يستشير فى كثير من أمور السلطنة السلجوقية^(٧) ، وللشحنة رئاسة عرفت بالشحنجية أى رئاسة الشحنة^(٨) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٠٣ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ١٣٨ ط. بيروت ، فقد عزل كوهرائين سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م ، وعين بدلا منه نجم الدين خمارتكين الشرايى الطغراني شحنة لبغداد ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٧ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧-٢١٦ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٢٢ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢١٦ .

(٨) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٤٩٦ .

وكانت بغداد إقطاعاً للشحنة من قبل السلطان كراتب له ، وعندما تسو العلاقة بين الشحنة والخليفة يأمر الشحنة بإبدال إقطاعه^(١) ، وقد أضاف نظام الملك إقطاع تكريت إلى إقطاعات السليمانى شحنة بغداد ، فأمر الخليفة واليها بالتوقف عن تسليمها له^(٢) . وكان للشحنة ديوان عرف بديوان الشحنة^(٣) .

٨- الأصفهسالار :

أى قائد الجيش ، وقد تركزت قيادة الجيش فى الأسرة السلجوقية أول الأمر ، ثم أسند المنصب إلى الوزراء ، أو القواد الذين أطلق عليهم هذا اللقب الذى عرف بسببهسالارية الجيش^(٤) أى قيادة الجيش ، وعرف أميره بالأمير الأصفهسالار^(٥) وهو الذى يتقدم الجيش فى القتال^(٦) ، وكان السلطان يعينه بنفسه من الأشخاص الذين تتوفر فيهم الصراحة ، والقوة والكفاءة العسكرية الناتجة عن وفرة التجارب^(٧) فى الحروب ، ويختار أيضا من ذوى الشكيمة ومن المعروفين بالقوة والشدة ومن تفننوا فى الفروسية والمبارزة^(٨) ، أمثال

(١) ابن خلدون : العبر ج٣ ص ٤٧٧ ، إبراهيم طرخان : النظم لإقطاعية ص ٤٩٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٤ .

وكان الشحنة يخرج فى مواكب عبارة عن دوريات تضم عددا كبيرا من رجاله بأسلحتهم وخيولهم ، وحملة المشاعل والنفاطيين إظهارا للقوة ، وترويعا للصووس ، والمفسدين ، وردا لكيدهم ، وتطمينا لنفوس الناس ، وكانت أكبر الدوريات والمواكب هى التى يرأسها صاحب الشحنة نفسه . انظر : خالد جاسم الجنايى : مقال بعنوان الجيش والشرطة فى العصر العباسى ، مستخلص من دورية حضارة العراق ج٦ بغداد ١٩٨٤م ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٥ ، وكثيرا ما خالف الشحنة أوامر السلطان فى سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، ثار أهل همدان على العميد والشحنة فقتلوهما مع سبعين رجلا من أصحاب السلطان ، انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٥ ، ص ٧٣ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٧٠ ، ٥٨١ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٢٠٥ .

(٥) خالد الجنايى : الجيش والشرطة ، ص ٢٨٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٢ .

(٦) حسين أمين : العراق ، ص ٢٠٥ .

(٧) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٣ .

(٨) حسين أمين : العراق ، ص ٢٠٥ .

إبراهيم ينال وجغرى بيك وألب أرسلان ، وتتش وارتاش ، وسليمان بن قتلمش أعظم قواد لجيش السلاجقة^(١) .

٩- صاحب الشرطة :

يقصد بالشرطة الجند المكلفون بحفظ النظام وإقرار الأمن الداخلى فى البلاد ليل نهار ، وهى إما من كلمة شرط بفتح الشين والراء ، بمعنى العلامة ، لأنهم علموا أنفسهم بعلاقات يتميزون بها^(٢) أو من كلمة شرط بالفتح وسكون الراء بمعنى أرذال المال لأن الشرطة يتحدثون عادة مع أرذال الناس وسفلتهم ممن لا مال لهم من اللصوص ونحوهم^(٣) .

ويرأس هؤلاء الجند صاحب الشرطة الذى كانت منزلته تلى منزلة القاضى فى العصر العباسى ، وكان يشترط فيمن يتولى رئاسة الشرطة أن يكون حليما مهيبا دائم الصمت ، طويل الفكر ، غليظا على أهل الرب ، طاهر النزاهة ، غير متلفت إلى الشفاعات^(٤) .

ويحدد القلقشندى^(٥) بعض مهام صاحب الشرطة فى العصر العباسى حيث كان عليه أن يردع الأشرار والذمار وأن يضرب على أيديهم ، وأن يعاقبهم على الصفائر والكبائر ، وأن يقيم الحدود عليهم ، وعليه أن يقوم بإدارة السجون ويشرف على المحبوسين ويلزم أعوانه بملازمتهم وتفتيش الأطعمة وما يدخل إلى السجون ، ومراقبة المفرج عنهم ، وبأمر العامة ألا يجيروا على أحد ، ويقوم بتعمير سور المدينة وأبوابها ، ومعرفة الداخلين إليها ، كما كان يعهد إليه أمور الحسبة والمشاركة فى إطفاء الحرائق ، والمعاونة فى تحصيل الجزية وإصدار العملة^(٦) ، وإصدار الأوامر المطابقة للشريعة الإسلامية^(٧) .

(١) انظر الفصل الأول .

(٢) الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، مادة الشرطة ، ج١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٥٠ .

(٤) فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية (دار المعارف ، ١٩٨١م) ص ١٣٥ .

(٥) صبح الأعشى ، ج١٠ ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١١٨ .

(٦) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية (دمشق ، ١٩٧٣م) ص ١٠٣ ، فتحية النبراوى ، تاريخ النظم ، ص ١٣٥ حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢١٩ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥١ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ١٧٦ .

وتشبه وظيفة صاحب الشرطة وظيفة الشحنة فى العصر السلجوقى ، وإن كان صاحب الشرطة ونائبه عليهما مساعدة الشحنة فى حفظ الأمن والنظام داخل المدينة التابعة له ، والفرق بين الشحنة ونائب الشرطة أن أتباع الشحنة من "الجند العسكر" ، وأتباع الشرطة من العامة ، وكان الشحنة يعتمد على السيف والتحقيق ، والثانى يعتمد على التحقيق والتجسس^(١) .

وكان الشحنة وصاحب الشرطة بحكم وجودهما فى بغداد ، وإذا جاز لنا القول أن الشحنة وظيفة سلجوقية مستحدثة وداخلة على صاحب الشرطة فهى وظيفة إسلامية عباسية قديمة^(٢) ، كان الاثنان يتعاونان إذا ما حدث اضطراب داخل بغداد أو غيرها ، كما يتعاون اليوم الشرطة والجند العسكرى إذا وقع أى خلل فى الدولة^(٣) .

وكان شحنة واسط مثلاً يقوم بنفس الواجبات التى كان يقوم بها صاحب الشرطة نفسه ، حيث عهد إليه بحفظ الأمن ومراقبة المفسدين والقبض على الجناة^(٤) .

وكانت لصاحب الشرطة كما كان للشحنة مواكب عبارة عن دوريات تضم عددا كبيرا من الجند بأسلحتهم وخيولهم وحملة المشاعل والنفاطين وإظهارا للقوة وترويعا للصمصام والمفسدين^(٥) ، وكان لصاحب الشرطة جلسات علنية غاية فى الهيبة ، حيث يتصدر المجلس صاحب الشرطة ويجلس إلى كاتبه ليدون محاضره ، وأحكامه ، ويقف حولهما أعوان كثيرون مدججون بالسلاح^(٦) .

ووجد ديوان للشرطة فى العصر العباسى يرأسه (حاجب باب النبى) وحجابه باب النبى إحدى الوظائف الخطيرة فى الدولة العباسية ، ولرئيس الديوان مكانة تقربه من نيابة الوزارة ،

(١) فاضل عبد اللطيف الخالدى : النظم فى العراق فى أواخر العصر العباسى ، رسالة ماجستير لم تنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١٥١ .

(٢) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ص ٩٨ ، ٩٩ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ١١٧ - ١٢٠ .

(٣) الخالدى : النظم ، ص ١٥١ .

(٤) الجنابى : الشرطة والجيش ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٥) خالد الجنابى : نفسه ، ص ٣٠١ .

(٦) خالد الجنابى : نفسه ، ص ٣٠٢ .

والسوزارة^(١) ، ويشترط مع حاجب باب النوبى - رئيس الشرطة - موظف آخر يعرف بنائب الشرطة وهو وكيل حاجب باب النوبى ومنه يتلقى الأوامر الفورية ، وتبلغ إليه الجرائم والمخالفات فى بغداد ، فيبلغها النائب إلى حاجب الباب^(٢) ، وعرف النواب بالمساعدين ، أو أصحاب النوبة حيث يقيمون فى دار خاصة بهم عند "باب النوبى" ، أو أصحاب العسس ، أو أصحاب الطواف أو الخفراء^(٣) ، وكانوا يتخذون لأنفسهم أعلاما خاصة بهم ، ويلبسون زيا مميزا ، ويحملون مطارد^(٤) أو تروسا نقش عليها اسم صاحب الشرطة أو الشحنة ، بالإضافة إلى القوانين ليلا ، ويصحبون معهم كلابا للحراسة^(٥) .

وكان للشحنة وصاحب الشرطة فى العصر العباسى والسلجوقى ملابس خاصة ، فكان صاحب الشرطة يرتدى القباء الأسود ، ويتقلد سيفا ، وهما علامتان : الأولى تميزه من سائر الناس ، وعامتهم ، والثانية تميزه من الخواص كالقضاة والمحتسب ، وغيرهم من أعوان الدولة ، وكان يحمل الحربة فى المواكب^(٦) .

أسلحة الشرطة :

وكان أفراد الشرطة والشحنة يتسلحون بالدرية يؤدبون الناس ، كما كانوا يستعملون المقرعة والسياط لإقامة الحدود ، أو لحمل الناس على تطبيق النظام ، وكانوا يتسلحون بأنواع أخرى بأنواع أخرى من الأسلحة المعروفة كالسيوف والحراب والأقواس والرماح القصيرة (المطارد) ويعلقون فى أوساطهم الطبرزين وهو سلاح يشبه "الطير" أى الفأس له نصل قصير ، وكانوا يحملون التروس للوقاية ، وقد كتب عليها اسم الشحنة وصاحب الشرطة^(٧) .

(١) ابن الساعى : المختصر المحتاج إليه ، ج ٩ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) صالح العلى : بغداد ، ص ١٩٣ - ٢٠٥ .

(٣) أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك ، (القاهرة ، ١٩٨٢م) ص ٣٠ ، ٣١ .

(٤) أحمد محمد دوح حمدى : الشرطة فى مصر الإسلامية (المجلة ، مارس ١٩٦١م) ص ٨٥-٨٧ .

(٥) المطارد : رماح قصيرة ، تسمى مهماز عند الفرس ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٤٤ .

(٦) خالد الجنابى : الشرطة ، ص ٣٠٣ .

(٧) خالد الجنابى : الشرطة ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ . والطبر هو الفأس الفارسية .

كما كانوا يحملون أسلحة ثلاث طبيعة عملهم ، مثل الكشاف ، والصفاد ، والغل ، والكبل^(١) والقيد والسلاسل وكلها آلات أعدت لأهل الدعارة والتلصص والجنايات ، وكان رجال الشرطة يستعينون بها فى حالات خاصة لتكبييل المتهمين ، أو نقلهم إلى مجالس الشرطة أو السجون^(٢) .

١- المحتسب :

يعرف الفقهاء الحسبة بأنها "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا فعله"^(٣) تحقيقا لقوله تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"^(٤) ، وتأکید السنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد قال : لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم^(٥) ، ومعنى هذا أن الحسبة كانت تفلأ على كل أفراد الأمة الإسلامية ، وواجب مفروض على من يتولاها ، أى المحتسب^(٦) .

ونظرا لأهمية هذا المنصب فقد اشترط الفقهاء فيمن يتولاها شروطا منها أن يكون لين القول، طلق الوجه ، كريم الأخلاق ، خالص النية ، بعيدا عن الرياء ، وأن يكون عدلا ذا صرامة وقوة فى الدين متورعا عن قبول الهدية ، لا يخالف قوله فعله ، وأن يكون عارفا بأحكام الشريعة وسنة المصطفى (عليه السلام)^(٧) . أما أهم الأعمال التى يقوم بها المحتسب فأغلبها يتعلق بالدين والخلق مثل الأمر بتأدية صلاة الجمعة والمحافظة على صلاة الجماعة ،

(١) الصفاد : الغل ، الكبل أنواع معينة من الأسلحة صغيرة الحجم تشبه السلاسل الحديدية .

(٢) خالد الجنابى : الشرطة ، ص ٣٠٣ .

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٥ ، ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، القاهرة ١٤٠٠هـ ، ص ٦ ، ٣٤ .

(٤) سورة آل عمران ، آية رقم ١٠٤ .

(٥) صحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٥٥ .

(٦) ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى (القاهرة ١٩٧٦) ص ٢٦ .

(٧) الشيرزى : عبد الرحمن بن نصر ، نهاية الرتبة فى طلبه الحسبة ، تحقيق د/ السيد العرينى (بيروت ١٩٨١) ص ٦-١١ .

وأداء الزكاة ، وردع أهل البدع ، ومراعاة آداب السلوك والتمسك بأهداب الدين والمحافظة على الأخلاق العامة ، ومنع النساء من التبرج ، ومراقبة الحانات وشاربي الخمر ، ومنع الدعارة^(١) .

وتناولت أعماله أيضا أعمالا مادية تتفق ومصالح المسلمين العامة ، حتى أصبحت الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن مثل المحافظة على المواطنين وسلامتهم ، كمنع الحمالين ، وأصحاب السفن من المبالغة فى الحمل ، أو شحن السفن ، والحكم على أهل المباني الآيلة للسقوط بهدمها وإزالتها ، وإزالة بروز مصاطب الحوانيت فى الأسواق ، وإمالة الأذى عن الطريق ، وأمر السقائين بلبس السراويل القصيرة الساترة لعوارتهم ، وتغطية القرب ، ومنع معلمى الأطفال من ضربهم ضربا مبرحا ، ومنع معلمى السباحة من التفرير بالصغار^(٢) .

وكان عمل المحتسب الأساسى الإشراف على الأسواق ، والنظر فى الموازين والميكاييل ، وصحتها ونسبتها ومراقبة الأسعار ومنع الاحتكار ، والإشراف على دور الضرب والعيار ، ومراعاة إثبات اسم الخليفة على السكة والطراز^(٣) ، كما كان يشرف على السلع المعروضة فى الأسواق ، ويراقب طوائف أصحاب الحرف على اختلافهم كالأساكفة وبائعى الحرير والفراء ، والخياطين والصباغين ، والحاككة ، والخبازين ، وصانعى الحلوى والشوائين ، والصيادلة ، والأطباء ، والصيارف والصياغ وغيرهم ممن كانت تعج بهم أسواق المدن الإسلامية^(٤) ويفرض حسبته على الجميع^(٥) .

(١) ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ١٢-٢٤ ، الشيرزى : نهاية الرتبة ص ١٢-١٦ .

(٢) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٣-٢٧ .

(٣) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٤ - ٥٦ .

(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٨ - ٦٣ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٥ ، المقرئ : المواعظ والاعتبار ج١ ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ١١٤ .

(٥) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٤ - ٩٧ .

وللمحتسب نواب فى سائر المدن والأقاليم التابعة له يتولون أعمال الحسبة فيها^(١) ويستعين فى تصريف أعماله بمعاونيين له^(٢) ، كان يختارهم من بين أصحاب الحرف المختلفة ، ليشرّف كل منهم على أحوال طائفته ، ويطلع على أخبارهم وحيلهم حتى يتسنى له مراقبتهم^(٣) .

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية إلى رأيه وهو ما عرف بالتعزير كالردع بالقضاء على شئ محرم ، والتوبيخ بالقول ، أو الضرب بالسوط أو الدرة ، والتشهير أو التجريس بأن يلبس المشهر به طرطورا منقوشا بالخرق الملونة ، ومكلاّ بالأجراس ليطاف فى الشوارع^(٤) .

وقد عرف المحتسب فى كل دول العالم الإسلامى ، وبطبيعة الحال وجدت فى العصر السلجوقى وقد اهتم السلاجقة اهتماما كبيرا بالحسبة ، ومتوليها المحتسب ، ودققوا فى اختياره وأسندوا إليه أعماله ، فقد نبه نظام الملك^(٥) إلى أهمية المحتسب بقوله "ينبغي تعيين محتسب فى كل مدينة تكون مهمته مراقبة الأوزان والأسعار ومعرفة المبيعات والمشتريات ، ومراقبة البضائع ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر" .

بل أنه ألزم الملك أو السلطان مؤازرة المحتسب والأخذ بيده ، لأن مهمته ركيزة من ركائز السلطنة ويفضل نظام الملك أن يسند هذا المنصب إلى أحد خاصة السلطان أو خدمة ، أو إلى تركى عجوز ممن لا يحابون أبدا ومن يهابهم الخاص العام^(٦) .

١١- الطشت دار : أى صاحب الطشت

وهو من وظائف المعروفة والمهمة ، وصاحب هذه الوظيفة مسؤول عن صب ماء الغسيل للسلطان ، وطبيعى أن السلطان بحاجة إلى من يساعده فى صب الماء عند قيامه بالغسيل

(١) ابن الاخوة : معالم القرية ، ص ٢٨ ، المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٣٥٩هـ/ص ١٩ .

(٢) فتحة النبراوى : النظم الإسلامية ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٣) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٠٨ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٦١ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٦١ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ، ص ١١٥ .

(٥) سياسة نامه ، ص ٨٠ .

(٦) نظام الملك بسياسة نامه ، ص ٨٠ .

صباحا ، وقبل وبعد وجبات الطعام ، أو عند دخوله الحمام ، ولا بد أن يكون الشخص الذي يتولى هذه المهمة من العناصر المقربة والمخلصة جدا للسلطان^(١) لقربه منه وجلوسه معه ، ولأنه فى كثير من الأحيان كان السلطان ينفرد بالطشت دار^(٢) وبلغ من أهميته أن السلطان كان يستشير فى بعض المسائل الخاصة فلا بد أن يكون شخصا أميناً مخلصاً للسلطان^(٣) .

١٢- الساقى (الشراب دار)^(٤) :

وهو من الوظائف المهمة فى البلاط السلجوقى ، ويعرف بساقى السلطان^(٥) الذى يعين خصيصا لهذا الغرض ، حيث يشرف على مد الأسمطة التى تقام فى المواسم والأعياد ، وعند استقبال سفراء الملوك ، كما كان الساقى يشرف على تقطيع اللحوم ، وتقديم المشروبات والماء فى أثناء الطعام وبعده^(٦) .

١٣- أمير الحرس :

إمارة الحرس من أهم الوظائف وأجلها فى كل العصور ، لأنها تالية للحجابة ، فأمر الحرس مهيب كالحاجب^(٧) الأعظم ، وكان لكل إقليم من أقاليم السلاجقة ملك أو أمير ، ولكل أمير حرس وأتباع ، يرأسهم شخص يسمى "أمير الحرس" الذى يقف أمام باب السلطان

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ . حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٥ .

(٢) إدريس : رسوم ، ص ١١١ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٤٨٨ ، ويساعد الطشت دار فى عمله : المهمتار ، وهو لقب واقع على كبير طائفة المهنة ، ويسمى مهمتار الطشت خانه ، والمهمتار أى الأكبر ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧ . والبابا وهو لقب عام لجميع رجال الطشت خانه ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء ، وهو الذى يقوم بتنظيف قماش السلطان وتحسين هيئته ويساعده الرختوان والرخت بالفارسية اسم للقماش ، وهو المتولى لأمر القماش ، أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ١٥٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٥) إدريس : رسوم ، ص ١١٠ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٧٧ .

مع الحاجب الكبير ، ويتولى الكوس^(١) والعلم والنوبة^(٢) ، ويكون بجواره خمسون رجلا من أصحاب المخاصر^(٣) ، عشرون بدبابيس ذهبية بدبابيس فضية الرأس ، والعشرة الآخرون بدبابيس كبيرة ، ينفذون ما يأمر به السلطان فى مجلس السلطنة بإشراف أمير الحرس^(٤) .

ولقد كان أمير الحرس ذا مكانة عظيمة فى البلاط السلجوقى ، لأن عمله مختص بالعقوبات ، والجميع يخشون غضب السلطان أو الملك وعقابه ، فإذا أراد السلطان عقاب أحد فى المجلس يعهد بذلك إلى أمير الحرس فيضرب عنقه ، أو يقطع يده أو رجله ، أو تكون عقوبته الشنق ، والجلد ، والزج فى السجن ، أو الإلقاء فى بئر ، وهذا كله كان موكلًا إلى أمير الحرس^(٥) .

ولقد بلغ نفوذ أمير الحرس أنه كان يضرب له اللواء والطبل والدف فى أوقات الصلاة^(٦) ، ويشرف أمير الحرس على حرس الأبواب ، وأصحاب النوبة ، الذين كان لهم مشرفون يرون عليهم يعرفون أحوالهم ، ولا يغمضون طرفهم طول الليل^(٧) .

وكان أمير الحرس يشرف أيضا على الحرس الخاص بالسلطان ، والحريم ، والبدايات ، والخفر والبوابين الخاصين ، وعليه معرفتهم جميعا ، والاستفسار عن أحوالهم وعلانية لأنهم أسرع انخداعا بالمال وإغراء به^(٨) من غيرهم ، وكان الحرس الخاص يعرف باسم غلمان القصر ويتألف من التركمان الغز دائما^(٩) .

(١) الكوس : الطبل وهى كلمة فارسية ، وترد أيضا كوست ، حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٥٥٣ .

(٢) النوبة : الجماعة من الناس وناب لزم الطاعة أى أنه كان لأمر الحرس جماعة يأثمرون بأمره ويطيعونه ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٣٢٦ ، أدریس : رسوم ، ص ١١١ ، هامش ص ٦٤ .

(٣) المخاصر : من مخصر فعلها خصر أصلها فى الفارسية خشت بكسر الخاء وسكون الشين ومعناها الرمح والمزراق ، أى أن هؤلاء كان يحمل كل منهم رمحا أو مزرقا من ذهب أو فضة أو ذات حجم كبير . أنظر: أحمد السعيد سليمان تأصيل ص ٨٦ ، أدریس : رسوم ص ١١٢ هامش ص ٦٤ .

(٤) نظام الملك : سياسات نامه ، ص ١٧٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٥) نظام الملك : نفسه ، ص ١٧٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٧٧ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٦٨ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٦٨ .

(٩) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٤٣ .

١٤- صاحب الخبر والبريد ومنهى الأخبار :

أحد الموظفين الكبار فى البلاط السلجوقى ، فهو يشرف على البريد فى مختلف أنحاء الدولة ، ومراقبة الناس والتجسس عليهم ، ويقوم بموافاة السلطان السلجوقى بكافة الأخبار والحوادث التى تصل إليه من أعوانه المنتشرين فى أنحاء الأقاليم ، فهو يقوم بأعمال التجسس ورفع التقارير إلى السلطان السلجوقى^(١) ، لأنه يجب على الملوك أن يتحروا أحوال الرعية والجيش ، وكا بعيد وقريب ، وأن يعرفوا كل صغيرة وكبيرة فى المملكة فلا بد من صاحب بريد^(٢) .

وكان القائمون بوظيفة صاحب الخبر أو البريد يبلغون السلطان أيضا بحال الرعية فى شتى أنحاء الدولة فلصاحب الخبر أعوان منتشرون يعرفون بالجواسيس ، ويثبون كعميون فى زى تجار وسياح ومتصوفة ، وبائعى أدوية ، ودراويش ، لنقل كل ما يسمعون من أخبار ، ويوافون السلطان بها ، فهناك ولاية ومستقطعون وعمال يضمرون للسلطان العداء ، ويتربصون به الدوائر سرا ، وعليهم تبليغ السلطان بأية محاولة للهجوم عليه من قبل ملك أو أمير أو عدو فيأخذ السلطان استعداداه^(٣) .

ويجب أن يعهد بهذه المهمة إلى من لا يساء الظن بهم وبألسنتهم وأقلامهم ، ولا يجرون وراء أغراضهم ومصالحه الخاصة ، لأن صلاح المملكة وفسادها مرهون بهم ، وكان السلطان يعينهم بنفسه ، وتدفع لهم رواتبهم من الخزانة ، ويجب ألا يعرف أحد غير السلطان بالمهام التى يؤدونها ، واعتبر وجود صاحب الخبر ومنهى الأخبار دليل على عدل الملك ويقظته وقوة رؤية فى نظر نظام الملك^(٤) .

وقد اهتم نظام الملك بالجاسوسية فذكر أنه ينبغى أن توكل وظيفة صاحب الخبر ورجاله إلى أناس مدربين خبراء بالسبل ، والدروب ، والأماكن والمدن ، وكتب إلى السلطان ملكشاه ناصحا بأن يرتب لهم وظائف مشاهرة وأن تصدر لهم مرسومات خاصة بهم توضح فيها

(١) هلال بن الصاهى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، نشر آمدرود (بيروت ١٩٠٤م) ، ص ٢٤٢ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، إدريس : رسوم ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ١١١ ، ١١٢ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٨٦-١٩٣ .

(٤) سياسة نامه : ص ١١١ ، ١١٢ .

واجباتهم ، وما هو متوط بهم ، كما بين أنه ينبغي أن يكون لهؤلاء القائمين بأعمال الخبر والبريد نقباء يعنون بشأنهم وينظمون شأنهم ويتولون تدريبهم ، وبذلك لا يقصر أحد في أعماله فتستقيم أمور الدولة ، ويصلح أحوال المجتمع ويأمن السلطان على حكمه ورعيته^(١).

ولقد أمر السلطان ألب أرسلان بإلغاء هذه الوظيفة على الرغم من معارضة وزيره نظام الملك^(٢) ، وكانت حجة ألب أرسلان في ذلك عندما سئل من قبل أبي الفضل السجستاني^(٣) هذا السؤال : "لم لا يوجد لك صاحب بريد ؟ فأجابه "أتريد أن تذرو ملكي الرياح ، وتفرق عني أنصاري ؟ قال " لماذا "قال السلطان" إذا ما اتخذت صاحب بريد ، فإن محبي والمقربين مني لن يأبھوا له ، أو يدفعوا إليه رشوة لصداقتهم لنا وقربهم منا ، أما أعدائي فسيصادقونه ويفدقون عليه الأموال ، ومادام الأمر كذلك فإن صاحب البريد لاينهي إلينا سوى الأخبار السيئة عن الأصدقاء ، والأخبار الحسنة عن الأعداء ، وحينئذ تختل الأمور اختلالا يصعب تلافيه^(٤) .

وقد يكون السلطان ألب أرسلان رغم مهارته العسكرية وحنكته السياسية مخطئا في ذلك ، لأن إلغاء ديوان البريد شجع أعداءه ضده ، ولم يقوهم كما اعتقد هو ، حيث نشطت جماعة الإسماعيلية المناهضة لحكم السلاجقة وزاد شغبها ، واستولوا على كثير من القلاع ، وعرضوا أمن الدولة السلجوقية للخطر^(٥) ، والدليل على ذلك هو قتل نظام الملك على أيديهم^(٦) .

وإن كان السلاجقة قد ألغوا ديوان البريد ، إلا أنهم استبدلوا به صاحب الخبر ، ويرى بارتولد^(٧) سببا آخر لإلغاء السلاجقة الأوائل وخاصة ألب أرسلان لديوان البريد على الرغم

(١) نظام الملك : سياسة نامد ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) أبو نصر الكاشاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٠ ، ٦١ ، إدريس ، رسوم ص ١١٣ .

(٣) أبو الفضل السجستاني : هو أبو نصر بن أحمد أبو الفضل الذي كان أميرا على سجستان في أثناء حكم السلطان ألب أرسلان ، ص ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م ، انظر : تاريخ سيستان "سجستان" تصحيح ملك الشعراء بهار ص ٣٦٢ ، ٣٨٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٠٧ .

(٥) البنداري : آل سلجوق ص ٦٢ ، ٦٣ ، إدريس : رسوم ، ص ١١٣ .

(٦) عقيلي : آثار الوزراء ، ص ٢٠٩ - ٢١١ ، القزويني : لب التواريخ ص ١٠٧ .

(٧) تاريخ التركستان ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

من أهميته وأقدميته فى العالم الإسلامى ، هو أن زعيما شعبيا لشعب رعوى لا يميزه عن بقية جنوده ورجال جيشه شئ فى الملبس ويشاطرهم جميع المشاق ، ليس بمقدوره أن يتحول فجأة إلى طاغية ، لأن نظام التجسس سيصطدم برعاة مثلهم^(١) .

١٥- الدردار :

كلمة فارسية مكونة من مقطعين : داز أودز بمعنى قلعة ، ودار أى الحافظ أو المسك أو صاحب ، فهى بذلك تعنى حافظ القلعة أو متولى القلعة^(٢) ، ويحتل منصب الدردار أهمية عظيمة فى العصر السلجوقى ، لأن القلعة تعتبر أخطر موقع داخل المدينة ، فهى المركز الرئيسى للدفاع عنها ، فالعدو لا يمكن أن يتحكم فى المدينة إلا إذا تمكن من القلعة ، وقضى على آخر أثر لمقاومة حاميتها^(٣) . وانطلاقا من هذا المبدأ كان الدردار الشخصية الثانية فى الإمارة من حيث الدفاع ، لأنه يقع عليه عبء الدفاع عنها فى أوقات الخطر ، والحفاظ على سلامتها ، وفى حالة غياب الأمير يصبح الدردار الحاكم ، وكان من اختصاصاته الإشراف الدائم والمستمر على إحكام التحصينات وتفقد المنشآت العسكرية ، وإعدادها للدفاع عن المدينة^(٤) .

١٦ الاسكدار^(٥) :

من أعوان صاحب البريد ، ويشبه فى عمله ساعى البريد فى عصرنا الحالى ، وكانت الرسائل ترسل بوساطة هؤلاء الاسكدارية إلى كافة الولايات ، فبعد أن قام رسول الخليفة

(١) يذكر أن طغلبك لم ينزع حذاءه أو درعه أو عمامته لعدة أيام فى أثناء تقهقره مع جنوده كثيرا - البيهقى : تاريخ ، ص ٧٦٠ ط. غنى وفياض ، بارتولد : التركستان ، ص ٤٥٢ هامش (١) .

(٢) المقرئى : السلوك ، ج ١ ص ٤٠ حاشية (٥) ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ص ٧٣ ، حاشية (١) ، حسانين : قاموس الفارسية ص ٢٤٦ .

(٣) رشيد الجميلى : إمارة الموصل فى العصر السلجوقى ، رسالة دكتوراه ، لم تنتشر (جامعة القاهرة ١٩٧٦م) ، ص ٢٣٦ .

(٤) رشيد الجميلى ، نفسه ص ٢٣٧ .

(٥) الاسكدار : جمعها اسكدارية بمعنى ساعى البريد أو حامل الرسائل الذى يغير دابته كل منزل ليركب دابة أخرى مستريحة ، ويتمنطق بحزام حتى لا يتعب ، وهو من الفارسية (أزكودارى) أى من أين لك هذا ؟ انظر : البيهقى ، تاريخ ص ٧٩٩ ، ٣٩٣ ، الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٢٦٤ الذى يورد معنى آخر للاسكدار فهو مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المنفذة للختام من ديوان الرسائل ص ٢٧٤ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٩ ، انورى : اصطلاحات ، ص ١٨٦ - ١٩٤ .

العباسي القائم بأمر الله بسفارته إلى طغرليك أرسلت الرسائل بواسطة الاسكندرية إلى كافة الولايات الواقعة على طريقة ليستقبلوه بما يليق ، وليحتفوا به^(١) . وهو نفسه (الفرانق) من الفارسية بروانه أي : الخادم ، أي : حامل الرسائل^(٢) ، وكانت الرسائل السرية تدون بنوع من الشفرة يدعى (المعما)^(٣) .

١٧- أطباء الخاصة :

وكانوا مختصين بالإشراف على صحة السلطان ورعايته ، وامتد عملهم أيضا إلى المقربين من السلطان^(٤) .

١٨- أمير الحج :

كان سلاطين السلاجقة يهتمون بامارة الحج ، ويختارون لها من يصلح ، وكان هذا متوارثا عن الغزنويين^(٥) وغيرهم .

١٩- متولى خزانة الملابس السلطانية الجامعة دار "أو الخازندار" :

كان للسلطان السلجوقي ملابس الخاصة^(٦) ، وكان يتولى هذه الملابس موظف يعرف بمتولى خزانة الملابس السلطانية لأنها كانت توضع وتصنع في دور طراز خاصة بها ، وكان أبو الغنائم تاج الملك الشيرازي ممن تولى هذه الوظيفة للسلطان ملكشاه^(٧) .

(١) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، أنوري : اصطلاحات ، ص ١٩١ .

(٢) الحوارررمي : مفاتيح العلوم ص ٦٤ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٩ ، حسنين : قاموس الفارسية ص ١٨٨ - ١٩٠ .

(٣) الكرديزي : زين الأخبار ص ١٢ ، العموي : لباب الألباب ص ٩٢ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٩ .

(٤) البيهقي : تاريخ ، ص ٢٥٦ .

(٥) البيهقي : تاريخ ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٢ .

(٦) انظر الفصل الثاني من الرسالة ، والجامعة دار : كلمة مركبة من جامه بمعنى ملابس ، ودار بمعنى مسك أي مسك الثوب ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ، ولعله يقصد المشرف على إعداد الملابس ، وما يتعلق به (الجامه خانة) أي خزانة الألبسة ، حسنين : قاموس الفارسية ، ص ٢٠١ .

(٧) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

٢٠- الخطيب :

ينبغي اختيار الخطباء الذين يصلون بالناس في المساجد الجامعة ، للتأكيد من تقواهم وحفظهم للقرآن الكريم ، فالصلاة من الأمور الدقيقة ، وصلاة الناس مرهونة بالإمام ، فإذا ما اختلفت صلاته ، اختلفت صلاتهم أيضا^(١) .

٢١- عامل الخراج (البندار) :

مهمته جمع الخراج من الولايات ، ويساعده عدد من الموظفين يقوم كل منهم بجباية الخراج كل من ناحيته ، وكان الخراج يجبي في بعض الجهات دفعة واحدة ، وفي هذه الحالة يجبي الخراج في يوم النوروز وهو أول أيام السنة الفارسية بعد حصد الزرع^(٢) ، وأحيانا يجبي على دفعتين كما هو الحال في كثير من الولايات الإسلامية^(٣) .

٢٢- قائد الاصطبلات (آخر سالار) :

ويتولى الإشراف على الخيول السلطانية ، وكان يمنح قلنسوة ذات ركنين ، وهو مستمد من دواوين الغزنويين^(٤) .

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٨٠ ، بارتولد : التركستان ، ص ٣٦٣ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ٢٤٢ .

(٢) Krmer : The 'The Orient Under Caliphate, London, (1949) ; p. 297 .

أنورى : اصطلاحات ، ص ٩٧ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٥٦ .

(٤) البيهقى : تاريخ ص ٦٣٢ ، ٦٦٣ ، بدر عبد الرحمن : رسوم ص ١٢٢ ، أنورى : اصطلاحات ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ويساعد آخر سالار رجل يعرف بالمهمرد - ماه الكبير - مرد الرجل بالفارسية ، وهو الذى يتصدى لحفظ قماش الجمال ، أو قماش الاصطبل والسقائين ، انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى جده ص ٤٧١ ، كما يساعده - الغلام - متولى خدمة الخيل ، وربما سموه بذلك لصغره في النفوس ، القلقشندى : صبح الأعشى جده ص ٤٧١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٩ - ٢١١ ، جان ليون الأفريقى (الحسن بن محمد الوزان الزياتى) وصف أفريقيا ، ترجمة / عبد الرحمن حميدة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، سنة ١٣٩٩ هـ ، ص ٦٠٢ .

٢٣- الدوات خانة :

يقصد بها ديوان الكتابة ، ومن مهامه حفظ الوثائق الرسمية^(١) ، وهي مستمدة أيضا من دواوين الدولة الغزنوية التي ورثها السلاجقة^(٢) .

٢٤- البرده دار :

وهو متولى أمر الستائر^(٣) .

٢٥- الدوات دار :

الدوات دار اسم فارسي مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الدوات والثاني دار ومعناه ممسك ، ومهمته تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير ، وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وتقديم البريد^(٤) ، كما كان من مهامه الرئيسية إعداد الدواة والقلم للسلطان^(٥) .

٢٦- السنجق دار :

وهي من الوظائف التي استحدثها السلاجقة ، ومتولى هذه الوظيفة يحمل السنجق "الرمح" أمام السلطان في الموكب ، وهو مركب من لفظين أحدهما تركي وهو سنجق ومعناه الرمح والثاني دار ومعناه ممسك ، ويكون المعنى ممسك السنجق ، ويراد به أيضا العلم أو الراية^(٦) .

٢٧- الركيل الخاص :

وهو الذي يتولى الإشراف على شؤون تكوين الملك ، ومطبخه ، واصطبله وقصوره الخاصة ، وولده وحاشيته ، وخدمه ، وعليه أن يمثل شهريا أو يوميا وفي أى وقت أمام السلطان ليعرض أعماله على السلطان^(٧) .

(١) البيهقي : تاريخ ، ص ١٦٣ ، هامش (١) .

(٢) انورى : اصطلاحات ديوانى ، ٢٠٨ .

(٣) البيهقي : تاريخ ، ص ٢٤٧ ، هامش (١) .

(٤) المقرئى : السلوك ، ج١ ، ص ١٤١ ، حاشية (١) .

(٦) عمر سعيد : نظم بلاط العباسيين ورسومه فى بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين

شمس ١٩٧٢ ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢٥ .

٢٨- السعاة :

هم أنفسهم الاسكدارية ، أى : سعاة البريد ، وينبغى وضعهم على الطرق المعروفة دائما وتخصيص أجور شهرية ، ومكافآت شهرية لهم ، لكى يهتموا بما يقع من أحداث وأخبار ليل نهار من على بعد خمسين فرسخا ، ويجب أن يعين لهم نقباء لمراقبتهم ، والإشراف عليهم حتى لايتوانوا فى أداء واجباتهم^(١) .

٢٩- الغلمان :

وهم الذين يرسلون من البلاط السلجوقى فى مهام خارجية ، بعضهم بأمر وأكثرهم دون أمر ، ووظيفتهم تحصيل مبالغ مستحقة للسلطان على الناس^(٢) .

٣٠- الندماء والمضحكون :

مهمتهم إيناس السلطان ، وحماية الملك بحكم وجودهم معه ليل نهار ، ويقلب السلطان معهم الحديث الذى لا يستطيع تقليبه مع الوزراء ، والكبراء لأنهم أصحاب مناصب ومقامات ، وينبغى أن يكون النديم كريم المعدن ، فاضلا ، وسيما ، نفى المذهب ، حافظا للسر ، نظيف الملبس ، عارفا بكثرة للأسمار والقصص والنوادر هزليها وجديها ، حسن الراوية ، مجيدا للعب النرد والشطرنج ، وحبذا لو أنه يجيد الغناء والضرب على الآلات الموسيقية ، وينبغى أن يكون موافقا للملوك دائما^(٣) ، وكان للسلطان مضحك يجلس معه فى قصره مثل جعفرىك مضحك السلطان ملكشاه^(٤) .

وكان السلطان يأخذ نديمه معه فى مجالسه ومجالس تنزهه وشرابه وأنسه ، وصيده ولعبه ، ويفضل أن يكون النديم من الأطباء والمنجمين ، ومن ذوى التجارب والأسفار ، ومن خدموا العظماء والأكابر ، وكان لكل نديم رتبة ومقام ، إذ خصصت أماكن لحلول بعضهم ، وأماكن لوقوف بعضهم الآخر ، وينبغى أن يكون لندامى السلطان رواتب لعيشهم ، وحرمة تامة بين حشمه وعليهم أن يكونوا متحفظين مهذبين للملك والسلطان محبين^(٥) .

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢٣ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص ٦٠٤ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ١١٠ .

(٣) نظام الملك : نفسه ، ص ١٢٦-١٢٨ . الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٤٥ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢٦-١٢٨ .

٣١- المختارون :

حرس مستخلص للموكب ، وملازمة الدار والدخول فى أوقات جلوس السلطان ، والمقام من أول النهار إلى آخره^(١) ، وكان يوجد فى القصر السلجوقى ما ثتا رجل يختارون منهم عادة من حيث المظهر الحسن والطول الفارع ، والرجولة ، والشجاعة ، يلزمون السلطان فى حله وترحاله ، ويظلون بالبسة جميلة فى القصر ، ومعهم سلاحهم ، ولكل خمسين منهم تقيب يتولى شؤونهم ، والإشراف عليهم ، وإسناد المهام لهم ، وينبغى أن يكونوا خيالة مجهزين بكل الوسائل والمعدات ، وينبغى أن تسجل فى الديوان باستمرار أسماء أربعة آلاف راجل من كل الأجناس ، ألف للسلطان خاصة ، وثلاثة آلاف لأفواج الأفراد والجيش وقادتها للاستعانة بهم وقت الحاجة^(٢) .

٣٢- أمير المجلس :

وهو من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير^(٣) .

٣٣- فردادار :

فردا معناه الستارة ، ودار ممسك ، أى ممسك الستارة للسلطان^(٤) .

٣٤- البازدار :

وهو الذى يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده وخص بإضافته إلى الباز الذى هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف بين الملوك فى الزمن القديم ، وكان يخرج مع

(١) آدم متر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج١ ، ص ٢٥٣ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣١ ، ١٣٢ ، وقد فرضت الدولة السلجوقية رقابة مشددة على عمالها وأرباب وظائفها حتى لاتسول لهم أنفسهم استغلال مراكزهم والإخلال بمهام أعمالهم ، وكانت تصدر لهم الأوامر بالرفق بالرغبة ، وكان لايسمح لأحد بعملين فى آن واحد ، ولا يوكل رجلين لعمل واحد حتى لاتختلط المسؤولية ، ولقد قضى نظام الملك على البطالة بإسناد الأعمال لمن لاعمل لهم ، أما من يخشى على الدولة بسبب دينه أو مذهبه تصرف له رواتب دون إشراكه فى الأعمال حتى لايجد منفذا لتحقيق هدفه . نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٠٩ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٥٥ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٦٩ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٠٨ -

سلاطين السلاجقة حاملا لهم طيورهم التى يصطادوا بها مثلما كان يفعل السلطان ملكشاه^(١). ويعاونه الجوندار الذى يتصدى لخدمة طيور الصيد من الكراكى ونحوها ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح^(٢).

٣٥- المجندار :

بكسر الميم وهو متولى خدمة المحفة السلطانية^(٣).

٣٦- الخوان سالار :

مقدم الخوان ، وهو كبير رجال المطبخ السلطانى وهو مركب من لفظين خوان ما يؤكل عليه ، وسالا رأى مقدم^(٤).

٣٧- الجمدار :

متولى لباس السلطان ثيابه ، مركب من لفظين جاما ومعناه الثوب ودار أى محسك^(٥).

٣٨- المهمندار :

وهو الذى يستقبل رسل السلطان والعربان والواردين على السلطنة وينزلهم دار الضيافة ، ومركب من مهمن أى المضيف ، ودارمحسك^(٦).

٣٩- البشمدار :

وهو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، ومركب من لفظين ، أحدهما البشمع التركية بمعنى النعل ، ودارمحسك^(٧).

(١) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ١١٣ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧١ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ .

النظام القضائي

تطور منصب القضاء :

القضاء لغة - أحكام الشيء والفراغ منه ، لقوله تعالى "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب" (١)، أى أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه (٢) ، واصطلاحاً هو القطع لقوله تعالى "فاقض ما أنت قاض" (٣) وقد سمي القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم (٤)، ومن هنا جاء تعريف ابن خلدون للقضاء بأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعى ، وقطعاً للتنازع ، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة (٥) أى أن مهمة القاضي الأساسية كانت الفصل بين المتنازعين حسب الشريعة الإسلامية (٦) .

والقضاء الإسلامى مؤسسة تطورت مع تطور المجتمع الإسلامى ، وتأثرت بالحاجات التى نشأت نتيجة ظهور الدولة العربية الإسلامية وتوسعها وانقسامها ، وتغلب الأعاجم عليها ، ومع تطوره تعددت السلطات التى تمارسه ، وكثرت نظريات الفقهاء التى تعالج طبيعته ومشاكله (٧) ، فالقضاء جزء مهم من ولاية الخليفة العامة على المسلمين له أن يمارسه بنفسه أو بواسطة نوابه طبقاً للشريعة الإسلامية (٨).

(١) سورة الإسراء ، آية رقم ٤ .

(٢) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوطائف على الآثار العربية ، (دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م) ج٢ ص ٨٣٤ .

(٣) سورة طه ، آية رقم ٧٢ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٥١ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ٩٩-١٠٢ .

(٥) المقدمة ، ص ٤٥١ .

(٦) ابن تيمية : الحسبة ، ص ٥٥-٥٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٦ ، ص ٢٣ .

(٧) انظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٦٦-٧٧ ، ابن تيمية : الحسبة ، ص ٤٩-٦٨ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥١ .

(٨) جعفر حسين خصباك : القضاء في العراق في العهد السلجوقي ، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية ، العدد الثالث (بغداد ، ١٩٧٤) ، ص ٨١ .

وبعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أول قاض فى الإسلام ، وكان يحكم بين الناس بما أنزل الله^(١) ، وكان يستشير بعض الصحابة ، ويجتهد فى مسائل أخرى^(٢) ، وكانت طرق الإثبات عنده : البينة واليمين وشهادة الشهود ، وكان يقول "البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر"^(٣) .

وبعد أن انتشرت الدعوة الإسلامية فى أنحاء شبه الجزيرة العربية ، أذن الرسول (عليه السلام) لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ، وأقر للبعض الآخر بالفتوى ، ومنهم معاذ بن جبل ، وعلى بن أبى طالب قضاة اليمن ، وعبد الله بن نوفل قاضى المدينة المنورة^(٤) ، ولما استخلف أبو بكر قال له عمر بن الخطاب "أنا أكفيك القضاء"^(٥) ، ولما ولى عمر الخلافة وضع للقضاء نظاما محكما ، وجعله مستقلا عن نظر الوالى ، وعين معه قضاة^(٦) ، وسار على نهجه عثمان وعلى (رضى الله عنهما)^(٧) ، وحظى القضاء أيضا باهتمام خلفاء بنى أمية الذين امتنعوا عن مباشرته وقلدوه لمن هم أهل^(٨) ، واقتصرت أعمالهم على النظر فى

(١) عطية مشرفه : القضاء فى الإسلام (شركة الشرق الأوسط ، القاهرة) ١٩٦٦م ، ص ٢٥-٤٣ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٧٥ ، جعفر حسين : القضاء فى العراق ، ص ٨١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٤ ، ص ٣١٣ ، ج٧ ، ص ٥٠٥ ، أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ، ص ١١٠ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ٩٩ ، جعفر حسين : القضاء فى العراق ، ص ٨١ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٨٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص ٤٢٦ ، الكندى : الولاة والقضاء ، تحقيق حسين نصار (دار صادر ، بيروت ، بدون) ص ٣٤٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٣ ص ٤٢٦ ، حسن إبراهيم ، النظم الإسلامية ، ص ٢٧٦ ، أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ، ص ١١٠ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ، ص ١٠٠ .

(٦) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ، ص ١١٠ ، فتحية النبراوى : تاريخ النظم الإسلامية ، ص ١١١ .

(٧) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٧٧ ، فتحية النبراوى : تاريخ النظم ، ص ١١١ .

(٨) الكندى : الولاة والقضاء ، ص ٣٤٣ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢١ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ج٢ ص ٨٣٥ .

الأحكام ، والفصل فى الخصومات ، والنظر على الأوقاف والوصاية على الأيتام ، ونظر المظالم ، والشرطة ، والأحداث^(١) .

أما فى العصر العباسى فقد زادت أعباء ومهام القضاة بصورة كبيرة ، حيث أضيف إلى أعمالهم أعمال أخرى مثل الحسبة ، ودار الضرب ، والعيار ، وبيت المال ، والنظر فى أموال المحجور عليهم ، وفى وصايا المسلمين وتزويج الأيتام ، والإفتاء والولاية على المساجد ، والخطابة ، والإمامة ، والتدريس^(٢) ، وكذلك الإشراف على تشييد مؤسسات الدولة ، كما يتضح من الكتابات الأثرية على بعض الآثار الإسلامية^(٣) . ولقد كان القضاء مستقلا فى أحكامه^(٤) ، وكان القضاة يعينون من قبل الخلفاء^(٥) وكان هذا حقا من حقوقه حتى فى العهدين : البويهى والسلجوقى^(٦) .

ويشترط فيمن يتولى القضاء شروط سبعة هى : الذكورة مع البلوغ ، والإسلام ، والعدالة ، والحرية والعلم بالأحكام الشرعية ، وسلامة الخواص^(٧) .

(١) الكندى : الولاة ، ص ٣٢٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٢ ، ٤٥٦ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ، ج ٢ ص ٨٣٧ ، جعفر حسين : القضاء فى العراق ص ٨١-٨٤ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة ص ١٠٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢١ ، حسن ابراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٨١ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ، ج ٢ ، ص ٨٦٧ ، ٨٣٣ ، ٨٤٠ .

(٣) حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ٢ ، ٨٣٣-٨٤٠ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) المارردى : الأحكام السلطانية ، ص ٦٥-٦٨ .

(٦) جعفر خصباك : القضاء ، ص ٨١ ، صفية سعادة : تطور منصب قاضى القضاة فى الفترتين البويهية والسلجوقية ، ط. (دار أمواج ، بيروت سنة ١٩٨٨) ، ص ١٦ ، ١٧ ، على الرغم من أن الخليفة كان يختار القضاة فى العصر السلجوقى ، لكنه فى الواقع كان يطلب إليه الموافقة على تنصيب القضاة الذين يتم اختيارهم عن طريق السلطان السلجوقى ، حيث كان على الخليفة الموافقة فقط على رأى واختيار السلطان السلجوقى القوى لأن بقاءه فى السلطة مرهون بإرادة السلطان ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن باستطاعة البويهيين والسلاجقة فى أى وقت تعيين القضاة دون موافقة الخليفة ، لأن هذا مرتبط بالإسلام ، وهذا ما كان يحترمه هؤلاء الأجانب والعجم فى الخليفة والعلماء المسلمين ، لمزيد من التفاصيل : انظر ، صفية سعادة : تطور منصب ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٧) المارردى : الأحكام السلطانية ، ص ٦٥-٧٦ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٨٨ .

قاضى القضاة فى عهد السلاجقة :

استحدث الخليفة العباسى هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م ، منصب قاضى القضاة على رأس السلطة القضائية^(١) ، وكان أول من تقلده أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم^(٢) ، صاحب كتاب الخراج ، وأحد أقطاب المذهب الحنفى فى العصر العباسى الأول ، وكان يقيم فى مركز الخلافة فى بغداد ، ويسند إليه قضاء العاصمة ، وسائر الأمصار فى الأفق والأقطار شرقا وغربا ، كما صار منذ الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ينفرد بتعيين القضاة وعزلهم فى سائر الأقاليم والبلاد التابعة للخلافة ، وكذا الإشراف عليهم ومراقبتهم^(٣) ، وبعد أن أصبح من الصعب على الخليفة مراقبة القضاة^(٤) ، فأصبح هو رئيس السلك القضائى^(٥) .

وقد انتقل هذا المنصب إلى كل الدول الأخرى التى عاصرت أو تلت الخلافة العباسية^(٦) ، وقد اتخذ سلاطين السلاجقة قاضى قضاة لهم يقيم معهم فى حاضرة السلطنة السلجوقية ، وذلك خلاف قاضى القضاة العباسى^(٧) ولا بد أن يكون سنيا وفق مذهبهم^(٨) .

وعندما دخل السلاجقة العراق سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، كانت السلطة القضائية غير متزنة ، حيث أدى تدخل البويهيين الشيعة إلى فساد السلطة القضائية ، فلم يتوان القضاة فى العصر البويهى عن خرق القوانين بغية إرضاء أشخاص معينين ومحاباتهم وكسب الدراهم والامتيازات والوعود وأصبح وجود قضاة نزهاء أمرا نادرا^(٩) ، وقد تورط القضاة فى القضايا السياسية

(١) صفية سعادة : تطور منصب ، ص ١٣ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٢٦٤-٢٦٧ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ٢ ص ٨٦٧ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٢٨٦-٢٩١ .

(٤) حسن الباشا : الفنون والوظائف ، ج ٢ ص ٨٦٨ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١٠٥ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء ، ص ٨٨ .

(٦) أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١٠٥ .

(٧) إدريس : رسوم ، ص ٩٦ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ - ١٤٨ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ ص ٥٥ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٣٩-٥٢ .

بحدة فى العصر البويهى^(١) واستخدموا أساليب متعددة للبقاء فى مناصبهم التى كانت تدر عليهم ربحا وفيرا ، ومنصبا اجتماعيا مرموقا^(٢) . ويبدو أن الأساليب التى استخدمها القضاة للبقاء فى مركز قوى فى الفترة السلجوقية لم يختلف عن تلك المستخدمة فى الفترة البويهية ، وإن كان السلاجقة قد أخذوا درسا من البويهيين وأخطائهم واستعملوا أساليب جديدة للتعامل مع طبقة العلماء (القضاة)^(٣) .

ولقد تميزت الفترة السلجوقية بظهور ميزات جديدة هى :

أولا : أعلن السلاجقة منذ البدء أنهم رواد السنة ، الأمر الذى منع الخليفة من شن حرب ضدهم على أسس دينية مما أدى إلى تقليص سلطته ، بعكس البويهيين الشيعة الذين أحجم العلماء بشكل عام عن الانضمام إليهم ، فاستغل الخليفة هذا الوضع لصالحه^(٤) .

ثانيا : أدرك وزراء السلاجقة العظام ، أمثال الكندرى ، ونظام الملك ، خطر العلماء البغداديين إذا تركوا وشأنهم ، أو إذا انضموا إلى الخلافة العباسية ، لذا حاول السلاجقة الحد من حرية العلماء قدر الإمكان فأنشأ نظام الملك المدارس بغية تنظيم طبقة العلماء ، ودمجها بالجهاز الحكومى ، ووضعت المدارس تحت مراقبة الوزراء السلاجقة الشديدة ، فكانوا مسئولين دون غيرهم عن تعيين المدرسين فيها ، ولم يكن هناك أى أمل للمعارضين بالحصول على مركز تعليمى فى هذه المؤسسات^(٥) ، وبالتالي تلقت المعارضة ضربة شديدة وخاصة فى مطلع الحكم السلجوقى ، عندما اضطروا والمخابلة منهم إلى تقديم الطاعة والتعلق إلى السلاجقة^(٦) .

(١) صفية سعادة : تطور منصب قاضى القضاة ، ص ١٠٤ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٣ ، ص ١٢-١٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٦٣ .

(٣) صفية سعادة : تطور منصب ، ص ١٠٥ .

(٤) صفية سعادة : نفسه ، ص ١٠٦ .

(٥) مجلة يادكار : وفات سلطان ملكشاه ، ص ٦٢-٦٦ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٦) مثال ذلك : أبو منصور الشريف ، قائد المخابلة ، الذى اقترح أبو عبد الله الدامغانى ، لخلافة ابن ماكولا على القضاء إرضاء لعميد الملك الكندرى ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ، ص ١٧٦ ، السبكى : طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ١٥٢ ، ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ١٣٢ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٨ هامش (١) .

ثالثاً : اتخذ سلاطين السلاجقة بتدبير من وزرائهم الحليفة ، حيث أنهم نظموا أو أدمجوا العلماء ضمن مؤسسة الدولة ، وأبقوا عائلة غير عربية على رأس السلطة القضائية ، وأدت هذه السياسة إلى نتيجتين مهمتين فمن جهة تفادت التدخل في المنازعات الحزبية والصراع من أجل السلطة الذي كان مستقراً آنذاك في بغداد^(١) ، ومن جهة أخرى ، أدت إلى تأمين استمرار ولاء تلك العائلة الغربية ولاء تاماً لقضية السلاجقة ، على الرغم من أنها وجدت معارضة شديدة من قبل الأحزاب البغدادية بما فيها الحنفية التي تنتمي إليها هذه العائلة ، وبذلك اطمأن بال السلاجقة لعلمهم أنه لن يكون بقدره الأسرة الدامغانية خيانة أسيادها ، لأنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد هاجموا مركزهم في القضاء^(٢) .

ولقد تميز منصب قاضى القضاة في عهد السلاجقة العظام وغيرهم بظاهرة جديدة ، حيث سيطرت عائلة واحدة على منصب قاضى القضاة ، وتوارثتها أبا عن جد بدءاً من ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، حتى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، وإن تخلل هذه المرحلة فترات أقصى فيها الدامغانيون عن منصبهم إلا أنهم استطاعوا في كل مرة استعادته الأمر الذي عجزت عن المجازة أية عائلة قضائية أخرى^(٣) ، وكان ذلك من مصلحة السلاجقة لإسكات أية مقاومة أو معارضة من قبل الحسم القضائي الذي كان له استقلالية في بغداد حتى دخولهم سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٤) ، حيث أن السلاجقة سيطروا سيطرة كاملة على السلطة القضائية والتنفيذية ، ومعظم المناصب الحكومية الأخرى المتواجدة في بغداد^(٥) .

ولهذا يجب أن نقرر أن دراسة منصب قاضى القضاة في بغداد بالذات هو دراسة عائلة الدامغاني التي تمكنت من الاحتفاظ بهذا المنصب فترة طويلة ، مما يدل على مدى سيطرة

(١) لمزيد من التفاصيل حول الصراع الحزبي في بغداد راجع : ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٥ ص ١٦ ط. بيروت ، حوادث سنوات ٤٤٧-٤٨٥هـ / ١٠٥٥-١٠٩٢م ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٤ وما بعدها ، ج ١٠ ، ص ٢٤ ، وما بعدها ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٥٧ وما بعدها .

(٢) صفية سعادة : تطور منصب قاضى القضاة ، ص ١٠٨ .

(٣) عن أهم العائلات القضائية خلال العصر البويهى والسلجوقى ، أنظر : صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ١٧٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٥ ، ط. بيروت ، ص ٣٤٧ .

(٥) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ص ١٦٤ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

السلاجقة على السلطة ، متخطين سلطة الخليفة صاحب الأمر والنهي فى تعيين قاضى قضاته^(١) ، ولقد ارتبط تطور منصب قاضى القضاة ارتباطا وثيقا بتاريخ كل سلطان ، وكل وزير سلجوقى ، وبعد أن كان هم القاضى هو أن يحظى بموافقة الخليفة مثلما كان الحال فى العصر البويهى مثلا^(٢) ، أصبح همه أن يرضى السلاجقة^(٣) .

أشهر من تقلد منصب قاضى القضاة زمن السلاطين العظام :

١- أبو عبد الله الدامغانى :

هو محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك المعروف بأبى عبد الله الدامغانى رأس العائلة الدامغانية ، وأول من تقلد منصب قاضى القضاة فى العصر السلجوقى ، فقد اختاره أبو منصور الشريف رئيس الخنابلة ، وابن عم الخليفة القائم بأمر الله العباسى ، لخلافة الحسين ابن ماکولا^(٤) الذى توافقت وفاته مع دخول طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٥) .

وقد ولد أبو عبد الله فى دامغان^(٦) ، ودرس فيها الفقه ، ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره ، انتقل إلى بغداد ، مركز العلم آنذاك ، حيث تابع دراسته للفقه ، والحديث على يد علماء بغداد^(٧) ، ونظرا لفقره المادى فقد واجه أبو عبد الله صعوبات قاسية قبل إتمام

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٢٦٤-٢٦٧ ، صفة سعادة : المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٣٥٨ ، وما بعدها .

(٣) صفة سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، جعفر خصباك ، القضاء فى العراق ، ص ٨٨ .

(٤) ابن ماکولا : هو الحسين بن على بن جعفر بن علكان بن محمد بن أبى دلف العجلي ، أبو عبد الله المعروف بابن ماکولا الشافعى من أشراف العرب ولد سنة ٣٦٨هـ / ١٩٧٨م ، ولى قضاء البصرة ، ولكن الخليفة القادر بالله عينه قاضيا للقضاة سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ، فلما ولى الخليفة القائم أقره عليه إلى حين وفاته سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م وكان نزيها عفيفا ، أنظر : ابن الجوزى ، المنتظم ج ١٥ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٨ ، ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ٧٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .

(٦) دامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٣ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦ .

دراسته، فلقد لجأ إلى الدراسة في الشوارع خلال الليل ، بسبب عجزه عن تأمين ثمن الشموع للإضاءة^(١) ، وفي سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م حصل أبو عبد الله على إجازة تدرجه في الفقه والشرع من ابن مأكولا ، قاضى قضاة بغداد حينذاك^(٢) .

ولقد كان أبو عبد الله متمرسا في الفقة ، كتمرسه في القضاء ، ودليل ذلك المناظرة الشهيرة مع أبي إسحاق الشيرازي^(٣) ، الشافعي^(٤) ، ولقد تقلد أبو عبد الله الدامغانى منصب قاضى القضاة منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥ حتى وفاته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، وقد ناهز الثمانين من عمره ودفن في مشهد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان^(٥) ، أى : أنه ظل في منصبه أكثر من ثلاثين عاما^(٦) .

ويرجع سبب اختيار الدامغانى قاضيا للقضاة في بغداد إلى أمرين كلاهما مر بالنسبة للخليفة ولأهل بغداد أما الأول : فهو أن وزير طغرل بك الكندري كان معروفا بتحييزه للمذهب الحنفى ، وأنه صمم على تعيين قاضى القضاة من الأحناف^(٧) ، ولذلك كان اقتراح اسم الدامغانى الحنفى ترددا إلى عميد الملك والسلاجقة فى آن واحد ، خاصة فى الوقت الذى عجز فيه البغداديون جميعا عن إدارة شؤونهم الخاصة^(٨) .

والثانى : هو أن السلاجقة أرادوا اختيار قاض للقضاة من أسرة غير عربية ، لكى يضمنوا استمرار ولائها لهم ، ثم أنه كان إيرانيا وإيران مركز قوة للسلاجقة ، وكان يتكلم الفارسية ،

(١) قيل إن الخليفة القادر بالله وجد أبا عبد الله ذات ليلة جالسا فى الشارع تحت قنديل فاستعلم عن حالته المادية وقدم له مبلغا من المال ، راجع ابن الجوزى : المنتظم ج٩ ص ٢٣ ، صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٦٣ ، هامش (٣) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٣ ص ٢٥٢ .

(٣) أبو اسحاق الشيرازى : أنظر ترجمته ص .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ج٤ ص ٢٣ وما بعدها حيث أورد مناظرتين من هذه المناظرات .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٤٤٨ .

(٦) صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٧ .

(٨) صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٠٩ .

وهي لغة كان يفهمها السلاجقة^(١) ، إلى جانب أن الدمغاني كان فقيرا وغريبا ، فهو يفتقد إلى قاعدة شعبية في بغداد ، ويفتقد المال الضروري لبناء قاعدة كهذه ، ولذا كان تابعا أمينا للسلطان السلجوقي^(٢) .

ولكن السؤال المطروح هو : لماذا اختار أبو منصور الشريف اسم أبي عبد الله الدامغاني بالذات ؟ أو بمعنى آخر لماذا قبل رئيس الحنابلة وهو من الأسرة العباسية الحاكمة بتعيين قاضي قضاة ضعيفا ؟ والإجابة : أن الحنابلة في بغداد اعتبرت نفسها مهزومة بانهزام الخلافة حينما أجبرت على تعيين قاضي للقضاة بناء على رغبة الوزير السلجوقي القوي الذي كان يستمد سلطته وقوته من سلطة وقوة سيده السلطان^(٣) وكان عليها أن تتأقلم في هذه الأوضاع الجديدة على أمل أن يتغير الوضع في المستقبل ، ولقد عبر أحد الحنابلة في بغداد عن هذه الوضع جيدا حينما قال : مانعلم كيف حالنا مع هؤلاء الأعاجم والدولة لهم^(٤) . إلى جانب أن اختيار حنفي بعيدا عن العائلات القضائية الكبيرة مثل عائلة بني الشوارب^(٥) ، وعائلة الزينبي^(٦) ، كان يعني إبعاد حزب بغدادى مناوئ وكبير وذوى مركز رفيع وقوى ، بدليل أن أبا عبد الله الدامغاني حافظ على صداقة الحنابلة ووثق علاقاته بهم^(٧) .

(١) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ص ٢٣ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٣) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢٤٥ .

(٥) تولت عائلة بني الشوارب منصب قاضي القضاة من سنة ٢٩٢هـ - ٤٠٥هـ / ٩٠٤ - ١٠١٤م ، راجع : ابن مسكويه ، تجارب الأمم ج ٢ ، ج ٣ ، البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٥ ص ٤٦ - ٤٩ ، ج ٧ ص ٤١٠ ، ٤١١ ، ج ١٠ ص ١٠ ، ج ٢ ص ٢٠١ ، ٢٣٢ .

(٦) عائلة الزينبي تولت المنصب منذ سنة ٥١٥هـ - ٦١١هـ / ١١٢١ - ١٢١٤م ، انظر : صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، الزينبيون من طبقة الأشراف يتصل نسبهم بالسيدة زينب بنت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وزوجة العاص بن الربيع ، ويفضل نسبهم هذا استطاعوا تولي منصب نقابة الأشراف العباسية منذ سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ولمدة طويلة حيث تولى أبو الحسن محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي نقيبا للنقباء وخلفه ابنه علي ، ثم تولوها دون انقطاع حتى مجئ السلاجقة ، ووصلوا إلى ذروتهم عهد الخليفة المسترشد بالله العباسي ٥١٢ - ٥٢٩هـ / ١١١٨ - ١١٣٤م . لمزيد من التفاصيل راجع : السمعاني : الأنساب (حيدر آباد ، دائرة المعارف سنة ١٩٦٢ ، ١٩٦٦) ج ٦ ص ٣١٧ ، البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٧) صفية سعادة : المرجع السابق ص ١١٠ .

ولكن كيف طوع السلاجقة قاضى القضاة لهم ؟ أو بصيغة أخرى كيف كان الدامغانى رجلا للسلطان السلجوقى ؟ لقد أظهرت الحوادث التاريخية مدى ولاء الدامغانى التام للسلاجقة ، ففى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م اشترك الدامغانى فى مقاومة البساسيرى ، فكان جزاؤه السجن لتواطئه مع السلاجقة^(١) ، وتم الإفراج عنه فيما بعد تعهده بدفع ما يناهز الثلاثة آلاف دينار ، إلا أنه لم يسلم إلا سبعمائة دينار فقط^(٢) ، ويبدو أنه أعفى من التزامه المادى نتيجة قبوله أخذ البيعة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله^(٣) . ومع ذلك ، وعندما عاد طغرلبك إلى بغداد^(٤) ، لم يتردد الدامغانى فى الخروج لملاقاته ، والترحيب به وكان هو الشخصية المهمة الوحيدة التى رحبت بالسلطان السلجوقى ، وبصحبته بعض الشهود^(٥) ، وما كان هذا الموقف إلا ليثبت ثقة طغرلبك الكاملة بأبى عبد الله الدامغانى^(٦) .

وحدث آخر يلقى الضوء على العلاقة الوثيقة بين السلاجقة ، وبين قاضى القضاة هو زواج طغرلبك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله ، والذى كان طغرلبك يأمل فى تأمين الخلافة لذريته بالتصاهر بين العائلات السلجوقية والعباسية^(٧) ، وعندما نقل الكندرى طلب السلطان إلى الخليفة ، رفض الخليفة رفضاً تاماً^(٨) ، وهنا هدده الكندرى بترك بغداد ، وارتداء الثياب البيضاء بدلا من السوداء التى ترمز إلى الولاء للعباسيين ، وأجرى الترتيبات اللازمة لإبلاغ طغرلبك جواب الخليفة^(٩) ، وهذا يعنى تهديدا كاملا للخليفة بإعلان بغداد تابعة للخلافة الفاطمية ذات الشعار الأبيض .

(١) ابن الأثير : الكامل ج١٦ ص ٣٤١ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٩ ، ص ٤٠١-٤٠٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم : ج٨ ، ص ١٩٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم : ج٨ ، ص ١٩٦ ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص ٥٩١ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص ٥٩١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ص ١٩٦ .

(٦) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٩ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ، ص ٥٩٦ ، فتحى أبو سيف : المصاهرات ، ص ٧٥-٨٢ صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢١ ، ٢٢ ، وفاء محمد على : الزواج السياسى ، ص ٨٧ .

(٩) البافعى : مرآة الجنان ، ج٢ ، ص ٧٢ ، ص ٧٧ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٠ .

وهنا جاء دور الدامغانى الذى اجتمع بالخليفة العباسى القائم بأمر الله - والمغلوب على أمره - وشرح له خطورة قراره ، مؤكدا له أنه فور سماعه بهذا الرفض سيقوم طفرليك باجتياح بغداد وأخذها عنوة^(١) ، وكان هذا الحوار كافيا لقبول واقتناع الخليفة بتزويج ابنته من السلطان المسن ، وبالطبع كان أبو عبد الله الدامغانى هو الشاهد الرئيسى فى حفل الزفاف^(٢).

وقام الدامغانى بعد ذلك بخدمات ومهام أخرى لسلطين السلاجقة ووزرائهم ، ففى سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م طلب إليه الوزير نظام الملك الموافقة القانونية على عزل وزير الخليفة فخر الدولة ابن جهير لأنه تجاهل أمره فيما يخص عمله^(٣) ، وبعدها ببضع سنوات عهدت إلى عبد الله الدامغانى دعوى قضائية من قبل السلطان ملكشاه ضد الخليفة وخسر فيها الخليفة الدعوى^(٤) ، وأخيرا عندما أطلق سراح العالم الشهير أبى ثابت مسعود الرازى^(٥) الذى سجن بناء على أوامر الخليفة ، خبأه الدامغانى فى داره^(٦).

وقد نبين عند وفاته سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م تركه ثروة مالية^(٧) ، استطاع من خلالها أن يضمن لنفسه ولعائلته من بعده مقاما رفيعا فى الحكم داخل بغداد ، وداخل دولة عظيمة كدولة السلاجقة ، بتحالفه معهم ، ولم يشذ واحد من البيت الدامغانى عن هذه القاعدة بل بقوا جميعا أوفياء للسلطان السلجوقى مهما كان اسمه ورسمه ، ومعارضين للخلافة مهما كان مركزها^(٨).

(١) أبو نصر الكاشانى : دراسة آل سلجوق ، ص ٢٥ ، صفة سعادة ، المرجع السابق ص ١١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٩ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٥٩٦ .

(٣) حوادمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٨١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ .

(٥) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص

١٦٧ .

(٦) أبو ثابت مسعود الرازى : أحد أعلام بغداد ، قبض عليه الشحنة بأمر من الخليفة ، وقيد ، وأخذ ماله ، ثم أفرج عنه واختفى بدار الدامغانى ، صفة سعادة : المرجع السابق ص ١١٢ هامش (٤) ، وخرج بعد ذلك برسالة إلى بلاد ماوراء النهر .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٣٨ .

(٨) صفة سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

٢- أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور السمعاني الشافعي :

الفقيه المحدث ، ومن الوعاظ المبرزين ويلقب بتاج الإسلام ، له علم بالتاريخ والأنساب ، ووالد عبد الكريم صاحب كتاب الأنساب^(١) ، ونصب على منصة قاضي القضاة بعد وفاة أبي عبد الله الدامغاني مباشرة بناء على اختيار نظام الملك^(٢) حيث لم يرث أبو الحسن على بن عبد الملك ، منصب أبيه الدامغاني فورا ، على الرغم من أنه دفع مبالغ طائلة لهذا الغرض ، وتم اختياره فيما بعد^(٣) .

ويعلل كثير من المؤرخين^(٤) إقصاء أبي الحسن الدامغاني عن منصب والده ، بأن الخليفة المقتدى بأمر الله خشي من القلاقل والأقاريل بأنه عين أبا الحسن لأنه قبض رشوة منه على الرغم من أن قبض الرشاوى من الطامحين لمنصب قاضي القضاة عادة درج عليها الخلفاء منذ العصر البويهي أيام القادر بالله العباسي ولم يأبهوا كثيرا للأقاريل التي قيلت حول هذا الموضوع^(٥) .

ولكن السبب الحقيقي وراء عدم تعيين أبي الحسن الدامغاني ، وتعيين أبي بكر السمعاني مكانه هو أنه كان قد زال إلى الأبد نصير الحنفية (أبو نصر الكندري) إلى الأبد ، وتولى نظام الملك الشافعي الأشعري للوزارة السلجوقية ، مما يعنى وجود حزب جديد وهو حزب الأشعرية - الشافعية^(٦) وكان أبو إسحاق الشيرازي وهو من المقربين إلى الخليفة ونظام الملك وهو شافعي قد توسط عند الخليفة والوزير السلجوقي لتعيين شافعي على أعلى مناصب الإفتاء

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص ١٨٦-١٨٩ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٩٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٠٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ، ج٣ ، ص ٨٨ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٠٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ، ج٣ ، ص ٨٨ .

(٥) صفة سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٦) البنداري : آل سلجوق ص ٤٧ ، الحسيني : أخبار الدولة ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، صفة سعادة : المرجع

السابق ص ١١٣ .

والقضاء^(١) ، ولذا لم تكن مجرد صدفة أن يتأخر تعيين أبي الحسن الدامغانى لمنصب قاضى
القضاة إلى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م ، وهى السنة التى توفى فيها الخليفة المقتدى بأمر الله
العباسى^(٢) .

وبعدها تربعت الأسرة الدامغانية على منصب قاضى القضاة حتى سنة ٦٣٠هـ/
١٢٣٤م^(٣) . وقد تمتع قاضى القضاة فى العصر السلجوقى بامتيازات كثيرة ، فهو الذى يعين
القضاة الآخرين وهو الذى يختار الشهود والوكلاء (المحاميين) ، بل كان من رسوم تعيينه أن
يخلع عليه من الخليفة ثم السلطان السلجوقى ، ويضرب بين يديه بالبوقات والدبادب ، كما
فعل مع عبد الله الدامغانى^(٤) . بل أن قاضى القضاة حصل على امتياز أهم وهو أخذ البيعة
للخليفة ، والتى لم تكن حتى العهد البويهى من واجبات قاضى القضاة^(٥) ، بل حصل على
امتياز أهم وهو تنصيب أو خلع الخلفاء^(٦) .

تشكيلات القضاء فى السلطنة السلجوقية :

كان لاتساع السلطنة السلجوقية أثره فى أن يصبح لكل مدينة وإقليم قاض يعين من قبل
قاضى القضاة فى بغداد أو أصبهان أو الرى أو مرو أو غيرها من حواضر السلاجقة^(٧) .
وقد قسمت العراق إلى أربع مناطق قضائية عند دخول السلاجقة هى (أ) باب الطاق^(٨)
وقد عين أبو عبد الله الدامغانى عليها ابنه أبا الحسين قاضيا^(٩) ، (ب) حريم دار الخلافة

(١) ابن خلدون : العبر ح ٥ ص ٧ ، ٨ ، السبكى : طبقات الشافعية ، ج ٣ ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٩٣ .

(٣) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٢-١٧٢ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٥ ، ط . بيروت ، ص ٣٤٩ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٠٩ .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ص ٢١٩ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٢١ .

(٧) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٠ .

(٨) باب الطاق : إحدى جهات بغداد الأربعة فى الجهة الشمالية الشرقية ، صالح العلى : بغداد ، ص

٣٤١ .

(٩) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

وولى عليها أبو المظفر ابنه ^(١) (ج) باب الأزج والرصافة أضيفت إلى أعمال أبي الحسن ،
(د) الكرخ وعين عليها ابنه أبا الحسين قاضيا ^(٢) الذى فوض صلاحياته بدوره إلى أخيه أبي
النصر ^(٣) .

وكان محمد بن على أحمد الواسطى ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩م قاضيا فى شرقى بغداد والكوفة
وغيرها من الغرات ^(٤) وفى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م توفى أبو يعلى بن الحسن بن الفراء الحنبلى
قاضى الحرم بدار الخلافة ^(٥) وفى سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م توفى محمد بن القاضى بربع
الكرخ ^(٦) ، وفى سنة ٤٦٦هـ / ١٠٥٧م توفى عزيزى عبد الملك الجبلى الذى كان قاضيا بباب
الأزج ^(٧) .

بل أننا وجدنا لكل ربع من أرباع المدن الكبرى كبغداد وأصفهان ومرو قاضيا خاصا ^(٨) ،
وكان القاضى يقوم بالحكم فى أكثر من ربع واحد ، أو يعين نوابا له يقومون بالقضاء فى أرباع
أخرى نيابه عنه ، أو يحكم فى ربع إلى جانب حكمه فى منطقة قضائية أوسع ^(٩) .

وكان القضاة ينتشرون فى مختلف مدن العراق والمشرق الإسلامى وقراهما فى العصر
السلجوقى ^(١٠) وكان عدد منهم يحكم فى أكثر من مدينة أو قرية ، أو فى مدينة واحدة
وأعمالها ، ففى سنة ٤٦٦هـ / ١٠٥٧م توفى أحمد بن محمد السمنانى ^(١١) الذى كان قاضى

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٨ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ .

(٣) صفة سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣٠٧ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣١٧ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٠٥ ، وباب الأزج : مجلة ببغداد ، صالح العلى : بغداد ، ص ٣٤ .

(٨) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٢ .

(٩) جعفر خصباك : نفس المرجع والصفحة .

(١٠) جعفر خصباك : نفس المرجع والصفحة .

(١١) السمنانى . أحد أعلام الشافعية ابن هداية . طبقات الشافعية ص ١٥٤ .

القضاة أبو عبد الله الدامغانى قد ولاه نيابة القضاء حيث قلده قضاء باب الطاق فى بغداد بالإضافة إلى بعض مناطق فى سواد العراق^(١) ، وفى سنة ٤٦٦هـ / ١٠٥٧م توفى محمد بن عبد الله قاضى عكبرا^(٢) وهى مدينة صغيرة شمال العراق ، وفى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م توفى عبد الرحمن بن محمد الذى ولى قضاء البصرة^(٣) .

ثقافة القضاة ونزاهتهم :

من خلال استعراض سيرة قضاة بغداد وغيرها من المدن التى وقعت تحت سيطرة ونفوذ سلاطين السلاجقة العظام نجد أنهم كانوا من الفقهاء ، وأن أكثرهم عرف بسعة العلم^(٤) ، ولم نعر على قاضى واحد عرف بالجهل فمثلا القاضى محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م كان إماما فى الفقه ولما توفى عطلت الأسواق ومشى فى جنازته خلق كثير^(٥)

والقاضى عزيزى بن عبد الملك الجبلى قاضى باب الأزع صنف كتباً عديدة فى الرعظ وغيره، وكان فاضلاً حسن المعرفة بمذهب الشافعى مع معرفة بالأصول على المذهب الأشعرى^(٦) وقد شهد عند قاضى القضاة محمد بن المظفر الشامى سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م قبل تقليده القضاء^(٧) .

ولقد دقق سلاطين السلاجقة فى شروط اختيار قاضى القضاة ومعاونيه من شهود وكتاب وحجاب ، وأمناء ، ووكلاء (المحاميين)^(٨) ، فكان يختار من أغزر الناس علماً ، وأزهدهم نفساً ويداً ، وأقلهم طمعاً ، كما كانوا يعزلون من لم يكن كذلك ، ويستبدلون به من كان

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٨٧ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٤٣ .

(٦) ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٠ .

(٨) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٧ .

خييراً منه^(١) ، يقول نظام الملك^(٢) "ينبغي التعرف على أحوال قضاة المملكة واحداً واحداً ، والإبقاء على العلماء والزهاد ، والأمناء منهم ، وعزل كل من لا يتصف بهذه الصفات ، وتعيين آخر صالح مكانه ، ويجب أن يكون للقاضي راتب شهري يكفيه أمور معاشه حتى لا يكون في حاجة إلى الخيانة ، لأن هذا العمل مهم ودقيق ، لأن دماء المسلمين وأموالهم بيد القضاء" .

ولقد راعى سلاطين السلاجقة العظام تنفيذ أحكام القضاة حتى ولو على أنفسهم ، وكان من رسومهم أنه إذا امتنع شخص ما ، أو تأخر عن الحضور عن مجلس القضاء ، أحضروه عنوة عن طريق وكلاء الدار السلطانية ، وحتى ولو كان من المزهوين بعظمته ووجهاته وحشمته ، لأن ذلك يديم ممالكهم وسلطانهم سنوات طويلة^(٣) .

أما عن نزاهة القضاء ، فمن الصعب الخروج برأي شامل دقيق عن مستوى نزاهة قضاة هذه الفترة إلا ما قل منهم ، فالمتوافر لدينا من المعلومات يدل على نزاهة غير قليلة وجدت في معالجة أمور القضاء على الرغم من وجود أمثلة قليلة تشير إلى عكس ذلك^(٤) ، فسيارة غالبية القضاة تدل على نزاهة ، وفضل وعلم وملازمة للحق ، ولا بد أن يكون ذلك في معاونيهم من كتاب ، وشهود ، وحجاب ، وأمناء ووكلاء ، وإن كانت أكثر المصادر تكتفى بسرد سيرة الواحد منهم وهي طيبة في الغالب دون أن تشير إلى نزاهته وعفته ، ودقته ، مما يدل على أن هذه الصفات كانت من الأمور التي اعتاد الناس عليها^(٥) .

ففي سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن علي الدامغانى^(٦) ، وكانت هناك أموال كثيرة تحمل إليه من الأمصار لا تعرف طبيعتها ، ويبدو أنها كانت من باب

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٧٧ .

(٢) سياسة نامه ، ص ٧٧ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٧٧ .

(٤) جعفر خصيباك : القضاء في العراق ، ص ١٠١ .

(٥) أبو بكر الهروي : التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، (القاهرة ١٩٨٢م) ص ١١ ، صفة سعادة : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

الأجور^(١) ، فبذل ابنه أبو الحسن أموالا جزية ليخلفه ، ولكن الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله رأى أن يدفع الظن عنه بقبول المال ، فعين أبا بكر محمد ابن المظفر الشامي قاضيا للقضاة ، فاستبشر الناس بذلك^(٢) .

وكان ابن المظفر الشامي هذا نزيها عفيفا ، لم يكن يقبل رزقا على عمله ، ولم يغير ملبسا ولا مأكلا ، وكان له بيت يؤجره بدينار ونصف في الشهر ، ويقتات به ، فأثار سلوكه هذا أهل الباطل فلفقوا إليه التهم عند الخليفة حتى سخط عليه ، ومنع الشهود من إتيان مجلسه ثم رضى عنه^(٣) ، وبلغ من نزاهته أن تركيا ادعى عنده على رجل آخر ، فسأله ألك شهود فقال نعم فلان ورجل اسمه المشطب ، فقال له لا أقبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير ، فقال له التركي إن السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير فقال له أبو المظفر الشامي (ولو شهدا عندي في باقة بقل ما قبلت شهادتهما) ^(٤) .

مجالس القضاء : (المكان الذي كان يجري فيه القضاء) :

كان المسجد الجامع المكان الذي يجري فيه القضاء منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٥) وكان القضاء يتم بعد ذلك في الجامع أو بيت القاضي ، أو أي مكان آخر يراه القاضي مناسبا لعمله^(٦) . ولم تكن هناك قاعدة في ذلك ، فقاضي القضاة محمد بن علي الدامغانى أول من شغل هذا المنصب في العهد السلجوقي ، حكم أكثر من ثلاثين سنة ٤٤٧-٤٧٨ هـ (١٠٥٥-١٠٨٥ م) كان يقضى في داره وقيل إنه لم يعقد مجلسا للقضاء في جامع أو مسجد^(٧) ، وسار على نهجه ابنه أبو الحسن الذي اتخذ داره مقرا للقضاء^(٨) .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٩ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ١٧٩ ، ١٩٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٥ ص ١٦٠ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص ١٨٦-١٨٩ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ص ١٨٦ ، ١٨٩ ، الذهبي : شذرات الذهب ج٤ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) مصطفى مشرفه : القضاة في الإسلام ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٣ ، أحمد الشامي : الحضارة ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٧) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص ١٠٩ ، البنداري : آل سلجوق ، ص ٨١ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٠٨ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٣ ص ٢٠٤ .

مذاهب القضاة :

كان أغلب قضاة الفترة موضع الدراسة من الشافعية ، والحنفية ، والحنبلية ، ولم يرد ما يشير إلى وجود قاضى مالكي أو شيعي^(١) ، وكان سلاطين السلاجقة يختارون القضاة وفق مذاهبهم وبناء على رغبة وزرائهم ، فأبو عبد الله الدامغانى اختاره أبو نصر الكندرى الحنفى المذهب ، كان القضاة خلال فترة عمله (٤٤٧-٤٧٨هـ/١٠٥٥/١٠٨٥م) من الأحناف^(٢) ، ولما قتل الكندرى سنة ٤٥٧هـ/١٠٥٦م برز حزب الشافعية الأشعرية بقيادة نظام الملك الطوسى الذى عين شافعيًا أشعريًا قاضيًا للقضاة هو أبو المظفر الشامى^(٣) .

ومثل الشافعية أكبر نسبة من القضاة^(٤) يليهم الحنفية ، أما الحنابلة فكانوا قلة^(٥) ، وفى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٤م ، توفى القاضى أبو بكر بن الرطبى قاضى دجيل^(٦) ، وكان شافعيًا^(٧) ، وفى سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م توفى قاضى البصرة عبد الله بن الحسن وكان فقيها شافعيًا^(٨) ، وفى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م توفى باى بن جعفر بن باى الذى ولى القضاء بباب الطاق وحريم دار الخلافة وكان شافعيًا^(٩) ، وفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م توفى أبو يعلى محمد ابن الحسين بن الفراء الحنبلى وكان قاضى الحريم بدار الخلافة^(١٠) ، وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م

(١) انظر على سبيل المثال : السبكي : طبقات الشافعية ، ج٣ ، ح٤ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٧١-١٩٩ ، الذهبى : شذرات الذهب ج٤ ص ٢٩-٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ح١٢ ، ص ١٨٧ ، جعفر جفناك : القضاء : ص ١٠٢ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٠٨ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٣ ، ص ٨٨ .

(٤) انظر : ابن هداية الله ، طبقات الشافعية ، ص ١٧١-١٩٩ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٢ .

(٦) دجيل : اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت مقابل القادسية دون سامراء ويسقى كورة واسعة وبلاد كثيرة يا قوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٤٣ .

(٧) ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ٢١١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٥٤ ، ط. بيروت .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم : ج٨ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل : ج٨ ، ص ٣٧٨ ، ط. بيروت .

توفى القاضى أبو الحسين بن أبى جعفر السمنانى وكان أشعريا ، وحنفيا^(١) ، وكانت العائلة الدامغانية التى قدمت سلسلة من القضاء عائلة حنفية المذهب^(٢) .

إيرادات القضاء ورواتبهم :

لابد أن يكون للقاضى راتب شهرى يكفيه أمور معاشه لئلا تكون له حاجة إلى الخيانة^(٣) ، ولقد حرص سلاطين السلاجقة العظام على ذلك ، فأقطعوا الإقطاعات للقضاة^(٤) ، فمنهم من قبلها ومنهم من رفضها^(٥) ، ويبدو أن عددا من القضاة لم يتقاضى شيئا على عمله ، فقد مر "أن قاضى القضاة محمد بن المظفر الشامى الذى عمل قاضيا للقضاة سنة ٤٧٨هـ-٤٨٨هـ / ١٠٨٥-١٠٩٤م لم يكن يرتزق على القضاة شيئا ، ولم يغير ملبسه وأحواله قبل القضاء وبعده^(٦) ، بينما نجد أن قاضى القضاة عبد الله الدامغانى كانت تحمل إليه أموال كثيرة من الأمصار^(٧) .

ديوان القاضى وأعرانه :

كان للقاضى ديوان وهيئة من الأعوان تساعد على القيام بواجباته^(٨) ، أهم أعضائها الكاتب والحاجب والشهود العدول ، والأمناء ، والوكلاء بمجلس القضاء ، والمحضرون وأصحاب المسائل^(٩) ، ووكلاء الخاصة السلطانية^(١٠) ، والمسجل والمعدل أى (المطهر للأحكام أو المنفذ لها)^(١١) .

(١) ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٨٥ .

(٢) صفيه سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٢-١٧٣ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ٧٧ .

(٤) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٤ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٢ .

(٦) السبكى : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص ١٨٦-١٩٤ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم : ج٩ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٨) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٥ .

(٩) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٥ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٠-٢٠٥ .

(١٠) نظام الملك : سياسة نامه ص ٧٧ .

(١١) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠١-٢٠٣ .

وكان ديوان القاضى ويسمى أيضا ديوان الحكم^(١) ، يشتمل على المعاملات من شهادات وحجج ، ووقوف ومدائنات وعقود ومحاضر مع توارىخها ، كما أنه يحتوى على أدلة تعديل الشهود وجرجهم^(٢) .

وكاتب أو مسجل القاضى أو كاتب الجلسة كان ضروريا لقيام القاضى بواجبه ، وكان يجالس القاضى ليسجل أحكامه^(٣) ولذا وجب أن تتوفر فيه صفات السداد والاستقامة ، والتدين والخلق القويم ، والمعرفة بما يزاوله^(٤) .

أما المحضر فهو الذى يحمل دفترًا لإثبات المستندات ، ويجب أن يحمل شهادة تدل على إنهائه مدة دراسية معينة ، وعليه أن يطوى ما يحمله ، حتى لا يعرف أحد ما بداخله^(٥) . كما يعاون القاضى خازن المحكمة ، الذى كان يقوم بحفظ (ملفات) الدعاوى ، والترجمان الذى كان ينقل إلى القاضى أقوال الأعاجم إذا كان القاضى فى بلد يكثُر فيها أناس لا يتكلمون العربية ، والحاجب الذى يرتب المتقاضين حسب أوقات حضورهم^(٦) .

أما الشهود العدول ، فكان لكل قاض من القضاة هيئة من الشهود العدول عليه أن يختارهم بعناية فائقة ويراقبهم ، ويبعث بأصحاب مسائله أى : مجنديه يطالعونه بسيرة كل منهم ، فإذا تبين له أن أحدهم انحرف عن جادة الصواب بارتكابه شهادة الزور ، أو سلك سلوكا لا يليق بوظيفته عزله القاضى عن الشهادة^(٧) .

(١) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٥ .

(٢) جعفر خصباك : نفسه ، ص ١٠٦ .

(٣) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٤) السمنانى : أبو القاسم على بن أحمد السمنانى : روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق : الناهى ، بغداد ١٩٧٠-١٩٧٢م) ج ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٦ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٩٠ ، وربما يكونون طائفة من أعوان القاضى عليهم إحضار من لا يحضر إلى مجلس الحكم ، وما زالت هذه الوظيفة حتى الآن باسمها ، ويسمون الأعوان ، انظر : أحمد الشامى ، الحضارة ، ص ٩٠ .

(٥) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٦) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٩٠ .

(٧) السمنانى : روضة القضاة ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

والشهود يقومون بوظائف متعددة ، منهم من يقيمون شهادة المدعى ، المدعى عليه ، وهم يشهدون للقاضى وعليه فى محاكماته ، ووثائقه التى يوقعها ، وهم يرافقون الوكلاء بباب القاضى ، ويشهدون على صحة وكالاتهم ، ولذلك كان دورهم خطيرا وكبيرا فى مساعدة القاضى^(١) ، ولهذا كثرت أخبارهم ، ودقق القضاة فى شروط اختيارهم وكانوا يختارون من ذوى الأخلاق ومعروفى السريرة وظاهرى السير واشترط فيهم البلوغ ، والحرية ، والإسلام والعلم بما يشهدون به من الحقوق^(٢) . وكانت العادة أن الشاهد لا يصبح عدلا إلا إذا شهد أمام القاضى وزكاه عدلان^(٣) ، فمحمد ابن المظفر ابن بكران الشامى شهد أولا عند قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م وزكاه القاضى أبى يعلى بن الفراء ، وأبو الحسن بن السمنانى^(٤) .

وعلى القاضى أن يأمر بتصفح أحوال الشهود المعدلين سرا وعلانية ، للتأكد من استمرار كونهم عدولا^(٥) ، كما وصف دورهم فى تحقيق العدالة بما يأتى (فإن هؤلاء الشهود أعوان للحق على انتصاره وحرب الباطل على تبديره وبواره ، ومحجة الحاكم إلى قضائه ، ووزره الذى يستند إليه فى سائر الأنحاء^(٦)).

ولأهمية الدور الذى يقوم به الشهود كان على القاضى أن يتخذ من سموا بأصحاب المسائل وكانوا فى حكم أعوانه وأتباعه ، يسألون سرا وعلانية عن أنساب الشهود ومجالسهم وسلوكهم ليتأكد القاضى عن طريقهم أنهم مازالوا أهلا للقيام بواجباتهم ، وكان على الواحد من هؤلاء أن يتصف بخصائص معينة على رأى الفقهاء منها العقل والورع والأمانة ، والصلاح ، والبراءة من الشحناء والبغضاء بينهم وبين الناس ، ووفور العقل وكتمان السر^(٧).

(١) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٤ .

(٢) السمنانى : روضة القضاة ، ج١ ص ١٩٨ .

(٣) ابن الديبشى : المختصر المحتاج إليه ، ج٢ ص ٧٨ .

(٤) المنتظم ، ج٩ ، ص ٩٥ ، ابن الديبشى : المختصر ، ج١ ص ٢٦٠ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ١٠٥ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٧) السمنانى : روضة القضاة ، ج١ ، ص ١٢٤-١٢٦ .

وكان هذا هو المثل الأعلى المطلوب تحقيقه فى الشهود العدول ، ولكن الواقع كثيرا ما كان يبدو خلاف ذلك فالسمنانى المعاصر للدامغانى وأحد تلاميذه^(١) يشير إلى شهود شيخه قاضى القضاة الدامغانى بقوله (وقد رأينا شيوخ شيخنا (رحمه الله) ، وقد طال بهم الزمان وهم شهود لا يسأل عنهم ولا يبحث^(٢) ، وقال فى موضع آخر : إنه رأى الشهود فى مدينة السلام (بغداد) يشهدون على معرفة النساء اعتمادا على قول العامة والدلائل ويفعلون مثل ذلك بين يدي قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى^(٣) .

أما الوكلاء (المحامون) :

كان الوكلاء الذين يقومون بوظيفة المحامين الآن من أهم أعوان القاضى^(٤) ، وكان القاضى هو الذى يعينهم ، فيكونون فى حكم أتباعه وأعوانه ، فإذا أرسلت امرأة إلى القاضى ترفع دعوى فى حق لها على أحد يرسل القاضى معها شاهدين وبعض الوكلاء فتوكل ويشهد الشهود على ذلك^(٥) .

وإذا كان المريض لا يستطيع حضور مجلس الحكم ، وله حق على غيره ، أرسل القاضى إليه أحد أمثاله ممن يعرف المريض ، ومعه شاهدان فيأمره الأمين أن يوكل وكيلا يحضر مجلس القاضى ليخاصم المدعى ، وإذا صحت وكالة الوكيل جاز للقاضى أن يسمع دعواه ، والدعوى عليه فيما يتولاه لغيره^(٦) .

وكان لابد أن يتصف الوكيل بباب القاضى بكثير من الصفات الضرورية منها أن يكون من أهل الستر والعدل والعفاف ، شيخا كبيرا ، ومأمونا على الحرم ، ولا يتوكل فيما يعلم أنه باطل ولا يخضع لمن يتوكل له ، ولا ينبغي أن يغش موكله^(٧) .

(١) السبكى : طبقات الشافعية ، ج٣ ص ٩٨ وما بعدها ، صفة سعادة : المرجع السابق ص ١٥٦-١٥٨ .

(٢) السمنانى : روضة القضاء ، ج١ ص ٢٣٢ .

(٣) السمنانى : نفسه ، ج١ ، ص ٢٣٠ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٧ .

(٥) جعفر خصباك : نفسه ، ص ١٠٧ .

(٦) السمنانى : روضة القضاء ، ج١ ، ص ١٨٨ .

(٧) السمنانى : روضة القضاء ، ج١ ، ص ١٢٣ .

ولكن واقع الحال كان فى بعض الأحيان على غير هذه الصورة ، فيقول السمنانى^(١) عن أستاذه وشيخه الدامغانى (وقد شاهدنا وكلاء شيخنا قاضى القضاة (رحمه الله) ، وهم بالضد من هذه الصفات التى ذكرها أصحابنا ، وكان فيهم إنسان يتباهى بالشر والخصام^(٢) .

ولقد كانت وظيفة أمناء القاضى^(٣) أيضا من أهم الوظائف المعاونة له ، لأنه يتولى رعاية أموال اليتامى عن طريق هؤلاء الأمناء^(٤) حتى يبلغوا أشدهم ، وعليه وضع أموالهم بأيدي أمناء يحفظونها ويقومون على رعايتها وتنميتها عن طريق الإقراض والبيع والشراء ، وربما يقوم بوضعها عند من يتجر بها^(٥) . كما كان الحاكم^(٦) أى : متولى إدارة القضاء هو المشرف على ديوان القاضى إداريا^(٧) .

تلاميذ القاضى :

كان على القضاة تعليم عدد كان ممن يثقون فيهم ، ليتولوا بعدهم ، أو ليكونوا شهودا لهم ، فقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى كان له عدد من التلاميذ ، نالوا إجازتهم فى الحقوق وأصبحوا شهودا رسميين عدولا عين بعضهم فى مراكز حساسة^(٨) ، ووصل بعضهم إلى منصب القاضى فعبيد الله بن محمد بن طلحة بن الحسين ، أبو محمد الدامغانى ، وهو ابن أخيه ، قدم بغداد وتعلم على يد عمه والذى نصبه فور تخرجه قاضيا على حى الكرخ سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م^(٩) .

(١) روضة القضاة ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٢) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٨ .

(٣) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٨ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) السمنانى : روضة القضاة ، ج١ ، ص ١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٨٢ .

(٦) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٧) حسن أنورى : نفسه ، ص ١٩٩ .

(٨) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٩) ابن أبى الوفاء : الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، جزءان فى مجلد واحد ، (حيدر آباد الدكن ،

دائرة المعارف النظامية بدون ت) ، ج١ ، ص ٣٤٠ .

وكان الدامغانى على درجة عالية من الدهاء ، فقرر ألا يكتفى بتعليم تلاميذه المذهبيين الحنفى والحنبلى بل تجاوزهما ، وقبل تعليم تلاميذه المذاهب الأخرى^(١) ، فمن تلامذته من الحنابلة ، الحسن بن محمد الغزنوى الذى أصبح صديقا حميما له ، فولاه منصب محتسب بغداد^(٢) ، وأبو القاسم شيبان بن الحسن الحلبي الحنبلى الذى أصبح فيما بعد شاهدا فى المحكمة الحنفية^(٣) ، وأبو القاسم على بن محمد السمنانى الذى أصبح قاضيا فيما بعد^(٤) ، وأبو المعالى البغدادى الذى قلده الدامغانى قضاء الأنبار^(٥) ، وأبو السعادات محمد ابن الحسن ، عين فى البدء شاهدا ، ومن ثم قاضيا فى يعقوبا^(٦) . وأبو الحسن أحمد بن مسعود الذى عين قاضيا على الكوفة^(٧) .

مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة :

بلغت مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة درجة كبيرة فأجلوهم ، وزادوا فى أعطياتهم ، واحترموا أحكامهم ونفذوها^(٨) وملأوا المدن والقرى التابعة لهم بهم ، فكان لكل مدينة سلجوقية قاض يعاونه مجموعة كبيرة من الأعوان^(٩) .

(١) صفة سعادة : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٢) ابن أبى الوفا : الجواهر ، ج ١ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن أبى الوفا : نفسه ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ٨٤-٨٨ .

(٥) الأنبار : بفتح أوله ، مدينة قرب بلخ ، وهى قصبة ناحية جوزجان ، وهى على الجبل ، والأنبار أيضا مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما ٦٠ كم ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور ، جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس ١٣٢-١٣٦هـ / ٧٤٩-٧٥٣م . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٦) يعقوبا : قرية كبيرة كالمدينة ، بينما وبين بغداد ٦٠ كم من أعمال طريق خراسان ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٥٣ .

(٧) ابن أبى الوفا : الجواهر ، ج ١ ص ٩٤ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٤٤١ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٦ .

(٩) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٨-٢٠٢ .

فالسلطان طغرل بك أول سلاطين السلاجقة ، عندما جلس على عرش مسعود الغزنوى فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، أظهر احترامه للقاضى "صاعد"^(١) قاضى نيسابور ، فأخذ بيده ، وأجله إلى جواره على وسادة ، واستمع إلى نصائحه التى جاء فيها "اخشى الله عز وجل ذكره ، واعدل بين الناس ، واستمع للمظلومين ، والمساكين ، ولا تترك هذا الجيش يظلم الناس فان الظلم شؤم"^(٢) .

وكان السلطان ألب أرسلان يهيب القضاة ، ويحترمهم ، ويستمع إليهم ، ويقرهم ، فعندما عبر نهر الفرات وهو فى فتوحاته ببلاد الشام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ، قال له أبو جعفر قاضى حلب : يامولانا أحمد الله تعالى على هذه النعمة ، وهى أن هذا النهر لم يقطعه تركى إلا مملوك ، وأنت قطعتك ملكا ، فأحضر الأمراء والأتراك ، وأمره بإعادة القول ، فأعاده ، فحمد الله تعالى حمدا كثيرا وبجل القاضى ، وزاد فى أعطياته^(٣) .

وكان السلطان ملك شاه عادلا ، لم يسمع بمظلمة فى عهده^(٤) ، مما يؤكد احترامه للقضاة وأحكامهم .

ملايس القضاة :

كان لزي القضاة الصدارة بين الأزياء^(٥) فكانوا يلبسون الخف والطيلسان^(٦) ، والمواد ، والجلباب الواسعة ذوات الأكمام الواسعة ، والتى جعلوها ثلاثة أشبار ، وكانت هذه الأكمام

(١) هو أبو العلاء الاستوائى صاعد بن محمد بن أحمد النيسابورى الحنفى ، قاضى نيسابور ، ورئيس الحنفية ، وعالمهم توفى سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٠م عن سبع وثمانين سنة ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص ٢٤٨ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ .

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص ١٥١ .

(٤) الراوندى : راحة الصدر ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٥) ميخائيل عواد : صور مشرقة من حضارة بغداد فى العصر العباسى ، (بغداد سنة ١٩٨١م ، ص

٤٤ .

(٦) الطيلسان : كساء أخضر لخمته أو سدته من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايع والقضاة

جمعها الطبالسة ، دوزى : معجم الملابس ص ٢٨٠ .

تقوم مقام الجيوب ، يحفظ فيها الإنسان كل ما يحتاجه كالدنانير والكتب^(١) ، كان القاضى يضع فيها الكراسة التى يدون فيها الأحكام^(٢) ، وكاتبه يحفظ فيها الرقعه لعرضها عليه^(٣) . كما كان يلبس العمامة السوداء^(٤) ، والدنية^(٥) التى كانت تلبس فى مواكب الخلفاء والسلاطين ولكنها كانت مدعاة للسخرية فخف استعمالها ، ولبس القضاة أيضا القراقفات والقمص^(٦) . وكان لكل قاض ، حاجب ينظم دخول الناس عليه^(٧) .

(١) حبيب زيات : (أزياء الأكماء ، وما كانت تصلح له فى الملابس العربية) مقال منشور بمجلة المشرق (بيروت ، ١٩٤٧) المجلد الرابع ، ص ٤٦٥-٤٧٦ .

(٢) ميخائيل عواد : صور مشرقة ، ص ٤٥ .

(٣) حبيب زيات : أزياء الأكماء ، ص ٤٧٥ .

(٤) العمامة السوداء : لباس الخاصة ببغداد وغيرها من المدن التابعة للخلافة العباسية ، وهى تيجان العرب بها يتفاخر العربى ، ويتباهى ، وكانت العادة ألا يدخل الناس على الخلفاء إلا وهم معتمين ، والسواد هو شعار بنى العباس ، وكان أشباعهم يرتدونه ، ولذلك سماهم التاريخ (المسودة) بكسر الواو المشددة) أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وأشباعهم سموا (المبيضة) بكسر الياء المشددة ، لبس العباسيون السواد لأول مرة حين قتل مروان بن محمد الإمام إبراهيم بن محمد العباسى ، حزنا عليه ، فصار شعارا لهم ، وأول من لبس السواد منهم هو عبد الله بن على بن عبد الله عم السفاح والمنصور ، أنظر : الجاحظ ، البيان والتبيين (دار المعارف بمصر ، سنة) ، ج٣ ص ٧٧ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص ٧٥ ، ٧٦ ، ميخائيل عواد : نزاع العمائم فى دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم ، مقال منشور بمجلة الرسالة (القاهرة ، مارس ١٩٤٩م) ، العدد ٥٣ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٥-٣٧ ، دوزى : معجم الملابس ص ٣٠٠ .

(٥) الدنية : تجمع على الدينات ، قلنسوة بشكل الدن ، محددة الأطراف ، طولها نحو شبرين ، تتخذ من ورق وفضة على هيئة عيدان ، وتغشى بالمواد ، وتزين أحيانا بشقائق صفر طوال ، تتدلى على الصدره ، كان يلبسها القضاة عامة فى العصور الإسلامية ، كما كان يلبسها الخطباء والأكابر أحيانا أنظر : ميخائيل عواد : دنية القاضى فى العصر العباسى ، مقال منشور بمجلة الرسالة (القاهرة ، أكتوبر ١٩٤٣م) العدد ٤٨ ص ٩٧٩-٩٨١ ، ابن منظور : لسان العرب مادة دوى ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج١ ص ٢٣٤ .

(٦) القراقفات : جمع قراقف ، وقراقف جمعها قرقفة ، قلائس مستديرة ضخمة ، كان يلبسها القضاة والفقهاء فوق رؤوسهم أيام العباسيين ، ميخائيل عواد : صفحات ، ص ٥٨ هامش (٢٣) . والقمص هى القمصان .

(٧) حسن أنورى : اصطلاحات ، ص ١٩٨ .

ديوان المظالم (قضاء المظالم) :

هو نوع من القضاء ، يقوم به الخليفة ^(١) ، أو السلطان أو من أنيب عنهما من كبار شخصيات الحكم كالوزير أو أحد كبار الموظفين ^(٢) .

ويعرفه الفقهاء بأنه (جلب المتظلمين إلى التناصف ، وزجر المتنازعين عن التجاحد ^(٣) ويحتاج حسب قول ابن خلدون ^(٤) إلى علو يد ، وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين ، وتزجر المعتدى لأن متوليده يمتص ما عجز القضاة أو غيرهم عن إقصائه ^(٥) ، خاصة إذا كان الظلم من قبل ذوى الجاه والسلطان من الولاة والحكام وعمال الخراج أو كتاب الدواوين وغيرهم ^(٦) . وهو يشبه فى مضمونه محاكم الاستئناف فى الوقت الحالى ^(٧) ، ولم يتوان الرسول (عليه السلام) والخلفاء الراشدون عن رفع المظالم التى كانت تصل إليهم من الولاة والحكام ، وشددوا عليهم بعدم قبول الهدايا ^(٨) وأول من أفرد يوما للمظالم هو عبد الملك بن مروان ٨٦٠-٦٥ هـ / ٧٠٥-٦٨٥ م ^(٩) .

وأنشأ العباسيون ديوانا للمظالم جلس فيه خلفاؤهم لقضاء مظالم الناس ^(١٠) ، أو أنابوا عنهم من يقومون بذلك ، وكانوا يطلقون عليه قاضى المظالم أو صاحب المظالم ^(١١) .

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٧٨ ، حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، (بيروت ١٩٨٣) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٩ .

(٣) أبو يعلى بن الفراء : الأحكام ص ٥٨ .

(٤) المقدمة ، ص ٢٢٢ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٢ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ، ص ١٠٨ .

(٦) حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، ص ٣٩ .

(٧) أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١٠٨ .

(٨) حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٩) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ٧٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١٠) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ١٧٩ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٨٠ .

(١١) حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، ص ٥١ ، ٥٢ .

ولقد جلس سلاطين السلاجقة العظام تأسيسا بخلفاء بنى العباس لقضاء المظالم مثلما فعل السلطان ألب أرسلان وملكشاه^(١) ، كما أنابوا أيضا عنهم من يقوم بهذه المهمة مثل الوزير نظام الملك الطوسي الذي كان يعقد يوما للمظالم^(٢) .

وكان يساعد صاحب المظالم أحد الموظفين الكبار ، ففي سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م خلع على النقيب أبو الغنائم المعمر بن محمد العلوي وقلد نقيب الطالبين^(٣) والحج والمظالم ، وقرئ عهده في المراكب^(٤) ، وفي سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م أمر الخليفة المقتدى بإحضار محمد بن محمد بن المعوج إلى الديوان حيث خلع عليه ، وقلده النظر في المظالم فقبل وجلس بباب النوبى^(٥) .

وكانت الدركاه (دار السلطنة) هي مقر ديوان المظالم السلجوقي^(٦) ، فكان كل من له مظلمة يذهب إلى باب السلطان ، ويحدثه مشافهة دون حجاب ، ويطلب إنصافه ، ولا يبرح باب الدركاه إلا إذا أجيب طلبه^(٧) .

وكان سلاطين السلاجقة العظام يحرصون على إقامة الحدود ، وتنفيذ أحكام الدين ، واتصفوا بالعدل والمسامحة ، فكان السلطان طغرل بك كريما حلما محافظا على إقامة الشرع والحد^(٨) وكان السلطان ألب أرسلان رجلا شجاعا يخشاه الناس^(٩) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٢) عقيلي : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣) أى نقابة العلويين ، فكال لكل من العباسيين والعلويين نقابة ببغداد ، أنظر عنهم : ابن الأثير ، الكامل ج ٩ ص ١٥٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ .

(٥) ابن الديبشى : المختصر ، ج ١ ص ١٠٣ .

(٦) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤ - ١٦ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٩٩ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ .

أما السلطان ملكشاه فكان عادلا لدرجة أنه كان لا يقبل شفاعة في إطلاق ظالم حتى ولو كان الشافع هو الخليفة نفسه^(١) ، وغلب عليه لقب العادل حتى قيل إنه لم توجد في عهده مظلمة ودخلت الطمأنينة قلوب الناس ، فكان الباعة يطوفون بالتبن والدجاج وسط العسكر لا يخافون بطشهم ، ولا يبيعون إلا بما يريدون^(٢) .

وكثيرا ما كان ينوب وزراء السلاطين السلاجقة عنهم في قضاء المظالم ، وإذا استدعى الأمر أن يسند إلى أحد الفقهاء جئ به كقضايا الأحوال الشخصية التي كانت من مهام القضاة^(٣) .

(١) الراوندى : نفسه ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ص ٧٢ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ، ص ٩٣ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٢ .

الفصل الرابع النظم الحربية

النظام الحربي : الجيش السلجوقي - عناصر الجيش السلجوقي -
تشكيلات الجيش السلجوقي - أسلحة الجيش السلجوقي (تسجيل
الجنود السلجوقي (ديوان العرض) - أساليب السلاجقة في القتال -
مرتبات الجنود (النظام الإقطاعي العسكري السلجوقي) - المحتسب -
الطشت دار - الساقى (الشراب دار) - صاحب الخمر - أمير الحرم -
الاسكندر (ساعي البريد) - اللزدار - أطباء الخاصة - أمير الحج -
الجماعة دار (متولى خزانة الملابس السلطانية) - الخطيب - البندار -
قائد الاصطبلات - الدوات خانة - السنجق دار - الوكيل الخاص -
السعاة - الغلمات - الندماء - المختارين .

الجيش السلجوقي :

اهتم سلاطين وأمراء السلاجقة اهتماما بالغاً بالجيش ، لأنه عماد دولتهم^(١) ، فهم أنفسهم
رجال حرب و قتال وفرسان^(٢) ، عملوا في جيوش السامانيين والخانين والغزنويين كجنود وقادة
وفرسان^(٣) .

إلى جانب أن الروح القتالية قد تأصلت فيهم لطول ممارستهم لحياة البداوة القبلية ، فأصبح
لكل سلطان من سلاطينهم العظام ، وكل أمير من حكام الأقاليم التابعين له جيش كبير ،
مدرب^(٤) ، يقوم بتسليحه والإنفاق عليه ، والاهتمام به ، وأقطعوا جنودهم الإقطاعات بدلا
من الرواتب^(٥) .

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ - ٢١٦ .

(٣) القزوينى : لب التواريخ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، عبد الله رازى : تاريخ كامل إيران (آباء ماء
١٣٤٧) ، ص ١٩٥-١٩٧ .

(٤) خواندمير : حبيب السير ، ج٣ ، ص ٤٧٩ ، أحمد معوض : أضواء ص ٣٣-٣٧ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

ومنذ عهد السلطان طغرل بك زاد الاهتمام بالجيش القوى ، ليزود به عن البلاد التى فتحها ، ويحقق سياسته التوسعية فى تكوين دولة عظمى^(١) ، ويحكم طبيعة السلاجقة البدوية ، فقد كان الجيش المسلح القوى بالنسبة للبدوى هو أهم دعامة أساسية تقوم عليها الدولة ، فكون سلاطين السلاجقة جيشا قويا تكون من عدة آلاف من الفرسان وغيرهم^(٢) .

عناصر الجيش السلجوقى :

كان قوام الجيوش السلجوقية فى البداية مجموعة القبائل التركمانية الغزية السلجوقية التى وفدت مع السلاجقة ، وعبرت معهم إلى المشرق الإسلامى^(٣) ، إلى جانب أتراك آخرين تدفقوا بعد إسلامهم^(٤) كجنود غزاة جدد ضمن الجيش السلجوقى ، فاشتركوا معه فى كل المعارك وتقاسموا معهم الغنائم والأسلاب^(٥) .

ثم دخلت فى الجيش السلجوقى عناصر جديدة محاربة معظمها ليس من الأتراك ، ولكن من الشعوب المسلمة السابقة عليهم ، آثارها النصر الهين ، والغنائم الكثيرة التى يحققها السلاجقة ، فانضوا ضمن الجيش السلجوقى^(٦) ، فوجدنا عناصر من الخوارزميين ، والديلم الخراسانيين ، والأعاجم (الفرس) ، والأكراد ، والأوج^(٧) ،

(١) أحمد معروض : أضواء ، ص ٣٣-٤٨ ، محمود عرفة محمود : الجيش العباسى خلال عهده البويهيين والسلاجقة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب القاهرة سنة ١٩٨٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) أنظر : ٢٠٩ - ٢١٢ من الرسالة .

(٣) أبو عمر منهاج الدين عثمان : طبقات ناصرى جلد أول (لاهور ، جنورى ١٩٣٥ع) ص ٤٤١ .

(٤) يذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م إسلام عشرة آلاف خركاه فى مناطق بلاسوغون والصفد والبلغار من الأتراك .

(٥) شاكر مصطفى : دخول الترك الغز إلى الشام ، مقال بمجلة المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، (الأردن، ١٩٧٤) ص ٣٢٠-٣٢٢ .

(٦) شاكر مصطفى : دخول الغز الشام ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٢ .

(٧) الأوج : فرع من الأتراك ، وربما هم الكرجيين نسبة إلى كرجة معرب كرجة ، وهى مدينة من مدن خورزستان ، أنظر عنهم : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٦٢-٦٥ .

والخرلجية (القلارلوق)^(١) فى جيش طغرلبك الذى دخل به بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٢) .

وفى معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ، وجدنا فى نواة الجيش السلجوقى عشرة آلاف كردى إلى جانب الأتراك بشتى عناصرهم ، والفرس^(٣) ، وعنصر جديد اشترك مع الجيش السلجوقى هم العرب الذين انضموا تحت راية السلاجقة راضيين^(٤) .

وكانت جيوش السلطان ملكشاه التى بنى بها ووسع دولته أيضا من عناصر مختلفة^(٥) ، ولكن التركمان شكلوا العمود الفقرى فى الجيش السلجوقى أى : الفرسان^(٦) ، بينما شكلت العناصر الأخرى معظم الرجالة (المشاة)^(٧) ، وبزوال العهد البويهى من بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٨) ، زال معه جيشهم وتفرقت عناصره المختلفة أيضا ، وانضم القسم الأكبر منهم إلى الجيش السلجوقى^(٩) ، كما التحق بخدمة سلاطين السلاجقة عناصر أخرى من مسلمى بلاد ماوراء النهر^(١٠) ، كما دخل المماليك فى الجيش السلجوقى ، وأصبحوا

(١) القارلوق : الخرج : أحد الشعوب التركية عاشت فى شرق بلاد التركستان الغربية ، ولقب حاكمهم بلقب بيغو مثل حاكم الغز ، وكان على المسافر إلى الصين أن يقطع أرضهم ، وأسلموا منذ وقت مبكر ، وضموا بلاد الترك الغربية إليهم سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م ، أنظر : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٤٠-٤٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٥ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٩-١٢ .

(٣) عن الأتراك وعناصرهم : أنظر ، بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ٣٧ - ٩٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٣١٣ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٣٧-٩٨ .

(٥) أنظر على سبيل المثال : الراوندى ، راحة الصدور ص ١٩٧-٢١٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٠-٦١ .

(٦) محمود عرفة : الجيش ، ص ١٤٩ .

(٧) البيهقى : تاريخ ص ٥١٠ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١١٦-١١٨ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٦٠٦-٦٤٢ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم : ج ٨ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧-٢١٦ .

يشكلون عنصرا مهما من عناصره ، لما كانوا يتصفون به من صفات عسكرية ومهارة قتالية عالية^(١) ، ركزت هذه المجموع والعناصر تلتحق بخدمة من يضمن لها أرزاقها^(٢) .

ولقد حبذ نظام الملك تعدد عناصر الجيش ، وعدم الاعتماد على عنصر واحد فقط بقوله "ينبغي أن يؤسس الجيش من كل جنس وملة ، لأن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والفساد ، وعدم الجدية والبلاء في الحرب"^(٣) .

ولم تتوقف هجرة القبائل التركمانية الغزية ، وغيرها من الترك من بلاد ماوراء النهر^(٤) ، طوال عهد السلاطين العظام ، وساعدت توافدها ، وانضمامها إلى جيوش السلاجقة على تقويتها ، فلقد اتخذهم سلاطين السلاجقة كجند مخلصين ، ساعدوهم في حروبهم الكثيرة ضد الدول غير الإسلامية مثل بيزنطة وأرمينية ، وضد الدويلات التي كانت لاتدين بالمذهب السني في الشام والجزيرة^(٥) . وضد أعدائهم في بلاد ماوراء النهر^(٦) ، أو الخارجين عليهم من أمراء السلاجقة^(٧) . وسمح السلاطين العظام لحكام أقاليمهم بتكوين جيوش خاصة بهم ، وتكونت جيوشهم أيضا من عناصر مختلفة ، وكان الأمير يخرج بنفسه كالسلطان لقيادته جيشه ، ويساعده وزيره وكبير حجابيه ، وأمراء حرسه وغيرهم^(٨) .

وعلى الرغم من وجود جيش خاص بالخلافة العباسية في بغداد ، فإن سلاطين السلاجقة العظام لم يسمحوا للخليفة العباسي باتخاذ جند خاص به لحماية الخلافة ، حيث اعتبروا

(١) أبرشامة : الروضتين ، ج١ ، ص ٣٥ .

(٢) محمود عرفة : الجيش ، ص ١٤٩ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٨ ، ص ٢٦٥ ، شاعر مصطفى : دخول الأتراك الغز الشام ، ص ٣٢٠-٣٢٢ .

(٥) سبيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٩٠-١٩٢ .

(٧) ابن خلدون : المعبر ، ج٥ ، ص ٧-٢ .

(٨) حسن انوري : اصطلاحات ديواني ، ص ١٢٧ ، ٢١٣ .

أنفسهم وجنودهم جنودا للخلافة ، بل جيشها المخلص ، وحماة النظام السياسى السنى ، وكانوا يقصدون منه تجريد الخليفة من وسائل الدفاع والحماية ، كما فعل البريهيون^(١) .

تشكيلات الجيش السلجوقى :

١- الفرسان (الأمراء) :

يؤلف الفرسان العنصر الأساسى فى الجيش بصفة عامة^(٢) ، ويسمون بالخيالة^(٣) ، وكان فرسان السلاجقة من التركمان ، وخاصة من أمرائهم^(٤) ، ومن أهم أسلحة الفرسان السيوف والرماح ، والحراب ، وكانوا يلبسون الدروع ، ويركبون الخيل السريعة المدربة الفارهة ، والتى أجاد فرسان السلاجقة قيادتها وركوبها^(٥) ، وكانت لهم خبرة كبيرة بالحرب من فوق ظهر الجياد^(٦) .

وسار السلاجقة على احترام فرسانهم إلى حد كبير ، فهم عماد الجيش وبهم فتح السلاطين العظام البلاد وكانت قوتهم واتساع دولتهم مرهون بهم وبمهارتهم القتالية ، فلم يكن للجنود السلجوقى حق الإفصاح عن مطالبهم إلا عن طريق مقدميهم (الفرسان) ، وإذا تجاوز أحدهم هذا التقليد ، كان يلقى أشد العقاب^(٧) ، وكانت لهم القيادة فى الجيش فعرفوا بالأسفهسالارية^(٨) ، أى قواد الجيش^(٩) .

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٢ ص ٣٦٠ ، محمود عرفة : الجيش العباسى ، ص ١٤٩-١٣٨ .

(٢) محمود شيت خطاب : العسكرية الإسلامية .

(٣) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣١ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨ .

(٥) ر. سى - سميل : الحروب الصليبية ، ترجمة سامى هاشم ، (بيروت ، ١٩٨٢م) ، ص ٧٦-٧٨ .

(٦) الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، رسائل الجاحظ فى مناقب الترك ، تحقيق عبد السلام هارون ، الخانجي ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٠ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٦٤ ، خالد جاسم الجناهى ، الجيش والشرطة ، مقال بكتاب حضارة العراق ، ج٦ (بغداد ، ١٩٨٤م) ، ص ٢٤٥ .

(٨) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٢ .

(٩) البيهقى : تاريخ ص ٢٧٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٢٠٥ ، حسن الباشا : الوظائف

والألقاب الإسلامية ، ج٢ ، ص ٥٨٩ .

٢- المشاة (الرجالة) :

وهم الرجالة من الجند ، وقد اتخذوا من شتى العناصر التى كونت الجيش السلجوقى^(١) ، وكانت أعدادهم كبيرة تصل إلى عدة آلاف^(٢) ، ومن أسلحتهم السيوف والخرايب والسهام ، وكانوا يلبسون الدروع ، ويضعون فوق رؤوسهم الخوذ^(٣) ، ويحملون فى أثناء الحرب كنانين النبل^(٤) ، كما كانوا يحملون التاجيخ وهى الحرية القصيرة أو المهماز^(٥) ، ولهم وعاء يضعون فيه سهامهم وأقواسهم^(٦) ، وكانوا يحملون الرمح ، وكان الرمح التركى أخف وزنا وحملًا^(٧) .

٣- النشايون (الرماة) :

يطلق عليهم الرماة ، لأنهم يرمون بالنشاب^(٨) ، كما يتسلحون بكنائين النبل ، والفؤوس الصغيرة (البلطة) ، ويستعان بهم فى صد المغيرين ، وفى الحصون والأبراج^(٩) .

٤- المنجنقيون :

وهم رماة المنجنيق^(١٠) ، وكانوا يستخدمون فى تدمير القلاع ، والأسوار ، والحصون والدفاع عن المدن ، والقلاع ضد هجمات الأعداء^(١١) ، فقد ضرب نظام

(١) شاكى مصطفى : دخول الأتراك الغز الشام ، ص ٣٢٠-٣٢٢ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ - ٧٦ .

(٣) الخوذ : ما يوضع على الرأس ، وتصنع من حديد أو غيره ، أحمد الشامى : الحضارة ص ٩٩ ، ١٠١ .

(٤) كنانين النبل : جمع كنانة وهى الجراب الذى يوضع فيه السهام . لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٤٩٤٣ .

(٥) حسن أنورى اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤٤ .

(٦) حسن أنورى : نفسه ، ص ١٤٣-١٤٥ ، خالد الجنابى : الجيش والشرطة ، ص ٢٤٨ .

(٧) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، الشامى : الحضارة ، ص ٩٩ .

(٨) النشاب : ويعاونهم الطلائع وهى سرية من الفرسان يتقدمون الجيش عادة : للاستكشاف والاستطلاع ، متز : الحضارة ج ٢ ، ص ١٢٥ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٩٩ .

(٩) نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية ، (بغداد سنة ١٩٣١م) ، ص ١٥١ ، خالد الجنابى : الجيش ، ص ٢٤٨ .

(١٠) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤٤ .

(١١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٣٦٠ ، نعمان ثابت : الجندية ص ١٥٤ ، خالد الجنابى ، الجيش ص ٢٥٠ .

الملك قلعة فضلون سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م بالمنجنيق لفتحها^(١) وهم بمنزلة المهندسين العسكريين حالياً^(٢).

٥- الجمارون :

وهم الذين يتولون أعمال التحصين وبناء الأسوار ، وقطع الصخور وحفر الخنادق^(٣) .

٦- النفاطون :

وهو الذين يرمون الأعداء بقوارير النفط ، وتصنع من الزجاج ، وهى تشبه القنابل الآن ، وتستعمل لأحراق السفن والأسلحة ، والأمتعة التى تصنع من الخشب ، ويضرب أيضا الجنود ومجموعات العدو ، وكانوا يلبسون ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق وهم مثل قاذفى القنابل حالياً^(٤) .

(٧) الزرافون :

وهم طائفة من الجند ، اختصت بقذف النار المشتعلة ، أو النفط الملهب ، بواسطة أنابيب نحاسية ، أو أسطوانية يحملها الجند ، أو قى السفن عرفت عند العباسيين باسم الزرافات أو النفاطات^(٥).

٨- العرادون :

العراة آلة حربية تشبه المنجنيق ، ولكنها أصغر منه^(٦) ، وتخصص هذه الطائفة من الجند لاستخدام نوع معين من الأسلحة الثقيلة عرفت باسم العراة^(٧) .

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٣٩٢ ، ط. بيروت .

(٢) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ١٠٠ .

(٣) رشيد الجميلى : الموصل فى العصر السلجوقى ، ص ٢٦١ .

(٤) الخالدى : النظم فى العراق ، ص ٢٩٣ ، أحمد الشامى الحضارة ص ١٠٠ ، الجناهى : الجيش ، ص

٢٥٢ .

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص ٣٦٠ .

(٦) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٥٤ ، ٥٦ ، الخالدى : النظم ، ص ٢٩٣ .

(٧) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٣ .

٩- رماة الجروح :

يسمون أيضا بالجرخية ، وهى الذين يرمون السهام ، والحجارة ، والمواد الحارقة بواسطة آلة حربية ذات أقواس كبيرة تعرف بالجرخ^(١).

١٠- السفن :

وقد تعددت أنواعها ، واستخدمت بكثرة فى الحروب ضد البيزنطيين^(٢).

١١- المنادى :

الذى ينفر فى الجنود بالحرب^(٣).

١٢- يمشرو :

الدليل ، أو طليعة الجند ومن يقتدى به ويسير أمام الجند^(٤)، ويمكن تشبيهه بجنود الاستطلاع الآن .

١٣- حارس الجند :

وهم جنود يحيطون بالجيش من جوانبه لحراسته مثل الشرطة^(٥).

١٤- الصياح :

الذى يصيح فى الجند بمواعيد القتال^(٦).

١٥- المعين :

الذى ينظم الجند فى ديوان العرض ، وفى الجرائد السلطانية^(٧).

(١) نعمان ثابت : الجندية ، ص ١٥٤ .

(٢) رشيد الجميلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ ، ص ٢١-٤٣ ، أحمد الشامى : صناعة السفن ، بحث نشر بمجلة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ١٩٩٤م .

(٣) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٦ .

(٤) أنورى : أنورى : نفسه ، ص ١٢٧ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٦١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٧-١٢٨ .

(٦) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٨ .

(٧) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٩ .

١٦- سرهنكك :

مقدم الجيش (١) .

١٧- سلاح دار :

متولى دار السلاح (٢) ، أو من يحمل سلاح السلطان أو الأمير ، ويقومون بحراسته وللإحدازية أمير يعرف بأمير السلاح (٣) .

١٨- العارض :

مهمته عرض الجند للسلطان ، ورئاسة ديوان عرض الجيش ، وعليه ضبط نفقات الجيش ومرتباته ، وتنظيم تغذيته وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش (٤) .

- كردوس :

جالى السيف ، وصاقله ، وكان يصاحب الجيش فى كل معركة (٥) .

- قاضى العسكر :

هو القاضى الذى يفصل بين الجند ، ويتحدث فى الأحكام فى أثناء تنقلاتهم ، وكان يتخذ له كاتب ، ويكون له شهود عدول ، ويكون له منزل بجوار خيام الجند ، ويكون مستعدا للأحكام التى يكثُر فعلها بين المعسكر مثل الغنائم ، والقسمة ، والمبيعات ، والديون المؤجلة، والرد بالعيب ، والشركة ، وما يحكم فيها بمغيب (٦) ، وكان يعين من قبل السلطان ، وقد جرت العادة أن يعين قضاة للعسكر حسب مذاهبهم الدينية (٧) .

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٦١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٩ .

(٢) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٣ .

(٣) حسن الباشا : الوظائف ، ج٢ ، ص ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٥ .

(٥) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٧ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١١ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٧) حسن الباشا : الوظائف والفنون ، ج٢ ، ص ٨٦٦ .

- القراشون :

الذين يقومون بفرش ونصب الخيام للجند^(١) .

- الفقهاء والوعاظ :

الذين لازموا الجيش ، لشد أزره ، وتحميسه على القتال^(٢) .

- الأطباء والمرضون :

الذين يقومون بمداواة الجرحى ، ودفن الموتى^(٣) .

أسلحة الجيش السلجوقى :

زود سلاطين السلاجقة العظام جيوشهم بأنواع عديدة من الأسلحة ، والتي شاع استعمالها فى تلك الفترة وقد تنوعت الأسلحة المستخدمة فى الجيوش السلجوقية على النحو الآتى :

- السيوف ، شمشير بالفارسية^(٤) :

وهو من أقدم الأسلحة على الإطلاق ، ويعد السيف هو السلاح التقليدى لجميع الجيوش فى العصور الوسطى^(٥) ويستعمله الفرسان والمشاة على السواء ، وكان السيف سلاحا رئيسيا فى جيش السلاجقة^(٦) . وقد استخدم السلاجقة - كشعب تركى ماهر فى صناعة السلاح - السيوف المغولية ذات النصال المقوسة تقويسا خفيفا والتي تنتهى بطرف مدبب ، منحن ، إلى جانب السيوف المستقيمة^(٧) ، ولم يتم للآن العثور على سيوف سلجوقية كثيرة^(٨) .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٨ .

(٢) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٣ ، المناهلى : الجيش ، ص ٢٥٦ ، ومعهم القراء والقصاصى لإثارة حماس الجند .

(٣) وكانوا يحملون معهم ما يعرف بمستشفيات الميدان وهى أماكن تبعد عن مسرح القتال بمسافة معقولة لمعالجة الجرحى على محفات تحملها الأهل ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ١٠٠ .

(٤) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤٤ .

(٥) عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الإسلامى (القاهرة ، ١٩٥٧م) ص ٣٣-٣٧ .

(٦) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام ، (دار المعارف ، ١٩٥١م) ، ص ١١٠ .

(٧) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٠ ، الجنابى : الجيش ، ص ٢٥٩ .

(٨) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٠ .

وأجاد السلاجقة استخدام سيف القليج^(١) وهو طراز من النصال يتحول فيه الظهر أو ينتقل من نصل ذى حد واحد قبيل الطرف إلى حدين بزاوية واضحة ، استعمله الأتراك ، ثم انتقل إلى إيران ونلاحظ أن وجه الاختلاف بين القليج التركى والشمشير^(٢) الإيرانى ينحصر فى الجزء النهائى من النصل ففى الشمشير يتجه تقوس الظهر تقريبا مع تقوس النصل ، أما فى القليج فيقف انحناء الظهر على بعد عشرين أو خمسة وعشرين سنتيمترات من طرف النصل ، ثم يأخذ فى التضخم مرة واحدة وينشأ حدان قاطعان^(٣).

ويؤدى القليج وظيفتى الطعن والقطع على عكس الحالة تماما فى الشمشير الإيرانى الذى يعتبر أكمل الأسلحة للقطع فقط^(٤) ، ويوجد فى متاحف الفنون والسلاح فى العالم عدد وفير من القليجات^(٥) . والقليج هو ذلك التطور الذى طرأ على السيف الإسلامى الأول منذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) نظرا لاحتكاك المسلمين بالترك الذين كانوا صناعا مهرة للسلاح نظرا لثروة "جبال ألتاي"^(٦) المعدنية الكثيرة فى بلادهم^(٧) ، وشهرتهم بأنهم فرسان مهرة ، وعلى الرغم من قامتهم المستقيمة كانت هناك انحناءة أو تقوس فى أرجلهم من

(١) القليج : هو السيف بالتركية أو "تبغ" ، ويقال قليججى لصانع السيف وقليججانه (مصنع السيف) وقليججى لحامل السيف ، أنظر : Altay : Tugrulbey, p. 84 ، عبد الرحمن زكى : السيف ص ١٤٩ ، هامش (١) .

(٢) الشمشير : السيف بالفارسية ، وهو سلاح للقطع ضيق النصل لكنه سميك وينقش عليه اسم صانعه ، وامتازت قبضته ببساطتها وخفتها ، ولها واقية على شكل الصليب المفرد ، وإذا ضرب به سمع له صوت رنان، زكى : السيف ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٤٩ - ١٥٤ .

(٤) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٥٠ ، Altay : Tugrulbey, p. 84 .

(٥) يوجد فى المتحف الإسلامى بالقاهرة تحت أرقام ٣٥٨٧ شكل ٥٦ ، ٥٦ ب ، ورقم ٦٢٠٥ شكل رقم ٦٥ ، وفى متحف طوب قابو سراى : باستانبول تحت أرقام متعددة .

(٦) جبال ألتاي : هى الجبال التى أحاطت ببلاد الترك فى آسيا الوسطى ، بارتولد : تاريخ الترك ص أ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٧) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٦ .

كثرة ركوبهم الخيل^(١) ، وكان المتطلب أن يكون لديهم سيف بتار قاطع يسهل للفارس التركى التحرك به على قدميه وهو أمر لا يتيسر إلا بانحناء هذا السيف ، الذى كان له قدرة كبيرة على القطع ذلك لأن موضع السيف فى أثناء القطع يتحرك مع فارسه^(٢) .

وقد اهتم السلاجقة وفرسانهم اهتماما كبيرا بأجزاء السيف كالغمد^(٣) ، والحمل^(٤) ، فقد ذكر القلقشنندى^(٥) أنه لما تولى طغرل بك السلطنة ، وقابل الخليفة القائم لأول مرة سنة ١٠٥٧هـ / ١٠٥٧م خلع عليه سبع جبات سود وعمامة سوداء ، وطوق بطوق من ذهب ، وأعطى سيفاً بغلاف من ذهب . والمكان الذى يصلح لضربات السيف المناطق المزودة بالحديد ، وضربات السيف أنواع ، أبدع فيها فرسان السلاجقة^(٦) .

– القوس :

من أقدم أسلحة القتال ، واستخدم أيضا فى الصيد^(٧) ، وقد اشتهر منه القوس التركى والفارسى ، ويتألف القوس البدن والوتر ، والمحسب وهو مقبض الرامى ويصنع الوتر من خيوط مفتولة أو شراك جلد ، ويصنع من الحديد^(٨) وكان له وعاء يوضع فيه^(٩) .

(١) عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران (دار المعارف ، ١٩٨١م ، ص ٢٠-٢٨ .

(٢) أحمد رمضان : الحرب الصليبية ، ص ٨٧-٩٤ .

(٣) الغمد : هو جفن السيف أو قرابه ، يجمع على أغمداد يقال أغمدت السيف أو أقرتته أى جعلته فى الغمد ويجمع قراب على أقرية ، وهو ما يوضع فيه السيف عندما لايسل ، وللغمد حمائل ويطلق عليها أيضا نجادة وجمعها نجد ، ويحلى الغمد برصائع وهى حلق مستديرة تحلى بها السيوف ، وينتهى الغمد من أسفله بقطعة معدنية النصل تكون من الحديد أو الفضة وأحيانا من الذهب ، ويلاحظ فى أغمداد السيوف السلجوقية، أن الجزء الخلفى القريب من مقبض السيف له فتحة تساعد النصل على الانزلاق بسهولة فى داخل الغمد والخروج منه ، وتحلى الأغمد بنقوش منقوطة على الجلد ، ويخشن الجلد فى بعض الأحيان ، لمزيد من التفاصيل : راجع ، عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) حمل السيف : وعندما يكون السيف داخل غمده يعلق فى زنار يلتف حول وسط حامله أو يعلق فى حمية (نجادة) على أحد الكتفين ، عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٢٢٣ .

(٥) صبح الأعشى : ج٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٦) أحمد رمضان : الحركة الصليبية ، ص ٨٧-٩٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ابن الجوزى : المنتظم : ج٦ ، ص ١٢٥ ط. بيروت ، عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٣٣ .

(٨) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ .

(٩) أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ١٤٧ .

وقد تميز الأتراك السلاجقة بالرمى بالقوس ، وكانت لهم مقدرة كبيرة على حملها^(١) ، وقد تميز القوس السلجوقي بالخفة ، وكان هو السلاح الرئيسى للأتراك بجانب السيف^(٢) .

- الرمح :

عود طويل فى رأسه حربة ، يتراوح طوله من خمسة أذرع إلى سبعة ، وهو خاص بالفرسان ، فكان يطلق على الرماح القصيرة مربوعات ، وعلى الرماح الطويلة (الطوال)^(٣) ومنها المتشعب والعريض ، والرفيع ، والمستوى ، والموج وغيرها^(٤) . وقد تميز الرمح السلجوقي بالخفة مما ساعدهم كثيرا على سرعة الضرب والحركة^(٥) .

- الترس :

صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل فى اليد يتلقى بها ضربة السيف ونحوه ، وكان الترس من أسلحة الدفاع الرئيسية فى الجيش السلجوقي^(٦) ، وسمى أيضا بالجحفة ، والدرقة ، والمجن ، وكان يصنع من الخشب المغطى بالجلد ، والجحف هى التروس من جلود بلاخشب ، ولاعقب ، وجمع الترس على تراس وتروس^(٧) .

- البراوة :

قطعة حديد ، لها رأس أيضا من حديد ، بارز منها نتوءات مسننة كطرف الخراب ، وكانت مستخدمة لضرب الدروع ، وكان الفارس السلجوقي يضرب على الخوذة بالهراوة والسيف معا مستخدما السيف فى اليد اليمنى والبراوة فى اليسرى ، أو يكتفى بالهراوة فقط ودرعه المستدير الصغير^(٨) .

(١) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) سميل : نفسه ، ص ٧٨ .

(٣) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ .

(٤) الخالدى : النظم ، ص ٣٣٥ .

(٥) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٦) سميل : نفسه ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٥٦ ، عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢٦ .

(٨) أحمد رمضان : الحركة الصليبية ، ص ٨٧ - ٩٤ .

– السهام :

من آلات الرمي الشهيرة ، وكانت سهام السلاجقة خفيفة ، فكانت تخترق الدرع للعدو ، وكانت فائدتها القضاء على تماسك العدو ، وقتل خيوله ، وكان يوسع الأثرak الرمي بالسهام ، فكانت أشبه بصاروخ معاد^(١) .

– الحربة القصيرة – المسمار :

لضرب العدو عن بعد ، لأنها كانت تصوب لمكان أبعد^(٢) .

– المنجنيق :

من أشهر الأسلحة الثقيلة ، وأشدها تأثيرا وبخاصة في الحصار ، ويتألف من عامود طويل قوى موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين وطويل في طرفه الأعلى شبكة على هيئة كيس توضع فيه الحجارة ، أو برميل فيها مواد ملتهبة ثم يحرك ويرفع العمود على جراراته بواسطة رجال ، فيندفع من الشبكة ما وضع فيها من القذائف ويسقط على الهدف ، فيقتل أو يحرق^(٣) ، وقد استخدمه الفرس والعرب والأتراك والبيزنطيون واستخدمه السلاجقة في حروبهم خاصة في ضرب القلاع والحصون والمدن الكبيرة ، فقد استخدمه^(٤) طغرلبيك في حصار ملاذكرد سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م^(٥) ، وقد ضرب به تتش مدينة طرابلس سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م .

– العرادة :

من الأسلحة الثقيلة ، وهي تشبه المنجنيق في هندستها واستعمالها ، بل اعتبره البعض من أنواع المنجنيق ولكنه أصغر منه^(٦) .

(١) سميل : الحروب الصليبية ص ٧٨ .

(٢) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢٣-٢٦ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٧١ ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ ص ٤١٤٢ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٣٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ . ابن اربغاد الزدكاش : الأنيق في المناجنيق ، تحقيق :

إحسان هندی ، (دمشق ، ١٩٨٥م) ، ص ٢٣-٣٠ .

(٦) الخالدي : النظم ، ص ٢٩٤ .

- المبروخ :

هى آلات حربية تستعمل لرمى السهام ، والحجارة ، حجمها أصغر من العرادة ولها أقواس كبيرة تشد بوتر توضع بها السهام والمواد المشتعلة ، والحجارة لرميها من مسافات بعيدة^(١) .

- النشابة :

يطلق عليها اسم السهم ، أو النبل ، وجمعها نشاب وتصنع من أنواع معينة من عود الشجر ، وأحسنها ما يكون مصنوعا من النبق والأخشاب الصلبة ، ولا تستعمل إلا مع القوس لأنها تكمله^(٢) .

- الدروع :

ثوب يسج من ذرد الحديد يلبس فى الحرب ، وتصنع من الحديد أو الفولاذ أو الكتان^(٣) .

- الشبارة :

سفينة حربية صغيرة استخدمت فى العراق فى العصر البويهى والسلجوقى ، وكانت تشحن بالرمات من حملة القس والسهام ، وتجمع على شبارات ، وهى سفينة نهريّة صغيرة^(٤) .

- الخوذة :

قطعة واحدة من الحديد ، وهى من آلات الحرب ، تلبس لوقاية الرأس ، وتجمع على خوذة^(٥) .

- الخنجر :

"صلت" ، وهو السكين الكبير ، استعمل فى كل البلدان الإسلامية ، وله مقبض ، ويصنع غالبا من العاج^(٦) .

(١) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، ج٦ ، ص ٤٤٢٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٢٥ ، ط . بيروت .

(٣) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ .

(٤) درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ١٩٧٩م ، ص ٧٢-٧٣ .

(٥) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ ، ٢٣ .

(٦) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ ، ٢٣ .

- الدبوس :

آلة حربية من حديد ، وكانت تستعمل فى تهشيم الخوذة المعدنية ، يحملها الفرسان فى السروج تحت أرجلهم ، وكانت تعرف بالعمد^(١) .

أما عن تسجيل هؤلاء الجند والفرسان ، فكان يسجل كل جندي من الجيش السلجوقى فى الجريدة السلطانية^(٢) وتعيين وظيفته وراتبه^(٣) ، أما الجند النظامى فكانوا يسجلون فى دفاتر خاصة فى ديوان عرف بديوان الجند ، ويطلق عليه (الجرائد الديوانية)^(٤) ، ويسمى هذا الديوان ديوان العرض ، أو ديوان عرض الجيش^(٥) ويختص بالشئون الآتية :

١- تنظيم سجلات بأسماء الجند الذين تتوفر فيهم شروط معينة ، وهى البلوغ والحرية والإسلام وسلامة الجسم من العاهات التى تمنعه من القتال^(٦) .

٢- ترتيب أسماء الجند تبعا لأجناسهم ، وأوصافهم ، وبلدانهم الأصلية ، وكان الغرض من هذا الترتيب معرفة أصل الجندي ، وجنسيته لأن ديوان العرض ضم أجناسا من العرب والأكراد والأتراك والديلم وغيرهم من الأجناس^(٧) .

٣- تقدير العطاء لكل جندي ، وذلك حسب كفاءته ومقدرته على القتال^(٨) .

(١) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢٦ .

(٢) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٢ .

(٣) يطلق على الراتب العسكرى (الأطماع) مفردها طمع وهو رزق الجند ، وقيل أطماع الجند أوقات قبضها أيضا ، أنظر : لسان العرب مادة (طمع) ، نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣٩ هامش (١) ، أنورى : اصطلاحات ص ١٢٢ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٤ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ .

(٦) الخالدى : النظم ، ص ١٥٥ .

(٧) شاكر مصطفى : دخول الأتراك ، ص ٣٣٠ ، ٣٢٣ .

(٨) أنورى : اصطلاحات ، ص ١٢٢ .

٤- إسقاط من يموت من الجند ، أو يفقد اللياقة العسكرية من سجلات الديوان بسبب مرض ، أو عاهة أو غيرها من الأسباب^(١) . ويتولى إدارته "العارض"^(٢) رئيس ديوان العرض . ولقد حرص سلاطين السلاجقة العظام على قوة جيوشهم ، وزيادة أعدادها ، ويرى نظام الملك أن قوة الجيش يجب أن تصل إلى سبعمئة ألف رجل ، وذلك لإيمانهم بأنه مازاد جيش السلطان إلا زادت قوته ، وولايته ، وما قل جيشه إلا قلت ولايته ، لأن الممالك تصنع بالرجال ، ويصنع الرجال بالمال^(٣) .

ولقد أطاع الجند السلجوقي قوادهم ، ومقدميهم ، ونقباءهم ، بل والسلطان نفسه طاعة لأمثيل لها ، وخير دليل على ذلك هو حركة الفتح المستمرة ، المتعاقبة التي قام بها هؤلاء الفرسان مع أسيادهم^(٤) ، فقد كان الترك جنودا مهرة في القتال منذ نعومة أظفارهم^(٥) . وحدث في بعض المرات أن عصى الجند أسيادهم ، ففي سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، وبعد دخول طغرلبيك بغداد ، أحدث جنده ، صداما مع العامة ، أدى إلى تدمير الخليفة والعامة ، أدى إلى تدمير الخليفة والعامة منهم ، ولم يستطع طغرلبيك كبح جماحهم^(٦) ، وعاتبه الخليفة في ذلك^(٧) .

وفي سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م ، عندما أمر طغرلبيك بالخروج لمحاربة الفاطميين ، وأنصار البساسيري بعد هزيمة السلاجقة في موقعة سنجار^(٨) ، رفض الجند الخروج وقالوا "هذه بلاد

(١) الخالدي : النظم ، ص ١٥٥ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٨ - ٢٠٧ .

(٥) عبد الرحمن زكي : السيف ، ص ٧٧ .

(٦) ابن خلدون : العبر جزء ص ٥٦٩ ، ابن تغري بردي : النجوم ، جزء ص ٥٧ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ، جزء ٨ ص ١٩٣ ، البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ٩ ، ص ٣٩٩-٤٠٣ .

(٨) عنها ، أنظر : ابن الأثير ، الكامل جزء ٩ ص ٢١٧ ، القزويني : آثار العباد ، ص ٣٩٣ .

خربة وليس بها أقوات ، ولا علوفات ولم يبق معنا نفقات ، ونحن عاجزون عن القيام على ظهر خيولنا ونستأذن فى العودة إلى أهلنا ، فقد طالت غيبتنا عليهم ، فقبض طغرل بك على جماعة منهم وقيدهم ، واعتقلهم أياما ، ثم شفع فيهم وزيره عميد الملك الكندرى فأطلقهم^(١).

ولقد فطن الوزير نظام الملك إلى نفسية الجند السلجوقى ، فكان أعلم بها من السلطان نفسه ، والدليل على ذلك موقفه من أولئك الأمراء الخارجين عن ملكشاه ، والذين انضموا إلى عمه قاورد بك ، ومطالبة نظام الملك (ملكشاه) بالعفو عنهم^(٢).

ويعطينا ابن الأثير^(٣) مثالا آخر على بعد نظر نظام الملك ، ومعرفته بأدق جزئيات الجيش السلجوقى فى سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م ، فى أثناء استعراض السلطان ملكشاه لجيشه ، أسقط منه سبعة آلاف جندى ، لم يعجبه حالهم فاعترض نظام الملك ، وقال للسلطان "إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ، ولا خياط ، ولا من له صنعة غير الجندية ، فإذا أسقطوا لا تأمن من أن يقيموا رجلا منهم ، ويقولوا هذا هو السلطان ، فيكون لهم أمر ، ويخرج من أيدينا أضعاف مالهم" ، فلم يقبل السلطان ملكشاه مشورته ، فسار أولئك الجند إلى أخية تتش فقوى بهم .

أساليب السلاجقة فى القتال : (التكتيات السلجوقية) :

لقد كان السلاجقة فرسانا بطبيعتهم ، وكانوا على اختلاف أعمارهم يقضون معظم حياتهم على ظهور الخيل فى بيئة يدوية لاتعرف غير الحرب والقتال ، وهى البيئة التى نشأوا فيها وهاجروا منها^(٤) ، ومن بين كافة الشعوب الآسيوية التى هاجرت من آسيا الوسطى ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص ٢٨٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٥ ص ١٣٥ .

(٣) الكمال ، ج١٠ ، ص ١١٨ ، ١١٩ ، ولم تثبت المصادر عصيان جند السلطان ألب أرسلان عليه فى أى من معاركه ، وخيرد ليل على ذلك معركة مانزكرت وانتصاره الباهر على البيزنطيين ، أنظر : القزوينى : لب التواريخ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٠-٤٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩-١٩١ ، ستفن ونسيमान : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ص ١٠٧-١٠٩ ، أحمد الشامى : العلاقات ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية ، ص ٤ ومابعدها .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥-١٤٧ ، ابن بى بى : سلجوق نامه ، ص ١٠ ، ١١ .

كان الأتراك وهم الذين أثارت صفاتهم العسكرية الإحساس الشديد بالخوف والإعجاب فى آن واحد^(١) لدى مؤرخى العصور الوسطى خاصة مؤرخى الإفرنج^(٢) .

لقد تعددت التكتيكات السلجوقية فى القتال والحرب ، وكان جيشهم كأى جيش إسلامى خماسيا أى : مكونا من : مقدمة ، ومؤخرة ، وقلب ، وميمنة ، وميسرة^(٣) ، ولكن تشكيلات الحرب والقوات المتعددة الجنسيات التى كان يتكون منها جيش السلاجقة كان لابد من تنظيمها^(٤) .

فقبل المعركة كانت تشكيلات قوات الأتراك السلاجقة على هيئة صفوف متراسة ، يحملون سيوفهم وأقواسهم ويبدو متأهبين للقتال فى أية لحظة^(٥) ، بالإضافة إلى صيحاتهم المتعالية لمحاولة منع عدوهم من الاقتراب^(٦) وإرهابه بصوت طبولهم التركية القوية ، التى لم تكن أصواتها على وتيرة واحدة ، مما يدخل فى روع السامع لها أنها ذات طابع همجى^(٧) .

فإذا ما بدأت المعركة كان للأتراك السلاجقة أساليب وتكتيات أثارت إعجاب أعدائهم ، وظلت معمولاً بها حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر الميلادى ، ومازالت تدرس فى كثير من كليات الأركان العسكرية للآن^(٨) .

وكانت أول ميزة من مميزات الحرب لدى السلاجقة هى تكتيكات الرماة والفرسان التى سببت أكبر صعوبة أمام الزحف الصليبي فيما بعد^(٩) ، وضد أى عدو يدخل معه فى معركة ،

(١) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ ، أحمد رمضان : الحروب الصليبية ، ص ٨٧ .

(٢) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .

(٣) أبو نصر مبشر الطرازى : عسكريت در إسلام (قاهرة ذى الحجة ١٤٠٦هـ / اكتوبر ١٩٨٦م) ، ص ٣٣-٢٦ ، أنورى اصطلاحات ، ص ٣٨ .

(٤) شاكر مصطفى : دخول الأتراك الغز الشام ، ص ٣٢٠-٣٢٣ .

(٥) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ ، أحمد رمضان : العلاقات بين الشرق والغرب ص ٨٧ .

(٦) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ترجمة د/حسن حبشى ج٣ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤م) ص ٢٥٣ .

(٧) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧ .

(٨) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧-٩٤ .

(٩) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .

وبما أن كل جيوش العصور الوسطى كانت تعتمد على الفرسان ، لكن الفرسان السلاجقة تميزوا عن غيرهم بالسرعة والمرونة فى القتال والمناورة ، ويرجع السبب فى خفة حركتهم هذه إلى سرعة خيولهم ، ورشاقتها^(١) وخفة أسلحتهم ، إذ كان سلاحهم الرئيسى القوس كما كانوا يحملون السيف والترس والرمح والهراوة^(٢) .

وهناك أدلة على أن الرمح والترس السلجوقيين كانا أخف منهما لدى الصليبيين ، ولم يكن ترس السلاجقة شبيها بترس الصليبيين الذى كان قريبا من شكل الطائرة الورقية الطويلة ، بل كان ترسا مستديرا صغيرا ، وخفيف الوزن^(٣) .

ولقد كان السلاجقة بمساعدة خيولهم السريعة ، وأسلحتهم الخفيفة أقدر على التحرك^(٤) ، وقد جاءت خفة الحركة هذه من تفوق عنصر الفرسان على عنصر المشاة فضلا عن أن تدريب الفارس السلجوقى كان خفيفا ، ولو أضفنا إلى ذلك القدرة التى تميز بها الفارس الرامى السلجوقى من قدرته على إصابة الهدف بدقة فى أثناء امتطائه حصانه وهو يعدو به عدوا سريعا وكذا سرعة عدو الحصان نفسه على مدى الرمى ، لكانت لدينا قدرة فائقة على إحداث خسائر كبيرة فى الخصم ، وفى ذات الوقت سرعة اقتراب كبيرة فى المنطقة الحرام حتى الوصول إلى خط الأمام للعدو ، وتغيير أداة الفارس من القوس إلى أداة الجسم وهى السيف^(٥) .

ولقد استفاد السلاجقة فوائد رئيسية من قدرتهم الفائقة على التحرك بسرعة :

أولا : مكنتهم خفة الحركة من البقاء على بعد معين من عدوهم ، واختيار لحظة التى يكونون فيها مستعدين للاشتباك معه^(٦) ، وكان رماة السهام من الفرسان السلاجقة مهرة

(١) مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى (دار الفكر العربى ١٩٩٨م ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٧ .

(٣) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٨ .

(٤) ونسيان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ص ١٥٦ .

(٥) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧-٩٤ .

(٦) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٨٧ .

جدا فى رميها ، فلم يكن أسلوبهم هو الرمى المنفرد ، وإنما الرمى الجماعى فى صورة رخات على العدو ، وجعلوا رخاتهم تنحصر فى هدف واحد هو الفرس ، ولذلك لجأ أن أكبر خسائر أعدائهم كانت فى الخيل^(١) .

فإذا ما جرت محاولة لمهاجمة الرماة السلاجقة كانوا مستعدين للتراجع ، ويخيل للناظر أنهم آثروا السلامة بالفرار ، وكانت جموعهم تتفرق ، لكنهم فى الحقيقة كانوا دائما يعودون إلى القتال ، وهكذا يكون تراجعهم الأول تراجعاً تكتيكياً ، لما كان سبباً فى نصرهم دائماً ، ولم تكن هذه المناورة السلجوقية تجرى على نمط واحد بل كانت تتخذ صوراً مختلفة ، ففى بعض الأحيان استمر تراجعهم عدة أيام بقصد إرهاب وإنهاك العدو ، واستدراجه بعيداً عن مراكز قواعده ، كما كان تظاهروهم بالهزيمة أيضاً محاولة لخداع العدو ، وجره إلى الكمين المنصوب له للقضاء عليه فى مناطق قتل مناسبة^(٢) ، ولقد اتبع السلاجقة هذا الأسلوب مع الغزنويين فى داندنقان سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م^(٣) كما استعملوه مع الصليبيين فيما بعد^(٤) .

ثانياً : استعمل السلاجقة هذه المناورة كطعم لوضع العدو فى كمين ، وكانوا بارعين فى حرب الكمائن فاستخدموا قوات قليلة العدد من الفرسان لإغراء العدو على مهاجمتهم ، والقضاء عليهم ، وهو أسلوب يمكننا أن نطلق عليه (تخريض العدو على الهجوم) ، وعندما كان يتحرك العدو لمهاجمتهم كانت هذه الجموع الصغيرة من فرسان السلاجقة ، تقوم بإغراء ، واستدراج فرسان عدوهم لإيقاعهم فى الكمين حيث القوة الرئيسية للفرسان السلاجقة ، التى تظل مختفية حتى اللحظة الحاسمة^(٥) . وهذا النوع من القتال ونقصه به حرب الكمائن لا يحقق نصراً كاملاً وحاسماً ، ولا يعتمد عليه إلا إذا كانت طبيعة الأرض تسمح باختفاء القوة

(١) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧-٩٤ .

(٢) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، أحمد رمضان ، العلاقات ص ٨٨ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٨٣ وما بعدها .

(٤) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ج ٤ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ،

ص ١٧٤ .

(٥) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٩ .

الرئيسية للكمين ، كما لا يؤخذ بهذا الأسلوب القتالى إلا عند الحاجة للحصول على الأسرى لاستيفاء المعلومات منهم ، أو للعمل على إضعاف الروح الهجومية للعدو بكثرة بث هذا النوع من الكمائن^(١) .

ثالثا : استغل السلاجقة قدرتهم على التحرك كأسلوب مهاجمة جناحى العدو ، ومؤخرته ، فكانوا يطوقون عدوهم فى أكثر من موضوع مثل النحل ، ويهاجمونه من كل جهة ، ويحيطون به من جميع الجهات^(٢) ، كالخزام أو مثل الكرة حول محورها^(٣) ، أو كما لو كانوا يحاصرون مدينة^(٤) ، فإن لم يستطيعوا تطويق العدو وسعوا أجنحتهم إلى أقصى حد ممكن حتى يطوقوا عدوهم من الجانبين على الأقل^(٥) ، وهذا النوع من التكتيك يحتاج إلى تفوق عددى فى بعض الأحيان ، ولكن السلاجقة استخدموه تحت كل الظروف فى حالة تفوقهم العددى على خصمهم ، أو فى حالة افتقارهم للقوة العددية^(٦) ، ولقد سبب هذا الأسلوب الكثير من الارتباك للأعداء الذين كان عليهم أن ينظروا دائما إلى ما وراء أكتافهم^(٧) .

رابعا : أما الفائدة الرابعة التى استفادها الأتراك من قدرتهم على التحرك ، فكانت مهاجمة العدو وإرغامه على القتال فى أثناء الزحف نحو المكان المقترح للمعركة^(٨) ، وكان السلاجقة فى أسلوبهم هذا يقومون بمهاجمة مؤخرة الجيش المحارب لهم ، وكان هذا الأسلوب القتالى مزعجا ومربكا لأعدائهم الذين درجوا على خوض المعارك بعد صف قواتهم وفرسانهم

(١) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٩ .

(٢) سميل : الحروب الحروب الصليبية ، ص ٧٨ .

(٣) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ .

(٤) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٢٣ ، مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

(٦) أحمد رمضان : الحروب الصليبية ، ص ٨٩ .

(٧) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

(٨) أحمد رمضان : الحرب الصليبية ، ص ٨٩ .

فى هيئة القتال (أى مقدمة وميمنة وميسرة وقلب ومؤخرة) ^(١) ، مما ترك أثرا رهيبا فى نفسية الجند الصليبي فيما بعد ^(٢) .

وهناك أسلوب آخر تميز به فرسان السلاجقة عن غيرهم وهو الرمى بالسهم ، وكما سبق القول لم يكن رميهم منفردا ولكن جماعيا على شكل رخات على خيول العدو ^(٣) ، كما استعملوا القوس ورموه وهم على السرج بمهارة عالية ، فكان الفارس السلجوقي يستطيع الرمى بسهمه من فوق فرسه فى أثناء عدوه ، ولم تقتصر هذه المهارة على قدرته على إطلاق سهمه فى أثناء تراجعه ، ولكن كان بوسعه أن يدور على السرج ، ويطلق السهم التى وصفها الكتاب اللاتين بالمطر ، والعاصفة ، والبرد ، والغيوم أو العاصفة المطيرة ^(٤) وهذا يقف دليلا على أن الرمى لم يكن منفردا ولكن جماعيا .

كما كان باستطاعتهم فى حالة الارتداد أن يتحولوا فوق سروجهم دون أن يتوقفوا ويترجلوا ويصيبوا سهامهم نحو مطارديهم ، ويستهدف هذا الأسلوب القضاء على تماسك العدو ^(٥) ، وخاصة أن رميهم بالسهم كان يستهدف الخيل التى قتل العديد منها نتيجة السهم التركية ، وكثيرا ما أصيب الأعداء بضعف خطير بسبب فقدان الخيول ^(٦) .

وكانت السهام وسرعة رميها وكثرتها ، تحدث توترا عصبيا متواصلا على الجنود فى جيوش أعدائهم وكانوا يلجأون إلى إبطال ذلك الأسلوب بالاقتراب على نحو متلاحم من الجنود الذين يستعملونه ، ولذلك كان بوسع الأتراك السلاجقة الرمى بالسهم أكثر ، وتحريض عدوهم على الهجوم ، ومن ثم التخلّى عن تشكيلهم ^(٧) .

(١) أبو مبشر الطرازى : عسكريت در إسلام ، ص ٢٦-٣٣ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ٣٨ .

(٢) أحمد رمضان : العلاقة ، ص ٨٩-٩٠ .

(٣) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧ - ٩٤ .

(٤) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، أجزاء ٢ ، ٣ ، ٤ ، سميل : الحروب الصليبية ص ٧٩ .

(٥) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٩٠-٩٢ .

(٦) مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٧-٨٩ .

(٧) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

ولم تكن الأساليب السابقة الذكر تغنى السلاجقة عن القتال المتلاحم ، لتحقيق النصر الحاسم فى المعركة فكانوا عندما يجدون الفرصة المناسبة للاقتراب والتلاحم ، يعلقون أقواسهم على أكتافهم ويتلاحمون مع عدوهم ، وسلاحهم فى هذا التلاحم السيف والرمح والهراوة^(١) .

وقد جرت عادة الفرسان السلاجقة أن يبدأوا حروبهم وهم على مدى إطلاق القوس ، ولكى يحوزوا نتيجة المعركة ، يقتربون للتلاحم مع العدو ، محافظين على مسافة ما بينهم وبينه حتى يتمتعوا بحركة الحرية والاختيار بين الاستمرار فى القتال أو التخلي عنه بالانسحاب ، وكانوا لا يقدمون على القتال المتلاحم ، إلا بعد أن يحدثوا تأثيرا هداما فى خصمهم بالمناورة التى سبق ذكرها^(٢) .

مرتبات الجند السلجوقى وأطعامهم (أرزاقهم) - نظام الإقطاعى السلجوقى :

اهتم سلاطين السلاجقة اهتماما كبيرا بتعيين أطماع للجند^(٣) ، وتحديد مقدارها وصرفها لهم فى أوقاتها المحددة ، بحضور السلطان السلجوقى ، أو وزيره ، أو أحد قواده ليؤلف قلوبهم على طاعته والاجتماع على أمره ، والحرص على خدمته ، والاجتهاد فى المعارك والتفوق فيها^(٤) .

وكانت الإقطاعات^(٥) العسكرية هى أهم أرزاق ومرتبات الجند السلجوقى ، وقد حل الإقطاع الحربى العسكرى ، محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش^(٦) ، حيث فرقت الأراضى

(١) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) أحمد رمضان العلاقات ، ص ٩٠-٩٢ ، أما المشاة والذين كانت مهمتهم أساسية فى الحصار وتزويد الجيش بالمؤن والمعدات ، والحرب فى المناطق الوعرة ، وأحيانا تدمج مع الفرسان فيرافق الفارس جندي من المشاة ، كانت أهميتهم فى الجيش السلجوقى تأتى بعد الفرسان ، والدليل على ذلك أن مشاة الجانب الخاسر فى المعركة كان مصيرهم الذبح . انظر : سميل : الحروب الصليبية ص ٨٦-٨١ ، أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٩٢ .

(٣) جسن أنورى : اصطلاحات ، ص ١٢٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامية ، ص ١٣٩ .

(٥) الإقطاع : ما يقتطعه ولى الأمر لنفسه ، أو يمنحه لغيره من أراض أو أى نوع من المال الشابت أو المنقول وتسمى الأرض المقطعة بالقطعة والجمع قطائع أو إقطاعا والجمع إقطاعات ، وتطلق القطيعة أحيانا على الضريبة وتطلق أيضا على الجنود المقطعين ، وبذلك حين عسمت الإقطاعات العسكرية ، وهناك الإقطاعات المحلولة وهى التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع بعد ، المقريزى : السلوك ، ج١ ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ابن مسكويه ، تجارب الأمم ج١ ، ص ٩٦ ، ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٤٧٢ ، أحمد الشرباص : الإسلام والاقتصاد ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ١٨٨ .

(٦) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٠-٢١ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٩ ، ١٠ .

إقطاعات على الجند ، وسلمت إلى كل مقطع قرية أو أقل أو أكثر كل على قدر طاقته وطاعته^(١) .

وكانت ظاهرة إحلال الإقطاع محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، تمثل ظاهرة مهمة من مراحل تطور النظم الإقطاعية في العالم الإسلامي^(٢) ، لأنه كان من عادة الخلفاء الراشدين منذ عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبنى أمية ، وبنى العباس والفاطميين ، أن تجبى أموال الخراج ، ثم تفرق في الأمراء ، والعمال ، والأجناد على قدرتهم ، ويحسب مقاديرهم ، وكان يقال لذلك ، في صدر الإسلام "العطاء"^(٣) .

واستمر الوضع على ذلك ، أن يأخذ الجند أرزاقهم من ديوان العطاء ، حتى استبد الأعاجم والموالي بالخلافة العباسية بحيث لم يعد للخليفة العباسي من السلطة إلا اسمها ، أو كما عبر بعض المعاصرين : "لم يبق له سوى السرير والمنبر ، والسكة ، والختم على الرسائل والصكوك ، والجلوس للوعود .."^(٤) .

إلى جانب فقدان العالم الإسلامي منذ أوائل القرن الخامس الهجري لموارده المالية من التجارة الدولية نتيجة هيمنة قوى أجنبية على البحار ، وانتزاع دور الوساطة في "تجارة العبور" الدولية من المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى تدهور الطبقة البورجوازية والتمهيد لسيادة الإقطاعية^(٥) .

ويضاف إلى ذلك ابتلاء العالم الإسلامي بموجات بدوية رعوية انطلقت من الأطراف لتسيطر على القلب (المراكز) وتقيم نظاما عسكرية تركز الإقطاع ، كالسلاجقة ، والأتابكة ، والماليك^(٦) .

(١) المقرئى : السلوك ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢١ .

(٣) المقرئى : السلوك ، ج١ ، ص ١٥٣ ، الخطط ، ج١ ص ٥٣ ، ١٥٤ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج٢ ص ٣٤١ ، ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٠ .

(٥) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٩ .

(٦) محمود اسماعيل : نفسه ، ص ٩ ، ١٠ .

كل ذلك عجل بظهور الإقطاع العسكرى الذى حل محل الرواتب منذ منتصف القرن الخامس الهجرى الذى تمتع فيه المقطع بكافة حقوق الملكية^(١) ، وأساء فيه المقطعون التصرف ليس فى إقطاع البلاد والقرى ولكن أيضا فى إقطاع حقوق بيت مال المسلمين لأنصارهم وحواشيهم^(٢) .

ولقد ساد الإقطاع العسكرى العالم الإسلامى بأسره منذ منتصف القرن الخامس الهجرى عن طريق القوة والغلبة العسكرية^(٣) ، وفى ذلك يقول الماوردى "الجند أحق الناس بالإقطاع"^(٤) ، وهذا لا يعنى أن القرون الأربعة الأولى من الهجرة قد خلت من ظهور النظم الإقطاعية فى الدول الإسلامية ، فلقد أقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا النظام حين أقطع أناسا من مزينة أرضا بقصد تعميرها^(٥) ، وقد سار الخلفاء الأربعة من بعده على ذلك، فكان أراضى الفتوح تقطع للقبائل لتشجيعهم على الهجرة إلى المدن المفتوحة^(٦) ، لينضموا إلى صفوف المحاربين ، وقد أقبل شرفاء العرب على الهجرة من أجل الحصول على الإقطاعات^(٧) ، وفى العهد الأموى توسعت الدولة فى توزيع الإقطاعات ، وبصفة خاصة أراضى الموات بهدف إحيائها ، وصار حفر الأنهار فى الإقطاعات ظاهرة مألوفة^(٨) ، وعندما قامت الخلافة العباسية سار الخلفاء العباسيون على سياسة توزيع الإقطاعات على خواصهم وحواشيهم^(٩) .

(١) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٩ ، ١٠ .

(٢) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١١ .

(٣) محمود إسماعيل : الإقطاع ، ص ١٩ .

(٤) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٤ ، والماوردى من جيل القرن الخامس الهجرى .

(٥) ابن ابراهيم : الإمتاع فى أحكام الإقطاع ، ورقة ٢ ، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٢١٢ .

(٦) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٤ .

(٧) عبد العزيز الدورى : نشأة الإقطاع فى المجتمعات ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد العشرون ، ١٩٧٠ ، ص ٤ ، ٩ .

(٨) عبد العزيز الدورى : نفسه ص ٤ .

(٩) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١١ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ص ٩٤ .

ولقد كان هذا النوع من الإقطاع الذى ساد العالم الإسلامى حتى منتصف القرن الخامس الهجرى إقطاعا مدنيا ، يشمل الأراضى المقطعة للملتزمين ، وعليهم سداد ما للدولة من خراج وضرائب^(١) ، وإن كان هذا النوع قد ساد بعض العيوب فى العهدين الأموى والعباسى بسبب فساد بعض المقطعين الكبار ، الذين لم يترددوا فى إرهاب الأهالى ، وإثقالهم بأنواع مختلفة من الضرائب ، ليستطيعوا أن يؤدوا إلى الحكومة ما عليهم من خراج ، ويحفظوا ما زاد لأنفسهم ، وكان تعسف الحياة مع صغار المقطعين سببا فى لجوء الكثيرين منهم للاحتماء فى كبار المقطعين ، وهذا ما يعرف بنظام الإلجاء^(٢).

وفى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ظهر ما يعرف بالضمان وهو المسؤول عن تسديد الخراج عن عدد من الإقطاعات ، وغالبا ما يكون هذا الضامن من سادة البلد ، ثم يقوم بدوره بجمع الخراج من المقطعين^(٣).

واستمر الوضع على هذا الحال حتى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م وهى السنة التى دخل فيها بنو بويه بغداد وتسلطوا على الخلافة العباسية^(٤) ، فقام معز الدولة أبو الحسن أحمد البويهى ٣٢٠-٣٥٦هـ / ٩٣٢-٩٦٧م ، باعتقال الخليفة العباسى المستكفى ٣٣٣-٣٣٤هـ / ٩٤٤-٩٤٥م فى داره ، وضيق عليه حتى خلع نفسه من الخلافة ، وولى بدلا منه المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ / ٩٤٦-٩٧٤م) ، وتسلم معز الدولة البويهى وجنوده من الديلم وغيرهم أعمال العراق ولاية وإقطاعا ، وأقطع قاداته ، وأصحابه من أهل عصبته ، وخواصه وأتراكه جميع ما امتدت إليه يده من ضياع الخلافة ، ولم يترك للخليفة سوى إقطاعات يسيره^(٥) ، وزاد على ذلك حتى أقطع أنصاره حقوق بيت المال فى ضياع الوعية^(٦).

(١) ابن سلام : أبو عبيد القاسم ، كتاب الأموال ، (بيروت ١٩٨١) ، ص ١٥٧ .

(٢) محمود اسماعيل : الإقطاع ص ١٩ .

(٣) فاضل الخالدى : تطور الحياة السياسية ، ص ٢٩٠ .

(٤) سكوبة : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، الدورى : نشأة الإقطاع ص ٤ .

(٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٤٤ ، ٢٤٦ ، ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ج ٤ ، ص

٤٣٥ .

(٦) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٥ ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٤ .

وقد أهمل المقطعون فى العصر البويهى عمارة ما أقطعوا ، فصار من السهل عليهم أن يخرّبوا إقطاعاتهم ويردّوها ، فيعرضوا عنها من حيث يختارون^(١) ، وازداد الأمر سوءا حين اعتمد المقطعون على وكلائهم فى إدارة إقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات^(٢) حيث عاملوا الفلاحين معاملة تنطوى على العنف والشدة فى الوقت الذى كان هؤلاء المقطعون لا يدفعون الرسوم التى فرضتها الدولة على الأراضى المقطعة^(٣) .

ويرجع السبب فى ذلك إلى قلة خبرة البويهيين الإدارية ، واضطراب الجند ، ومطالبتهم بالأرزاق بما أدى إلى خراب هذه الأراضى ، لأن أصحابها من القواد كانوا يسعون للحصول على المال فقط ، ومن ثم قل اهتمامهم بالأرض^(٤) ، وكان للأمير البويهى أن يستردها متى أراد^(٥) .

وهكذا أدى سوء تصرف بنى بويه ، وأعوانهم إلى خراب البلاد ، فضلا عن إقصاء السكان العرب عن بلادهم تدريجيا ، وكثرة الفتن والاضطرابات^(٦) ، حيث أهلك السلطان البويهى دولته بإقطاع الإقطاعات ، وإيجاد الزيادات وقزيق الأموال ، وتسليم الأعمال^(٧) .

وهكذا أوجد بنو بويه ما يعرف بالإقطاع الحرسى ، وجاء السلاجقة ، وإبقوا على هذا النظام وعمّموه فى كل بلادهم بعد أن أعادوا النظر فى النظم القائمة وعلاجها على النحو الذى بدا لهم وجعل السلاجقة من الإقطاع الحرسى (العسكرى) ركنا مهما من أركان دولتهم ، وسياستهم المالية والعسكرية^(٨) ، فأقطعوا أفراد البيت السلجوقى ، وجند السلاجقة كثيرا من الإقطاعات^(٩) .

(١) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٦ ، ص ٧٩ .

(٢) إبراهيم طرخان : النظم ، ص ٢٣ .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٦ ، ص ٣٧ ، ١٣٨ ، أحمد صادق سعد : تاريخ مصر الاجتماعى - الاقتصادى ، (بيروت ، ١٩٧٩م) ، ط ١ ، ص ٣٤٦ .

(٤) طرخان : النظم الإقطاعية ص ٢٢ ، ٢٤ .

(٥) سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٣ .

(٦) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٤ .

(٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٦ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، أحمد صادق سعد ، تاريخ مصر ص ٣٤٧ .

(٩) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، إدريس : نظم السلاجقة ، ص ٢١٢ .

ويعتبر نظام الملك الطوسى أول من عمم الإقطاع العسكرى الحربى ، حينما فرق الأراضى على الجند على شكل إقطاعات^(١) ، عندما رأى أن (الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع - أى : إيراد أودخل - لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد إقطاعات ، وجعلها لهم حصلا وارتفاعا ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها.."^(٢) .

ولقد طور نظام الملك كثيرا فى الإقطاع الحربى البويهى الذى لم يعترف بوجوده قبله ، كما لم يزعم بابتكاره^(٣) ، فلقد عصم نظام الملك الإقطاع العسكرى بعكس الإقطاع البويهى الذى لم يكن عاما وشاملا ، فلم يشمل كل العسكرين كالإقطاع السلجوقى^(٤) ، كما أن الإقطاع البويهى يعنى امتلاك الأرض أما الإقطاع السلجوقى فكان استغلالا للأرض ، بمعنى لم يملك المقطع حق الرقبة ، بل له حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث الجندى أباه فإنه لا يرث إلا حق الاستغلال فقط^(٥) .

كما أن المقطع فى النظام السلجوقى كان يخضع لسلطة الدولة ، والحكومة السلجوقية ، وكان فى مقدورها نزع الإقطاع منه متى أرادت وذلك إذا رأت أن هذا المقطع لم يف بالالتزامات المفروضة عليه^(٦) . كما أن الإقطاع السلجوقى كان محدود الأمد ، فلقد أجرى نظام الملك تعديلاته بهدف ضمان عدم إساءة فى استخدامه ، لهذا نرى أن المقطعين كانوا يعملون جهدهم إلى تحسين إقطاعاتهم وتنظيمها والاستفادة منها ، وتنفيذ جميع الالتزامات المفروضة عليهم كى يكسبوا رضا الحكومة ويستثمروا فى استثمارها^(٧) ، لأنهم لا شأن لهم على الرعايا سوى تحصيل الأموال المستحقة لهم بالحسنى^(٨) .

(١) حسين أمين : تاريخ الحكم ، ص ٢٢٢ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ .

(٣) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٥) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٢ .

(٦) الخالدى : النظم ، ص ١٧٨ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٣ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٦٧ .

واتخذ نظام الملك إجراء وقائيا حينما أدرك أن تعميم الإقطاع فيه خطورة على السلطة المركزية ، وعلى أحوال الأمن ، حيث فرق إقطاع الجندي الواحد فى بلاد مختلفة ، ولم يجعله جملة واحدة فى بلد واحد حتى لا يقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطرا على الدولة^(١) .

وأيد البندارى^(٢) هذا حينما قال "ورما قرر - أى : نظام الملك - لواحد من الجنند ألف دينار فى السنة فوجه نصفه على بلد من الروم - أى : فى الأملاك السلجوقية بآسيا الصغرى - ونصفه الآخر على أقصى خراسان ، وصاحب الإقطاع راض" .

وحدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البندارى^(٣) خدما عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالة الخدمات للحضرة ، والوصول بالعساكر الجمعة .

وكانت هذه الالتزامات الحربية خطيرة ، فبعد أن يؤدى المقطع أداء اليمين لسيده السلطان أو الوزير السلجوقى ، ولولى عهد السلطان أيضا ، عليه أن يمد السلطان بالخدمة الحربية ، فإذا عجز أخذ منه إقطاعه أو يؤدى مالا ، كما كان عليه أن يساهم فى حفظ الأمن فى الداخل والخارج ، فإذا عجز أخذ منه إقطاعه أو يؤدى مالا ، كما كان عليه أن يساهم فى حفظ الأمن فى الداخل والخارج ، وأن يساهم فى تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول للبريد (الخبر) وأن يؤدى الالتزامات المالية المتعلقة بإقطاعه ، وعليه الاشتراك فى بعض الأعمال العامة التى تطلب منه^(٤) .

وكان على الأمير المقطع أن يؤدى مبلغا سنويا للسلطان السلجوقى ، شريطة أن ينضوى هو وعدد من جنوده تحت لوائه عندما يخوض السلطان السلجوقى الحرب ، كما كان عليه أن يجهز جنوده بالمؤونة والعتاد على نفقته الخاصة^(٥) .

(١) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٥ .

(٢) آل سلجوق : ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) آل سلجوق : ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٨٤ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٤ .

وكان المقطعون خاضعين للسلطان السلجوقي فإذا حاول أحدهم الإستقلال بإقطاعه ، يقوم السلطان بعزله وإقطاع الإقليم لأمير غيره^(١) ، وكان هؤلاء المقطعون مرتبطين بالسلطان السلجوقي مباشرة فيقيمون الخطبة باسمه في بلادهم ، وينفذون أوامره ، ويشتركون معه في قتال أعدائه^(٢) .

وفى مقابل تلك الالتزامات ، ومدى إيفاد المقطع بها ، يتمتع بكافة الحقوق الأدبية والمادية التى يخولها له إقطاعه ، ومرتبته ، كأن يخاطب فى المكاتبات بأسلوب معين ، وألقاب خاصة ، وأن يسمح له بعدد معلوم من "الطبول" تدق على بابه فى أوقات الصلاة ، وأن يلى من الوظائف ما يؤهله له درجة إقطاعه الذى يرتفق به أو يستغله^(٣) .

وليس هذا فقط كان السلطان يرسل له الخيل والمنح كالقماش والطعام ، فضلا عن مقادير من المال عند ولاية سلطان جديد ، أو تولية ولى العهد وهذه هى (نفقة البيعة) ، وعند الاستعداد للحرب أو الغزو ، يخلع على المقطع أو يخلع هو على السلطان الخلع^(٤) ، أو يكافأ المقطع بمصاهرة السلطان نفسه نظير أعماله وهذا أسمى شرف له ، وقد حدث ذلك سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م حينما أقطع السلطان ملك شاه ذلك الإقطاع الكبير الذى شمل الموصل وحران^(٥) والرحبة ، وأعمالها ، وسروج والرقّة والخابور^(٦) لمحمد بن مسلم بن قريش

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٤ ص ٢٤٨ ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٤ ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص ٢٤٨ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٤) طرخان : نفسه ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٥) حران والرحبة : حران بتشديد الراء ، وآخره نون ، قصبة ديار مضرة بين الرها والرقّة على طريق الموصل والشام والروم ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٣٥ ، والرحبة : بضم أوله وسكون ثانية قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة ، وقيل إنها ناحية بين المدينة والشام قريبة من أم القرى ، ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٣٣ .

(٦) سروج والرقّة والخابور : الرقة بفتح أوله وثانية ، مدينة مشهورة على الفرات الشرقى ، ياقوت ، ج٣ ص ٥٩ ، الخابور بعد الألف باء موحدة ، وأخرة راء ، وهى الأرض الرخوة ذات الحجارة اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات ، وهى ولاية واسعة وبلدان كثيرة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

العقيلي^(١) ، وبجانب هذا الإقطاع الضخم زوجه السلطان ملك شاه من أخته خاتون زليخة فتسلم ابن قريش جميع هذه الأعمال ماعدا حران التي امتنع مقاطعها محمد بن المشاطر عن تسليمها له إلا بناء على أمر السلطان^(٢) .

والمعروف أن القوة العسكرية العاملة تحت كنف السلطان السلجوقي ، كانت تعرف باسم "العسكر" على حين أطلقت كلمة الجند أو الجنود على القوات المحلية فى الإقطاعات^(٣) ، أو التى كان يرسلها المقطعون للسلطان سنويا ولذلك انتشر الإقطاع الحربى فى العصر السلجوقي انتشارا كبيرا^(٤) ، والنظام الإقطاعى هو الأساس الذى قامت عليه الملكية فى عهد السلاجقة ، فزعماء السلاجقة يعتبرون أصلا زعماء أقوامهم ، ويرون أن حكمهم يمتد حيث ارتحل قومهم ، لأنه ليس مرتبطا أو محددًا بمساحة معينة من الأرض ، وكان لكل قبيلة نصيبها من المراعى ، ويتولى زعيم القبيلة توزيعها على بطون القبيلة وفق ما ينطق به العرف والتقليد^(٥) .

ربما أن إيران أصبحت قاعدة السلاجقة ، فمن الجائز أن يكون السلاجقة قد تأثروا بالعبادات والتقاليد الفارسية الساسانية عن الحكم الاستبدادى ، فاعتبروا المملكة ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه ، وأخذ يقطع أراضى تلك المملكة على أقربائه ومؤيديه^(٦) ، وقد حرص بعض المقطعين أن تكون هذه الأراضى ملكا لهم بفضل ما حصلوا عليه من امتيازات تتعلق بإقطاعتهم ، ففى منشور من السلطان ألب أرسلان لأحد أبنائه بإقطاع جيلان^(٧)

(١) هو ابن الأمير مسلم بن قريش العقيلي الذى لعب دورا مهما فى فتنة البساسيرى فى بغداد ، وكان أميرا على الموصل ، انظر : الشيرازى : مذكرات داعى الدعاة ، ص ١٠٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٣) Sanauilli : The Desine of the Seljukulempire, p. 80 .

(٤) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٦ - ٢٨ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٣٤ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٣ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٤٣ .

(٧) جيلان : بالفتح ، وجيلان قوم من أبناء فارس ، انتقلوا من نواحي اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠١ .

وخوارزم ، وطلب اليه أن يسهر على مصالح السكان ، وأن يراعى النظم المعروفة فى جمع الضرائب ، ونصح السكان بالتزام طاعته ، باعتباره مالكا لهذه الجهات^(١) .

وكان هذا التعميم السلجوقى للإقطاع لايتعارض مع الملكية الفردية ، ولاسيما لأنه يتعلق بخراج الأرض ، وليس الأرض نفسها ، غير أن المقطعين استغلوا الفلاح ، وأساءوا إليه^(٢) .

ولقد اعتبر سلاطين السلاجقة العظام الأقطاع كنوع من المنح والهدايا والعطايا التى تقر بها عيون الأتباع يقول الراوندى "إن الطرق كثيرة لشكر نعمة الله ، ولكن خيرها حق رعاية الحقوق، لذلك أقطع السلطان خواصه الإقطاعات"^(٣) .

فلما قرر السلطان ألب أرسلان أن يأخذ البيعة لابنه ملكشاه بالسلطنة ، وأقر الأمراء على ذلك خلع عليهم ، وأقطعهم الإقطاعات ، فكانت مازندران للأمير بيغو اينانج ، وبلغ لأخيه سليمان بن داود ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس^(٤) ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ، ومرو لابنه أرسلان شاه ، وولاية بتقشور ونواحيها لمسعود بن أرتاش ، وولاية اسفزار لمودود بن أرتاش ، وهما من أقارب السلطان^(٥) . وهذا ما يعرف باقتسام البلاد فى النظام الإقطاعى السلجوقى^(٦) .

ولما آلت السلطنة إلى ملكشاه أصبح عصره مفرق الطرق فى تعميم الإقطاع العسكرى فى دولة إسلامية^(٧) فقد أقطع مدنا بأكملها لخلصائه ، بل بلدانا كاملة إلى كبار دولته ، فأقطع وزيره نظام الملك بلدة "طوس" مسقط رأسه تعبيرا عن تقديره لكفاءته فى تدبير أمور الدولة^(٨) .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٣ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢٠١ .

(٣) راحة الصدور : ص ٢٠٢-٢٠٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج٨ ، ص ٢٨٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٩ .

(٦) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٩ .

(٧) ابراهيم طرخان : النظام الإقطاعى الإسلامى ، مقال منشور بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٦ ،

١٩٥٧ ، ص ٧٢ .

(٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ورقة ١٤٢ .

كما أقطع أمراء العرب الخاضعين له الكثير من الإقطاعات الحربية ، منهم محمد بن مسلم العقيلي الذي أقطعة الموصل وحران والرحبة^(١) ، وسالم بن مالك العقيلي أقطعه ملكشاه قلعة جعبر^(٢) ، بعد أن أخذ منه دمشق وحلب^(٣) ، وأمر على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكتاني العربي على سيرز ، وبعد وفاته انتقلت لابنه^(٤) .

كما فاز الأمراء التركمان بنصيب وافر في مملكة ملكشاه ، وحازوا نصيبا كبيرا من الإقطاعات فالأمير بوزان أقطعه ملكشاه سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م الرها وحران وقلعة حلب بعد أن فتحها في السنة نفسها^(٥) ، وأقطع الأمير أحمد ابن إبراهيم بن هوزان الروادي الكردي المراغة^(٦) ، وبلغ ما يرسله إلى ملكشاه ٤٠٠.٠٠٠ دينار في السنة ، وكان يركب في خمسة آلاف فارس^(٧) .

(١) ابن خلدون : العبر جزء ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

(٢) قلعة جعبر : على الفرات مقابل صفين ، وكانت تعرف بدوسر فتملكها رجل من بني تغلب يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به ، ياقوت : معجم البلدان ، جزء ٤ ، ص ٣٩٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جزء ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

(٤) أبو نصر ابن منقذ فسلم إلى ملكشاه اللاذقية وفاصية وكفر طاب ودخل في طاعته ، فأمره عليها وليا وقطعها سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ، ابن خلدون : العبر ، جزء ٣ ص ٤٩٤ ، ابن تغري بردي : النجوم ، جزء ٥ ص ٣٣٢ ، إبراهيم طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

(٥) أبو شامة : الروضتين جزء ١ ص ٣٥ ، ابن تغري بردي : النجوم جزء ٥ ص ١٢٥ ، والأمير بوزان أمير تركمانى خدم السلاجقة وأخلص للسلطان ملكشاه وساعد تتش في دفع جيوش الفاطميين بقيادة بدر الجمالي ، وكان مقتله على يد تتش سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م فانضم ممالكه إلى بركياروق ابن ملكشاه حين نازعه تتش على السلطة ورماه أحمد مماليك بوزان بسهم فقتله سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م . عن ذلك أنظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جزء ١ ، ص ١٨٥ ، ١٩٩ ، إبراهيم طرخان : النظم ، ص ٥٠ هامش (٢٩) .

(٦) المراغة : أشهر مدن أذربيجان ، وكانت تدعى "افرازهروز" فعسكر فيها مروان بن محمد حين ولاته لأرمينية وأذربيجان ، وكانت دوابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون لها المراغة ، ياقوت معجم البلدان ، جزء ٥ ص ٤٢١ .

(٧) أبو المحاسن : النجوم ، جزء ٥ ص ٢٠٨ ، إبراهيم طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

وشمل إقطاع الأمير قايماز الأرجوانى الكوفة^(١) ، والأمير ياغى سيان أنطاكية وظل بها حتى زحف عليها الصليبيون فى الحملة الأولى^(٢) ، ومن كبار الأمراء وأعيان القادة آق سنقر الملقب بقسيم الدولة أبو عماد الدين زنكى ، والذي كان من أصحاب ملكشاه ، وتربى معه ، فجعله من أعيان أمرائه ، وأخص أوليائه" حتى كان يخشاه نظام الملك ، ولذلك أشار على السلطان أن يوليده حلب وأعمالها واليا ومقطعا ليعده عن السلطان ، وفى الوقت نفسه يتخذه سنداً له ، فأقطعة السلطان ملكشاه قلعة حلب وأعمالها ، وحماة ومنيج واللاذقية وما معها ، وظلت هذه الإقطاعات معه ، واحترامه قادة وملوك السلاجقة لولائه وجهاده معهم ، حتى قتل سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م^(٣) .

وكانت بغداد إقطاعا للشحنة نظير راتبه ، وعندما كانت تسوء العلاقة بينه وبين الخليفة يأمر الخليفة بإبداعه بغيره ويطلب ذلك من السلطان السلجوقى ، وفى سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م أصدر الخليفة أمرا بإبدال إقطاع الشحنة كوهرائين بألف دينار ، فامتنع الشحنة وطالب بألف وثمانمائة دينار ، فكتب نظام الملك فى ذلك وعرض الشحنة من عنده^(٤) .

وكثيرا ما اعتدى السلطان السلجوقى على إقطاعات الخليفة ، وفى سنة ٤٥٣هـ/١٠٦٣م وعندما رفض الخليفة القائم زواج ابنته من طغرل بك^(٥) ، وكانت له ضياع واسعة من واسط^(٦) إلى صرصر^(٧) ، كما كان لكبار رجاله .

(١) ابن خلدون : العبر ج٣ ص ٤٩٤ ، إبراهيم طرخان : النظم ص ٢٧ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ١٧٤ .

(٣) أبو شامة : الروضتين : ج١ ص ٢٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج٥ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ص ٧٥ ، الباهر : ص ١٥ وإبراهيم طرخان ، ص ٥١ ، هامش (٣٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ١٧٥ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج٩ ص ٣٠٧ ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢١٤ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ١٨ .

(٦) صرصر : بفتح أوله ، وتكرير الصاد والراء ، يقال أصله صرر من الصر أى البرد ، وصرصر : قريتان من سواد بغداد ، صرصر العليا ، وصرصر السفلى ، وهما على ضفة نهر عيسى وربما قيل نهر صرصر فنسب إليهما ، أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٤٠١ .

(٧) واسط : بين البصرة والكوفة وسميت بذلك لتوسطها بينهما ، بناها الحجاج بن يوسف ، ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

ولقد انتقل النظام الإقطاعى الحربى كاملا إلى الدول التى نبتت وتفرعت فى أحضان السلاجقة ثم ورثتهم من بعد^(١) ، وهذه الدول هى : الدولة الزنكية "النورية"^(٢) ، والدولة الأيوبية ، ثم دولة المماليك ، وهى الدولة الإقطاعية الكبرى ، التى قامت كل نظمها الاقتصادية على النظام الإقطاعى العسكرى^(٣) .

بل أصبح النظام العسكرى الإقطاعى السلجوقى أنموذجا احتذته سائر الدول الإسلامية الشرقية التى عاصرتهم وأعقبته^(٤) ، وهم أنفسهم - أى : السلاجقة - أخذوه عن معاصريهم من الغزنويين وانتقل برمته مع تطوير إلى الدولة الغورية فى بلاد الهند^(٥) .

(١) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٣٠ .

(٢) الدولة الزنكية (النورية) : تنسب إلى عماد الدين زنكى بن أقتنقر ، وقد أسندت إليه أتابكية الموصل سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م ، كما ضمت إليه الجزيرة (العراق) ونصيبين ، ثم وسع ملكه فضم سنجار وحرام والخابور وبقيت هذه الدولة حتى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، ثم نقل حكمها إلى ابنه نور الدين محمود الذى سيلعب دورا كبيرا وخطيرا فى أحداث الحملات الصليبية ، وإليه تنسب الدولة النورية . لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ١٢٤-١٩٨ ، الكامل ج ١٠ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ وما بعدها ، أحمد الشامى صلاح الدين ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ١١ ، ٣٤-٣٦ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٨ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٣ .

(٤) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٨ ، وعن النظم الإقطاعية فى الدول النورية والأيوبية والملوكية، انظر : القلقشندى صبح الأعشى ، ج ٥ ، ج ١٣ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٩-٥٩ طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٨٩-٣٥٠ .

(٥) الدولة الغورية : هى الدولة التى ورثت أملاك الغزنويين فى الهند أواخر القرن السادس الهجرى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، وكان أول سلاطينها شهاب الدين الغورى الذى لعب دورا مهما فى نشر الإسلام بالهند - يشبه إلى حد كبير دور السلطان محمود الغزنوى . عنها انظر : ابن الأثير : ج ١٢ ص ٤١ وما بعدها ، الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ١ ص ١٢٣ ، ثريا محمد على : الغوريون ، (القاهرة ١٩٩٤م) ، ص ٩-٥٩ عن إقطاعهم العسكرى انظر : ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٨٧ ، توفيق محمد لقبايى : التطور السياسى لدولة الغور الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة : آداب القاهرة ، ص ٥٦ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ص ٥٩ ، ٦٠ .

يقول ابن تغرى بردى^(١) :

"أنشأ بنو بويه بنى سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بنى أرتق^(٢) ، وآق ستقر جد عماد الدين زنكى ، ثم أنشأ بنو زنكى بنى أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك .. فانظر إلى أمر الدنيا وكيف كل طائفة نعمة طائفة . ونشوءها إلى يومنا هذا "أى : إلى أيام ابن تغرى بردى فى القرن الخامس عشر الميلادى التاسع الهجرى^(٣) .

وقد أمر طغرل بك بالاستيلاء على إقطاع الخليفة ، ولما تم الزواج رد الإقطاعات إليه^(٤).

وعلى الرغم من أن الإقطاع فى عهد السلاطين العظام كان مرتبطا بخراج الأرض ، وليس الأرض ذاتها ، إلا أنه كان من حق المقطع أن يحكم إقطاعه حكما مطلقا ، ويمارس السيد الإقطاعى امتيازات فى مقابل أن يدفع للسلطان مبلغا سنويا من المال ، ويكون فى خدمته زمن الحرب مع عدو معين من الجند المحاربين^(٥) .

وكانت هذه الطريقة إحدى الوسائل التى هيات للسلاطين العظام انتصاراتهم ، خاصة السلطان ملك شاه فعندما توجه لإخضاع بلاد ماوراء النهر سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م ، كان كلما مر ببلد جمع منها الجنود ، حتى صار له جيش كبير عاونه فى إخضاع معارضيه^(٦) .

لقد كان الإقطاع فى الدولة السلجوقية ضربا مهما من ضروب استغلال الأرض^(٧) ، فلما توجه ملكشاه إلى بغداد سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ، قدم نظام الملك الأمراء السلاجقة إلى الخليفة

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ .

(٢) بنو أرتق : هم بنو أرتق بن أكسب وهو قائد تركى من قواد الدولة السلجوقية ، وقد تقلد ولاية بيت المقدس بعد أن أفتتحها تنشى السلجوقى صاحب دمشق ، وتعرف أتابكة ديار بكر بالدولة الأرتقية نسبة إلى مؤسسها ، وقد شملت ماردين وميافا رقين وبعض الحصون المجاورة كحصن كيفا (راجع : حسن إبراهيم : تاريخ الإسلامى السياسى والدينى ، ج ٤ ، ص ٨٠ - ٨٢ ابن خلكان : وفیات ، ج ١ ، ص ١٩١ .

(٣) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٣١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، البندارى : آل سلجوق : ص ١٨ ، ١٩ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٣٧١ ، أى أن الإقطاع كان يشمل الحكم والولاية ، طرخان : النظم ص ٢٢ .

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ .

(٧) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٦ .

بقوله "هذا فلان بن فلان إقطاعه كذا وكذا ، وعسكره كذا وكذا" ^(١) بن ويكفى أنه كان بالعراق وحده أربعون سيداً إقطاعياً ، ولم يكن على رأس هذه الإقطاعات إلا عدد قليل من الأسر العربية ^(٢).

ولقد اختلفت الإقطاعات من حيث المساحة ، والموقع والجودة ، باختلاف رتبة ومكانة المقطع ^(٣) ، فقد يكون الإقطاع قرية صغيرة أو قلعة ، أو ولاية بأكملها ^(٤) ، ولكن كان من حق المقطعين أن يزيدوا من إقطاعاتهم بشرط ألا تكون هذه الزيادة على حساب أبناء جلدتهم ، ففي سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م أقطع السلطان ملكشاه بلاد الشام ، وما يفتح منها لأخيه الأمير تتش ^(٥).

ومن قبل كان طغرل بك قد وزع الإمارات على إخوته وبنى جلدته من السلاجقة إقطاعاً لهم ، وسمح لهم بفتح ما يشاءون من البلاد ، وضمها إليهم ، بشرط ألا تكون على حساب بعضهم البعض ^(٦).

وهكذا ساد النظام الإقطاعي في الأرض السلجوقية ، أو التي كانت تقع تحت سيطرتهم ، حتى أن الخليفة نفسه كان يتعايش على الإقطاعات أسوة بما كان يحدث في العهد البويهي ^(٧).

ولما زاد عدد الجند السلجوقي ، وكان من الصعب على الدولة ضمهم في ديوان واحد يتولى عطاءهم إلى جانب ما أصاب الأراضي من الإهمال لفقدان من يرعاها ^(٨) ، عمم نظام الملك الإقطاع كما سبق القول ، وكان نظام الملك يرمى من وراء تعميم الإقطاع العسكري إلى عدة أمور مهمة هي :

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٨ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧١ .

(٣) أبو الفداء : المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٣٠٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ورقة ١٤٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٧ .

(٧) ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٨) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ، ص ٣١٧ .

- ١- أدى اتساع دولة السلاجقة فى عهد ألب أرسلان ، وملكشاه إلى عجز خزانته عن توفير أرزاق الجند ، فرأى نظام الملك أن يعطى كل جندى قرية أو أكثر يعيش من إنتاجها ، وبذلك ضمن أرزاقها^(١) .
- ٢- لما استقرت الإقطاعات لدى المقطعين عمل كل منهم على رعايتها لزيادة إنتاجها ، مما ترتب عليه انتعاش الحالة الاقتصادية^(٢) .
- ٣- أدى توزيع الإقطاعات العسكرية إلى زيادة الرقعة الزراعية ، مما نتج عنه توفير المحصولات ، بعكس العصر البويهى^(٣) .
- ٤- كانت الضرائب تفرض على رعايا الدولة لتوفير أرزاق الجند ، فلما ساد الإقطاع أعفى الناس من هذا العبء^(٤) .
- ٥- تيسير إدارة ولايات الدولة ، بعد أن اتسعت رقعتها ، وذلك باتباع نظام اللامركزية فى الحكم^(٥) .
- ٦- كان أفراد الأسرة السلجوقية يستغلون صلة انتسابهم للسلطان ، ويستولون على ما يشاءون من أملاك الرعية ، مما جعلهم يشعرون بعدم الأمان ، فلما وزعت عليهم الإقطاعات زادت مواردهم ، فكفوا أيديهم عن أموال الرعية وممتلكاتهم^(٦) .
- ٧- أدت الإقطاعات العسكرية إلى حرص الجنود على الاستمرار فى الجندية حتى لا تسترد منهم إقطاعهم الذى أصبح مصدرا مهما من مصادر رزقهم^(٧) ، وهذا كل ما كان يهم أمراء وولاة السلاجقة .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٤ ، ص ٣١٦ .

(٢) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٨ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ص ٢٢-٢٤ ، حسين أمين : النظم ، ص ٢٢٤ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ص ٩٨ .

(٥) طرخان : النظم ، ص ٢٢ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢٢٤ ، وخفف نظام الملك بعض المتاعب الإدارية والحربية عن الإدارة المركزية .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ .

(٧) طرخان : النظم ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

٨- أدرك نظام الملك أن معظم الجيش السلجوقي هو من القبائل المختلفة العناصر فأراد أن يجعل تلك الجماعات تعيش فى أرض تقطع لها لترتبط بالأرض وتشعر بشعور المواطنة ، وباستقرار تلك الجماعات فى أراضى محددة يمكن السيطرة عليها ، ومن ثم تخفيف حركاتها فى الغزور ، والمنازعات فيما بينها^(١) .

٩- كان نظام الملك يستهدف إشراك الأقاليم فى حكم الدولة السلجوقية ، أى أن الولاية تحكم نفسها بنفسها مع ارتباطها بالمركز فى الشئون المهمة والخطيرة ، على أن تسير وفق مصلحة الدولة السلجوقية وخدمة السلطان السلجوقي الكبير^(٢) .

ولكى يضمن نظام الملك تحقيق أهدافه من وراء تعميم الإقطاع العسكرى ، وضع عدة شروط يلتزم المقطعون باتباعها :

١- يؤدى المقطع الخراج المقرر عليه ، وكان يحدد بالاتفاق بين صاحب الإقطاع والوزير السلجوقي^(٣) .

٢- ألا يجهد المقطعون العاملين لديهم بمطالبهم المادية ، وأن يحبى ما يقرر عليهم من مال بالحسنى حتى يأمن هؤلاء العاملون على حياتهم^(٤) .

٣- أن يلتزم المقطعون والعمال بحسن معاملة الرعية ، وألا يجبوا منهم الخراج إلا إذا نضج المحصول وحين موعد الحصاد ، وإن احتاج أحد من الرعية إلى بقرة أو بذور ، وجب أن يمدوه لها ، وأن يتفوقوا به حتى لا يشعر بالظلم ، فيرحل عن أرضه ، ومن يثبت عليه سوء معاملة الرعية يسترد منه الإقطاع^(٥) .

٤- قصر نظام الملك أعمال المقطعين على جمع الضرائب التى يؤديها الفلاحون^(٦) ، وقد عرفها نظام الملك بقوله "فيعلموا أن حقوقهم الشرعية على الفلاحين تنحصر فى جمع الضرائب

(١) حسين أمين : نظام الحكم ، ص ٢٢٤ .

(٢) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٤ .

(٣) طرخان : النظم ، ص ١٨٩ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٦٧ .

(٥) نظام الملك : نفسه ، ص ٦٧ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٧ ، ص ١٨٢ .

المقررة التى نيط بهم جمعها برفق فإذا ما جبيت هذه الضرائب يصبح الفلاحون أحرارا فى أبدانهم ، وأزواجهم ، وأولادهم ، ومالهم من أرض ومتاع ، وليس للمقطع أى حق فيها ^(١) .

كما وضع نظام الملك قواعد لضمان عدم تعرض الإقطاعات للتلف وتقييد نفوذ المقطعين تنحصر فيما يلى :

١- متابعة أحوال الإقطاعات ، وبخاصة ما يتعلق بصلاحياتها ، وإنتاجها حتى لا تجبى الأموال بغير حق ولا تشعر الرعية بالظلم ^(٢) . وكان أمراء السلاجقة قد أوكلوا إلى القائمين بأمر الجباية ، أن يرسلوا إلى كل مدينة نائبا سديد رأى عفيف اليد ، على ألا تقع وظائف هؤلاء النواب وأرزاقهم على عاتق الرعية ، فتجهد جهدا جديدا ^(٣) وقد عرف هؤلاء النواب باسم الوكلاء لجهل الأمراء بشئون الزراعة ^(٤) .

٢- استبدال العمال وذوى الإقطاع مرة كل سنتين ، أو ثلاث حتى لا تتوطد أقدام المقطعين فى إقطاعاتهم ، ويديروا المؤامرات ضد الدولة ، ويصبحون خطرا عليها ^(٥) .

٣- عدم تركيز الإقطاعات للمقطعين فى جهة معينة ، فإقطاع الفرد الذى قيمته ألف دينار فى السنة جعل نصفه فى بلاد الروم ، والنصف الآخر فى أقصى خراسان ^(٦) ، حتى لا يستقل المقطع بإقطاعه .

وعلى الرغم من كل هذه الشروط والقواعد التى وضعها نظام الملك فإن أصحاب الإقطاعات حاولوا قدر المستطاع تحقيق مآربهم بكل الوسائل ، فصاروا يميلون إلى الاستقلال ، واعتبر بعضهم الإقطاع وراثيا ، وأساءوا معاملة الفلاحين ، واستولى الكبار منهم على إقطاعات الآخرين ، مما أدى إلى ظهور الفساد فى الدولة ^(٧) ، كما حدث لولاية كرمان

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٦٧ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٧٤ ، حسن أنورى : اصطلاحات ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٩٣ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠٠ ، هامش (١) .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ص ٦٩ ، حسن أنورى : اصطلاحات ، ص ٤٨ ، ٥٠ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ .

(٧) أبو نصر الكاشانى : دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠-٢٥٣ .

فكانت إقطاعا لقاورد ثم لأولاده من بعده^(١) ، وكذلك ولاية آسيا الصغرى التى كانت إقطاعا لسليمان بن قتلمش وأولاده من بعده^(٢) .

ولقد اقترن استغلال الإقطاع بكثير من أعمال الظلم والعسف ، وقاسى الفلاحون شرما يقاسى إنسان مستعبد وعبد مستذل^(٣) ، وإذا هرب القلاع فرارا من الظلم والقهر ، أعيد قسرا ، خاصة فى عهد المماليك^(٤) . لأن المقطاع والملتزم يعمل كل الوسائل على الإثراء ، وجمع المال ، ولا يتردد فى إرهاب الناس وإثقالهم بالضرائب المختلفة حتى يستطيع أن يؤدى للدولة ما عليه من مال الخراج ، ويحتفظ لنفسه بما زاد على ذلك^(٥) .

وقد ترتب على هذا أن شكا الفلاحون للسلطان السلجوقى نفسه تعسف المقطاعين ، وفى عهد السلطان ألب أرسلان شكا له الرعية من الخراج ، وما يلحقهم من ضرر ، فقنع منهم بالخراج الأصليه^(٦) .

(١) أفضل الدين كرماني : تاريخ كرمان ، ص ١٠-٨١ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٥ ، ٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٩ ، ١٠ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٣ ، حسن محمود الشريف : العالم الإسلامى ، ص ٥٨٢ . ومن ضمن الحقوق السيادية ، حق الولاية على العامة أى العبودية المعممة ، ومن المعروف أن نظام الملك نفسه أكد فى كتاباته على أن أصحاب الإقطاعات ليس لها عمل سوى استخراج مبلغ معين من السكان دون أن يحق لهم المساس بسيادتهم فى اشخاصهم وزوجاتهم ، وأطفالهم ، وأملاكهم الخاصة ، وكتب (أن الأرض وسكانها ملك للسلطان ، والأمراء المقطاعون وحكام الأقاليم ليسوا إلا حرسا أقيم لحمايتها ، وهذا يعنى أن الإقطاع السلجوقى لم يكن يتضمن حقوق سيادية للمقطاعين على الفلاحين ، وكثيرا ما حث نظام الملك السلطان على إرسال جواسيس بل عمل شبكة منهم من أجل ذلك ، على الرغم من ذلك خالفوا أمره ، انظر : نظام الملك : سياسة نامه ص ٦٩ ، ١٧٤ ، أحمد سعد صادق : تاريخ مصر ، ص ٣٤٧ .

(٤) طرخان : نفسه ، ص ١٣ ، ١٤ ، وهو يعكس النظام الإقطاعى الأوربى الذى كان فيه القن أو العبد يورث مع الإقطاع وليس له أى حق ، انظر : عبد الحافظ البنا : النظام الإقطاعى فى المملكة اللاتينية فى القسطنطينية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب الزقازيق ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٣-١١٣ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٣٢٣ ، سرور : الحضارة ، ص ١١٤ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

وإذا كان النظام الإقطاعى فى العصر السلجوقى قد أدى إلى ظهور بعض الأضرار فإن هذا لم يكن نتيجة هذا النظام ، وإنما يرجع سبب ذلك إلى سوء التطبيق^(١) ، ولو سار الإقطاع العسكرى بالشروط التى وضعها نظام الملك لما ظهرت فيه تلك المساوىء^(٢) .

وربما يرجع ذلك إلى أن الذين طبقوا هذا النظام الإقطاعى العسكرى ، قوم لا ذالوا فى مرحلة البداوة^(٣) أو على الأقل لم ينسوا التقاليد البدوية القبلية التى انحدروا منها ، ومن ثم اعتبروا أنفسهم زعماء قومهم ، واعتبروا السلطنة كلها ضيعة لهم يمتلكها السلطان نيابة عن قومه ، وله مطلق الحق فى أن يقطع منها ما يشاء لمن يشاء من أقربائه ومؤيديه^(٤) ، وهذا ما فعله زعماء السلاجقة العظام طغرل بك ، وألب أرسلان وملكشاه ، ومن جاء بعدهم من سلاطين السلاجقة .

أما عن نتائج النظام الإقطاعى العسكرى فى العصر السلجوقى فمن أهمها :

١- أدى نظام السلاجقة الذى يقضى بمنح الوزير راتبا بقدر إيراد الإقطاع^(٥) فى سائر أنحاء الدولة إلى ازدياد الطامعين فى هذا المنصب ، وكان نظام الملك يشير غيرة الحاقدين ، حتى أنه حاول إثبات حسن نيته للسلطان ، فذكر له أنه سينشئ من هذه الأموال المدارس والربط ، وينعم على الفقراء والعلماء لتستقيم دولة السلطان ملكشاه^(٦) ، وقد أتاحت الفرصة فيما بعد لكل من أراد زيادة دخله من الوزراء إلى التغاضى عن قسوة المقطعين للفلاحين ، مما أدى إلى تفشى الفوضى ، وإضعاف الروح المعنوية لديهم^(٧) .

(١) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠١ .

(٢) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٣) الدورى : نشأة الإقطاع ، ص ١٦ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٣٨ .

(٥) العروى السمرقندى : جهاز مقاله ، ص ٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٣ ، حسين أمين :

نظم الحكم ص ٢١٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٣ ، عتلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧-٢١١ .

(٧) الدورى : نشأة الإقطاع ، ص ١٦ - ١٨ .

٢- تطور نظام الجباية (جباية الضرائب) فأصبح الضامن^(١) يتولى جبايتها ، وكانت حساباته تخضع لرقابة الحكومة وقد يكون هذا الضامن تاجرا أو موظفا ، وكان الضامن يتغير من حين لآخر ، ولا تمنحه الدولة أية مميزات خاصة على الناس^(٢) .

٣- اتساع مهام ديوان عرض الجيش ، فأصبح مختصا بالإقطاعات الحربية بما فى ذلك تدوين أسماء الجند ، وترتيب أرزاقهم ، وإقطاعاتهم^(٣) .

٤- أدى ازدياد نفوذ بعض القواد ، وامتناعهم عن دفع ما قرر عليهم من أموال للسلطان إلى عجز فى الموارد المالية للدولة ، وبالتالي عدم الوفاء باحتياجاتها ، مما كان له أثر بالغ فى الأحوال الاقتصادية^(٤) .

٥- تدهور نظام الرى بوجه عام لإهمال الجند رعاية القنوات والسدود واستصلاح الطرق فساءت حالة الفلاحين بدرجة كبيرة^(٥) .

٦- أدى نظام الإقطاع إلى ظهور الأتابكة^(٦) ، فكان سلاطين وأمراء السلاجقة يجلبون الممالك الأتراك ويعلمونهم مبادئ الإسلام ، ويسند إليهم بعض الوظائف ، ومنهم من يلحق بخدمة السلطان وحرسه الخاص ، وإذا ما أدى هؤلاء خدمات مهمة للدولة ، وبرزت لهم مزايا حربية ممتازة ، وصلوا إلى أعلى المناصب فى الجيش والبلاط السلجوقى ، وقد يسند إليهم

(١) التضمين .

(٢) الدورى : نشأة الإقطاع ، ص ١٦ - ١٨ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠٢ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٩ ، ٣٠ مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠٢ .

(٦) الأتابكة : كلمة أتابك تركية الأصل ، وهى مركبة من لفظين ، "أتا" بمعنى (مرب) ، و"بك" بمعنى أمير ومعناها الأمير المربى أو الأمير الوالد ، وكان لقباً يطلق على الأمراء والقواد العسكريين الذين يعهد إليهم بتربية أبناء السلاطين السلاجقة ، وتعليمهم وتدريبهم على شئون الحكم وفنون الحرب . لمزيد من التفاصيل : راجع ، دائرة المعارف الإسلامية مادة "أتابك" ، وشمس الدين سامى : قاموس الأعلام (تركى) ج١ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، أحمد الشامى : صلاح الدين ، ص ٣٤ ، هامش (١) .

ولاية إقليم من أقاليم الدولة السلجوقية المترامية الأطراف^(١) ، أو قد يعهد إليه بتربية أحد أبناء السلطان أو الأمير السلجوقى ، مثلما فعل نظام الملك مع ملكشاه فكان أتابكاه^(٢) .

فاذا عين السلطان أحد أبنائه حاكما على مدينة من المدن أو ولاية من الولايات ، عهد إلى أحد الأتابكة بمعاونته فى الحكم ، وإسداء النصيح له ، إذا لزم الأمر ، وقد اتخذ الأتابكة من هذا المنصب فرصة لفرض سيطرتهم على البلاد ، واتخذوا لأنفسهم الألقاب ، بل ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك فبلغوا مراتب الملوك ، واستقلوا بالولايات مثل أتابكية دمشق التى تنسب إلى ظهر الدين طغتكين ، الذى كان أحد قواد الجيش السلجوقى ، ومملوك السلطان تتش^(٣) ، وأتابكية الموصل وتنسب إلى عماد الدين زنكى بن اقسنقر^(٤) .

ويمكن القول إن الإقطاع ونظامه ، قد تأثر به السلاجقة من أسلافهم الغزنويين الذين كرسوا فى دولتهم الإقطاع العسكرى^(٥) ، ولأن السلاجقة ورثوا أغلب النظم الإدارية والمالية الموجودة فى العصر الغزنوى فربما يكونون قد ورثوا النظام الإقطاعى العسكرى منهم^(٦) ، ولكنهم عمموا بفضل جهود الوزير القدير نظام الملك^(٧) .

والإقطاع العسكرى الغزنوى شكل كل الأراضى الزراعية فى الدولة الغزنوية ، إذ جرى توزيعها على الأجناد الذين اشتدت الحاجة اليهم للتوسع فى شبه القارة الهندية^(٨) .

وقد حمل الإقطاع العسكرى الغزنوى الذى تأثر به السلاجقة بلاشك ، الكثير من النظم الإقطاعى السائدة حيث تعهد الأمراء المقطعون بتقديم أجنادهم للعمل فى جيوش السلاطين ،

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج٤ ص ٦٠ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١ ص ١٦٧ ، ج٤ ، ص ١٨ .

(٣) ابن القلائسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٤ ، حلمى : السلاجقة ، ص ١٨٤ ، أحمد الشامى : صلاح الدين ص ٣٥ .

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٤ ، أحمد الشامى : صلاح الدين ، ص ٣٥ .

(٥) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٦) أنورى : اصطلاحات ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٧) عتيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ - ٢١١ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٨) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٥٨ .

فضلا عن تقديم ضرائب عينية من المنسوجات والخيول والبغال المسرجة^(١) ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الهدايا والألطفات تقدم في الأعياد الرسمية كالنيروز والمهرجان^(٢) .

وفضلا عن الإقطاع العسكرى ، عرفت الدولة السلجوقية ظاهرة إقطاعية أخرى سادت العالم الإسلامى وهى تضمين الجباية^(٣) ، ونظرا لعسف الجباة لجأ صغار الملاك إلى إلحاق أراضيهم بالإقطاعات الكبرى ، فيما عرف باسم نظام "الإلجاء"^(٤) .

ويجب أن نقرر فى النهاية أن نمط الإقطاع العسكرى الذى تمتع فيه المقطع بكافة حقوق الملكية . أى : إقطاع الرقبة ، كان من ابتكار نظام الملك الوزير القدير^(٥) ، ذلك النمط الذى جمع بين الإدارة والإقطاع والملكية^(٦) فكان طفرة نحو إقامة إقطاعية واضحة محددة ، هذا فضلا عن احتفاظ المقطع بحق التصرف فى إقطاعه بالبيع والرهن والتوريث ، وهو ما يعرف بحق الرقبة^(٧) .

كما أتسم الإقطاع العسكرى السلجوقى بالطابع الهرمى حيث حق الأمير الإقطاع أن يمنح فرسانه إقطاعات صفرى وهو أمر لم يحدث قبل العصر السلجوقى إلا فيما يختص بإقطاع الخلفاء أو السلاطين أو نوابهم^(٨) ، يقول القلشندى^(٩) "إن من حق المناشير أنها لا تكتب الا عن السلطان مشمولة بخطه ، وليس لغيره فيها تصرف إلا فيما يكتب فيه النائب الكافل" .

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٨١ وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٦٤-٦٥ ، ط. بيروت .

(٢) عنهما ، أنظر ص ٣٤٥ من الرسالة .

(٣) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٥٨ .

(٤) الأصبخري : المسالك والممالك ، ص ١٥٨ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٦١-٦٩ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٩ .

(٦) آشور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى (دمشق ١٩٨٥)

ص ٢٧٥ .

(٧) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٩ .

(٨) محمود اسماعيل : نفسه ، ص ٤٩ .

(٩) صبح الأعشى : ج ٣ ، ص ٦٥٧ .

ولكن لما تمزقت السلطنة السلجوقية ، أصبح أمراء الإقطاع شبه مستقلين عن السلاطين^(١).

وكان الوزير هو الشخص المسئول عن الإقطاعات ومراقبتها ، وفى أحيان كثيرة كان يغض الطرف عن بعض التجاوزات ذلك لأن الوزير حسب القاعدة السلجوقية المعروفة ، كان يتناول راتبه بمقدار عشر إيراد الدولة ، وكان هم الوزير أن تزداد الإقطاعات ليزداد راتبه ، وهذا بالطبع سيؤدى إلى فوضى جديدة ، وإلى تحكم الإقطاعيين بالفلاحين مما يؤدى إلى النفور والاستياء الشديدين وإلى إضعاف الروح المعنوية ، ومن ثم إلى ضعف المجتمع السلجوقى العام^(٢).

ولكن لابد أن نقرر أن نظام الإقطاع العسكرى كان له أثره البالغ فى النجاح ، فى بدايته ، مادام السلاطين أقوياء ولم تكن هناك بوادر الانقسام الخطير ، كما أن الحكام السلاجقة كانوا فى مراقبة مستمرة للذين أقطعوهم^(٣) ، كما أن نظام الملك لم يعط أى مقطع أية فرصة لتقوية إقطاعه فبعثر له إقطاعاته^(٤) ، ولكن هذه السياسة بمرور الزمن تغيرت ، حينما تطرق الضعف والوهن إلى جسد الدولة السلجوقية ، فتشجع المقطعون على الانسلاخ عنها واستشرى الطمع بينهم ، وزاد التنافس والنزاع حول الإقطاعات وعليها ، وأفلست الدولة واستقلت المقاطعات ، وحكم الأتابكة مكان آسيادهم والتى ظلت تشتد حتى خنقت الدولة المركزية^(٥).

وهكذا ظهرت نتائج الإقطاع العسكرى السيئة بعكس ما كان يرمى إليه مؤسس هذا النظام^(٦).

(١) آشور : التاريخ الاقتصادى ، ص ٢٧٦ .

(٢) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، حسن محمود والشريف : العالم الإسلامى ص ٥٨٢ .

(٣) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢١٠-٢١٢ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٦ .

(٦) حسن محمود ، الشريف ، العالم الإسلامى ، ص ٥٨٢ .

وهكذا نقرر أن سلاطين السلاجقة العظام ، أرسوا نظاما إداريا وحربيا وقضائيل متينا ، استطاعوا من خلاله إدارة دولتهم الشاسعة ، ولقد ساعدهم فى ذلك قوتهم ووحدتهم ، بل وحدة البيت السلجوقى نفسه ، وكان لوزرائهم فضل كبير فى إدارة وتنظيم هذه السلطنة ، ولكن كانت هناك بعض العيوب التى شابت النظام الإدارى والقضائى والحربى ، فإطلاق يد الوالى أو - الملك - السلجوقى (نائب السلطنة) فى إدارة مملكته أعطى الفرصة الكافية لهؤلاء الولاة لتكوين قوة وثروة نازعوا بها السلاطين أنفسهم فى خراسان والرى وأصبهان ، وبالنسبة للنظام القضائى ، واحتكار السلاجقة لقاضى حنفى مما جعله ينفذ ما يلى عليه من أحكام ، جلب متاعب وصراعات مذهبية عدة لم تسلم منها بغداد أو عواصم السلاجقة ، كما أن النظام الحربى كان مدده المالى هو الإقطاع السلجوقى الذى كان سلاح ذا حدين على السلطنة نفسها ، فهم قد آتى بأموال طائلة إلى الخزانة السلطانية بعد تعميمه على يد نظام الملك ، ولكن أوجد ظلما اجتماعيا فى فترات الضعف السلجوقى عليه ، حينما كان يتعسف الجباة فى جمع الأموال من المقطعين ، وثانية الأسافى هو ما أوجد هذا النظام من ظهور ما يعرف بالأتابكيات التى ألهمت ظهر الدولة السلجوقية فيما بعد ، بل قل أدت إلى تفكيكها وضعفها ، واستقل الأتابكة كل بما تحت يده مكونين دول مستقلة .

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠ .
شذور العقود فى تاريخ العهود ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٤ تاريخ ميكروفيلم رقم ٦٧٥١ .
- ابن الفوطى : عبد الرازق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى ، ت ٧٣٢هـ / ١٢٢١م .
تلخيص مجمع الآداب ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٢١٨٩ تاريخ ميكروفيلم رقم ٢٤٨١ .
- ابن وحشية : أحمد بن على بن قيس بن المختار بن عبد الكريم ، أبو بكر .
الفلاحة النبطية مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٠ زراعة ، ميكروفيلم رقم ٥٣١٩ .
- الداودارى : أبو بكر عبد الله بن أبيك ، ألفه ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م .
كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٦ ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٣٤ تاريخ بعنوان (الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية / ميكروفيلم رقم ٦٤٨٣ .
- الذهبى : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨هـ / ١٢٥٦م .
سير أعلام النبلاء ، مجلد ١١ ، ١٢ ، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٨٧ تاريخ ، ميكروفيلم ٦٣١٢ .
- سبط بن الجوزى : أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزو اغلى ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م .
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج٢ ، ج٨ ، تحت رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم رقم ٦٤٣٥ .
- السلامى : شهاب الدين أحمد ، ت ٨٠٦ / ١٤٠٣م .
مختصر التواريخ ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٣٥ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ٦٥٧١ .
- العينى : بدر الدين محمود ، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م .

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ ، ميكروفيلم رقم ٦٣٥٨ .

- الماوردى : نور الدين أبى الحسن على بن محمد ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م .

الرتبة فى طلب الحسبة بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٥٥١٠ ميكروفيلم رقم ٢٤٩٩ .

- المراكشى : أحمد بن ابراهيم ، ت ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م .

الامتاع فى أحكام الإقطاع ، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط - المغرب - تحت رقم ٢١٢ ونسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٧١ فقه ، ميكروفيلم رقم ٢٤٩٢ .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

١- القرآن الكريم .

٢- صحيح البخارى .

- صحيح مسلم .

- ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدى ، ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨١م .

- ابن أبى الوفا : أبو محمد بن الحسين الحنفى ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م .

الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، جزءان فى مجلد واحد ، حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف النظامية ، بدون - ت .

- ابن الأثير : على بن أحمد بن أبى الكرم ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م .

الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء بولاق سنة ١٢٧٤هـ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، راجعه وصححه ، د/ محمد يوسف الدقاق ، ج١ ، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣م .

- ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشى ، ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٧م .
- معالم القرية فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م .
- ابن أرنبغا الزردكاش : ت ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م .
- الأنيق فى المناجيق ، قدمه وحققه وعلق على متنه ورسومه د/ احسان هندى ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد ، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م .
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور (المعروف بتاريخ مصر) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م .
- ابن بسام : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب (عاش فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) .
- الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق ؟ حسام الدين السامرائى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، سنة ١٩٦٨م .
- ابن بطوطه : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م .
- تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المعروف برحلة ابن بطوطه ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٦٤ .
- ابن تغرى بردى : أبو المحاسن جمال الدين يوسف ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩-١٩٣٣م .
- ابن تيمية : تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحلیم الحنبلى ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٦م .
- الحسبة فى الإسلام ، تحقيق / صلاح عزام ، القاهرة ١٤٠٥هـ ، مطبعة المؤيد ، دمشق ، ١٣١٨هـ .
- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ / ١٠٤٥م .
- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ط. الهند ، حيدرآباد الدكن ، سنة ١٣٥٨هـ / ١٣٥٩هـ .

ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دراسة وتحقيق ، محمد عبد القادر عطاء ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. أ

أخبار الحمقى والمغفلين ، ط. التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥هـ .

أخبار الظراف والمتماجنين ، ط. دمشق ، سنة ١٣٤٧هـ .

تلبیس أبلیس ، ط. دار النهضة المصرية ، سنة ١٩٢٨م .

مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجت الاثرى ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، سنة ١٣٤٢هـ، ١٩٢٣م .

- ابن جبیر : أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الاندلس ، ت ٦١٤هـ/١٢٢٢م .

رحلة ابن جبیر ، تحقيق حسين نصار ، ط. القاهرة سنة ١٩٥٥م ، ط. دار صادر بيروت ، ١٩٦٤ .

- ابن حنبل : الامام احمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ/٨٥٥م .

المسند ، تحقيق الشيخ احمد شاکر ، ط. القاهرة ١٩٥٤م .

- ابن حزم الأندلسى : أبى محمد على بن أحمد ، ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م .

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، ج٣ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١م .

- ابن حوقل : أبى القاسم النصيبى ، ت ٣٦٧هـ/٩٧٩م .

صورة الأرض ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٧٩م .

- ابن خرداذبه : أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ، ت ٣١٠هـ/٩١٢م .

المسالك والممالك ، نشر دى غويه ، ١٨٨٩م .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن جابر ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .

المقدمة ، ط. بيروت ١٩٨٦م .

العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ٧ أجزاء ، ط. القاهرة ١٢٨٤هـ/ط. بيروت ١٩٨١م .

- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م .

- ابن الديبشي : الحافظ أبي عبد الله محمد بن الديبشي ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .

المختصر المحتاج اليه ، تحقيق مصطفى جواد ، انتقاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي نشر المجمع العلمي العراقي ، بغداد سنة ١٩٧٧م .

- ابن دحلان : السيد أحمد بن زيني ، ت ١٣٠٤هـ / ١٨٦٦م .

تاريخ الدول الإسلامية بالجدول المرضية ، ط. القاهرة ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م .

- ابن دحية : أبو الخطاب عمر بن علي حسين بن سبط الإمام أبي بسام الفاطمي ، ت ٦٦٣هـ / ١٠٥٣م .

النبراس في تاريخ بني العباس ، تحقيق عباس العزاوي ، ط. بغداد ، سنة ١٩٤٦م .

- ابن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيذر العلالي ، ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م .

الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، حققه ، محمد كمال عز الدين ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٥م .

- ابن رسته : شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد ، ت ٢٩٥هـ / ٣٧م .

الأعلاق النفيسة ، ط. ليدن ، ١٨٩٢م .

- ابن زنجوية : حميد بن زنجوية ، ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م .

الأموال ، تحقيق شاکر فياض ، الطبعة الأولى ، الرياض ، سنة ١٩٨٦م .

- ابن الساعي : الإمام الفقيه علي بن أنجب ، ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م .

مختصر أخبار الخلفاء ، ط. بولاق ، القاهرة ، سنة ١٣٠٩م .

- ابن سلام : أبي عبيد الله بن سلام ، ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م .

الأموال ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، سنة ١٩٨١م .

- ابن سيده : أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي ، ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م .

كتاب المخصص ، ط ١ ، مصر سنة ١٣١٧هـ .

- ابن الصابي : أبو الحسن بن أبي اسحاق ، ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م .

- تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، ط. بيروت سنة ١٩٠٤ م .
- رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، ط. بغداد ، سنة ١٩٦٤ م .
- ابن الصيرفى : تاريخ الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكتاب ، ص ١١٤٧/٥٤٢ م .
- الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق / أيمن فؤاد سيد ، ط. الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ م .
- القانون فى ديوان الرسائل ، تحقيق / أيمن فؤاد سيد ، ط. الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ م .
- ابن طباطبا : فخر الدين محمد بن على المعروف بابن الطقطقى ، ت ١٢٤٧/٧٠٩ م .
- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، د. دار صادر ، بيروت سنة ١٩٧٥ م .
- ابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر ، ت ٨٩٤/٨٩٣/٢٨٠ م .
- تاريخ بغداد ، تحقيق عزت العطار ، بغداد ، ١٩٤٩ م .
- ابن العبرى : غريغوريوس أبو الفرج بن أهارون ، ت ١٢٨٦/٦٨٥ م .
- مختصر تاريخ الدول ، وقف على تصحيحه وفهرسته ، الأب أنطون صالحانى اليسوعى ، دار الرائد اللبنانى ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ابن عبد ربه : شهاب الدين أحمد ، ت ٣٤٩/٩٤٠ م .
- العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٢٨/١٤٣٩ م .
- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن هبة الله ، ت ١٢٦١/٦٦٠ م .
- بغية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ط. دمشق ، سنة ١٩٥٤ م .
- ابن عساكر :
- تبين كذب المقتري فيما نسب للإمام الأشعرى ، مصر ١٣٥٣ هـ .
- ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد ، ت ١٠٨٩/٤٨٢ م .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. دار أحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٧ م .

- ابن الفراء : أبى يعلى بن الحسين ، ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م .
- الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ م .
- ابن فضلان : أحمد بن فضلان العباسى .
- رحلة بن فضلان ، حققها سامى الدهان ، دمشق ، سنة ١٩٦٠ م .
- ابن الفقيه الهمداني : أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ، ت أواخر القرن الثالث الهجرى .
- مختصر تاريخ البلدان ، ط. ليدن ١٩٦٧ م .
- ابن القلانسى : أبو يعلى حمزة بن أبى على التميمى ، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م .
- ذيل تاريخ دمشق ، حققه د / سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق ، سوريا سنة ١٩٨٣ م .
- ابن كثير : عماد الدين اسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقى ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م .
- البداية والنهاية ، ج ١١ ، ١٢ ، ط. القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- ابن مسكويه : أبو على أحمد بن محمد ، ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠ م .
- كتاب تجارب الأمم ، نشره آمد روز ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ١٩١٤ م
- ابن ممتى : شرف الدين أسعد بن مذهب بن الملح ، ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٤ م .
- قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، ط. القاهرة ، ١٩٤٣ م .
- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٢٤ م .
- لسان العرب ، ط. بولاق ، القاهرة سنة ١٣٠٠هـ .
- ابن ميسر : محمد بن على بن يوسف ، ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م .
- تاريخ مصر ، مطبعة هنرى ماسيه ، القاهرة ، ١٩١٩ م .
- ابن الوردى : سراج الدين أبى حفص عمر بن مظفر بن عمر بن الفوارسى ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ط. القاهرة ، ١٣٩٦هـ .

تاريخ ابن الوردي ، المعروف بتتمة المختصر في تاريخ البشر ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٨٦٨م .

- ابن النديم : محمد بن اسحاق ، ت ٣٨٣هـ / ٩٩٣م .

الفهرست ، ط. بيروت ١٩٧٨م .

- ابن هداية الله : أبو بكر بن هداية الله الحسيني ، ت ١٠١٤هـ / ١١٠٥م .

طبقات الشافعية ، حققه عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٨٢م .

- ابن واصل : جمال الدين سالم ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م .

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٤ مجلدات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م .

- أبو بكر الهروي : أبو عبد الله ، ت ٣٦٦هـ / ٩٧٦م .

التذكرة الهروية في الحيل الخفية ، القاهرة ١٩٨٢م .

- أبو الحسن علي الحكيم : محمد بن عبد الحى بن يوسف ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٦٥م .

الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكه ، حققه حسين مؤنس ، مدريد سنة ١٩٦٠م .

- أبو حيان التوحيدى : على بن محمد بن العباس ، ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م .

الأمثاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الذين ، بيروت ، بدون .

- أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م .

الروضتين في أخبار الدولتين ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

- أبو شجاع : محمد بن الحسين ظهير الدين الروذارورى ، ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م .

ذيل تجارب الأمم ، نشر أمدوزر ، مطبعة التمدن ، القاهرة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م .

- أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر شاهنشاه صاحب حماة ،

ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

المختصر في أخبار البشر ، ط. القاهرة ، سنة ١٣٢٥هـ .

تقويم البلدان ، ط. باريس ، ١٨١٥م .

- أبو عمرو السلمي : محمد بن الحسين بن محمد ، ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م .
- طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شربة ، القاهرة ١٣٨٩م .
- أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ، ت ٩١٢هـ / ٨٠٧م .
- كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .
- الأبشيهي : شهاب الدين أحمد ، ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م .
- المستطرف في كل فن مستظرف ، ط. الحلبي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٢م .
- الباخري : علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري ، ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر ، تحقيق ونشر محمد التونجي ، بغداد سنة ١٩٧١م .
- البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن عبد الحق ، ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٥م .
- مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، ط. دار المعرفة بيروت ، سنة ١٩٥٣ .
- البغدادى : موفق الدين عبد اللطيف البغدادى ، ت ٦٢٩هـ / ١٢٢٥م .
- الطب من الكتاب والسنة ، حققه د/ عبد المعطى أمين قلعبى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٦م .
- البغدادى : محمد بن الحسن بن محمد .
- كتاب الطب ، تحقيق داود شلبى ، أعده للنشر فخرى البارودى ، بيروت ، ١٩٦٤م .
- البغدادى : أبو بكر أحمد بن علي ، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م .
- تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٩٩٢م .
- كتاب الكفاية فى علم الرواية ، حيدر آباد ، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .
- البندارى : الفتح بن علي بن محمد البندارى الأصفهاني ، ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م .
- تاريخ آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ١٩٨٠م .
- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر ، ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م .
- فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .

- البلوى : أبى محمد عبد الله المدينى ، سيرة أحمد بن طولون .
- سيرة أحمد بن طولون ، حققها محمد كرد على ، القاهرة ، بدون .
- البيهقى : ظهير الدين أبو الحسن البيهقى ، ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م .
- تتمة صوان الحكمة ، نشر لاهور ، باكستان ، ١٣٥١هـ .
- بنيامين التطيلي : الرحالة الربى بنيامين بن يونة التطيلي الاندلسى .
- رحلة بنيامين ٥٦١-٥٦٩هـ ، ترجمة وتعليق عزرا حداد ، بغداد ، سنة ١٣٨٤هـ .
- التنوخى : القاضى أبو على المحسن بن على بن محمد ، ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م .
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تصحيح مرجليوث ، مكتبة هندية بمصر ، سنة ١٩٣١م ، ط. بيروت ١٩٧١م ، ١٩٧٢م .
- التيفاشى : أحمد بن يوسف ، ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م .
- كتاب أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ، حققه وعلق عليه محمد يوسف حسن ، وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧م .
- الثعالبى : أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل ، ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م .
- تاريخ غرر الفرس ، المعروف غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، مكتبة الأسدى ، طهران سنة ١٩٣٠م .
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، طبع القاهرة ، ١٩٠٨م .
- لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الانبارى وآخرون ، دار أحياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٦٠م .
- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٧٣م .
- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م .
- رسائل الجاحظ فى مناقب الترك ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٤م .
- الحيوان ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

- التاج فى اخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى ، القاهرة ١٩٤٩م .
- الأذكياء ، ط. بيروت ، ١٩٨٥م .
- الخوارزمى : أبو بكر محمد بن العباس ، ت ٣٧٣هـ / ٩٩٣م .
- مفاتيح العلوم ، المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢هـ ، القاهرة ١٩٦٨م .
- الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م .
- الوزراء والكتاب ، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ط ١ ، القاهرة ١٩٣٨م .
- الجوينى : أبو المعالى عبد الملك بن الشيخ محمد بن عبد الله الجوينى ، ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .
- العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية ، بغداد ، ١٩٥٥م .
- الحسن بن عبد الله : ابن محمد بن العباس (من أعلام القرن الثامن الهجرى) .
- آثار الأول فى ترتيب الدول ، القاهرة ، بولاق ١٢٩٥هـ .
- الحسن الوزان : جان ليون الأفريقى
- وصف أفريقيا ، ترجمة د/ عبد الرحمن حميدة ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، سنة ١٣٩٩هـ .
- الحسينى : صدر الدين أبو الحسن على ناصر بن على ، ت بعد ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م .
- كتاب أخبار الدولة السلجوقية ، أعتنى بتصحيحه محمد أقبال ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة ١٩٨٤م .
- زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) تحقيق د/ محمد نور الدين ، الكويت ، ١٩٨٥م .
- الأدريسى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسى (من علماء القرن السادس الهجرى) .
- كتاب : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، بيروت ، عالم الكتب ، سنة ١٩٨٩م .
- داود الأنطاكى :
- تذكرة داود ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٩٠م .

- الدمشقى : شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الدمشقى شيخ الريبوت ت
٧٢٧هـ / ١٣٢٦م .

نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون .

- الدمشقى : أبو الفضل جعفر على الدمشقى ت ٥٧٠هـ / ١١٧٤م .

الإشارة إلى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، سنة ١٣١٨هـ .

- الديميرى : كمال الدين محمد بن موسى بن على ، ت ٨٠٨هـ / ٥ .

حياة الحيوان الكبرى ، جزآن ، مصر ، سنة ١٣٧٤هـ .

- الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد ، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م .

دول الإسلام ، حيدر آباد الدكن ١٢٣٣هـ .

العبر فى خبر من غبر ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ، ١٩٦١م .

- الرشيد بن الزبير : القاضى أحمد بن على بن إبراهيم الغسانى ، ت ٥٦٣هـ / ١١٦٧م .

الذخائر والتحف ، تحقيق د / محمد حميد الله ، نشر دار المطبوعات والنشر ،
الكويت سنة ١٩٥٩ .

- الزيدى : محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الزيدى الحنفى ، ت
١٢٥٠هـ / ١٧٩٠م .

تاج العروس من جواهر القاموس - مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون ، ظ. مصر
سنة ١٣٠٦هـ .

- السبكى : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين ، ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م .

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمد الطناحى ، وعبد الفتاح الحلو ، القاهرة
١٩٦٦م .

- السرخسى :

كتاب المبسوط ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .

- السمنانى : أبو القاسم بن أحمد ، ت ٣٨٩هـ / ٩٩٨م .

روضة القضاء ، وطريق النجاة ، ج١ ، تحقيق الناهى ، بغداد ،
١٩٧٠-١٩٧٢م .

- السيوطى : عبد الرحمن بن بكر جلال الدين ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م .
- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، القاهرة ، ١٣٥١هـ / دار الفكر ، بيروت ، لبنان بدون .
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب ، القاهرة ١٩٦٨م .
- طبقات المفسرين ، طبع ليدن ، ١٨٣٩م .
- الشابشتى : أبو الحسن على بن محمد ، ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م .
- الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٥١م .
- الشهرستانى : أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر احمد ، ت ٥٤٨هـ / ١٣٦٦م .
- الملل والنحل ، تحقيق الاستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تحقيق محمد بن فتح الله بدران ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- الشيرزى : عبد الرحمن بن نصر ، ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م .
- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، دار الثقافة بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٨١م .
- الاصطخرى : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى ، ت ٣٠٩هـ / ٩٥١م .
- المسالك والممالك ، تحقيق د / محمد صابر عبد العال ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م .
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- العصامى : عبد الملك بن حسن المكى ، ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م .
- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، ط ١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٠هـ .
- العينى : بدر الدين أبو محمد محمود بن موسى ، ت ٨٨٥هـ / ١٤٥١م .
- السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد (شيخ الحمودى) حققه وقدم له فهيم شلتوت ، راجعه د / زيادة ، ط. دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ٦٦-١٩٦٧م .
- الغزالى : أبو حامد ، ت ٥٠٥هـ / ١١١١م .
- أحياء علوم الدين ، ط. دار الكتب العربية ، ١٩٧٦م .

تهافت الفلاسفة ، تحقيق وتقديم د/ سليمان دنيا ، ط ٧ ، دار المعارف ١٩٨٧م .

فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، بدون - ت .

- غريب بن سعيد : القرطبي ، ت ٣٦٦هـ / ١٩٧٦م .

صلة تاريخ الطبرى ، باعتناء دى غويه ، ليدن سنة ١٨٩٧م ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م .

- الفارقى : أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى ، مولده سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م .

تاريخ ميفارقين ، تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض ، ط. القاهرة ، ١٣٧٩هـ .

- القرشى : يحيى بن آدم ، ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م .

كتاب الخراج ، ط. ليدن ١٨٩٥م .

- القابسى :

التعليم فى رأى القابسى ، بغداد ١٩٦٩م .

- القرمانى : أبو العباس أحمد حلبى بن يوسف ، ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م .

أخبار الدول وآثار الأول ، ط. بغداد سنة ١٢٨٢م .

- القزوينى : أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود القزوينى ، ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م .

آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر وستنفلد ، ط. جوتنجن سنة ١٩٤٨م . ط. دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩م .

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت سنة ١٩٧٣م .

- القلشندى : أبو العباس أحمد ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م .

صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء ، ط. القاهرة ١٩٦٣م .

مآثر الأنافه فى معالم الخلافة ، جزمان ، تحقيق / عبد الستار أحمد فرج ، الكويت ، ١٩٦٤م .

- الكاسانى :

كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، القاهرة ١٩١٠م .

- الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف ، ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م .
الولاية والقضاة ، ط. بيروت ، ١٩٠٨ .
- الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ط. عيسى
البابى الحلبي .
- قوانين الوزارة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، محمد سليمان داود ، مؤسسة
شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٧٨م .
- السعوى : أبو الحسن على بن الحسين بن على ، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط. دار الأندلس ، بيروت ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
التنبيه والإشراف ، صححه وراجعه عبد الله الصاوى ، ط. مكتبة المثنى ،
بغداد سنة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م .
- مجهول :
أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة د/ حسن حبشى ، دار الفكر
العربى ، سنة ١٩٥٨م .
- مجهول :
مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، احسان العمدة ،
ط ١ الكويت سنة ١٩٨٤م .
- المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله البشارى ، ت ٣٨١هـ / ٩٩١م .
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦م ، ط. دار احياء التراث
العربى ، صححه وفهرسه د/ محمد مخزوم ، ١٩٨٧م .
- المقدسى : محمد بن مفلح الحنبلى
الآداب الشرعية ، بغداد ١٩٦٦م .
- ماركو بولو : نيقولو بولو
رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الانجليزية ونشرها وليم مارسون ، ترجمها إلى
العربية عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧م .
- المقرئى : تقى الدين أحمد ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

اتعاضد الحنفيا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق د/ الشيال ، د/ محمد حلمى أحمد القاهرة ١٩٧١م .

المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان ، بولاق ، سنة ١٢٧٠هـ .

السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

شذرات العقود فى أخبار النقود ، القسطنطينية ، سنة ١٢٩٨هـ .

اغاثة الأمة يكشف الغمة ، نشره الشيال ، وزيادة ، القاهرة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م .

- المؤيد فى الدين : هبة الله الشيرازى ، ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م .

سيرة المؤيد فى الدين ، نشر محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩م .

مذكرات داعى الدعاء ، حققه وقدم له وعلق عليه وشرح غوامضه ، د/ عارف تامر ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المجالس المؤيدية ، تلخيص حاتم بن ابراهيم الحميدى اليمنى ، ت ٥٩٦هـ / تحقيق د/ محمد عبد القادر ، تصدير د/ عبد العزيز الأهوانى ، القاهرة ١٩٧٥م .

- نصير الدين ابو الرشيد عبد الجليل :

بعض مثالب النواصب فى نقض بعض فضائح الروافض ، طهران ، ١٣٣١هـ .

- النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى ، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م .

كتاب فوق الشيعة ، النجف ١٩٣٦م .

- النويرى : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م .

- الوشاء : أبى الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ، ت ٣٢٥هـ / ٩٣٦م .

الموشى ، ط. ليدن سنة ١٨٨٦م .

- اليافعى : الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على ، ت ٧٦٨هـ / ١٢٧٦م .

مرآة الجنان ، وعيرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، أربعة أجزاء ، ط. حيدر آباد الدكن ، سنة ١٢٣٦هـ .

- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى ، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م .
- معجم البلدان ، ١٠ أجزاء ، ط. القاهرة ، ١٩٠٦م ، ٥ أجزاء ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥م .
- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبى ، ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م .
- كتاب البلدان ، ليدن سنة ١٨٩١م .
- تاريخ اليعقوبى ، ٣ أجزاء النجف ، العراق ، ١٣٥٧هـ ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .
- ثالثا : المراجع العربية والمترجمة :
- ابراهيم احمد العدوى : دكتور :
- مصر الإسلامية ومقوماتها العربية ورسالتها الحضارية ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦م .
- تاريخ العالم الاسلامى ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
- ابراهيم حلمى :
- كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ، دار عين للنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤م .
- ابراهيم طرخان (دكتور) :
- النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- ابراهيم فؤاد :
- الموارد المالية فى الإسلام ، ط. الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٥٧م .
- ابو صالح الألفى :
- الفن الإسلامى ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٨٣م .
- أحمد أمين :
- ظهر الإسلام ، ط١ ، ط٣ ، النهضة المصرية ١٩٦٢م .
- أحمد تيمور :
- خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

- أحمد الخولى (دكتور) :

سجستان ، القاهرة ، بدون .

- أحمد رمضان أحمد (دكتور) :

حضارة الدولة العباسية ، ط. عين شمس ، سنة ١٩٨٢ م .

الحرب الصليبية (العلاقات بين الشرق والغرب) سنة ١٩٩٤ م .

- أحمد عبد الحميد الشامي (دكتور) :

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دار النهضة المصرية ، سنة ١٩٨٥ م .

الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

صلاح الدين والصليبيون ، (تاريخ الدولة الأيوبية) ، النهضة العربية ، ١٩٩١ م .

الحضارة الإسلامية ، الزقازيق ، ١٩٩١ م .

دولة المماليك البحرية ، ط ٢ ، سنة ١٩٩٢ .

الخلفاء الراشدون ، ط ٣ ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

العرب وركوب البحر وصناعة السفن وأنواعها ، بحث نشر ضمن ندوة دول البحر المتوسط بالإسكندرية ، ١٩٩٤ م .

العلاقات التجارية بين دول الخليج بلدان الشرق الأقصى ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

- أحمد عبد الكريم سليمان (دكتور) :

المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط ، ط ١ ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢ م .

- آدم متز :

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جزآن ، ترجمة د/ عبد الهادى

أبو ريده ، ط. القاهرة ، ١٩٤٠-١٩٤١ م ط. دار الكتاب العربى ، بيروت ،

ط ٤ ، ١٣٨٧ هـ-١٩٦٧ م . ط. الخالجي ، اعد فهارسه / رفعت البدر اوى ، سنة

١٩٦٧ م .

- إسعاد عبد الهادى (دكتور) :

فنون الشعر الفارسى ، ط. القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- أسعد طلس (دكتور) :

نظامية بغداد ، باريس ١٩٣٩م .

التربية والتعليم فى الإسلام ، بيروت ١٩٥٦م .

- السيد الباز العرينى (دكتور) :

المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١م .

- آشور :

التاريخ الإقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، دمشق ، سنة ١٩٨٥م .

- أنور الرفاعى :

النظم الإسلامية ، دمشق ، ١٩٧٣م .

- الأب انستاس الكرملى :

رسائل فى النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، ط ٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧م .

- بارت :

تراث فارس (الفصل الخاص ببلاد فارس) بالمتحف البريطانى ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٩م .

- بدر عبد الرحمن محمد (دكتور) :

رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية ، ط ١ ، الانجلو المصرية ، سنة ١٩٨٧م .

- برنارد لويس :

أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرامطة ، راجعه وقدم له د/ خليل أحمد خليل ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م .

- بروكلمان : كارل .

تاريخ الشعوب الإسلامية ، جزءان ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكي ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٤م .

- برهان الزرنوجى :

تعليم المتعلم ، بغداد ، ١٩٤٢م .

- بطروشوفسكى :

الإسلام فى إيران ، قدم له وترجمه د/ السباعى محمد السباعى ، القاهرة ١٩٨٤م .

- بورمىزوجينثوس :

ادارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع ، عرض وتحليل وتعليق د/ سعيد عمران ، دار النهضة العربية ، سنة ١٩٨٠م .

- ترتون : إس

أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة د/ حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ سنة ١٩٩٤م .

- توماس آرتولد :

الدعوة الى الإسلام ، ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحرارى القاهرة ، ١٩٤٧م .

- تيمارا تالبوتارايس :

السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى ، وإبراهيم الداوقى ، مراجعة عبد الحميد العلوجى ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

- ثريا محمد على (دكتور) :

الغوريون ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

- جورج مقدسى :

خطط بغداد فى القرن الخامس الهجرى ، ترجمة صالح أحمد العلى ، بغداد ، ١٩٨٤م .

- ثناء بلال :

الملابس فى العصرين القبطى والاسلام ، دار النهضة المصرية ، ١٩٨٣م .

- جورجى زيدان :

تاريخ التمدن الإسلامى ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

- حسنين ربيع (دكتور) :

دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

- حسن ابراهيم حسن (دكتور) :

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ٤ أجزاء ، النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م ، ط ١ ، سنة ١٩٨٢م .

النظم الإسلامية بالاشتراك مع د/ على ابراهيم حسن ، دار النهضة المصرية ، سنة ١٩٥٢م .

عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ، ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب بالاشتراك مع د/ طه شرف ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

الدولة الفاطمية ، النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٨م .

- حسن الباشا (دكتور) :

الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م .

التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى ، ط ٢ ، النهضة المصرية ، ١٩٧٨م .

- حسن أحمد محمود (دكتور) :

العالم الإسلامى فى العصر العباسى بالاشتراك مع د/ أحمد ابراهيم الشريف ، دار الفكر العربى بدون ، ت .

الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٢م .

- حسين أمين (دكتور) :

تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ط . المكتبة الأهلية ، بغداد ، سنة ١٩٦٥م .

حسين مؤنس (دكتور) :

عالم الإسلام ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٠م .

- حمدان الكبيسي (دكتور) :

أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٩٨٨ م .

- د.م. دنلوب

تاريخ يهود الخزر ، نقله للعربية وقدم له د/ سهيل زكار ، دار الفكر بيروت ،
سنة ١٩٨٧ م .

- دوزي : رينهارت

المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب ، نقله من الفرنسية إلى العربية د/
أكرم فاضل ، بغداد ١٩٧١ م .

- دونالد ولبر :

إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د/ عبد النعيم حساين ، ومراجعة د/ ابراهيم
الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

- ديماند :

الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتصدير أحمد فكري ،
دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٨ م .

- راشد البراوي (دكتور) :

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

- رشيد الجميلي (دكتور) :

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، أخرجه زكي محمد حسن ، حسن أحمد
محمود ، جزآن ، القاهرة ، سنة ١٩٥١-١٩٥٢ م .

- زكي محمد حسن (دكتور) :

الفنون الإيرانية في العهد السلافي ، دار الكتب المصرية ١٩٤٦ م .

فنون الإسلام ، دار الرائد العربي ، القاهرة ١٩٤٧ م .

- ستيفن ونسيان :

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، جزآن ، بيروت سنة
١٩٨١ م .

- سعاد ماهر (دكتور) :

الفنون الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٦ م .
اثر الماوردي في الفن السلجوقي ، مقال منشور بمجلة العربي ، العدد العاشر ،
بغداد ، ١٩٥٧ م .

- سعد زغلول عب الحميد (دكتور) :

الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب والعرب وغيرهم ، مجلة الآداب ،
جامعة الإسكندرية ، المجلد العاشر ، الإسكندرية ١٩٥٦ م .
العمارة والفنون في دولة الإسلام ، الإسكندرية ، ١٩٦٧ م .

- ستانلى لين بول :

الدول الإسلامية ، يبحث عن ١٨١ دولة إسلامية مع إضافات وتصحيحات
بارتولد ، و خليل أدهم ، ترجمة إلى العربية محمد صبحى فرزات ، نشر مكتبة
الدراسات الإسلامية ، دمشق ، سوريا ، بدون ، ت ترجمة أحمد السعيد
سليمان ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م .

طبقات سلاطين الإسلام ، ترجمة مكى طاهر الكعبي عن الفارسية بغداد سنة
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

- سهيل زكار (دكتور) :

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، سنة
١٩٧٣ م .

- سيد أمير على :

مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ، ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة ، والنشر ، القاهرة سنة ١٩٣٨ م .

- سميل :

الحروب الصليبية ، ترجمة سامى هاشم ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- شيرين عبد النعيم حسانين (دكتور) :

مسلمو التركستان ، والغزو السوفيتى من خلال الأدب والتاريخ ، آداب عين
شمس ، سنة ١٩٨٥ م .

- صالح أحمد العلى (دكتور) :

بغداد مدينة السلام ، جزآن ، ط. المجمع العلمى العراقى ، سنة ١٩٨٥ م .
معالم بغداد الإدارية والعمرانية دراسة تخطيطية ، دار الشؤون الثقافية العامة ،
بغداد ، سنة ١٩٨٨ م .

- صلاح الدين المنجد (دكتور) :

ولاية دمشق فى العصر السلجوقى ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير
للحافظ بن عساكر ، دار الكتاب الجديد ، بيروت سنة ١٩٨١ م .

- صفية سعادة (دكتور) :

تطور منصب قاضى القضاة فى الفترتين البويهية والسجلوفية ، ط ١ ، دار
أمواج ، بيروت، سنة ١٩٨٨ م .

- عبد النعيم حسانين (دكتور) :

سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ، سنة ١٩٥٩ م .
ايران والعراق فى العصر السلجوقى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بيروت ،
سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

دولة السلاجقة ، مكتبة الخانجي ، سنة ١٩٦١ م .

نظام الكنجوى شاعر الفضيلة الايرانى ، عصره وببئته وشومره ، ط. مكتبة
الخانجي القاهرة ١٩٥٤ م .

قاموس الفارسية ، دار الكتاب المصرى والبنانى ، القاهرة ، بيروت سنة
١٩٨٢ م .

- عبد السلام عبد العزيز فهمى (دكتور) :

تاريخ الدولة المغولية فى إيران ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٨٦ م .

- عبد الكريم عرابيه :

العرب والأتراك ، ط. دمشق ، سنة ١٩٦١ م .

- عبد الرحمن زكى :

السيف فى العالم الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

- السلاح فى الإسلام ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥١م .
- الفن الإسلامى ، دار المعارف بمصر ، بدون .
- عبد الرحمن فهمى :
- فجر السكة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٢م .
- عبد الله خورشيد البرى (دكتور) :
- القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٢م .
- عبد العزيز الدورى (دكتور) :
- تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، بغداد ، ١٩٤٨م .
- دراسات فى العصور العباسية ، بغداد ، سنة ١٩٤٥م .
- النظم الإسلامية ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٥٠م .
- مقدمة فى التاريخ الاقتصادى ، ط ١ دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩م .
- عبد العزيز الليلم (دكتور) :
- نفوذ الأتراك السياسى فى الخلافة العباسية ، وأثره فى قيام مدينة سامراء ، ط. الرياض ، سنة ١٩٨٣م .
- عبد المنعم ماجد (دكتور) :
- الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٣م .
- عصام عبد الرؤوف الفقى (دكتور) :
- الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٧م .
- تاريخ الإسلام فى جنوب غرب أسيا فى العصر التركى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤م .
- عطية مشرقة (دكتور) :
- القضاء فى الإسلام ، شركة الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- على مبارك :
- الميزان فى الأقيسة والميزان ، القاهرة ، ١٩٤٤م .

- عليه عبد السميع الجنزورى (دكتور) :
الثغور البرية الاسلامية ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٩م .
- عمر رضا كحاله :
اعلام النساء ، القاهرة ، جاء بدون .
- طه ندا (دكتور) :
الأعياد الفارسية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
- فاضل الخالدى (دكتور) :
الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق خلال القرن الخامس الهجرى ، دار
الأديب ، بغداد ١٩٦٩م .
- فايز اسكندر (دكتور) :
موقعة ملاذكرد وصدائها فى القسطينية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م .
- البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس ،
الإسكندرية سنة ١٩٨٤م .
- استيلاء السلاجقة فى عاصمة أرمينية (آنى) ، الاسكندرية سنة ١٩٨٧م .
- فتحى أبو سيف (دكتور) :
الماوردى ، عصره ، وفكره السياسى ، القاهرة ١٩٩٠م .
- المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى ، الانجلو المصرية ،
بدون .
- فتحية النبراوى (دكتور) :
تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- فريال مصطفى :
البيت العربى فى العراق فى العصر الإسلامى ، ط. بغداد ، سنة ١٩٨٣م .
- فؤاد جبر :
جدولة العصور التاريخية للدول الإسلامية ، من عصر ما قبل الاسلام حتى
سقوط الدولة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، الرياض ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- فهمى عبد الرازق سعد (دكتور) :
العامّة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بيروت ١٩٨٣م .
- فيليب حتى :
تاريخ العرب ، بيروت ، سنة ١٩٥١م .
- كى - لسترنج :
بلدان الخلافة الشرقية ، نقله للعربية ووضع فهارسه بشير فرسيس ، وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٥م .
- الإمام محمد أبو زهرة :
المذاهب الإسلامية ، ج ٢ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ب.ت .
- محمد أحمد عبد المولى (دكتور) :
العيارون والشطار البفادوة فى التاريخ العباسى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، سنة ١٩٨٧م .
- محمد السعيد جمال الدين (دكتور) :
دولة الاسماعيلية فى ايران ، مؤسسة سجل العرب ، سنة ١٩٧٥م .
- محمد أمين صالح (دكتور) :
النظام المالى والاقتصادى فى الإسلام ، القاهرة ١٩٨٤م .
- محمد باقر الحسينى (دكتور) :
النقود العربية الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٩٨٥م .
- العملة الإسلامية فى العهد الاتابكى ، بغداد ، سنة ١٩٦٩م .
- محمد حسين الزبيدى (دكتور) :
التنظيمات السياسية والإدارية فى العصر البويهى ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٧٤م .
- محمد جمال الدين سرور (دكتور) :
سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م .
- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م .

النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦م .

الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦م .

- محمد رجب النجار (دكتور) :

حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٤٥ ، الكويت سنة ١٩٨١م .

- محمد فريد :

دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الخامس ، بيروت سنة ١٩٧١م .

- محمد شكرى الألوسى :

بلوع الأرب ، ج٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - بدون .

- محمد عبد الله الشيبانى :

نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٣٩م .

محمد ضياء الدين الرئيس (دكتور) :

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الانصار ، ١٩٧٧م .

- محمد بن مسفر الزهرانى (دكتور) :

نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية (٤٤٧-٥٩٠هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٢م .

الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ٣٣٤هـ/ ١٥٩٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦م .

- محمد محمود إدريس (دكتور) :

تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥م .

رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، دار الثقافة ، القاهرة سنة ١٩٨٣م .

- محمود شيت خطاب :

العسكرية العربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

- محمود عبد الحليم محمود (دكتور) :

المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

- ماركار :

دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ مادة سلجوق .

- ماسينون :

خطط الكوفة ، ترجمة المصعبى ، صيدا ، سنة ١٣٦٥هـ .

- مصطفى غالب (دكتور) :

تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دار الأندلس ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م .

- منير الدين أحمد (دكتور) :

تاريخ التعليم عند المسلمين ، والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى ، مستقاه من (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ، ترجمة د/ سامى الصقار ، الرياض ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- ميخائيل عواد :

صورة مشرقة من حضارة بغداد فى العصر العباسى ، بغداد ، سنة ١٩٨١م

- ناجى معروف :

العملة والنقود البغدادية ، بغداد سنة ١٩٦٧م .

نشأة المدارس المستقلة الإسلام ، بغداد ١٩٦٧م .

- ناصر النقشبندي :

الدينار الإسلامى فى المتحف العراقى ، بغداد ١٩٥٣م .

- نعمات ثابت :

الجندية فى الدولة العباسية ، بغداد سنة ١٩٣٩م .

- نعيم اسماعيل علام (دكتور) :

فنون الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى ، ط٢ دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٨٦م .

- نعيم زكى (دكتور) :

طرق التجارة الدولية ، ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، مصر ١٩٧٣م .

- وفاء محمد على (دكتور) :

الزواج السياسى فى الدولة العباسية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة .

- ول ديورانت :

قصة الحضارة ، ج٢ ، المجلد الرابع عشر ، القاهرة ١٩٧٣ م .

- وليم الصورى :

الحروب الصليبية ، ٤ أجزاء ، ترجمة د/ حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤ م .

- هايد :

تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ٤ أجزاء ، ترجمة / أحمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤ م .

- يوسف العش :

الخطيب البغدادي ، مؤرخ بغداد ، ومحدثها ، دمشق ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥ م .

رابعاً : المصادر والمراجع الفارسية والتركية :

- ابن بى بى : علامة يحيى بن محمد المعروف بـ"بن بى بى" من (مؤرخى القرن السابع الهجرى) .

سلجوق نامه ، مترجم محمد زكريا مائل ، طبع أول ، جولائى ١٩٤٥م ناشر ، اشفاق أحمد ، كلبرك ، لاهور .

وقد اختصر هذا الكتاب تحت اسم "مختصر سلجوق نامه" وترجمة د/ محمد السعيد جمال الدين تحت عنوان (أخبار سلاجقة الروم) ، نشره / مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، جامعة قطر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م .

- ابن فندق : أبو الحسن على بن زيد بيهق المعروف بابن فندق ، ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م .

تاريخ بيهق ، بالتصحيح وتعليقات ، أحمد بهيمنار ، مهرماه ١٣١٧ خورشيدى ، جاب شد ، طهران ، ١٣٤٨ / ١٩٢٩ م .

- أبو سعيد : محمد بن المنور :

أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبو سعيد ، ترجمة اسعاد عبد الهادي ، القاهرة ١٩٦٦ م .

- أبو عمرو : منهاج الدين عثمان الجوزجاني ، ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م .
طبقات ناصري ، جلد أول به تصحيح ومقابلته وتحشيه وتعليقات عبد الحى
حبيبي ، طهران ، بدون .
- اقبال عباس :

وزارات در عهد سلاطين برزك سلجوق (أزتشكيل ابن سلسلة تامرك سلطان
سنجر ٤٣٢ / ٥٥٢ هـ / ٨٢٠ - ١٩٢٥ م ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه د /
محمد علاء الدين منصور ، راجعه د / السباعي محمد السباعي ، دار الثقافة
للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

- أنورى : حسن
اصطلاحات ديوانى دوره غزنوى وسلجوقى ، ناشر كتابخانه طهرزى ، تهران به
جانب رسيد ، ديماء ٢٥٢٥ شاهنشاهى .
ديوان استيفاء در حكومت غزنويان وسلجوقيان ، مجلة بررس هاى تاريخى ،
العدد ١٦ لسنة بهمن اسفند ١٣٥٢ شارة .

- البدليسى : شرف خان البدليسى ، ألفه فى أواخر سنة ١٥٠٥ م .
شوفنامه ، ترجمة إلى العربية محمد على عونى ، راجعه وقدم له يحيى
الخشاب ، ط . القاهرة بدون - ت .

- براون : ادوارد جونفيل
تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ٤ أجزاء ، ترجمة ابراهيم
الشواربى ، آخرون ، ط . القاهرة ١٩٥٤ م .
- البيهقى : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م .
تاريخ البيهقى ، صحائف مسعودى ، ترجمة يحيى الخشاب ، صادق نشأت ،
ط . الانجلو المصرية ، سنة ١٩٥٦ م .

- الثابتى : (سيد على مؤيد)
تاريخ نيشابور ، سلسلة انتشارات النجمن اثارملى ، ايران ٢٥٣٥ شاهنشاهى .
- الجوينى : عطا ملك ، ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م .

تاريخ جهانكشارى ، ترجمة محمد السعيد جمال الدين ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ،
ضمن كتابه دولة الاسماعيلية فى ايران .

- الجوينى : مؤيد الدين منتجب الدين بديع اتابك كتبها بين عامى ٥٢٨-٥٤٨ هـ .
عتبة الكتبة - بتصحيح واهتمام محمد قزوينى ، وعباس أقبال ،
١٣٢٩ شمس .

- خسرو : ناصر خسرو القباديانى . ت ٤٨١ هـ / ١٥٨٨ م .
سفرنامه ، نقله للعربية يحيى الخشاب ، القاهرة ط . ١٩٤٣ م ، ط ٢ ، الهيئة
سنة ١٩٩٣ م .

ترجمة د / أحمد خالد البدلى ، جامعة الملك سعود ، الرياض سنة ١٤٠٣ هـ .
- خواندمير : غياث الدين بن همام الدين الحسينى ، ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م .
حبيب السيرفى معرفة أخبار أفراد البشر ، بتصحيح ومقدمه سعيد نفيسى
طهران ١٣١٧ هـ ، ط . بومباى ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٨ م .

دستور الوزراء (شامل أحوال وزارى اسلام انقراض تيموريان) بتصحيح
ومقدمه سعيد نفيسى ، طهران ١٣١٧ هـ ، وترجمة د / حرى أمين سليمان ضمن
رسالته للدكتوراه ، ونشره ضمن كتابه المؤرخ الايرانى الكبير (غياث الدين
خواندمير) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م .

- دهخدا : (على أكبر)

لغت نامه (عدة مجلدات) شمساره مسلسل ٧٩ ، طهران ١٣٤١ هـ س (جانجانه
دانشگاه طهران) .

- ديوان بابا طاهر ، ترجمة للانجليزية براون ، انتشارات بدبده ، تاريخ شهر يوزماه
٢٥٣٥ شاهنشاهى .

ذبيح الله صفا - تاريخ ادبيات در ايران ، طهران ، ١٣٣٦ ش .

- دولتشاه :

تذكرة الشعراء ، ط . براون ، ليدن ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م .

- الراوندى : محمد بن على سليمان ٥٩٩هـ / ١٠١٩م .

راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، نشر وتصحيح محمد اقبال ، ترجمة إلى العربية د/ ابراهيم الشواربى ، د/ عبد النعيم حسانين ، د/ فؤاد الصياد ، مراجعة د/ الشواربى ، ط. دار العلم ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠م .

- رضا زاده شفق :

تاريخ أدبيات در ايران ، تاريخ الأدب الفارسى ، ترجمة موسى هندارى ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٧م .

- سعيد نفيسى :

مدرسة نظامية بغداد ، مجلة مهر ، طهران ١٣١٣/ ١٩٤٣م .

- السمرقندى : أحمد بن عمر النظام العروضى ت ٥٥٠هـ / ١٣٦٨هـ .

جهار مقاله (المقالات الأربع فى الكتابة والشعر والنجوم والطلب) ترجمة إلى الانجليزية ادوارد براون ، ونقله إلى العربية د/ عبد الوهاب عزام ، د/ يحيى الخشاب ، وحاشية الكتاب لمحمد بن عبد الوهاب القزوينى ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

- ش . سامى شمس الدين :

قاموس العلماء دردنجى جلد (المجلد الرابع) استانبول سنة ١٣٠٦هـ .

- شبلى النعمانى :

شعم العجم ، تاريخ شعراء ، وأدبيات ايران ، ترجمة محمد تقى فخر داعى كيلانى ، ط. طهران ١٣١٦هـ .

- عمر الخيام : أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام ، ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م .

نوروز نامه ، ترجمة إلى العربية رمضان متولى ضمن رسالة ماجستير لم تنشر بآداب القاهرة ، ١٩٧٠م .

- عوفى : سديد الدين محمد بن محمد عوفى البخارى ت ٦٣٥هـ / ١٢٦٠م .

لباب الألباب ، نشر براون ط. ليدن ، ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م .

- عبد الله رازى :

تاريخ كامل ايران ، آباء ماه ١٣٤٧هـ .

غلا معلی تربیت ، تربیت فارسی ، المانی ، طهران ، بهمن ماه ، ۱۳۱۵ شمسیه .

- قامبری ارمنیوس :

تاریخ بخاری من اقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة وتعليق د/ محمود الساداتی، مراجعة / الخشاب ، مصر ۱۹۶۰م .

- الفردوسی أبو القاسم ، ت ۱۶/۴۰۰م .

الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن علی البنداری ، تحقیق وترجمة عبد الوهاب عزام ، ط ۲ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ۱۹۹۳ .

- الکاشفری : محمود بن الحسن بن محمد ، انتهى منه سنة ۶۶/۱۰۷۳م .

کتاب دیوان لغات الترك ، ۳ أجزاء ، استانبول سنة ۱۳۳۳هـ .

- القزوينی : حمد الله مستوفی أبی بکر بن أحمد ت ۷۵۰/۱۳۴۹م .

تاریخ کزیده ، بسعی واهتمام براون ، لیدن ۱۳۲۸هـ/ ۱۹۱۰م ، ترجمة محمود مرسى قشطة رسالة ماجستير بآداب عين شمس ۱۹۶۸م .

- قاسم غنى : تاريخ تصوف در ايران ، ط. طهران ۱۳۶۲هـ/ ۱۳۲۲هـ.ش .

تاريخ تصوف در ايران ، ط. طهران ، ۱۳۶۲هـ/ ۱۳۲۲هـ.ش .

- الكرديزی : أبو سعيد عبد الحی بن الضحاک بن محمود ، ت ۴۴۰/۱۰۴۸م .

زين الأخبار ، بسعی واهتمام وتصحيح محمد ناظم ، برلين ۱۳۴۷هـ/ ۱۹۲۸م ، وترجمته د/ عفاف زيدان ، القاهرة سنة ۱۹۸۲م .

- الكرمانی : أفضل الدين أبو حامد ، ق ۶/۱۲م .

تاريخ أفضل يابدايع الأزمان فى وقائع كرمان ، فرآورده مهدى بيانى طهران ۱۳۲۶هـ/ ۱۹۴۷م .

- محمد معين :

فرهنگ فارسی ، انتشارات أمير كبير ، طهران ۱۳۴۳ شمس .

- محتجن : حسينعلى :

رازىقاي تمدن و فرهنگ ايران ، انتشارات دانشكاه ملى ايران طهران ۲۵۳۵

شاهنشاهی ، نظامية بغداد ، برز کثرين وانشكاه اسلامى عصر سلجوقيات .

- ميرخوند : محمد بن خاوند شاه ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م .
- روضة الصفاء (عدة أجزاء) ، ازانتشارات كتابفروشيهاك ، خيام طهران ١٣٣٩هـ .
- ذكر طبقة السلجوقية وذيل من أحوال سلجوق ووالده تقاق ، ووفاء ميكائيل وحفظ أولاده وأهلهم من العتاد والشقاق ، طهران ، ١٣٣٣هـ .
- المافروخي : مفصل بن ابن سعيد بن الحسين المافروخي الأصفهاني (من علماء القرن الخامس الهجري) .
- محاسن أصفهان ، تصحيح جلال الدين الحسيني ، ط. طهران سنة ١٣٥٢هـ .
- مجهول :
- تاريخ سيستان ، تصحيح ملك الشعراء بهار ، بهمت محمد رمضاني ، جاب دوم ايران ١٣٥٢ .
- مجلة المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية بكراتشي ، مقال بعنوان منجم باشي ، مؤرخ تركي لسلاجقة ايران بقلم الأستاذ السيد أبو الحسن ، كراتشي ، يونيو سنة ١٩٦٥م .
- النرشخي : أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي ألفه ٣٣٧هـ / ٩٤٨م .
- تاريخ بخاري ، ترجمة وتعليق أمين عبد المجيد بدوي ، نصر الطرازي ، ط. دار المعارف ، بمصر بمصر سنة ١٩٦٥م .
- النخبواني : هند وشاه بن سنجر بن عبد الله صاحب ق ٨هـ / ١٤م .
- تجارب السلف ، بتصحيح واهتمام عباس اقبال ، طهران ١٣١٣هـ .ش .
- نظام الكنجوى :
- شاعر الفضيلة الإيراني ، ترجمة عبد النعيم حسانين ، القاهرة ١٩٤٥م .
- نظام الملك : الحسن بن اسحاق بن العباس أبو علي الطوسي ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م .
- سياسة نامه ، ترجمة محمود العزاوي ، ط. القاهرة ، ١٩٧٥م . وترجمة د/ يوسف حسين بكار دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، سنة ١٩٨٧م .

- النيشابورى : ظهير الدين ت ٥٩٠/١١٩٤ م .
- سلجوق نامه ، نشره بوزورث Bosworth طهران ، ١٣٣٢هـ/١٩٥٤م .
- همذانى : رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ/١٣١٨م .
- جامع التواريخ ، تاريخ المغول ، المجلد الثانى ج١ ، نقله إلى العربية د/ محمد صادق نشأت د/ محمد موسى هنداوى ، د/ فؤاد الصياد ، راجعه د/ راجعه / يحيى الخشاب ، ط. القاهرة ، سنة ١٩٦٠م .
- وحيد ديسكردى :
- بابا طاهر عريان ، دانشمند شهير ، ٢٥٣٥ شاهنشاهى .
- ويلسن : كريستى ويلسن .
- تاريخ صنايع ايران ، ترجمة عبد الله فريار ، ط. طهران ١٣١٧هـ .
- اليزدى : محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسينى ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م .
- العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق د/ عبد النعيم حسانين ، د/ حسين أمين ، ط. جامعة بغداد ، سنة ١٩٧٩م .
- يادكار : آبان ماه ١٣٢٣ ، اكتوبر - نوامبر ١٩٤٤ ، بقعة ١٣٦٣ .
- وفات سلطان ملكشاه سلجوقى .
- يادكار . بهمن ماه ١٣٢٣ زانوية - خوربه ١٩٤٥ صفر - ربيع الأول ١٣٦٤ .
- فرمان تدريس نظامية نيشابور ، بنام محيى الدين محمد بن يحيى نيشابورى .
- بقلم آقاى عبد الحسين نواتى .
- مراجع تركية :

- SELGUKLU, ARASTIRMALARI, DERGISI .

II 1970, III, 1971 .

MALZGIREZA FERIOZE LSAYISI.

ANKARA, 1971 .

MEHMET ALTAY KOYMEN .

TÜGRUL BEY VE ZAMANI ISTANBUL, 1976.

خامسا : الدوريات :

- ابراهيم أمين الشواربي :

- نشأة الشعر الفارسي ، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، (فؤاد الأول) ، العدد الثامن ، المجلد الأول ، لسنة ١٩٤٦ م .

- أحمد عبد الرازق :

وسائل التسلية عند المسلمين ، مقال منشور ضمن كتاب (دراسات في الحضارة الإسلامية، بمناسبة القرن الرابع عشر الهجري ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٥٥ م .

- البستاني : المعلم بطرس :

دائرة معارف البستاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٨٨١ م .

- الطاهر أحمد مكى :

أصول المدرسة النظامية في بغداد ، مقال ضمن كتاب (التربية الإسلامية في الأندلس) تأليف خوليان ريبيرا ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف بمصر ، بدون .

- حبيب زيات :

أزياء الأكمام ، وما كانت تصلح له في الملابس العربية ، مقال منشور بمجلة المشرق ، المجلد الرابع ، بيروت ، ١٩٤٧ م .

- حسين أمين :

نظم الحكم في العصر السلجوقي ، مقال منشور بمجلة سومر ، المجلد العشرون ، ج١ ، ج٢ ، لسنة ١٩٦٤ م .

المدرسة النظامية من مظاهر الحضارة الإسلامية ببغداد ، مقال بمجلة كلية التربية ببغداد ، المجلد العاشر بعدد ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

المدرسة المستنصرية ، مقال بمجلة المعهد العلمي العراقي ، المجلد الرابع والعشرين ، بغداد ١٩٧٤ .

- حسين مجيب المصرى :

أثر الفرس فى حضارة الإسلام ، مقال منشور ضمن كتاب (دراسات فى الحضارة الاسلامية) بمناسبة القرن الخامس الهجرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٥م .

- خالد جاسم الجنابلى :

الجيش والشرطة ، مقال بكتاب حضارة العراق) ، ج٦ ، بغداد ، ١٩٨٤م .

- جعفر حسين خصباك :

القضاء فى العراق فى العهد السلجوقى ، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية ، العدد الثالث ، بغداد ، ١٩٧٤م .

- جمال الدين الشيال :

السياسة النقدية ، مقال ضمن بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ .

- سعاد ماهر :

أثر الماوردى فى الفن السلجوقى ، مقال نشر بمجلة المؤرخ العربى ، العدد العاشر ، بغداد لسنة ١٩٥٧ .

- سعد زغلول عبد الحميد :

الترك والمجتمعات التركية ، مقال منشور بمجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ، ديسمبر ، ١٩٥٦م .

- سنية مصطفى حسن :

محمود الكشفرى وكتابه (ديوان لغات الترك) ، مقال نشر بمجلة أبحاث المؤتمر الدولى الأول للمسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، ج٦ ، ١٩٩٣م .

- شاكر مصطفى :

دخول الترك الغزالي الشام ، مقال بمجلة المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، الأردن ، سنة ١٩٧٤ .

- عبد الرحمن العبد الغنى :

موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور الأتراك السلاجقة ، حوليات كلية الآداب - حولية رقم ٩٧ ، الكويت ، ١٩٩٤م .

- عبد العزيز الدورى :

نشأة الإقطاع فى المجتمعات الإسلامية ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد العشرون ، سنة ١٩٧٠ .

- عبد الهادى محبوبية :

من رسائل نظام الملك ، مقال نشر بمجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٢م .

وثائق تاريخية من العهد الأول من حكم الدولة السلجوقية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد العاشر ، ط ١ ، ١٩٦٤م .

- عبد النعيم حسنين :

تقديس الماء عند الإيرانيين القدماء ، مجلة سجل الثقافة الرفيعة ، العدد ٧ ، يونيو ١٩٥٧م .

- عبد المجيد محمود :

المصارف فى العراق ، مجلة غرفة التجارة ، بغداد ، ١٩٤٢م .

- على جواد الطاهر :

الشاعر فى المجتمع السلجوقى ، مقال منشور بمجلة كلية آداب بغداد ، العدد الثالث ، لسنة ١٩٦١م .

- فاضل مهدى :

المعاملات المالية والتجارية فى العصر السلجوقى ، مقال نشر بمجلة سرمر ، العدد ٢٤ ، بغداد سنة ١٩٦٧م .

- محمد باقر الحسينى :

النقود الاسلامية فى العصر السلجوقى ، مقال نشر بمجلة سرمر ، العدد ٢٤ ، بغداد ١٩٦٨م .

الخط أسلوبه وأنواعه ومميزاته على النقود الإسلامية في العصر السلجوقي ،
مجلة سومر ، المجلد الرابع والعشرين ، بغداد ، سنة ١٩٦٨م .

دراسة احصائية للكنى والألقاب المضروبة بالرى (المحمدية) ، مقال منشور بمجلة
المسكوكات العدد السابع (بغداد ، ١٩٧٦م) .

- محمد فارس الجميل :

اللباس في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، حوليات آداب الكويت ،
الحولية ١٤ ، لسنة ١٩٩٤م .

- محمد طه الحاجري :

الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمي
العراقي ، مجلد ١٢ ، بغداد سنة ١٩٦٥م .

- محمد عبد العزيز مرزوق :

الطنافس اليدوية في العصر الإسلامي ، مقال منشور بمجلة العلمي العراقي ،
العدد ١٨ ، سنة ١٩٦٩م .

- محمد محمود يونس :

الأثر العربي في شعر بلاد ماوراء النهر في القرن السادس الهجري ، مقال
منشور ضمن سلسلة أبحاث المؤتمر الدولي لمسلمي آسيا الوسطى والقوقاز ،
جامعة الأزهر ، سنة ١٩٩٣م .

- محمود اسماعيل عبد الرازق :

الاقطاع الاسلامي من منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجري ،
حوليات كلية الآداب ، الكويت ، حولية رقم ١١ لسنة ١٩٨٩ .

- محمود عرفه محمود :

الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة
القائم بأمر الله العباسي (حوليات آداب الكويت ، حولية رقم (١٠) ،
١٩٨٨م - ١٩٨٩م .

- مصطفى جواد :

وزراء السلاجقة في شعر عصرهم ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي ،
المجلد السابع ، بغداد ، سنة ١٩٦٠م .

المدرسة النظامية ببغداد ، مقال منشور بمجلة سومر ، بغداد ، ج ٢ ، مج ٩ ، ١٩٥٣ م .

- مليحة رحمة الله :

الملابس فى العراق خلال العصور العباسية ، مستخلص من المجلة المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧ م .

- ميخائيل مواد :

نزع العمائم فى دور الخلفاء والأمراء والسلاطين ، وبحضرتهم ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، القاهرة مارس ١٩٤٩ م .

دنية القاضى فى العصر العباسى ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، القاهرة ، العدد ٤٨ ، أكتوبر ١٩٤٣ م .

- يحيى الخشاب :

نظام الملك والمدارس النظامية ، بحث مستخرج من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد الخامس ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

سادسا : الرسائل العلمية :

- أحمد حلمى :

الأنورى ، عصره ، بيئته ، شعره ، رسالة دكتوراه غير منشوره آداب عين شمس ، سنة ١٩٧٢٣ م .

- بدر محمد فهد :

العمامة فى بغداد ، فى القرن الخامس الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشوره ، آداب القاهرة ١٩٧٦ م .

- توفيق محمد لقيابى :

التطور السياسى لدولة الغور الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة سنة .

- رشيد عبد الله الحميلى :
امارة الموصل فى العصر السلجوقى ، رسالة دكتوراه غير منشورة آداب
الإسكندرية ، سنة .
- سامية محمود نصار :
الحركات المناوئة للخلافة العباسية فى المشرق الإسلامى فى العصر العباسى
الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- سعد الحميدى :
حضارة الدولة الفزنوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨١ م .
- صلاح العبيدى :
التحف المعدنية فى الموصل فى العصر السلجوقى ، رسالة ماجستير غير
منشورة ، آداب القاهرة ، سنة ١٩٦٥ .
- عبد الهادى رضا :
الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب
القاهرة ، بدون ت .
- عمر سعيد :
نظم بلاط العباسيين ورسومهم فى بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب
عين شمس ، ١٩٧٢ م .
- عمر عمر الشبراوى :
عامه بغداد ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩٠ م .
- فاضل الخالدى :
النظم فى العراق فى أواخر العصر العباسى ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ،
١٩٧٦ .
- محمد باقر الحسينى :
نقود السلاجقة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٦٨ .

- محمد توفيق خفاجى :

النظم الادارية والمالية فى بلاد العراق والفرس فى مستهل العصر العباسى إلى
نهاية القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب القاهرة
١٩٦٦ .

- محمد عبد العظيم يوسف :

طغرلبك ، وتأسيس الدولة السلجوقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب
الزقازيق ، ١٩٩١ م .

- محمد وصفى أبو معلى :

بابا طاهر العريان الهمدانى ، عصره - بيئته - شعره ، رسالة ماجستير غير
منشور ، آداب القاهرة ، بدون - ت .

- محمود عرفه محمود :

الجيش العباسى خلال عهدى البويهيين والسلاجقة ، رسالة دكتوراه غير منشورة
، آداب القاهرة ١٩٨٢ .

- مواهب عبد الفتاح :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة على عهد السلطان
ملكشاه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٨٢ م .

سابعا : المراجع والدوريات الأجنبية :

- Arnold : Thamas W.

The Caliphate, Oxford, 1924 .

- Barthold.

Studies on the History of Ceutral Asia, Vol. I, Translated from the Ruassion
by , V. Jminarsk, London, 1962 .

- Bosworth, Charanis .

The Armeniens in the Byzantine of Empire, London, 1939 .

- Charanis, p.

The Armenians in the Byantine Empire, (Lisbon, 1936).

- Lana Pocle : Stanley .

A cataluge of the Colactions of coins, London, 1897 .

- Le Sirange :

Gaghadad during the abbasid caliphate, Axford, 1900 .

- Holt, P.M.

The Combriudge of History of Ialam, London, 1961 .

- Krmer :

The Orient under caliphate, London, 1979 .

- Hassan, S.A.,

Some observations on the problems concerning the origin of the seljuqds,
January 1965 .

Hitti :

A History of the Arabs, London, 19 .

- Malcolm .

The History of Persia, London, 1956 .

- Moles .

The Munismatic History of Bayy, London, 1976 .

- Muir.

The Caliphate, London, 1959 .

- Ostagarskyc, G.

A History of the Byzantiane State, Oxford, 1968 .

- Osborn .

Ialam Under the Khalifs of Baghades, London, 1978 .

- Setton .

A History of the Grusales, Vol. I, London 1935 .

- Sanaullah .

The desine of the Seljukil Empire, Istanbul 1939 .

- Tritton, A.,

Islam belief and practices, London, 1951 .

- Vasiliev, A. A.,

A History of the Byzantine Empire, vol. I, Madison, 1961 .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
دراسة فى أهم المصادر	١٣
الفصل الأول : الأحوال السياسية	٢٧
طغرل بك يتولى قيادة السلاجقة	٤٥
إعلان قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور	٥٠
دخول السلاجقة العراق	٦١
فتنة البساسيرى	٦٩
انشقاق ابراهيم ينال	٧١
دخول البساسيرى بغداد	٧٢
زواج طغرل بك من ابنة الخليفة العباسى	٧٦
النزاع على العرش بعد وفاة طغرل بك وتولية ألب أرسلان السلطنة	٧٩
موقعة ملاذكرد وانتصار السلاجقة	٨٥
نهاية ألب أرسلان	٨٧
سلطنة ملكشاه	٩٠
سياسة ملكشاه الخارجية	٩٣
الاسماعيلية ومصرع نظام الملك الطوسى	١٠١
الفصل الثانى : النظام السياسى	١١٣
السلطنة	١١٤
رسوم اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى موافقة الخليفة العباسى	١١٦
كيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلطين	١٢٢

١٢٨	نظرية التفويض الإلهى
١٢٩	رسوم تعيين السلطان السلجوقى
١٤٣	علامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية
١٤٧	رسوم السلطان السلجوقى فى قصره
١٤٩	ملابس السلطان فى قصره
١٥١	شارات السلطان السلجوقية
١٥٧	الخزانة السلطانية
١٥٨	رئيس الفراشين
١٥٨	حقوق السلطان
١٦٠	مراسم الاستقبال وتبادل الهدايا وإرسال الرسل
١٦٣	استقبال رسوم الغزنويين والهدايا المتبادلة بينهما
١٧٢	علاقة السلطان ألب أرسلان بالخليفة العباسى والهدايا والرسل المتبادلة بينهما
١٧٤	علاقة السلطان ملكشاه بالخليفة العباسى ، والرسل والهدايا المتبادلة بينهما
١٧٨	استقبال رسوم البيزنطيين والهدايا المتبادلة بينهما
١٨٢	اختيار السلطان السلجوقى لولى عهده
١٨٣	رسوم تعيين ولى العهد
١٨٦	تطور منصب الوزارة
١٩٠	وزراء السلطان طغرل بك
٢٠٠	وزراء أرسلان وملكشاه
٢١٦	التنافس على الوزارة السلجوقية
٢٢٢	رسوم تعيين الوزير فى العصر السلجوقى
٢٢٤	مهام ومناصب وأعمال الوزير السلجوقى
٢٢٨	ألقاب الوزراء

٢٣٠.....	علامات (شارات) الوزير
٢٣٠.....	العلاقة بين الوزير والسلطان
٢٣٤.....	وزير الخليفة ووزير السلطان
٢٣٩.....	تطور منصب الكتابة
٢٤١.....	الشروط الواجب توفرها فى الكاتب
٢٤٤.....	ألقاب الكاتب
٢٤٥.....	الحجابه
٢٤٧.....	رسوم تعيين الحاجب السلجوقى
٢٤٩.....	حجاب طغرلبك
٢٥٠.....	حجاب ألب أرسلان وملكشاه
٢٥٠.....	ملابس الحاجب وألقابه
٢٥١	الفصل الثالث : النظم الإدارية والقضائية
٢٥١.....	النظام الإدارى
٢٥٢.....	التقسيمات الإدارية
٢٥٣.....	الولاية أو أمراء الأقاليم
٢٥٩.....	مراسم تعيين الوالى
٢٦٠.....	العلاقة بين السلطان السلجوقى وولاية الأقاليم
٢٧٠.....	الدواوين
٢٧٨.....	أرباب الوظائف الأخرى
٣٢٣.....	النظام القضائى
٣٢٣.....	تطور منصب القضاء
٣٢٦.....	قاضى القضاة فى عهد السلاجقة
٣٣٥.....	تشكيلات القضاء فى السلطنة السلجوقية

٣٣٧	ثقافة القضاء ونزاهتهم
٣٤٠	مذاهب القضاة
٣٤١	إيرادات القضاة وروايتهم
٣٤١	ديوان القاضى وأعرانه
٣٤٥	تلاميذ القاضى
٣٤٦	مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة
٣٤٧	ملابس القضاة
٣٤٩	ديوان المظالم
٣٥٣	الفصل الرابع : النظم الحربية
٣٥٣	الجيش السلجوقى
٣٥٤	عناصر الجيش السلجوقى
٣٥٧	تشكيلات الجيش السلجوقى
٣٦٢	أسلحة الجيش السلجوقى
٣٧٠	أساليب السلاجقة فى القتال
٣٧٦	مرتبات الجند السلجوقى - نظام الإقطاع السلجوقى
٣٩٥	نتائج النظام الإقطاعى العسكرى فى العصر السلجوقى
٤٠١	قائمة المصادر والمراجع

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١٧٣٠٠

الترقيم الدولى X - 046 - 322 - 977 I.S.B.N.

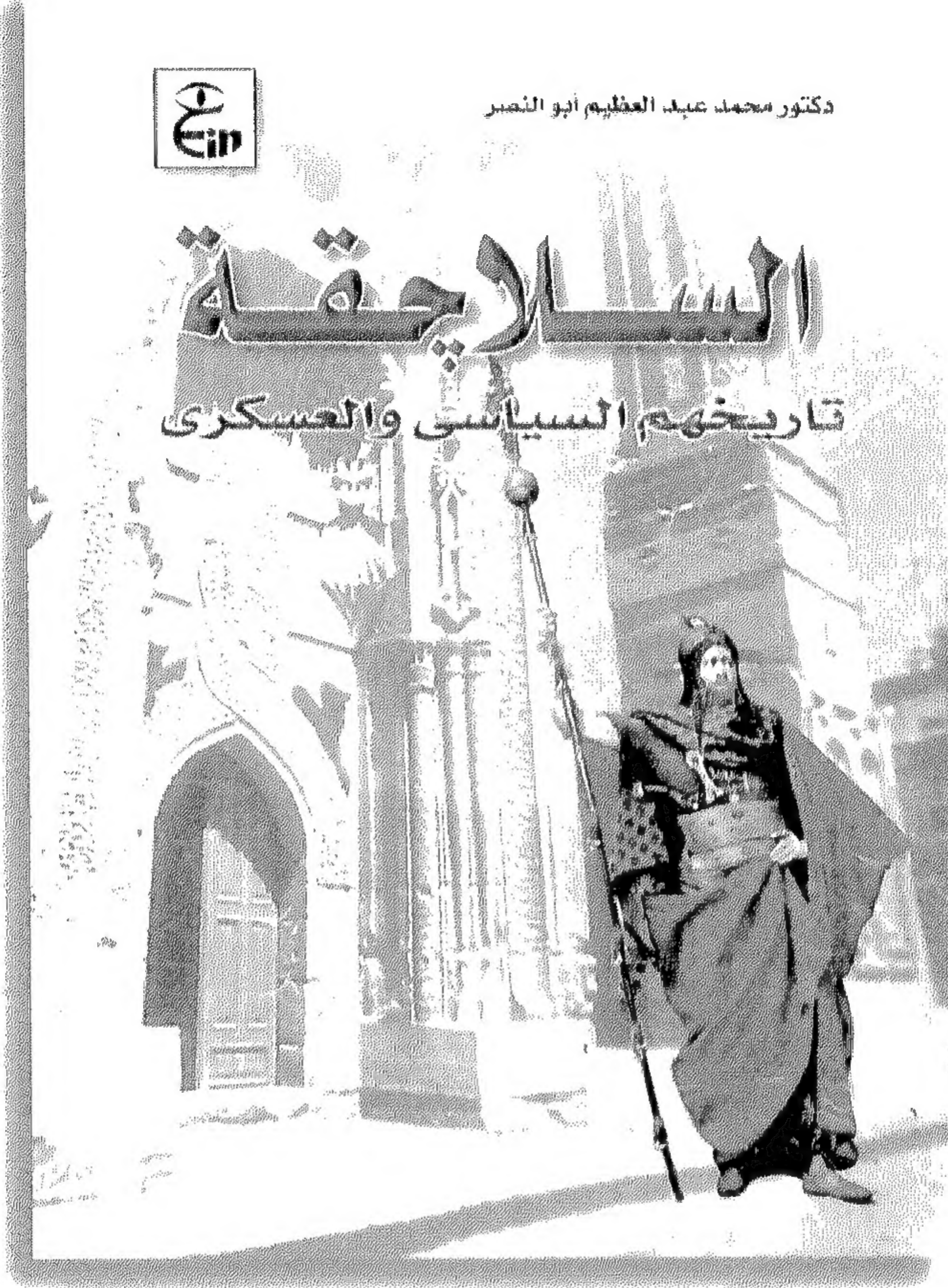
دار روتايرينت للطباعة ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع موبار - باب اللوق



دكتور محمد عبد العظيم أبو النضر

السلالة تاريخهم السياسي والعسكري



للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES